



كتاب

﴿رحلة ابن بطوطة﴾

المسماة

تحفة النظر في غرائب الأمصار

وعجائب الاسفار

الطبعة الاولى

بالمطبعة الخيرية

لما لكها ومديرها السيد (عمر حسين الخشاب)

سنة ١٣٢٢

هجريه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال الشيخ الفقيه العالم الثقة النبيه الناسك الابر وفد الله المعتمر شرف الدين المعتمد في سياحته على رب العالمين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي ثم الطنجي المعروف بابن الحلوطة رحمه الله ورضي عنه بمنه وكرمه آمين

الحمد لله الذي ذل الارض لعباده ليسلكوا منها سبلا فجاجا وجعل منها واليه تاراتهم للثلاث نباتا واعادة واخراجا دحاءا بقدرته فكانت مهدا للعباد وأرساها بالاعلام الراسيات والاطواد ورفع فوقها سمك السماء بغير عمد وأطلع الكواكب هداية في ظلمات البر والبحر وجعل القمر نورا والشمس سراجا ثم أنزل من السماء ماء فأحياه الارض بعد الممات وأنبث فيها من كل الثمرات وفطر أقطارها بصنوف النبات وفجر البحرين عذبا فراتا ومالحا فجاجا وأكمل على خلقه الانعام بتدليل معطيا بالاعلام وتسخير المنشآت كالاعلام لمنتظر من صهوة القفر ومتن البحر أثابا وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الذي أوضح للخلق منهاجا وطلع نور هدايته وهاجا بته الله تعالى رحمة للعالمين واختاره خاتما للنبيين وأمكن صوارمه من رقاب الشركين حتى دخل اناس في دين الله أفواجا وأيده بالمعجزات الباهرات وأنطق بتصديقه الجسادات وأحياه بدعوته الرمم الباليات وفجر من بين أنامله ماء شجاجا ورضى الله تعالى عن المنشرفين بالانتماء اليه أحببا وآلوا وزواجا المقيمين قنات الدين فلا تخشى بعدهم اءواجا فهم الذين آزره على جهاد الاعداء وظاهره على اظهار الملة ليضاء وقاموا بحقوق الكريمة من الهجرة والنصرة والايواء واقتحموا دونه نار البأس حامية وخاضوا بحر الموت عجاجا ونستوهب الله تعالى لمولانا الامام الخليفة أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين المجاهد في سبيل الله المؤيد بنصر الله أبي عنان فارس ابن موالينا الاثمة المهتمدين الخلفاء الراشدين نصر اوسع الدنيا وأهلها ابتهاجا وسعدا يكون لزمان الزمان علاجا كما

وهبه الله بأسا وجودا لم يدع طاغيا ولا محتاجا وجعل بسيفه وسيفه لكل ضيقة انقراجا
(وبعد) فقد قضت العقول وحكم المعقول والمنقول بأن هذه الخلافة العلية المجاهدة
المتوكلية الفارسية هي ظل الله الممدود على الانام وحبله الذي به الاعتصام وفي سلكه
طاعته يجب الانتظام فهي التي أبرأت الدين عن دعتاله وأغمدت سيف العدو وان عند
انسلاخه وأصلحت الايام بعد فسادها ونفقت سوق العلم بعد كسادها وأرقت طرق
البر عند انهارها وسكنت أقطار الارض عند ارتجاجها وأحييت سنيننا تاروم بعد محامها
وأما ترسوم المظالم بعد حياتها وأخذت نار الفتنة عند اشتعالها وتقتضت أحكام البغي
عند استقلالها وشادت مباني الحق على عمد التقوى واستمسكت من التوكل على الله
بالسبب الاقوى فلها العز الذي عقد تاجه على مفرق الجوزاء والمجد الذي جرد أذنيه
على مجرة السماء والسعد الذي ردد على الزمان غض شبابه والعدل الذي مد على أهل
الايمان مديداً طنابه والجود الذي قطر سحابه اللجين والنجار والبأس الذي فيض
غمامه الدم الموار وانصر الذي نفى كتابه الاجل والتأييد الذي بعث ثنائمه الدول
والبطش الذي سبق سيفه العذل والاناة التي لا يعل عندها الامل والحزم الذي يسد على
الاعداء وجود المسارب والعزم الذي يفل جموعها قبل نراع الكتاب والحلم الذي
يجنى العفو من ثمر الذنوب والرفق الذي جمع على محبته نبات القلوب والعلم الذي يجنو
نوره دياجي المشكلات والعمل المقيد بالاخلاص والاعمال بالنيات ولما كانت
حضرته العلية مظمح الآمال ومسرح همم الرجال ومحط رحال الفضائل وموعد
أمن الخائف ومنية السائل توخي الزمان خدمتها ببدايع تحفه وروائع ليله فانشأ
عليها العلماء انثيال جودها على الصفات وتسابق اليها الادباء تسابق عنمايتها الى الاعدات
وحجج العارفون حرمة الشريف وقصد السانحون استطلاع معناها المتيقن ولجأ
الخائفون الى الامتناع بعز جنابها واستجارت الملوك بخدمة أبوابها فهي انطاب الذي
عليه مدار العالم وفي القطع بتفضيلها تساوت بديهة عقل الجاهل والعالم وعن ما أثرها
الفائقة يتسند صحاح الآثار كل مسلم وبإكمال محاسنها الرائقة يفصح كل معلم وكان عن

وقد على بابها السامى وتعدى أو شال البلاد الى بحرها الطامى الشيخ الفقيه السامخ النقة
الصدوق جوال الارض ومخترق الاقاليم بالطول والعرض أبو عبد الله محمد بن عبد الله
ابن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة المعروف في بلاد الشرقية بشمس
الدين وهو الذى طاف الارض معتبرا وطوى الامصار مختبرا وباحث فرق الامم
وسير سير العرب والعجم ثم ألقى عصا التسيار بهذه الحضرة العليا لما علم أن لها منزلة
الفضل دون شرط ولا ثنيا وطوى المشارق الى مطلع بدرها بالغرب وآثرها على
الاقطار ايثار التبر على الترب اختيارا بعد طول اختبار البلاد والخلق ورغبة في اللحاق
بالطائفة التي لا تزال على الحق فغمره من احسانه الجزيل وامتنانه الحفى الحفيل
ما أنساه الماضي بالحال وأغناه عن طول الترحال وحقر عنده ما كان من سواه يستعظمه
وحق له ما كان من فضله يتوهمه فنسي ما كان ألفه من جولان البلاد وظفر بالمرعى
الحصب بعد طول الارتداد ونفذت الاشارة الكريمة بأن يملى ما شاهده في رحلته من
الامصار وما علق بحفظه من نوادر الاخبار ويذكر من لقيه من ملوك الاقطار
وعلمائها الاخبار وأولياها الابرار فأملى من ذلك ما فيه نزهة الخراطر وبهجة المسامع
والنواظر من كل غريبة أفاد باجتماعها وعجيبة أطرف بانحائها وصدر الامر العالي
امد مقامهم الكريم المنقطع الى بابهم المتشرف بخدمة جنابهم محمد بن محمد بن جزي
الكلبي أعانه الله على خدمتهم وأوزعه شكر نعمتهم ان يضم أطراف ما أملاه الشيخ
أبو عبد الله من ذلك في تصنيف يكون على فوائده مشتملا ولئيل مقاصده مكملا
متوخيا تنقيح الكلام وتهذيبه معتمدا أيضا حقه وتقريبه ليقع الاستمتاع بملك الطرف
وبعظم الانتفاع بديرها عند تجريد عن الصدف فامثل ما أمر به مبادرا وشرع في
منهله ليكون بمونة الله عن توفية الغرض منه صادرا وتقلت معاني كلام الشيخ أبي عبد
الله بالفاظ موفية للمقاصد التي قصدتها موضحا للمناحي التي اعتمدها وربما أوردت
لحفظه على وضعه فلم أخل بأصله ولا فرعه وأوردت جميع ما أورده من الحكايات
والاخبار ولم أعرض لبحث عن حقيقة ذلك ولا اختبار على أنه سلك في اسناد

صاحبا أقوم المسالك وخرج عن عهدة سائرها بما يشعر من الالفاظ بذلك وقيدت
المشكل من أسماء المواضع والرجال بالشكل والنقط ليكون أنفع في التصحيح والضبط
وشرحت ما أمكنى شرحه من الاسماء العجمية لأنها تلتبس بمعجمتها على الناس ويخطئ
في فك معماها منهم ودالقياس وأنا أرجو أن يقع ما قصدته من المقام العلى أيده الله بمحل
القبول وأبأ عن الانغضاء عن تقصيره المأمول فموائدهم في السماح جميله ومكارمهم
بالصفح عن الهفوات كفيله والله تعالى يديم لهم عادة النصر والتحكين ويمرفهم
عوارف التأيد والفتح المبين

قال الشيخ أبو عبد الله كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من
شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبع مائة تمتداحج بيت الله الحرام وزيارة قبر
الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام منفردا عن رفيق آانس بصحبته وركب أكون في
جملته لباعث على النفس شديد العزائم وشوق الي تلك المعاهد الشريفة كما من في
الحيازم فجزمت أمرى على هجر الاحباب من الاناث والذكور وفارقت وطني
مفارقة الطيور للو كور وكان والدي بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصبا ولقيت كالمقيا
من الفراق نصبا وسقى يومئذ ثنتان وعشرون سنة قال ابن جزى أخبرني أبو عبد الله
بمدينة غرناطة ان مولده بطنجة في يوم الاثنين السابع عشر من رجب الفرد سنة ثلاث
وسبع مائة

(رجع) وكان ارتحالي في أيام أمير المؤمنين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين
الذي رويت أخبار جوده ووصولة الاسناد بالاسناد وشهرت آثار كرمه شهرة واضحة
الاشهاد وتحات الايام بحلى فضله ورتع الانام في ظل رفقه وعدله الامام المقدس أبو
سعيد ابن مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين الذي قل حد الشرك صدق عزائم وأطفأت
نار الكفر جداول صوارمه وفتكت بعباد الصليب كتابه وكرمت في اخلاص الجهاد
مذاهبه الامام المقدس أبو يوسف بن عبد الحق جد الله عليهم رضوانه وسقى ضرائحهم
المقدسة من صوب الحياطه وتمتاته وجزاهم أفضل الجزاء عن الاسلام والمسلمين

وأبقى الملك في عقبهم الى يوم الدين فوصلت مدينة تلمسان وسلمطانها يومئذ أبو تاشفين
عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يعمر اسن بن زيان ووافقت بهار سولي ملك افريقية
السلطان أبي يحيى رحمه الله وهما قاضى الانكحة بمدينة تونس أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن
علي بن ابراهيم النفاوى والشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عبد الله القرشي
الزبيدي (بضم الزاى نسبة الى قرية بساحل المهدية) وهو أحد الفضلاء وافته عام أربعين
وفي يوم وصولي الى تلمسان خرج عنها الرسولان المذكوران فأشار علي بعض الاخوان
بمرافقتهم فاستخرت الله عز وجل في ذلك وأقت بتلمسان ثلاثا في قضاء ما ربي وخرجت
أجد السير في آثارهما فوصلت مدينة مليانة وأدركتهما بها وذلك في ابان القيظ فاحق
الفقيهين مرض أفتنا بسببه عشر اثم ارتحلنا وقد اشتد المرض بالقاضي منهما فأفتنا ببعض
الماء على مسافة أربعة أميال من مليانة ثلاثا وقضى القاضي نحبه ضحى اليوم الرابع فمادابنه
أبو الطيب ورفيقه أبو عبد الله الزبيدي الى مليانة فقبروه بها وتركتهم هنالك وارتحلت مع
رفقة من تجارتونس منهم الحاج مسعود بن المنتصر والحاج العدولي ومحمد بن الحجر
فوصلنا مدينة الجزائر وأفتنا بخارجها أياما الى أن قدم الشيخ أبو عبد الله وابن القاضي
فتوجهنا جميعا على متيعة الى جبل الزان ثم وصلنا الى مدينة بجاية فنزل الشيخ أبو عبد الله
بدار قاضيها أبي عبد الله الزواوى ونزل أبو الطيب ابن القاضي بدار الفقيه أبي عبد الله
المفسر وكان أمير بجاية اذذاك أبا عبد الله محمد بن سيد الناس الحاجب وكان قد توفي من
تجارتونس الذين صحبتهم من مليانة محمد بن الحجر الذي تقدم ذكره وترك ثلاثة آلاف
دينار من الذهب وأوصى به الرجل من أهل الجزائر يعرف بابن حديدة ليوصلها الى
ورثته بتونس فأتني خبره لابن سيد الناس المذكور فانتزعها من يده وهذا أول
ما شاهدته من ظلم عمال الموحدين وولاتهم ولما وصلنا الى بجاية كما ذكرته أصابتني
الحمل فأشار علي أبو عبد الله الزبيدي بالاقامة فيها حتى يتمكن البرء منى فأبيت وقلت ان
قضى الله عز وجل بالموت فتكون وفاتي بالطريق وأنا قاصد أرض الحجاز فقال لي امان
عن مت فبع دابتك وتقل المتاع وأنا أعيرك دابة وخباء وتصحبنا خفيفا فاتنا نجد السير

خوف غارة العرب في الطريق ففعلت هذا وأعارني ما وعد به جزاء الله خيرا وكان ذلك أول ما ظهر لي من الاطاف الالهية في تلك الوجهة الحجازية وسرنا الي ان وصلنا الي مدينة قسنطينة فنزلنا خارجها وأصابنا مطر جود اضطرنا الى الخروج عن الاخيرة ليلا الى دور هنالك فلما كان من الغد تلقانا حاكم المدينة وهو من الشرفاء الفضلاء يسمى بأبي الحسن فنظر الي ثيابي وقد لوثها المطر فأمر بغسلها في داره وكان الاحرام منها خالقا فبعث مكانه احراما بعلبكيا وصرف في أحد طرفيه دينارين من الذهب فكان ذلك أول ما فتح به علي في وجهتي ورحلنا الي ان وصلنا مدينة بونة ونزلنا بداخلها وأقنابها أياما ثم تركنا بها من كان في صحبتنا من التجار لاجل الخوف في الطريق وتجرنا لالسير وواصلنا الجسد واصابتني الحمى فكنت أشد نفسي بعمامة فوق السرج خوف السقوط بسبب الضعف ولا يمكنني النزول من الخوف الي ان وصلنا مدينة تونس فبرز أها باللقاء الشيخ أبي عبد الله الزبيدي ولقاء أبي الطيب ابن القاضي أبي عبد الله النفزاوي فأقبل بعضهم علي بعض بالسلام والسؤال ولم يسلم علي أحد لعدم معرفتي بهم فوجدت من ذلك في النفس مالم أملك معه سوا بق العبرة واشتد بكائي فشعر بحالي بعض الحجاج فأقبل علي بالسلام والايان وما زال يؤنسني بحديثه حتى دخلت المدينة ونزلت منها بمدرسة الكتبيين قال ابن جزى أخبرني شيخني قاضي الجماعة أخطب الخطباء أبو البركات محمد بن محمد بن ابراهيم السلمي هو ابن الحاج البليقي انه جرى له مثل هذه الحكاية قال قد مدت مدينة باش من بلاد الاندلس في ليلة عيد برسم رواية الحديث المسلسل بالعيد من أبي عبد الله ابن الكماد وحضرت المصلي مع الناس فاما فرغت الصلاة والخطبة أقبل الناس بعضهم علي بعض بالسلام وأنا في ناحية لا يسلم علي أحد فقصص الي شيخ من أهل المدينة المذكورة وأقبل علي بالسلام والايان وقال نظرت اليك فرأيتك منتبذا عن الناس لا يسلم عليك أحد فرفت أنك غريب فأحببت ايناسك جزاء الله خيرا (رجع)

﴿ ذكر سلطان تونس ﴾

كان سلطان تونس عند دخولي اليها السلطان أبو يحيى ابن السلطان أبي زكريا يحيى

ابن السلطان أبي اسحق ابراهيم ابن السلطان أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص
رحمه الله وكان بتونس جماعة من اعلام العلماء منهم قاضي الجماعة بها أبو عبد الله محمد بن
قاضي الجماعة أبي العباس أحمد بن محمد بن حسن بن محمد الانصاري الخزرجي البلمسي
الاصل ثم اتونسي هو ابن الغماز ومنهم الخطيب أبو اسحق ابراهيم بن حسين بن علي بن
عبد الرفيق الربيعي وولي أيضا قضاء الجماعة في خمس دول ومنهم الفقيه أبو علي عمر بن علي
ابن قداح الهواري وولي أيضا قضاءها وكان من اعلام العلماء ومن عوايدم انه يستد كل
يوم جمعة بعد صلاتها الى بعض اساطين الجامع الاعظم المعروف بجامع الزيتونة ويستفتيه
الناس في المسائل فلما أفتي في أربعين مسألة انصرف عن مجلسه ذلك واطلبني بتونس
عيد الفطر فحضرت المصلي وقد احتفل الناس لشبهه ودعيتهم وبرزوا في أجمعين هيئة
وأكمل شارة ووافي السلطان أبو يحيى المذكور راكبا وجميع أقاربه وخوادمه وخدام
مملكته مشاة على أقدامهم في ترتيب عجيب وصليت الصلاة وانقضت الخطبة وانصرف
الناس الى منازلهم وبعد مدة تعين لركب الحجاز الشريف شيخه يعرف بأبي يعقوب
انسوسي من أهل أقل من بلاد أفريقية وأكثره المصامدة فقد موتني قاضيا بينهم
وخرجنا من تونس في أواخر شهر ذي القعدة سالكين طريق الساحل فوصلنا الى
بلدة سوسة وهي صغيرة حسنة مبنية على شاطئ البحر بينها وبين مدينة تونس أربعون
ميلا ثم وصلنا الى مدينة صفاقس وبخارج هذه البلدة قبر الامام أبي الحسن اللخمي
المالكي وألف كتاب التبصرة في الفقه قال ابن جزري في بلدة صفاقس يقول شئ بن
حيب التوخي (كامل)

سقي الارض صفاقس * ذات المصانع والمصلى
محمي القصير الى الخليج * فقصرها السامي المعلى
بلد يكاد يقول حين * زوره أهل الأوسهلا
وكانه والبحر يحبس تارة عنه ويملا
صوب يريد زيارة * فاذا رأي الرقباء ولي

وفي عكس ذلك يقول الاديب البارع أبو عبد الله محمد بن أبي نعيم وكان من المجيدين
المكثرين (رجز)

صفاقس لاصفا عيش لساكنها * ولاسقى أرضها غيثا إذا انسكبا
ناهيك من بلدة من حل ساحتها * عانى بها العاديين الروم والعربا
كمضل في البر مسلوبا بمتاعته * وبات في البحر يشكو الأسر والعظبا
قدعائين البحر من لوم لقاطنها * فكلما هم ان يدنو لها هربا

(رجع) ثم وصلنا الى مدينة قابس ونزلنا بداخلها وأقمنا بها عشرة لتوالي نزول الامطار
قال ابن جزى في ذكر قابس يقول بعضهم (رجز)

لهفي على طيب ليل خات * بجانب البطحاء من قابس
كان قلبي عند تذكارها * جذوة نار بيد قابس

(رجع) ثم خرجنا من مدينة قابس قاصدين طرابلس وصحبنا في بعض المراحل البها نحو
مائة فارس أو يزيدون وكان بالركب قوم رماة فها بهم العرب وتحامت مكانهم وعصمنا الله
منهم وأظلمنا عيد الاحجبي في بعض تلك المراحل وفي الرابع بعده وصلنا الى مدينة طرابلس
فاقمنا بها مدة وكنت عقدت بصفاقس على بنت لبعض أمراء تونس فبنيت عليها بطرا بلس ثم
خرجت من طرابلس أو آخر شهر المحرم من عام ستة وعشرين ومعي أهلى وفي صحبتي
جماعة من المصامدة وقد رفعت العلم وتقدمت عليهم وأقام الركب في طرابلس خوفا من
البرد والمطر وتجاوزنا مائة ليلة ومائة وقصور سرت وهنالك أرادت طوائف العرب
الايقاع بنا ثم صرفهم القدرة وحالت دون مارا موهمنا من اذابتنا ثم توسطنا الغاية وتجاوزناها
الى قصر بر صيص العابد الى قبة سلام وأدركنا هنالك الركب الذين تخلفوا بطرابلس
ووقع بيني وبين صهرى مشاة برة أوجعت فراق بنته وتزوجت بنتا لبعض طلبة فاس وبنيت
بها بقصر الزعافية وأولت وليمة حبست لها الركب يوما وأطعمتهم ثم وصلنا في أول جمادى
الاولى الى مدينة الاسكندرية حرسها الله وهى الثغر المحروس والقطر المأنوس
العجيبة الشأن الاصلية البنيان بها ماشئت من تحسين وتحصين وما تردنيا ودين

كرمت مغانيها ولطفت معانيها وجمعت بين الضيامة والاحكام مبانها فهي الفريدة
تجلى سناها والخريدة تجلى في حلها الزاهية بجمالها المغرب الجامعة لمفترق المحاسن
لتوسطها بين المشرق والمغرب فكل يدية بها اجتلاؤها وكل طرفة فاليها انتهاؤها وقد
وصفها الناس فأطنبوا وصنفوا في عجائبها فأغربوا وحسب المشرف الي ذلك ماسطره
أبو عبيد في كتاب المسالك

﴿ذكر أبوابها ومرساها﴾

ولمدينة الاسكندرية أربعة أبواب باب السدرة واليه يشرع طريق المغرب وباب رشيد
وباب البحر والباب الاخضر وليس يفتح الا يوم الجمعة فيخرج الناس منه الي زيارة القبور
ولها المرسى العظيم الشأن ولم أر في مراسي الدنيا مثله الا ما كان من مرسى كويلم وقليقوط
ببلاد الهند ومرسى الكفار بسوداق ببلاد الاتراك ومرسى الزيتون ببلاد الصين
وسيقع ذكرها

﴿ذكر المنار﴾

قصت المنار في هذه الوجهة فرأيت أحدا جوائبه مهتدا بوصفته انه بناء مربع ذاهب في
الحواء وبابه مرتفع على الارض وازاء بابه بناء بقدر ارتفاعه وضعت بينهما ألواح خشب
يعبر عليها الي بابه فاذا أزيات لم يكن له سبيل وداخل الباب موضع لجلس لوس حارس المنار
وداخل المناريوت كثيرة وعرض الممر بداخله تسعة أشبار وعرض الحائط عشرة
أشبار وعرض المنار من كل جهة من جهاته الأربع مائة وأربعون شبرا وهو على تل
مرتفع ومسافة ما بينه وبين المدينة فرسخ واحد في بر مستطيل يحيط به البحر من
ثلاث جهات الي أن يتصل البحر بسور البلد فلا يمكن التوصل الي المنار في البر الا من
المدينة وفي هذا البر المتصل بالمنار مقبرة الاسكندرية وقصت المنار عند عودي الي
بلاد المغرب عام خمسين وسبع مائة فوجدته قد استولي عليه الخراب بحيث لا يمكن دخوله
ولا الصعود الي بابه وكان الملك الناصر رحمه الله قد شرع في بناء منار مثله بازائه فعاقه
الموت عن اتمامه

﴿ذكر عمود السواري﴾

ومن غرائب هذه المدينة عمود الرخام الهائل الذي بنى خارجها المسمى عندهم بعمود السواري وهو متوسط في غاية النخل وقد امتاز عن شجراتها سمواوار تفاعا وهو قطعة واحدة محكمة النحت قد أقيم على قواعد حجارة مربعة أمثال الدكاكين العظيمة ولا تعرف كيفية وضعه هناك ولا يتحقق من وضعه قال ابن جزى أخبرني بعض أشياخي الرحالين أن أحد الرماة بالاسكندرية صعد إلى أعلى ذلك العمود ومعه قوسه وكناته واستقر هناك وشاع خبره فاجتمع الحشود لمشاهدته وطال العجب منه وخفى على الناس وجهه احتياله وأظنه كان خائفاً وطالب حاجة فأتج له فعله الوصول إلى قصد الغرابة ما أتى به وكيفية احتياله في صعوده أنه رمى بنشابة قد عقد فوقها خيطا طويلا وعقد بطرف الخيط حبلا وثيقا فتجاوزت النشابة أعلى العمود معترضة عليه ووقعت من الجهة الموازية للرامي فصار الخيط معترضا على أعلى العمود فحذبه حتى توسط الحبل أعلى العمود مكان الخيط فأوسطه من إحدى الجهتين في الأرض وتعاق به ساعدان من الجهة الأخرى واستقر بأعلاه وجذب الحبل واستصحب من احتمله فلم يهتد الناس لحيلته وعجبوا من شأنه (رجع) وكان أمير الاسكندرية في عهد وصولي إليها يسمى بصلاح الدين وكان فيها أيضا في ذلك العهد سلطان أفريقية الخلع وهو زكرياء أبو يحيى بن أحمد بن أبي حفص المعروف بالأحياني وأمر الملك الناصر بأنزاله بدار الساطنة من اسكندرية وأجرى له مائة درهم في كل يوم وكان معه أولاده عبد الواحد ومصري واسكندري وحاجبه أبوزكرياء ابن يعقوب ووزيره أبو عبد الله بن ياسين وبالاسكندرية توفي الأحياني المذكور وولده الاسكندري وبقي المصري بها إلى اليوم قال ابن جزى من الغريب ما اتفق من صدق الزجر في اسمي ولدي الأحياني الاسكندري والمصري فبات الاسكندري بها وعاش المصري دهر اطويلا بها وهي من بلاد مصر (رجع) وتحول عبد الواحد لبلاد الاندلس والمغرب وأفريقية وتوفي هناك بجزيرة جربة

﴿ذكر بعض ملهاء الاسكندرية﴾

فمنهم قاضيا عماد الدين الكندي امام من أئمة علم اللسان وكان يعم بعامة خرقت المعتاد
للعامة لم أرى في مشارق الارض ومغاربها عمامة أعظم منها رأيتها يوم اقام عدا في صدر محراب
وقد كادت عمامته ان تملأ المحراب ومنهم نحر الدين بن الريني وهو أيضا من القضاة
بالاسكندرية فاضل من أهل العلم (حكاية)

يذكر ان جدا القاضي نحر الدين الريني كان من أهل ريغة واشتغل بطلب العلم ثم رحل الى
الحجاز فوصل الاسكندرية بالعشي وهو قليل ذات اليد فأحب أن لا يدخلها حتى يسمع
فألا حسنا فعد قريبا من بابها الى ان دخل جميع الناس وجاء وقت سد الباب ولم يبق هناك
سواه فاعتناظ الموكل بالباب من ابطائه وقال متهم كما دخل يا قاضي فقال قاض ان شاء الله
ودخل الى بعض المدارس ولازم القراءة وسلك طريق الفضلاء فعظم صيته وشهر اسمه
وعرف بالزهد والورع واتصلت أخباره بملك مصر واتفق ان توفي قاضي الاسكندرية
وبها اذذاك الجهم الفقير من الفقهاء والعامة وكلمهم متشوف للولاية وهو من بينهم لا يتشوف
لذلك فبعث اليه السلطان بالتقليد وهو ظهير القضاء وأتاه البريد بذلك فأمر خديمه أن
ينادي في الناس من كانت له خصومة فليحضر لها وقعد للفصل بين الناس فاجتمع الفقهاء
وسواهم الى رجل منهم كانوا يظنون ان القضاء لا يتعدا وتفاوضوا في مراجعة السلطان
في أمره ومخاطبته بأن الناس لا يرتضونه وحضر لذلك أحدا الخذاق من المنجمين فقال لهم
لا تفعلوا ذلك فاني عدلت طالع ولايته وحققته فظهر لي انه يحكم أربعين سنة فأضربوا
عمامه وابه من المراجعة في شأنه وكان أمره على ما ظهر للمنجم وعرف في ولايته بالعدل
والنزاهة ومنهم حية الدين الصنهاجي من قضائهم مشتهر بالعلم والفضل ومنهم شمس الدين
ابن بنت التيسري فاضل شهير الذكرو من الصالحين بها الشيخ أبو عبد الله الفاسي من كبار
أولياء الله تعالى يذكر انه كان يسمع ردا للسلام عليه اذا سلم من صلاته ومنهم الامام العالم
الزاهد الخاشع الورع (خليفة) صاحب المكاشفات (كرامة له)

خبرني بعض الثقات من أصحابه قال رأى الشيخ خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم
فقال يا خليفة زرنا فرحل الى المدينة الشريفة وأتى المسجد الكريم فدخل من باب

السلام وحياء المسجد وسلم علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعد مستنداً الي بعض
سوارى المسجد ووضع رأسه علي ركبتيه وذلك يسمى عند المتصوفة الترفيق فلما
رفع رأسه وجد أربعة أرغفة وآنية فيها لبن وطبقا فيه تمر فأكل هو وأصحابه وانصرف
عائداً الى الاسكندرية ولم يحج تلك السنة * ومنهم الامام العالم الزاهد الورع الخاشع برهان
الدين الاعرج من كبار الزهاد وافراده العباد لقيته أيام مقامى بالاسكندرية وأقيمت في
ضيافته ثلاثاً (ذكر كرامته)

دخلت عليه يوماً فقال لي أراك تحب السياحة والجولان في البلاد فقلت له نعم اني أحب ذلك
ولم يكن حينئذ خطر بخاطري التوغل في البلاد القاصية من الهند والصين فقال لا بد لك ان
شاء الله من زيارة أخي فريد الدين بالهند وأخي ركن الدين زكرياء بالسند وأخي برهان
الدين بالصين فاذا بلغتهم فأبلغهم منى السلام فعجبت من قوله وألقي في روعي التوجه الي
تلك البلاد ولم أزل أجول حتى لقيت الثلاثة الذين ذكرهم وأبلغتهم سلامه ولمسا وادعته
زودني دراهم لم تزل عندي محوطة ولم أحتج بعد الي انفاقها الي ان سلبها مني كفار الهنود
فيما سلبوه لي في البحر * ومنهم الشيخ ياقوت الحبشي من افراده الرجال وهو تلميذ أبي
العباس المرسى وأبو العباس المرسى تلميذ ولي الله تعالى أبي الحسن الشاذلي الشهير ذي
الكرامات الجليلة والمقامات العالية

(كرامة لأبي الحسن الشاذلي) أخبرني الشيخ ياقوت عن شيخه أبي العباس المرسى
ان أبا الحسن كان يحج في كل سنة ويجعل طريقه على صعيد مصر ويجاور بمكة شهر
رجب وما بعده الي انقضاء الحج ويزور القبر الشريف ويعود على الدرب الكبير الي
بلده فلما كان في بعض السنين وهي آخر سنة خرج فيها قال لخدمته استصحب فأسا وقفة
وحنوطاً وما يجهز به الميت فقال له الخديم ولم ذابسيدي فقال له في حيثرا سوف ترى
وحيثرا في صعيد مصر في صحراء يذاب وبها عين ماء زعاق وهي كثيرة الضياع فلما بلغا
حيثرا اغتسل الشيخ أبو الحسن وصلى ركعتين وقبضه الله عز وجل في آخر سجدة من
صلاته ودفن هناك وقد زرت قبره وعليه تبرية مكتوب فيها اسمه ونسبه متصلاً بالحسن.

(ذكر حزب البحر المنسوب اليه) كان يسافر في كل سنة كما ذكرناه على صعيد مصر
وبحر جدة فكان اذا ركب السفينة يقرؤه في كل يوم وتلامذته الى الآن يقرؤنه في كل يوم
وهو هذا (يا الله يا اعلیٰ يا عظیم یا حلیم یا علیم أنت ربی وعلمك حسبي فتعم الرب ربی
ونعم الحسب حسبی تنصر من تشاء وأنت العزيز الرحيم نسألك العصمة في الحركات
والسكنات والكلمات والارادات والخطرات من الشكوك والظنون والاورهام
السايرة للقلوب عن مطالعة الغيوب فقد ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلازلا شديدا ليقول
المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا فثبتنا وانصرنا وسخر
لنا هذا البحر كما سخرت البحر لموسى عليه السلام وسخرت النار لابراهيم عليه السلام
وسخرت الجبال والحديد لدودعاية السلام وسخرت الريح والشياطين والجن لسليمان
عليه السلام وسخر لنا كل بحر هولاك في الارض والسما والمملك والملكوت وبحر الدنيا
وبحر الآخرة وسخر لنا كل شيء يا من يسهده ملكوت كل شيء كهيعص حم عسق
انصرنا فانك خير الناصرين واقبح اننا فانك خير الفاتحين واغفر لنا فانك خير الغافرين
وارحمنا فانك خير الراحمين وارزقنا فانك خير الرازقين واهدنا ونجنا من القوم الظالمين
وهب لنا ريحا طيبة كما هي في عامك وانشرها علينا من خزائن رحمتك واحسانا بها حمل
الكرامة مع السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة فانك على كل شيء قدير اللهم يسر
لنا أمورنا مع الراحة قللو بنا وابدا تنا والسلامة والعافية في ديننا ودنيا ماو كن لنا صاحبنا في
سفرنا وخليفة في أهائنا واطمس على وجوه أعدائنا ومسحهم علي مكاتهم فلا يستطيعون
المضي ولا المجي والينا ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا النصر اطفائي يبصرون ولو نشاء
لمسخناهم على مكاتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون يس الي فهم لا يبصرون
شاهت الوجوه وغنت الوجوه للمجي القيوم وقد خاب من حمل ظلما طس طسم حم عسق
مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان حم حم حم حم حم حم حم حم الامر
وجاء الثور فلمينا لا ينصرون حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل

الثوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير باسم الله بابنا تبارك حي طائيس
 سقنا كهيص كفايتا حم عسق حمايتنا فسيكفيكم الله وهو السميع العليم ستر العرش
 مسبول علينا وعين الله ناظرة الينا بحول الله لا يقدر علينا والله من ورائهم محيط بل هو
 قرآن مجيد في لوح محفوظ فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ان ولى الله الذى نزل
 الكتاب وهو يتولى الصالحين فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب
 العرش العظيم باسم الله الذى لا يضره مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع
 العليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
 وسلم
 (حكاية)

ومما جرى بمدينة الاسكندرية سنة سبع وعشرين وبلغنا خبر ذلك بمكة شرفها الله انه
 وقع بين المسلمين وتجار التمسارى مشاجرة وكان والى الاسكندرية رجلا يعرف بالكركى
 فذهب الى حماسة الروم وأمر بالمسلمين فحضروا بين نصلى باب المدينة وأغلقت دونهم
 الابواب نكالا لهم فأنكر الناس ذلك وأعظموه وكسروا الباب وناروا الى منزل الوالى
 فتحصن منهم وقائهم من أعلاه وظهر الحماة بالخبر الى الملك الناصر فبعث أميراً يعرف
 بالجمالى ثم اتبعه أميراً يعرف بطوغان جبار قاسى القلب منهم فى دينه يقال انه كان يعبد
 الشمس فدخل الاسكندرية وقبض على كبار أهلها وأعيان التجار بها كاولاد الكركى
 وسواهم وأخذ منهم الاموال الطائلة وجعلت فى عنق عماد الدين القاضى جامعة حديد ثم
 ان الاميرين قتلا من أهل المدينة ستة وثلاثين رجلا وجعلوا كل رجل قطعتين وصلبواهم
 صفيين وذلك فى يوم جمعة وخرج الناس على عادتهم بعد الصلاة لزيارة القبور وشاهدوا
 مصارع التوم فعظمت حسرتهم وتضاعفت أحزانهم وكان فى جملة أولئك المصلوبين تاجر
 كبير القدر يعرف بابن رواحة وكان له قاعة معدة للسلاح فمضى كان خوف أو قتال جهز منها
 المائة والمائتين من الرجال بما يكفيهم من الأسلحة وبالمدينة قاعات على هذه الصورة لكثير
 من أهلها فزل لسانه وقال للاميرين أنا أضمن هذه المدينة وكل ما يحدث فيها أطلب به
 وأحوط على السلطان مرتبات العساكر والرجال فأنكر الامير ان قوله وقال انما تريد

الثورة على السلطان وقتلاده وانما كان قصده رحمه الله اظهار النصح والخدمة للسلطان فكان فيه حنقه وكنت سمعت أيام اقامتي بالاسكندرية بالشيخ الصالح العابد المنقطع المنفق من الكون أبي عبد الله المرشدي وهو من كبار الاولياء المكاشفين انه منقطع بمنية بني مرشد له هنالك زاوية منفرد فيها لا خديم له ولا صاحب ويقصده الامراء والوزراء وتأتيه الوفود من طوائف الناس في كل يوم فيطعمهم الطعام وكل واحد منهم ينوي أن يأكل عنده طعاماً أو فاكهة أو حلوى فيأتي لكل واحد بما نواه وربما كان ذلك في غير ابائه ويأتيه الفقهاء لطلب الخطبة فيولى ويعزل وذلك كله من أمره مستفيض منواتر وقد قصده الملك الناصر مرات بموضعه فخرجت من مدينة الاسكندرية قاصداً هذا الشيخ فنعنا الله به ووصات قرية تروجة (وضبطها بفتح التاء المملوءة والراء وواو وجم مفتوحة) وهي على مسيرة نصف يوم من مدينة الاسكندرية قرية كبيرة بها قاض ووال وناظر ولأهلها مكارم أخلاق ومروءة صحبت قاضيها صفي الدين وخطيبها خنز الدين وقاضيا من أهلها يسمى بمبارك وينعت بزين الدين ونزلت بها على رجل من العباد الفضلاء كبير القدر يسمى عبد الوهاب وأضافني ناظرها زين الدين ابن الواعظ وسأني عن بلدي وعن مجباه فأخبرته أن مجباه نحو اثني عشر ألفاً من دينار الذهب فعجب وقال لي رأيت هذه القرية فإن مجباه اثنان وسبعون ألف دينار ذهباً وانما عظمت مجابى ديار مصر لان جميع أملاكها ايت المال ثم خرجت من هذه القرية فوصات مدينة دمنهور وهي مدينة كبيرة جبايتها كثيرة ومحاسنها اثيرة أم مدن البحيرة بأسرها وقطبها الذي عليه مدار أمرها (وضبطها بدال مهملة وميم مفتوحة) ونون ساكنة وهاء مضمومة وواو وراء) وكان قاضيها في ذلك العهد خنز الدين بن مسكين من فقهاء الشافعية وتولى قضاء الاسكندرية لما عزل عنها عماد الدين الكندي بسبب الواقعة التي قصصناها وأخبرني الثقة ان ابن مسكين أعطي خمسة وعشرين ألف درهم وصرفها من دنائير الذهب ألف دينار علي ولاية القضاء بالاسكندرية ثم رحلنا الى مدينة فوا وهذه المدينة عجيب المنظر حسنة المخبر بها البساتين الكثيرة والفوائد الخطيرة الاثيرة (وضبطها بالفاء والواو المفتوحة مع تشديد الواو)

بها قبر الشيخ الولي أبي النجاة الشهير الاسم خير تلك البلاد وراوية الشيخ أبي عبد الله المرشدي الذي قصدته بمقربة من المدينة يفصل بينهما خليج هنالك فلما وصلت المدينة قعدتها ووصلت أبي زاوية الشيخ المذكور قبل صلاة العصر وسلمت عليه ووجدت عنده الأمير سيف الدين يلملك وهو من الخاصكية (وأول اسمه ياء آخر الحروف ولأوله الأولي مسكنة والثانية مفتوحة مثل الميم والعامية تقول فيه الملك فيخطئون ونزل هذا الأمير بسكره خارج الزاوية ولما دخلت على الشيخ رحمه الله قام إلي وعانقني وأحضر طمأنا فواكفني وكانت عليه حبة صوف سوداء فلما حضرت صلاة العصر قدمني للصلاة أماما وكذلك لكل ما حضرني عنده حين أقامتي معه من الصلاة ولما أردت النوم قال لي اصعداني سطح الزاوية ثم هنالك وذلك أوان القیظ فقلت للأمير باسم الله فقال لي وما منالاله مقام معلوم فصعدت السطح فوجدت به حصيرا ونطعا وآنية للوضوء وجرة ماء

وقد حال شرب فنت هنالك

(كرامة لهذا الشيخ) رأيت ليلتي تلك وأنا نائم بسطح الزاوية كأني على جناح طائر عظيم يطير بي في سمت القبلة يتيامن ثم يشرق ثم يذهب في ناحية الجنوب ثم يبعد الطيران في ناحية الشرق وينزل في أرض مظلمة خضراء ويتركني بها فمجت من هذه الرؤيا وقلت في نفسي ان كاشفني الشيخ برؤياي فهو كما يحكي عنه فلما غدوت لصلاة الصبح قدمني اماما لها ثم أتانا الأمير يلملك فوادعه وانصرف ووادعه من كان هناك من الزوار وانصرفوا أجمعين من بعد ان زودهم كميكات صفارا ثم سبحت سبحة الضحى ودعاني وكاشفني برؤياي فقصصتها عليه فقال سوف تحج وتزور النبي صلى الله عليه وسلم وتجول في بلاد اليمن والعراق وبلاد الترك وبلاد الهند وتبقى بهامدة طويلة وستلقى بها أخي دلاشاد الهندي ويخصك من شدة تقهق فيها ثم زودني كميكات ودرهم ووادعته وانصرف ومنذ فارقت لم ألق في أسفاري الا خيرا وظهرت علي بركاته ثم لم ألق فيمن لقيته مثله الا الولي سيدي محمد الموله بأرض الهند ثم رحلنا الى مدينة النحرارية وهي رحبة الفناء حديثة البناء أسواقها

حسنة الرؤية (وضبطها بفتح النون وحاء مهملة مسكن وراءين) وأميرها كبير القدر يعرف
 بالسعدي وولده في خدمة ملك الهند وسند كرده وقاضيه صدر الدين سايمان المالكي من
 كبار المالكية سافر عن الملك الناصر إلى العراق وولي قضاء البلاد الغربية وله ديعة جميلة
 وصورة حسنة وخطيبها شرف الدين السخاوي من الصالحين ورحلت منها إلى مدينة
 أبيار وهي قديمة البناء أرجة الأرجاء كثير المساجد ذات حسن زئد (وضبط اسمها
 بفتح الهمزة واسكان الباء الموحدة ويا آخر الحروف وألف وراء) وهي بمقربة من
 النحرارية ويفصل بينهما النيل وتصنع بأبيار ثياب حسان تعلو قيعتها بالشام والعراق ومصر
 وغيرها ومن الزيب قرب النحرارية منها والثياب التي تصنع بها غير معتبرة ولا مستحسنة
 عند أهلها ولقيت بأبيار قاضيه عز الدين المديحي الشافعي وهو كريم الشئام كبير القدر
 حضرت عنده مرة يوم الركبة وهم يسمون ذلك يوم ارتقاب هلال رمضان وعادتهم فيه أن
 يجتمع فقهاء المدينة ووجوهها بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين لشعبان بدار القاضي
 ويقف على الباب نقيب المتعلمين وهو ذو شارة وهيئة حسنة فاذا أتى أحد الفقهاء أو
 الوجوه تأماد ذلك النقيب ومشي بين يديه قائلا باسم الله سيدنا فلان الدين فيسمع القاضي
 ومن معه فيقومون له ويجلسه النقيب في موضع يليق به فاذا تكاملوا هنالك ركب القاضي
 وركب من معه أجمعين وتبعهم جميع من بالمدينة من الرجال والنساء والصبيان وينتهون
 إلى موضع مرتفع خارج المدينة وهو مرتقب الهلال عندهم وقد فرش ذلك الموضع
 بالبط والفراش فينزل فيه القاضي ومن معه فيرتقبون الهلال ثم يعودون إلى المدينة بعد
 صلاة المغرب وبين أيديهم الشمع والمشاعل والفوانيس ويوقد أهل الحوانيت بحوانيتهم
 الشمع ويصل الناس مع القاضي إلى داره ثم ينصرفون هكذا فعلهم في كل سنة ثم توجهت
 إلى مدينة المحلة الكبيرة وهي جليلة المقدار حسنة الآثار كثير أهلها جامع بالمحاسن
 شملها واسمها بين ولهذه المدينة قاضي القضاة ووالى الولاية وكان قاضي قضائها أيام وصولي
 إليها في فراش المرض يستأن له على مسافة فرسخين من البلد وهو عز الدين بن الأشمرين
 فتصدت زيارته صحبة نائيه الفقيه أبي القاسم بن بنون المالكي التونسي وشرف الدين

الدميري قاضي محلة منوف وأقناعه يوم ما سمعت منه وقد جرى ذكر الصالحين ان علي
مسيرة يوم من المحلة الكبيرة بلاد البرلس ونسترو وهي بلاد الصالحين وبها قبر الشيخ
مرزوق صاحب المكاشفات فقصدت تلك البلاد ونزلت بزاوية الشيخ المذكور وتلك
البلاد كثيرة النخل والتمار والطير البحري والحوت المعرف بالبورى ومدينتهم تسمى
ملطين وهي على ساحل البحيرة المجتمعة من ماء النيل وماء البحر المعروف بحيرة تيس
ونسترو بمقربة منها نزلت هنالك بزاوية الشيخ شمس الدين القلوى من الصالحين وكانت
تيس بلد اعظيما شهيرا وهي الآن خراب قال ابن جزي (تيس بكسر التاء المتناة والنون
المشددة وياء وسين مهملة) واليه ينسب الشاعر المجيد أبو الفتح بن وكيع وهو القائل في
خليجها (بسيط)

قم فاستمني والخليج مضطرب * والريح تثنى ذوائب القصب

كأنها والرياح تعطفها * صب قد سندسية العذب

والجو في حلة ممسكة * قد طررتها البروق بالذهب

(ونسترو بفتح النون واسكان السين وراءه فتوحة وواو مسكن) (والبرلس بباء موحدة
وراء و آخره سين مهملة وقيد بعضهم بضم حروفه الاول الثلاث وتشديد اللام وقيد
أبو بكر بن نقطة بفتح 'الاولين) وهو على البحر ومن غريب ما اتفق به ما حكاه أبو عبد الله
الرازي عن أبيه ان قاضي البرلس وكان رجلا صالحا خرج ليلة الى النيل فينما سبغ الوضوء
وصلى ماشاء ان يصلى اذ سمع قائلا يقول

لولا رجال لهم سرد يصومونا * وآخرون لهم ورد يقومونا

لزلات أرضكم من تحتكم سحرا * لانكم قوم سوء لا تبالونا

قال فتجوزت في صلاتي وأدرت طرفي فما رأيت احدا ولا سمعت حسا فعلمت ان ذلك زاجر
من الله تعالى (رجع) ثم سافرت في أرض رملة الى مدينة دمياط وهي مدينة فسيحة
الاقطار متنوعة الثمار عجيبية الترتيب آخذة من كل حسن بنصيب (والناس يضبطون
اسمها باعجام الذال وكذلك ضبطه الامام أبو محمد عبد الله بن علي الرشاطي وكان شرف الدين

الامام العلامة أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمينطي امام المحدثين يضبطها باهمال الدال ويتبع ذلك بأن يقول خلاف الرشاطي وغيره وهو أعرف بضبط اسم بلده) ومدينة دمياط على شاطئ النيل وأهل الدور الموالية له يستقون منه الماء بالدلاء وكثير من دورها بهادر كات ينزل فيها الى النيل وشجر الموز بها كثير يحمل ثمره الى مصر في المراكب وغنمها سائمة هملا بالليل والنهار ولهذا يقال في دمياط سورها حلوى وكلابها غنم وإذا دخلها أحد لم يكن له سبيل الى الخروج عنها الا بطابع الوالى فمن كان من الناس معتبرا طبع له في قطعه كاغد يستظهر به لحراس بابها وغيرهم يطبع على ذراعه فيستظهر به والطير البحرى بهذه المدينة كثير متناهى السمن وبها الاiban الجاموسية التي لا مثل لها في عذوبة الطعم وطيب المذاق وبها الحوت البورى يحمل منها الى الشام وبلاد الروم ومصر وبخارجها جزيرة بين البحرين والنيل تسمى البرزخ بها مسجد وزاوية لقيت بها شيخها المعروف بابن قفل وحضرت عنده ليلة جمعة ومعه جماعة من الفقراء الفضلاء المتعبدين الاخيار قطعوا ليلاهم صلاة وقراءة وذكر ا و دمياط هذه حديثة البناء والمدينة القديمة هي التي خربها الافرنج على عهد الملك الصالح وبها زاوية الشيخ جمال الدين الساوى قدوة الطائفة المروفة بالقرندرية وهم الذين يخلقون لحاهم وحواجبهم ويسكن الزاوية في هذا العهد الشيخ فتح التكرورى (حكاية)

يذكر ان السبب الدامى للشيخ جمال الدين الساوى الى حاق لحيته وحاجبيه انه كان جميل الصورة حسن الوجه فملقت به امرأة من أهل ساوة وكانت تراسله وتعارضه في الطرق وتدعوه لنفسها وهو يمتنع ويتهاون فاما أعيانها أمره دست له عجوز اتصت له ازاء دار على طريقه الى المسجد ويدها كتاب محتوم فاما مر بها قالت له ياسيدى أحسن القراءة قال نعم قالت له هذا الكتاب وجهه الى ولدى وأحب أن تقرأه على فقال لها نعم فلما فتح الكتاب قالت له ياسيدى ان لولدى زوجة وهي بأسطوان الدار فلو تفضلت بقراءته بين بابي الدار بحيث تسمعها فأجابها لذلك فلما توسط بين البابين غلقت العجوز الباب وخرجت المرأة وجواربها فتملقن به وأدخلته الى داخل الدار وراودته المرأة عن نفسه

فلما رأى أن لا خلاص له قال لها اني حيث تريدن فأريني بيت الخلاء فأرته إياه فأدخل معه الماء وكانت عنده موسى حديدة فخلق لحيته وحاجبيه وخرج عليها فاستقبحته هيئته واستنكرت فعله وأمرت باخراجه وعصمه الله بذلك فبقى علي هيئته فيما بعد وصار كل من يسلك طريقته يحاكي رأسه ولحيته وحاجبيه

(كرامة لهذا الشيخ) يذكر أنه لما قصد مدينة دمياط لزم مقبرتها وكان بها قاض يعرف بابن العميد نفخر بوما إلى جنازة بعض الأعيان فرأى الشيخ جمال الدين بالمقبرة فقال له أنت الشيخ المبتدع فقال له وأنت القاضي الجاهل تمر بدابتك بين القبور وتعلم أن حرمة الإنسان ميتا كحرمة حيا فقال له القاضي وأعظم من ذلك حلقك للحجيتك فقال له إياي تعني وزعق الشيخ ثم رفع رأسه فاذا هو ذو لحية سوداء عظيمة فمجب القاضى ومن معه ونزل إليه عن بغلته ثم زعق ثانية فاذا هو ذو لحية بيضاء حسنة ثم زعق ثالثة ورفع رأسه فاذا هو بلا لحية كهيئته الأولى فقبل القاضي يده وتلمذ له وبنى له الزاوية حسنة وصحبه أيام حياته ثم مات الشيخ فدفن بزاويته ولما حضرت القاضي وفاته أوصى أن يدفن بباب الزاوية حتى يكون كل داخل إلى زيارة الشيخ يطأ قبره وبخارج دمياط المزار المعروف يشطا (بفتح الشين المعجمة والطاء المهملة) وهو ظاهر البركة يتصدده أهل الديار المصرية وله أيام في السنة معلومة لذلك وبخارجها أيضا بين بساكنها موضع يعرف بالمنية فيه شيخ من الفضلاء يعرف بابن النعمان قصدت زاويته وبنت عنده وكان بدمياط أيام إقامتي بها وال يعرف بالحسنى من ذوى الاحسان والفضل بنى مدرسة على شاطئ النيل بها كان نزولى في تلك الايام وتأكدت بينى وبينه مودة ثم سافرت إلى مدينة فارسكور وهى مدينة على ساحل النيل (واليكاف الذى فى اسمها مضموم) ونزلت بخارجها ولحقني هنالك فارس وجهه إلى الأمير المحسنى فقال لى ان الأمير سأل عنك وعرف بسيرتك فبعث اليك بهذه النفقة ودفع إلى جملة دراهم جزاء الله خير اثم سافرت إلى مدينة أشمون الرمان (وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان الشين المعجم) ونسبت إلى الرمان لكثرة بها ومنها يحمل إلى مصر وهى مدينة عنيقة كبيرة على خليج من خليج النيل ولها قنطرة خشب ترسو

المراكب عندها فاذا كان العصر رفعت تلك الخشب وجازت المراكب صاعدة ومنحدرة
وبهذه البلدة قاضي القضاة ووالى الولاية ثم سافرت عنها الى مدينة سمندود وهى على شاطئ
النيل كثيرة المراكب سنة الاسواق ويئنها وبين المحلة الكبيرة ثلاثة فراسخ (وضبط
اسمها بفتح السين المهمل والميم وتشديد النون وضمها وواو وودال مهمل) ومن هذه
المدينة ركب النيل مصعبا الى مصر ما بين مدائن وقرى منظمة متصل بعضها ببعض ولا
يفتقر راكب النيل الى استصحاب الزاد لانه يما أراد النزول بالشاطئ نزل للوضوء
والصلاة وشراء الزاد وغير ذلك والاسواق متصلة من مدينة الاسكندرية الى مصر ومن
مصر الى مدينة اسوان من الصعيد ثم وصلت الى مدينة مصر هي أم البلاد وقرارة
فرعون ذى الاوتاد ذات الاقاليم العريضة والبلاد الارضية المتناهية في كثرة
العمارة المتباهية بالحسن والتضارعه مجمع الوارد والصادر ومحط رحل الضعيف
والقادر وبها ما شئت من عالم وجاهل وجاد وهازل وحليم وسفيه ووضع ونيبه
وشريف ومشروف ومنكر ومعروف تموج موج البحر بسكانها وتكاد تضيق
بهم على سعة مكانها زامكانها شباها يجدد على طول العهد وكوكب تعدلها لا يبرح
عن منزل السعد قهرت قاهرته الام وتمكنت ملوكها نواصي العرب والعجم
ولها خصوصية النيل التي جل خطرها وأغناها عن أن يستمد القطر قطرها وأرضها
مسيرة شهر لجمد السير كريمة التربة مؤنسة لذوى الغربه قال ابن جزى وفيها يقول
الشاعر

لعمرك ما مصر بمصر وانما * هي الجنة الدنيا ان يتبصر

فأولادها الولدان والخور عينها * وروضتها الفردوس والنيل كوثر

وفيه يقول ناصر الدين بن ناهض

شاطئ مصر حنة * ما مثلها من بلد

لا سيما مذخرت * بنيلها المطرد

والرياح فسوته * سوابغ من زرد

مسرودة مامسها * داردها بمر د

سائلة هواؤها * يرعد عاري الجسد

والفلك كالاذلاك بسين حادرو مصعد

(رجع) ويقال ان بمصر من السقائين على الجمال اثني عشر ألف سقاء وان بها ثلاثين ألف مكار وان بنيلها من المراكب ستة وثلاثين ألفا للسلطان والرعية تمر صاعدة الى الصعيد ومنحدرة الى الاسكندرية ودمياط بأنواع الخبثات والمرافق وعلى ضفة النيل مما يواجه مصر الموضع المعروف بالروضة وهو مكان الزهرة والتفرج وبه البساتين الكثيرة الحسنة وأهل مصر ذو طرب وسرور ولطيف شاهدت بهامرة فرجة بسبب برء الملك الناصر من كسر أصاب يده فزين كل أهل سوق سوقهم وعلقوا بحوائثهم الخلل والخلي وثياب الحرير وبقوا على ذلك أياما

﴿ ذكر مسجد عمرو بن العاص والمدارس والممارستان والزوايا ﴾

وهو مسجد عمرو بن العاص مسجد شريف كبير القدر شهير الذكر تقام فيه الجمعة والطريق يمتد منه من شرق الى غرب وبشرقه الزاوية حيث كان يدرس الامام أبو عبد الله الشافعي وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بمحصرها لكثرتها وأما الممارستان الذي بين القصرين عند تربة الملك المنصور قلاوون فيعجز الوصف عن محاربه وقد أعدي فيه من المرافق والادوية ما لا يحصر ويدكر أن مجيئه ألف دينار كل يوم وأما الزوايا فكثيرة وهم يسكنونها الخوانق واحدها خانقة والامراء بمصر يتنافسون في بناء الزوايا وكل زاوية بمصر معينة لطائفة من الفقراء وأكثرهم الاعاجم وهم أهل أدب ومعرفة بطريفة التصوف ولكل زاوية شيخ وحارس وترتيب أمورهم عجيب * ومن عوائدهم في الطعام انه يأتي خديم الزاوية الى الفقراء صبا سافعين له كل واحد ما يشتهي من الطعام فلما اجتمعوا للاكر جعلوا لكل انسان خبزه ومرقه في اناء على حدة لا يشاركه فيه أحد وطعامهم مرتان في اليوم ولهم كسوة الشتاء وكسوة الصيف ومراتب شهرى من ثلاثين درهما للواحد في الشهر الى عشرين ولهم الحلاوة من السكر في كل ليلة جمعة والصابون

لغسل أثوابهم والاجرة لدخول الحمام والزيت للاستصباح وهم أعزب وللمتزوجين زوايا على حدة ومن المشترك عليهم حضور الصلوات الخمس والمبيت بالزاوية واجتماعهم بقبة داخل الزاوية* ومن عواندهم أن يجلس كل واحد منهم على سجادة مختصة به وإذا صلوا صلاة الصبح قرؤا سورة الفتح وسورة الملك وسورة عم ثم يؤتى بنسخ من القرآن العظيم مجزأة فيأخذ كل فقير جزءاً ويختمون القرآن ويذكرون ثم يقرأ القراء على عادة أهل المشرق ومثل ذلك يفعلون بعد صلاة العصر* ومن عواندهم مع القادم أنه يأتي باب الزاوية فيقف به مشدود الوسط وعلى كاهله سجادة ويمناه احكازو ويسراده الابريق فيعلم البواب خديم الزاوية بمكانه فيخرج اليه ويسأله من أي البلاد أتى وبأي الزوايا نزل في طريقه ومن شيخه فإذا عرف صحة قوله أدخله الزاوية وفرش له سجادته في موضع يليق به وأراه موضع الظهارة فيجدد الوضوء ويأتي إلى سجادته فيجل وسطه ويصلي ركعتين ويصافح الشيخ ومن حضر ويقعد معهم* ومن عواندهم أنهم إذا كان يوم الجمعة أخذ الخادم جميع سجادتهم فيذهب بها إلى المسجد ويقرشها لهم هنالك ويخرجون مجتمعين ومعهم شيخهم فيأتون المسجد ويصلي كل واحد على سجادته فإذا فرغوا من الصلاة قرؤا القرآن على عادتهم ثم ينصرفون مجتمعين إلى الزاوية ومعهم شيخهم

﴿ذكر قرافة مصر ومزاراتها﴾

ولمصر القرافة العظيمة الشأن في التبرك بها وقد جاء في فضلها أثر أخرجه القرطبي وغيره لأنها من جملة الجبل المقطم الذي وعد الله أن يكون روضة من رياض الجنة وهم يبنون بالقرافة القباب الحسنة ويجعلون عليها الحيطان فتكون كالدور ويبنون بها البيوت ويرتبون القراء يقرؤن ليلاً ونهاراً بالاصوات الحسان ومنهم من يبني الزاوية والمدرسة إلى جانب التربة ويخرجون في كل ليلة جمعة إلى المبيت بها بأولادهم ونسائهم ويطوفون على المزارات الشهيرة ويخرجون أيضاً للمبيت بها ليلة النصف من شعبان ويخرج أهل الاسواق بصنوف المأككل* ومن المزارات الشريفة المشهد المقدس العظيم الشأن حيث رأس الحسين بن علي عليهما السلام وعليه رباط ضخم عجيب البناء على أبوابه حلق النضبة

وصفاً ثمها أيضاً كذلك وهو مو في الحق من الاجلال والتعظيم * ومنها تربة السيدة نفيسة بنت زيد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام وكانت مجابة الدعوة معجزة في العبادة وهذه التربة أنيقة البناء مشرقة الضياء عليها رباط مقصود * ومنها تربة الامام أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه وعليها رباط كبير وله اجر اية ضخمة وبها القبة الشهيرة البديعة الاتقان المعجبة البنيان المتناهية الاحكام المفرطة السمو وسعتها الأزيد من ثلاثين ذراعاً وبقرافة مصر من قبور العلماء والصالحين ما لا يضبطه الحصر وبها عدد جم من الصحابة وصدور السلف والخلف رضي الله تعالى عنهم مثل عبد الرحمن بن القاسم وأشهب بن عبد العزيز وأصبع بن الفرّج وابني عبد الحكم وأبي القاسم بن شعبان وأبي محمد عبد الوهاب لكن ليس لهم بها اشتهار ولا يعرفهم الا من لهم عناية والشافعي رضي الله عنه ساعده الجدي في نفسه وأتباعه وأصحابه في حياته ومماته فظهر من أمره مصداق قوله (كامل)

الجديدني كل أمر شاسع * والجديدفتح كل باب مغلق
(ذكر نيل مصر)

ونيل مصر يفضل أنهار الأرض عذوبة مذاق واتساع قطر وعظم منفعة والمدن والقرى بضفتيه منتظمة ليس في المعمور مثلها ولا يعلم نهر يزدرع عليه ما يزدرع على النيل وليس في الأرض نهر يسمى بحر غيره قال الله تعالى فاذا خفت عليه فالقيه في اليم فسماه يما وهو البحر وفي الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصل ليلة الاسراء الى سدرة المنتهى فاذا في أصلها أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فسأل عنها جبريل عليه السلام فقال أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات وفي الحديث أيضاً ان النيل والفرات وسيحون وجيحون كل من أنهار الجنة ومجرى النيل من الجنوب الى الشمال خيلاً فالجميع الأنهار * ومن عجائبه ان ابتداء زيادته في شدة الحر عند نقص الأنهار وجفوفها وابتداء نقصه حين زيادة الأنهار وفيضها ونهر السند مثله في ذلك وسيأتي ذكره وأول ابتداء زيادته في حزيران وهو يونيه فاذا بلغت زيادته ستة

عشر ذراعاتم خراج السلطان فان زاد ذراعا كان الخصب في العام والصالح التام فان بلغ ثمانية عشر ذراعا أضرب بالضياء وأعقب الوبا وان نقص ذراعا عن ستة عشر نقص خراج السلطان وان نقص ذراعين استسقى الناس وكان الضرر الشديد والنيل أحد أنهار الدنيا الخمسة الكبار وهي النيل والفرات والدجلة وسيحون وجيحون وتماثلها أنهار خمسة أيضا نهر السند ويسمى بنج اب ونهر الهند ويسمى الكنك واليه تحج الهند و اذا حرقوا أموالهم رموا برماهم فيه ويقولون هو من الجنة ونهر الجون بالهند أيضا ونهر أتل بصحراء قفجق وعلى ساحله مدينة السرا ونهر السرو بأرض الخطا وعلى ضفته مدينة خان بالق ومنها يحد إلى مدينة الحنسا ثم إلى مدينة الزيتون بأرض الصين وسيدكر ذلك كله في مواضعه ان شاء الله والنيل يفترق بعد مسافة من مصر على ثلاثة أقسام ولا يعبر نهر منها الا في السفن شتاء وصيفا وأهل كل بلد لهم خليجان تخرج من النيل فاذا مد أترعها قفاضت على المزارع

(ذكر الاهرام والبرابي)

وهي من العجائب المذكورة على مر الدهور وللناس فيها كلام كثير وخوض في شأنها وأولية بنائها ويزعمون ان جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان أخذت عن هرمس الاول الساكن بصعيد مصر الاعلى ويسمى خنوخ وهو ادريس عليه السلام وانه اول من تكلم في الحركات الفلكية والجواهر العلوية وأول من بنى الهياكل ومجد الله تعالى فيها وانه أنذر الناس بالطوفان وخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع فبنى الاهرام والبرابي وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم العلوم فيها لتبقى مخلدة ويقال ان دار العلم والملك بمصر مدينة متوف وهي على ريد من الفسطاط فلما بنيت الاسكندرية اتقل الناس اليها وصارت دار العلم والملك الى ان أتى الاسلام فاخطط عمرو بن العاص رضي الله عنه مدينة الفسطاط فهي قاعدة مصر الى هذا العهد والاهرام بناء بالحجر الصلد المنحوت متناهي السمو مستدير متسع الاسفل ضيق الأعلى كالشكل المخروط ولا أبواب لها ولا تعلم كيفية بنائها ومما يذكر في شأنها ان ملكا من ملوك مصر قبل

حرسها الله وحفظها بدوام ملكه

(ذكر بعض أمراء مصر)

منهم ساقى الملك الناصر وهو الأمير بكتمور (وضبط اسمه بضم الباء الموحدة وكاف مسكن وتاء معلوة مضمومة وآخره را) وهو الذى قتله الملك الناصر باسم وسيد ذكر ذلك ومنهم نائب الملك الناصر ارغون الدودار وهو الذى يلى بكتمور فى المنزلة (وضبط اسمه بفتح الهمزة واسكان الراء وضم العين المعجمة) ومنهم طشبط المعروف بمحمص أخضر (واسمه بطاين مهملين مضمومين بينهما شين معجم) وكان من خيار الأمراء وله الصدقات الكثيرة على الأيتام من كسوة ونفقة وأجرة لمن يعلمهم القرآن وله الإحسان العظيم للجرايش وهم طائفة كبيرة أهل صلابة وجاه ودعارة وسجنه الملك الناصر مرة فاجتمع من الجرايش آلاف ووقفوا بأسفل القلعة ونادوا بلسان واحد يا أعرج النحس يعمون الملك الناصر أخرجه فأخرجه من محبسه وسجنه مرة أخرى ففعل الأيتام مثل ذلك فأطلقه * ومنهم وزير الملك الناصر يعرف بالجمالى بفتح الجيم ومنهم بدر الدين بن البابه ومنهم جمال الدين نائب الكرك ومنهم تقزدمور (واسمه بضم التاء المعلوة وضم القاف وزاء مسكن ثم دال مضموم وميم مثله وآخره را) ودمور بالتركية الحديد ومنهم بهادور الحجازي (واسمه بفتح الباء الموحدة وضم الدال المهمل وآخره را) ومنهم قوصون (واسمه بفتح القاف وصاد مهمل مضموم) ومنهم بشتك (واسمه بفتح الباء الموحدة واسكان الشين المعجم وتاء معلوة مفتوحة) وكل هؤلاء يتنافسون فى أفعال الخيرات وبناء المساجد والزوايا ومنهم ناظر جيش الملك الناصر وكاتبه القاضى نحر الدين القبطي وكان نصرا نيا من القبط فأسلم وحسن اسلامه وله المكازم العظيمة والفضائل الثامة ودرجته من أعلى الدرجات عند الملك الناصر وله الصدقات الكثيرة والإحسان الجزيل ومن عاداته أن يجلس عشى النهار فى مجلس له باسطوا ن داره على النيل ويليه المسجد فاذا حضر المغرب صلى فى المسجد وعاد الى مجلسه وأوتى بالطعام ولا يمنع حينئذ أحد من الدخول كائنا من كان فمن كان ذا حاجة

تكلم فيها فقضاها له ومن كان طالب صدقة أمر بمو كاله يدعي بدر الدين واسمه لؤلؤ بأن يصحبه الى خارج الدار وهناك خازنه معه صرر الدراهم فيعطيه ما قدر له ويحضر عنده في ذلك الوقت الفقهاء ويقرأ بين يديه كتاب البخاري فاذا صلى العشاء الاخيرة انصرف الناس عنه

(ذكر القضاة بمصر في عهد دخولي اليها)

فمنهم قاضي القضاة الشافعية وهو أغلاهم منزلة وأكبرهم قدرا واليه ولاية القضاة بمصر وعزلهم وهو القاضي الامام العالم بدر الدين بن جماعة وابنه عز الدين هو الآن متولى ذلك ومنهم قاضي القضاة المالكية الامام الصالح تقي الدين الاختائي ومنهم قاضي القضاة الحنفية الامام العالم شمس الدين الحريري وكان شديدا لسلطة لا تأخذ في الله لومة لائم وكانت الامراء تخافه ولقد ذكر لي ان الملك الناصر قال يوما لجاسائه اني لا أخاف من أحد الا من شمس الدين الحريري ومنهم قاضي القضاة الحنبلية ولا أعرفه الا ان الا انه كان يدعي بيز الدين

(حكاية)

كان الملك الناصر رحمه الله يتعمد للنظر في المظالم ورفع قصص المتشكين كل يوم اثنين وخميس ويقعد القضاة الاربعة عن يساره وتقرأ القصص بين يديه ويعين من يسأل صاحب القصة عنها وقد سلك مولانا أمير المؤمنين ناصر الدين أيده الله في ذلك مسلكا لم يسبق اليه ولا مزيد في العدل والتواضع عليه وهو رؤا له بذاته الكريمة لكل مظلم وعرضه بين يديه المستقيمة أي الله أن يحضرها سواء أدام الله أيامه وكان رسم القضاة المذكورين أن يكون أعلاهم منزلة في الجلوس قاضي الشافعية ثم قاضي الحنفية ثم قاضي المالكية ثم قاضي الحنبلية فلما توفي شمس الدين الحريري وولي مكانه برهان الدين بن عبد الحق الحنفي أشار الامراء على الملك الناصر بأن يكون يجلس المالكي فوقه وذكروا ان العادة جرت بذلك قديما اذ كان قاضي المالكية زين الدين بن مخلوف يئ قاضي الشافعية تقي الدين بن دقيق العيد فأمر الملك الناصر بذلك فلما علم به قضي الحنفية غاب عن شهود

المجلس أنفة من ذلك فأنكر الملك الناصر مغيبه وطمع ما قصده فأمر بإحضاره فلما مثل بين يديه أخذ الحاج بيده وأقامه حيث نفذ أمر السلطان مما يلي قاضي المالكية واستمر حاله على ذلك

(ذكر بعض علماء مصر وأعيانها)

فمنهم شمس الدين الأصهباني إمام الدين في المعقولات ومنهم شرف الدين الزواوي المالكي ومنهم برهان الدين بن بنت الشاذلي نائب قاضي القضاة بجامع الصالح ومنهم ركن الدين ابن القوبع التونسي من الأئمة في المعقولات ومنهم شمس الدين بن عدلان كبير الشافعية ومنهم بهاء الدين بن عقيل فقيه كبير ومنهم أمير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان القرناطي وهو أعلمهم بالبحر ومنهم الشيخ الصالح بدر الدين عبد الله المتوفي ومنهم برهان الدين الفاقسي ومنهم قوام الدين الكرمانى وكان سكناه بأعنى سطح الجامع الأزهر وله جماعة من الفقهاء والقراء يلزمونه ويدرس فنون العلم ويفتق في المذاهب ولباسه عباءة ووف خشنة وعمامة صوف سوداء ومن عادته أن يذهب بعد صلاة العصر إلى مواضع الفرج والزاهات منفردا عن أصحابه ومنهم السيد الشريف شمس الدين ابن بنت الصاحب تاج الدين بن حناء ومنهم شيخ شيوخ القراء بديار مصر مجد الدين الأقصراني ندية إلى أقصر من بلاد الروم ومسكنه سرياقص ومنهم الشيخ جمال الدين الحويزاني والحويزا على مسيرة ثلاثة أيام من البصرة ومنهم تقيب الأشراف بديار مصر السيد الشريف المعظم بدر الدين الحسيني من كبار الصالحين ومنهم وكيل بيت المال المدرس بقبة الإمام الشافعي مجد الدين بن حرمي ومنهم المحتسب بمصر نجم الدين السهرقي من كبار الفقهاء وله بمصر رياسة عظيمة وجاء

(ذكر يوم الحمل بمصر)

وهو يوم دوران الحمل يوم مشهود وكيفية ترتيبهم فيه أنه يركب فيه القضاة الأربعة ووكيل بيت المال والمحتسب وقد ذكرنا جميعهم ويركب معهم أعلام الفقهاء وأمناء الرؤساء وأرباب الدولة وبقية مدون جميع أبواب قلعة دار الملك الناصر فيخرج إليهم الحمل على حمل

وامامه الامير المعين لسفر الحجاز في تلك السنة ومعه عسكره والسقاؤون على جماهم
ويجتمع لذلك أصناف الناس من رجال ونساء ثم يطوفون بالمحمل وجميع من ذكر نامعه
بمدينتي القاهرة ومصر والحداة يحدون امامهم ويكون ذلك في رجب فعند ذلك تهيج
العزيمات وتنبعث الاشواق وتحرك البواعث ويلقى الله تعالى العزيمة علي الحج في قلب من
يشاء من عباده فيأخذون في التأهب لذلك والاستعداد ثم كان سفري من مصر علي
طريق الصعيد برسم الحجاز الشريف فبت ليلة خروجي بالرباط الذي به الصاحب
تاج الدين بن حناء بدير الطين وهو رباط عظيم بناه علي مفاخر عظيمه وآثار كريمه
أودعها فيه وهي قطعة من قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والميل الذي كان يكتحل به
والدرفش وهو الاشفا الذي كان ينخسف به نعله ومصحف امير المؤمنين علي بن أبي طالب
الذي بخط يده رضى الله عنه ويقال ان الصاحب اشترى ما ذكرناه من الآثار الكريمة
النبوية بمائة ألف درهم وبنى الرباط وجعل فيه الطعام للوارد والصادر والجراية لخدام
تلك الآثار الشريفة نفقة الله تعالى بقصده المبارك ثم خرجت من الرباط المذکور
ومررت بمنية القائد وهي بلدة صغيرة علي ساحل النيل ثم سرت منها الي مدينة بوش
(وضبطها بضم الباء الموحدة وآخرها شين معجم) وهذه المدينة أكثر بلاد مصر آثانا
ومنها يجلب الي سائر الديار المصرية والي افريقية ثم سافرت منها فوصلت الي مدينة دلاص
(وضبط اسمها بفتح الدال المهمل وآخره صاد مهمل) وهذه المدينة كثيرة العتات
أيضا كمثل التي ذكرنا قبلها ويحمل أيضا منها الي ديار مصر وافريقية ثم سافرت منها الي
مدينة ببا (وضبط اسمها بياء بن موحدين أولاهما مكسورة) ثم سافرت منها الي
مدينة البهنسا وهي مدينة كبيرة وبساتينها كثيرة (وضبط اسمها بفتح الموحدة واسكان
الهاء وفتح النون والسين) وتصنع بهذه المدينة ثياب الصوف الحيدة وممن لقيته بها
قاضيا العالم شرف الدين وهو كريم النفس فاضل واقيت ببا الشيخ الصالح أبا
بكر الأعجمي ونزات عنده وأضافني ثم سافرت منها الي مدينة منية ابن خصيب وهي
مدينة كبيرة الساحة متسة المساحة بمنية علي شاطي النيل وحق حقيق لها علي بلاد

الصعيد التفضيل بها المدارس والمشاهد والزوايا والمساجد وكانت في القديم منية
عامل مصر الخصب

(حكاية خصب)

يذكر أن أحد الخلفاء من بني العباس رضى الله عنهم غضب على أهل مصر فآلى أن يولى
عندهم أحقر عبيده وأصغرهم شأنًا قصد الأرزاء لهم والتسكيل بهم وكان خصب أحقرهم
إذ كان يتولى تسخين الحمام فخلع عليه وأمره علي مصر وظنه أنه يسير فيهم سيرة سوء
ويقتصد بهم بالأذية حسبما هو المألوف ممن ولي عن غير عهد بالعز فاما استقر خصب بمصر
سار في أهلها أحسن سيرة وشهر بالكرم والايثار فكان أقارب الخلفاء وسواهم يقصدونه
فيجزل العطاء لهم ويعودون الي بغداد شاكرين لما أولاهم وإن الخليفة افتقد بعض
العباسيين وغاب عنه مدة ثم أتاه فسأله عن مغيبه فأخبره أنه قصد خصبًا وذكرك له ما أعطاه
خصب وكان عطاء جزيلًا فغضب الخليفة وأمر بسجل عيني خصب وإخراجه من
مصر الي بغداد وأن يطرح في أسواقها فاما ورد الأمر بالقبض عليه حيل بينه وبين
دخول منزله وكانت يده ياقوتة عظيمة الشأن نجباء عنده وخاطبها في ثوب له ليلا
وسملت عيناه وطرح في أسواق بغداد فمر به بعض الشعراء فقال له يا خصب
إني كنت قصدتك من بغداد الي مصر مادحًاك بقصيدة فوافقت انصرافك عنها
وأحمر أن تسمعها فقال كيف بسماعها وأنا علي ما تراء فقال انما قصدى سماعك
لها وأما العطاء فقد أعطيت الناس وأجزأت جزاك الله خيرا قال فافعل فأنشده

(كامل)

أنت الخصب وهذه مصر * فتدققا فكللا كما بحر

فلما أتني علي آخرها قال له اتق هذه الحياطة ففعل ذلك فقال له خذ الي ياقوتة فأني فأقسم
عليه أن يأخذها فأخذها وذهب بها الي سوق الجوهر بين فلما عرضها عليهم قالوا له إن
هذه لا تصاح إلا للخليفة فرفعوا أمرها الي الخليفة فأمر الخليفة بإحضار الشاعر
واستفهمه عن شأن الياقوتة فأخبره بنجبرها فتأسف علي ما فعله بخصب وأمر بمنزله بين

يديه وأجزله العطاء وحكمه فيما يريد فرغب أن يعطيه هذه المنية ففعل ذلك وسكنها خصيب إلى أن توفي وأورثها عقبه إلى أن انقرضوا وكان قاضي هذه المنية أيام دخولي إليها نجر الدين النويري المالكي ووالها شمس الدين أمير خير كريم دخلت يوما الحمام بهذه البلدة فرأيت الناس بها لا يسترون فعظم ذلك علي وأتيت به فأعلمته بذلك فأمرني أن لا أبرح وأمر بأحضار المكثرين للحمامات وكتبت عليهم العقود أنه متى دخل أحد الحمام دون متر فأنهم يؤاخذون على ذلك واشتد عليهم أعظم الاشتداد ثم انصرفت عنه وسافرت من منية ابن خصيب إلى مدينة منلوى وهي صغيرة مبنية على مسافة ميلين من النيل (وضبط اسمها بفتح الميم واسكان النون وفتح اللام وكسر الواو) وقاضيا الفقيه شرف الدين الدميري (بفتح الدال المهملة وكسر الميم) الشافعي وكبارها قوم يعرفون ببني فضيل بنى أحدهم جامعاً نفق فيه صميم ماله وبهذه المدينة إحدى عشرة معصرة للسكر ومن عوائدهم أنهم لا يمتنعون فقيراً من دخول معصرة منها فيأتي الفقير بالخبزة الحارة فيطرحها في القدر التي يطبخ السكر فيها ثم يخرجها وقدامت آلات سكرها فينصرف بها وسافرت من منلوى المذكورة إلى مدينة منفلوط وهي مدينة حسن رواءها مؤنق بناؤها على ضفة النيل شهيرة البركة (وضبط اسمها بفتح الميم واسكان النون وفتح الفاء وضم اللام وآخرها طاء مهملة)

(حكاية) أخبرني أهل هذه المدينة أن الملك الناصر رحمه الله أمر بعمل منبر عظيم بحكم الصنعة بديع الانشاء برسم المسجد الحرام زاده الله شرفاً وتعليماً فإما تم عمله أمر أن يصعد به في النيل ليحجز إلى بحر جدة ثم إلى مكة شرفها الله فإما وصل المركب الذي احتمله إلى منفلوط وحاذى مسجد جامعها وقف وامتنع من الجري مع مساعدة الريح فمعجب الناس من شأنه أشد المعجب وأقاموا أياماً لا ينهض بهم المركب فكتبوا بخبره إلى الملك الناصر رحمه الله فأمر أن يجعل ذلك المنبر بجامع مدينة منفلوط ففعل ذلك وقد عاينته بها ويصنع بهذه المدينة شبه المسل يستخرجونه من القمح ويسمونونه النيداياباع بأسواق مصر

وسافرت من هذه المدينة الى مدينة أسيوط وهي مدينة رفيعة اسواقها بديعة (وضبط اسمها بفتح الهمزة والسين المهملة والياء آخر الحروف وواو وطاء مهملة) وقاضيا شرف الدين بن عبد الرحيم الملقب (بمحاصل مائيم) لقب شهريه وأصله ان القضاة بديار مصر والشام بأيديهم الاوقاف والصدقات لآبناء السبيل فاذا أتى نقيرا لمدينة من المدن قصد القاضي بها فيعطيه ما قدر له فكان هذا القاضي اذا أتم الفتيير يقول له حاصل مائيم أي لم يبق من المال الحاصل شيء فلنذب بذلك ولزمه وبها من المشايخ الفضلاء الصالح شهاب الدين ابن الصباغ أضافى بزأوتيه وسافرت منها الى مدينة اخميم وهي مدينة عظيمة أصيلة البنيان عجبية الشأن بها البري المعروف باسمها وهو مبنى بالحجارة في داخله نقوش وكتابة للاوائل لا تفهم في هذا العهد وصور لافلاك والكواكب ويزعمون انها بآيت والنسر الطائر ببرج العقرب وبها صور الحيوانات وسواها وعند الناس في هذه الصورة كاذيب لا يرجح عليها وكان باخميم رجل يعرف بالخطيب أمر على هدم بعض هذه البرابي وابتنى بحجارة مائة مدرسة وهو رجل مؤسرم معروف باليسار ويزعم حساده انه استفاد ما بيده من المال من ملازمته لهذه البرابي ونزلت من هذه المدينة بزأوية الشيخ أبي العباس بن عبد الظاهر وبها تربة جده عبد الظاهر وله من الاخوة ناصر الدين ومجد الدين وواحد الدين ومن عاداتهم أن يجتمعوا جميعا بعد صلاة الجمعة ومعهما الخطيب نور الدين المذكور وأولاده وقاضى المدينة الفقيه مخلص وسائر وجوه أهلهم فيجتمعون للقرآن ويذكرون الله الى صلاة العصر فاذا صلوا قرؤا سورة الكهف ثم انصرفوا وسافرت من اخميم الى مدينة (هو) مدينة كبيرة بساحل النيل (وضبطها بضم الهاء) نزلت منها بمدرسة تقي الدين بن السراج ورأيتهم يقرؤن بها في كل يوم بعد صلاة الصبح حزب من القرآن ثم يقرؤن أو راد الشيخ أبي الحسن الشاذلي وحزب البحر وهذه المدينة السيد الشريف أبو محمد عبد الله الحسني من كبار الصالحين

(كرامة له) دخلت الى هذا الشريف متبركا برويته والسلام عليه فسألني عن تصدي فاخبرته أنني أريد حج البيت الحرام على طريق جدة فقال لي لا يحصل لك هذا في هذا

الوقت فارجع وانما تخرج أول حجة على الدرب الشامي فانصرفت عنه ولم أعمل على كلامه ومضيت في طريق حتى وصلت الى عيذاب فلم يتمكن لي السفر فعدت راجعا الى مصر ثم الى الشام وكان طريق في أول حجاتي على الدرب الشامي حسبما أخبرني الشريف نفع الله به ثم سافرت الى مدينة قنا وهي صغيرة حسنة الاسواق (واسمها بقاف مكسورة ونون) وبها قبر الشريف الصالح النواي صاحب البراهين العجيبه والكرامات الشهيرة عبد الرحيم القناوي رحمه الله عليه ورأيت بالمدرسة السيفية منها حفيد شهاب الدين أحمد وسافرت من هذا البلد الى مدينة قوص (وادي يضم القاف) مدينة عظيمة لها خيرات عجيبة بساكنينها مورقة وأسواقها ونقعة ولها المساجد الكثيرة والمدارس الاثيرة وهي منزل ولالة الصعيد وبخارجها زاوية الشيخ شهاب الدين بن عبد الغفار وزاوية الأفرم وبها اجتماع الفقهاء المتجردين في شهر رمضان من كل سنة ومن علمائها القاضي جمال الدين بن السديد والخطيب بهافج الدين بن دقيق العيد أحدا الفصحاء الباقاء الذين حصل لهم السبق في ذلك لم أر من يماثله الا خطيب المسجد الحرام بهاء الدين الطبري وخطيب مدينة خوارزم حسام الدين الشاطي وسيقع ذكرهما ومنهم الفقيه بها الدين بن عبد العزيز المدرس بمدرسة المالكية ومنهم الفقيه بهان الدين ابراهيم الاندلسي له زاوية عالية ثم سافرت الى مدينة الاقصر (وضبط اسمها بفتح الهمزة وضم الصاد المهمل) وهي صغيرة حسنة وبها قبر الصالح العابد أبي الحجاج الاقصري وعليه زاوية وسافرت منها الى مدينة ارمنت (وضبط اسمها بفتح الهمزة وسكون الراء وميم مفتوحة ونون ساكنة وتاء مملوءة) وهي صغيرة ذات بساكنين مبنية على ساحل النيل أضافني قاضيها وأنسيت اسمه ثم سافرت منها الى مدينة أسنا (وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان السين المهمل ونون) مدينة عظيمة متسعة الشوارع ضخمة المنافع كثيرة الزوايا والمدارس والجوامع لها أسواق حسان وبساكنين ذات أفنان قاضيها قاضي القضاة شهاب الدين بن مسكين أضافني وأكرمني وكتب الى نوابه بكرامتي وبها من الفضلاء الشيخ الصالح نور الدين علي والشيخ الصالح عبد الواحد المكناسي وهو علي هذا العهد صاحب زاوية بقوص ثم سافرت منها الى مدينة أدفو (وضبط اسمها

بفتح الهمزة واسكان الدال المهمل وضم الفاء) وبينها وبين مدينة أسنم مسيرة يوم وليلة في صحراء ثم جزنا النيل من مدينة ادفو الى مدينة العطوانى ومنها اكثرنا الجمال وسافرنا مع طائفة من العرب تعرف بدغيم (بالغين المعجمة) في صحراء لا عماره بها الا انها آمنة السبل وفي بعض منازلنا حيترا حيث قبر ولى الله أبى الحسن الشاذلي وقد ذكرنا كرامته في أخباره انه يموت بها وأرضها كثيرة الضباع ولم نزل ليلة ميئتنا بها محارب الضباع ولقد قصدت رحلى ضبع منها فمزقت عدلا كان به واجترت منه جراب نمر وذهبت به فوجدناه لما أصبحنا ممزقا مأكولا معظم ما كان فيه ثم لم نأسرها خمسة عشر يوما وصلنا الى مدينة عيذاب وهي مدينة كبيرة كثيرة الحوت والابن ويحمل اليها الزرع والتمر من صعيد مصر وأهلها البجاة وهم سود الالوان يلتحفون ملاحف صفراء ويشدون على رؤسهم عصائب يكون عرض العصاية منها أصبغا وهم لا يورثون البنات وطعامهم البان الابل ويركبون المهارى ويسمونهم الصهب وثالث المدينة لأم الملك الناصر وثلاثها الملك البجاة وهو يعرف بالحدري (بفتح الحاء المهمل واسكان الدال وراء مفتوحة وباء موحدة وياء) وبمدينة عيذاب مسجد ينسب للقسطلاني شهير البركة رأيت به وتبركت به وبها الشيخ الصالح موسى والشيخ المسن محمد المراكشي زعم انه ابن المرتضي ملك مراکش وان سنة خمس وتسعون سنة ولما وصلنا الى عيذاب وجدنا الحدري سلطان البجاة يحارب الأتراك وقد خرق المراكب وهرب الترك امامه فتعذر سفرنا في البحر فبقينا ما كنا أعددناه من الزاد وعدنا مع العرب الذين اكثرنا الجمال منهم الى صعيد مصر فوصلنا الى مدينة قوص التي تقدم ذكرها وانحدرنا منها في النيل وكان أوان مده فوصلنا بعد مسيرة ثمان من قوص الى مصر فبت بمصر ليلة واحدة وقصدت بلاد الشام وذلك في منتصف شعبان سنة ست وعشرين فوصلت الى مدينة بلبيس (وضبط اسمها بفتح الموحدة الاولى وفتح اثنائية ثم ياء آخر الحروف مسكنة وسين مهملة) وهي مدينة كبيرة ذات بساتين كثيرة ولم ألق بها من يجب ذكره ثم وصلت الى الصالحية ومنها دخلنا الرمال ونزلنا منازلها مثل السوادة والورادة والمطيب والعريش والخروبة وبكل منزل منها

فندق وهم يسمونه الحان ينزله المسافرون بدوابهم وبخارج كل خان ساقية للسبيل
وحانوت يشتري منها المسافر ما يحتاجه لنفسه ودابته ومن منازلها قطيا المشهورة وهي
(بفتح القاف وسكون الطاء وياء آخر الحروف مفتوحة وألف) والناس يبدلون ألفها
هاء تانيث وبها تؤخذ الزكاة من التجار وتفتش أمتعتهم ويبحث عمالديهم أشد البحث وفيها
الدواوين والعمال والكتاب والشهود ومجباها في كل يوم ألف دينار من الذهب ولا
يجوز عليها أحد من الشام الا براءة من مصر ولا الى مصر الا براءة من الشام احتياطا على
أموال الناس وتوقيا من الجواسيس العراقيين وطرية لها في ضمان العرب قد وكلوا بحفظه
فاذا كان الليل مسحوا على الرمل لا يبقى به أثر ثم يأتي الامير صبا حافيا ينظر الى الرمل فان
وجد به أثر اطالب العرب باحضار مؤثره فيذهبون في طلبه فلا يفوتهم فيأتون به الامير
فيعاقبه بما شاء وكان بهافي عهد وصولى اليها عز الدين استاذ الدار اقمارى من خيار
الامراء أضافنى وأكرمى وأباح الجواز لمن كان ميمى وبين يديه عبد الجليل المغربي
الوقاف وهو يعرف المغاربة وبلادهم فيسأل من ورد منهم من أى البلاد هو لئلا يلبس
عليهم فان المغاربة لا يعترضون في جوازهم على قطيا ثم سرنا حتى وصلنا الى مدينة غزة
وهى أول بلاد الشام ممالي مصر متسعة الاقطار كثيرة العمارة حسنة الاسواق بها
المساجد العديدة والاسوار عليها وكان بها مسجد جامع حسن والمسجد الذى
تقام الآن به الجمعة فيها بناء الامير المعظم الجاولي وهو انيق البناء محكم الصنعة ومنبره من
الرخام الابيض وقاضي غزة بدر الدين السلخى الحورانى ومدرسه علم الدين بن سالم
وبتوسلم كبراء هذه المدينة ومنهم شمس الدين قاضى القدس ثم سافرت من غزة الى
مدينة الخليل صلى الله على نبينا وعليه وسلم تسليما وهى مدينة صغيرة الساحة كبيرة المقدار
مشرقة الانوار حسنة المنظر عجيبة المنظر عجيبة المنظر عجيبة المنظر عجيبة المنظر عجيبة المنظر
العمل بديع الحسن سامي الارتفاع مبني بالصخر المنحوت في أحداً ركانه صخرة أحد
أقطارها سبعة وثلاثون شبرا ويقال ان سليمان عليه السلام أمر الجن ببناؤه وفي داخل
المسجد الغار المكرم المقدس فيه قبر ابراهيم واسحاق ويعقوب صلوات الله على نبينا

وعليهم ويقابلها قبور ثلاثة هي قبور أزواجهم وعن يمين المنبر بلصق جدار القبلة موضع يهبط منه على درج رخام محكمة العمل الى مسلك ضيق يقضي الى ساحة مفروشة بالرخام فيها صور القبور الثلاثة ويقال انها محاذية لها وكان هنالك مسلك الى الغار المبارك وهو الآن مسدود وقد نزلت بهذا الموضع مرات وعماد كرم أهل العلم دليلا على صحة كون القبور الثلاثة الشريفة هنالك ما نقلته من كتاب علي بن جعفر الرازي الذي سماه (المسفر للقلوب عن صحة قبر ابراهيم واسحق ويعقوب) أسند فيه الى أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسرى بي الى بيت المقدس مر بي جبريل على قبر ابراهيم فقال انزل فصل ركعتين فان هنا قبر أبيك ابراهيم ثم مر بي على بيت لحم وقال انزل فصل ركعتين فان هنا ولد أخوك عيسى عليه السلام ثم أتني بي الى الصخرة وذكري بقية الحديث ولما قيت بهذه المدينة المدرس الصالح المعمر الامام الخطيب برهان الدين الجعفرى أحد الصالحاء المرضيين والأئمة المشتهرين سألته عن صحة كون قبر الخليل عليه السلام هنالك فقال لي كل من لقته من أهل العلم يصححون أن هذه القبور قبور ابراهيم واسحق ويعقوب على نبينا وعليهم السلام وقبور زوجاتهم ولا يطعن في ذلك الا أهل البدع وهو نقل الخلف عن الساف لا يشك فيه ويذكر أن بعض الأئمة دخل الي هذا الغار ووقف عند قبر سارة فدخل شيخ فقال له أي هذه القبور هو قبر ابراهيم فأشار له الى قبره المعروف ثم دخل شاب فسأله كذلك فأشار له اليه ثم دخل صبي فسأله أيضا فأشار له اليه فقال الفقيه أشهد أن هذا قبر ابراهيم عليه السلام لا شك ثم دخل الي المسجد فصلى به وارتحل من الغد وداخل هذا المسجد أيضا قبر يوسف عليه السلام وبشرقي حرم الخليل تربة لوط عليه السلام وهي على تل مرتفع يشرف منه غور الشام وعلى قبره أبنية حسنة وهو في بيت منها حسن البناء مبيض ولا ستور عليه وهنالك بحيرة لوط وهي أجاج يقال انها موضع ديار قوم لوط وبمقربة من تربة لوط مسجد اليقين وهو على تل مرتفع له نور واشراق ليس لسواه ولا يجاوره الادار واحدة يسكنها قومه وفي المسجد بمقربة من بابه موضع منخفض في حجر صلد قد هي فيه صورة محراب لا يسع الا مصابيا واحدا

ويقال ان ابراهيم سجد في ذلك الموضع شكر الله تعالى عندهلاك قوم لوط فتحرك موضع سجوده وساخ في الارض قليلا وبالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين ابن علي عليها السلام وبأعلى القبر وأسفله لوحان من الرخام في أحدهما مكتوب منقوش بخط بديع بسم الله الرحمن الرحيم لله العزة والبقاء وله ما ذرأ وبرأ وعلى خلقه كتب الفناء وفي رسول الله أسوة هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين رضي الله عنه وفي اللوح الآخر منقوش صنع محمد بن أبي سهل النشاش بمصر ونحت ذلك هذه الايات

أسكنت من كان في الاحشاء مسكنه بالرغم مني بين القرب والحجر
ياقبر فاطمة بنت ابن فاطمة بنت الائمة بنت الانجسم الزهر
ياقبر ما فيك من دين ومن ورع ومن عفاف ومن صون ومن خفر

ثم سافرت من هذه المدينة الى القدس فزرت في طريقى اليه تربة يونس عليه السلام وعليها بنية كبيرة ومسجد وزرت أيضا بيت لحم موضع ميلاد عيسى عليه السلام وبه اثر جذع النخلة وعليه عمارة كثيرة والنصارى يعظمونه أشد التعظيم ويضيفون من نزل به ثم وصلنا الى بيت المقدس شرفه الله ثالث المسجدين الشريفين في رتبة الفضل ومصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ومعرجه الى السماء والبلدة كبيرة منيفة مبنية بالصخر المنحوت وكان الملك الصالح الفاضل صلاح الدين بن ايوب جزاه الله عن الاسلام خيرا لما فتح هذه المدينة هدم بعض سورها ثم استنقض الملك الظاهر هدمه خوفا ان يقصدها الروم فيمتنعوا بها ولم يكن بهذه المدينة نهر فيما تقدم وجلب لها الماء في هذا العهد الامير سيف الدين تنكيز أمير دمشق

❖ ذكر المسجد المقدس ❖

وهو من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة الحسن يقال انه ليس على وجه الارض مسجد أكبر منه وان طوله من شرق الى غرب سبع مائة وثلثان وخمسون ذراعا بالذراع المالكية وعرضه من القبلة الى الجوف اربع مائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعا وله أبواب كثيرة في جهاته الثلاث واما الجهة القبليّة منه فلا أعلم بها الا بابا واحدا وهو الذي يدخل منه الامام

والمسجد كله فضاء غير مسقف الا المسجد الاقصى فهو مسقف في النهاية من أحكام العمل
واتقان الصنعة بموهبة بالذهب والاصبغة الرائقة وفي المسجد مواضع سواء مسقفة

﴿ ذكر قبّة الصخرة ﴾

وهي من أعجب المباني واتقنها واغربها شكلا قد توفر حظها من المحاسن وأخذت من كل
بديعة بطرف وهي قائمة على نشز في وسط المسجد يصعد إليها في درج رخام ولها أربعة
أبواب والدائر بها مفروش بالرخام أيضا محكم الصنعة وكذلك داخلها وفي ظاهرها
وباطنها من أنواع الزواقة ورائق الصنعة ما يعجز الوصف وأكثر ذلك مغشي بالذهب
فهي تبتلأ نورا وتتمع لمعان البرق يحار بصير متأملها في محاسنها ويقصر لسان رائيها عن
تمثيلها وفي وسط القبّة الصخرة الكريمة التي جاء ذكرها في الآثار فان النبي صلى الله عليه
وسلم عرج منها إلى السماء وهي صخرة صماء ارتفاعها نحو قامة وتحتها مغارة في مقدار بيت
صغير ارتفاعها نحو قامة أيضا ينزل إليها على درج وهناك شكل محراب وعلى الصخرة
شبا كان اثنان محكما العمل يغلقان عليها أحدهما وهو الذي يلي الصخرة من حديد بديع
الصنعة والثاني من خشب وفي القبّة درقة كبيرة من حديد معاقمة هنالك والناس يزعمون
انها درقة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

﴿ ذكر بعض المشاهد المباركة بالقدس الشريف ﴾

ففيها بدوة الوادي المعروف بوادي جهنم في شرقي البلد على تل مرتفع هنالك بنية يقال
انها مصعد عيسى عليه السلام إلى السماء ومنها أيضا قبر رابعة البدوية منسوبة إلى البادية
وهي خلاف رابعة المدوية الشهيرة وفي بطن الوادي المذكور كنيسة يعظمها النصارى
ويقولون ان قبر مريم عليها السلام بها وهنالك أيضا كنيسة أخرى معظمة يحجها
النصارى وهي التي يكذبون عليها ويعتقدون ان قبر عيسى عليه السلام بها وعلى كل من
يحجها ضريبة معلومة للمسلمين وضروب من الاهانة يتحملها على رغم أنف وهنالك
موضع مهد عيسى عليه السلام يتبرك به

﴿ ذكر بعض فضلاء القدس ﴾

فمنهم قاضيه العالم شمس الدين محمد بن سالم الغزى (بفتح الغين) وهو من أهل غزة وكبرائها
ومنهم خطيبه الصالح الفاضل عماد الدين النابلسي ومنهم المحدث الموفق شهاب الدين
الطبري ومنهم مدرس المالكية وشيخ الحانقا الكريمة أبو عبد الله محمد بن مثبت الغرناطي
نزىل القدس ومنهم الشيخ الزاهد أبو علي حسن المعروف بالمحجوب من كبار الصالحين
ومنهم الشيخ الصالح العابد كمال الدين المراغي ومنهم الشيخ الصالح العابد أبو عبد الرحيم عبد
الرحمن بن مصطفى من أهل أريز الروم وهو من تلامذة تاج الدين الرقاعي صحبته وابست
منه خرقة التصوف ثم سافرت من القدس الشريف برسم زيارة ثغر عسقلان وهو خراب
قد عادر سوماطامسه واطلالا دارسه وقل بلد جمع من المحاسن ما جمعه عسقلان اتقاننا
وحسن وضع وأصالة مكان وجمابين مرافق البر والبحر وبها المشهد الشهير حيث كان
رأس الحسين بن علي عليه السلام قبل أن يتقل إلى القاهرة وهو مسجد عظيم سمي العلو
فيه جب للماء أمر ببنائه بعض العبيدين وكتب ذلك على بابه وفي قبلة هذا المزار مسجد
كبير يعرف بمسجد عمر لم يبق منه الا حيطانه وفيه أساطين رخام لا مثل لها في الحسن وهي
ما بين قائم وحصيد ومن جاتها اسطوانة حمراء عجبية يزعم الناس ان النصاري احتملوها إلى
بلادهم ثم فقدوها فوجدت في موضعها بعسقلان وفي القبلة من هذا المسجد بئر تعرف بئر
ابراهيم عليه السلام ينزل إليها في درج متسعة ويدخل منها إلى بيوت وفي كل جهة من
جهاها الاربع عين تخرج من أسراب مطوية بالحجارة وماؤها عذب وليس بالغزير ويذكر
الناس من فضائنها كثيرا وبظاهر عسقلان وادي النمل ويقال انه المذكور في الكتاب
العزير وبجبانة عسقلان من قبور الشهداء والاولياء ما لا يحصر لكثرة أوقفنا عليهم قيم
المزار المذكور وله جراية يجريها له ملك مصر مع ما يصل إليه من صدقات الزوار ثم
سافرت منها إلى مدينة الرملة وهي فلسطين مدينة كبيرة كثيرة الخيرات حسنة الاسواق
وبها الجامع الأبيض ويقال ان في قبلته ثلاثمائة من الانبياء مدفونين عليهم السلام وفيها
من كبار الفقهاء بمجد الدين النابلسي ثم خرجت منها إلى مدينة نابلس وهي مدينة عظيمة
كثير الاشجار مطردة الانهار من أكثر بلاد الشام زيتونا ومنها يحمل الزيت إلى مصر

ودمشق وبها تصنع حلواء الخروب وتجلب الي دمشق وغيرها وكيفية عملها ان يطبخ الخروب ثم يعصر ويؤخذ ما يخرج منه من الرب فتصنع منه الحلواء ويجلب ذلك الرب أيضاً الي مصر والشام وبها البطيخ المنسوب اليها وهو طيب عجيب والمسجد الجامع في نهاية من الاتقان والحسن وفي وسطه بركة ماء عذب ثم سافرت منها الي مدينة عجلون (وهي بفتح العين المهملة) وهي مدينة حسنة لها أسواق كثيرة وقاعة خطيرة ويشتهر بها ماء عذب ثم سافرت منها بقصد اللاذقية فمرت بالغور وهو وادي بين تلال به قبر أبي عبيدة بن الجراح أمين هذا الامة رضي الله عنه زرناه وعليه زاوية فيها الطعام لأبناء السبيل وبتنا هناك ليلة ثم وصلنا الي القصير وبه قبر معاذ بن جبل رضي الله عنه تبركت أيضا بزيارته ثم سافرت على الساحل فوصلت الي مدينة عكة وهي خراب وكانت عكة قاعدة بلاد الافرنج بالشام ومرسى سفنهم وتشبه قسطنطينية العظمى وبشرقيها عين ماء تعرف بعين البقر يقال ان الله تعالى أخرج منها البقر لآدم عليه السلام وينزل اليها في درج وكان عليها مسجد بقي منه محرابه وبهذه المدينة قبر صالح عليه السلام ثم سافرت منها الي مدينة صررو وهي خراب وبخارجها قرية معمورة وأكثر أهلها أرفاض ولقد نزلت بها مرة على بعض المياه أريد الوضوء فأتى بعض أهل تلك القرية ليتوضأ فبدأ يغسل رجليه ثم غسل وجهه ولم يتهضم ولا استنشق ثم مسح بعض رأسه فأخذت عليه في فعله فقال لي ان البناء انما يكون ابتداءً من الاساس ومدينة صور هي التي يضرب بها المثل في الحصانة والمنعة لان البحر محيط بها من ثلاث جهاتها ولها بابان أحدهما للبر والثاني للبحر ولبابها الذي يشرع للبر أربعة فصلات كلها في ستائر محيطة بالباب وأما الباب الذي للبحر فهو بين برجين عظيمين وبنائهما ليس في بلاد الدنيا أعجب ولا أغرب شأناً منه لان البحر محيط بها من ثلاث جهاتها وعلى الجهة الرابعة سور تدخل السفن تحت السور وترسو هناك وكان فيما تقدم بين البرجين سلسلة حديد مترضة لاسيلا الي الداخل هناك ولا الي الخارج الا بعد حطها وكان عليها الحراس والامناء فلا يدخل داخل ولا يخرج خارج الا على علم منهم وكان لعكة أيضاً مناهل لكنها لم تكن تحمل الا السفن الصغار ثم سافرت منها الي مدينة

صيدا وهي على ساحل البحر حسنة كثيرة الفواكه يحمل منها التين والزبيب والزيت الى بلاد مصر نزلت عند قاضيها كمال الدين الأشموني المصري وهو حسن الاخلاق كريم النفس ثم سافرت منها الى مدينة طبرية وكانت فيما مضى مدينة كبيرة ضخمة ولم يبق منها الا رسوم تنبئ على ضخامتها وعظم شأنها وبها الحمامات العجيبة لها بيتان أحدهما للرجال والثاني للنساء وماؤها شديد الحرارة ولها البحيرة الشهيرة طولها نحو ستة فراسخ وعرضها أزيد من ثلاثة فراسخ وبطبرية مسجد يعرف بمسجد الانبياء فيه قبر شعيب عليه السلام وبنته زوج موسى الكليم عليه السلام وقبر سليمان عليه السلام وقبر يهودا وقبر روبيل صلوات الله وسلامه على نبيينا وعليهم وقصدنا منها زيارة الجب الذي ألقى فيه يوسف عليه السلام وهو في صحن مسجد صغير وعليه زاوية والجب كبير عميق شرسا من مائه المجتمع من ماء المطر وأخبر ناقيه ان الماء ينبع منه أيضا ثم سرنا الى مدينة بيروت وهي صغيرة حسنة الاسواق وجامعها بديع الحسن وتجلب منها الى ديار مصر الفواكه والحديد وقصدنا منها زيارة أبي يعقوب يوسف الذي يزعمون انه من ملوك المغرب وهو بموضع يعرف بكر ك نوح من بقاع العزيز وعليه زاوية يطعم بها الوارد والصادر ويقال ان السلطان صلاح الدين وقف عليها الاوقاف وقيل السلطان نور الدين وكان من الصالحين ويذكر انه كان ينسج الحصر ويقتات بثمنها

﴿حكاية أبي يعقوب يوسف المذكور﴾

يحكى انه دخل مدينة دمشق فمرض بها مرضا شديدا وأقام مطروحا بالاسواق فلما برئ من مرضه خرج الى ظاهر دمشق ليلتمس بستانا ليكون حارسا له فاستؤجر لحراسة بستان للملك نور الدين وأقام في حراسته ستة أشهر فلما كان في أو ان الفاكهة أتى السلطان الى ذلك البستان وأمر وكيل البستان أبي يعقوب ان يأتي برمان يأكل منه السلطان فأتاه برمان فوجد حاضرا فأمرا ان يأتي بغيره ففعل ذلك فوجد أيضا حامضا فقال له الوكيل أتكون في حراسة هذا البستان منذ ستة أشهر ولا تعرف الحلو من الحامض فقال انما استأجرتني على الحراسة لا على الاكل فأتى الوكيل الى الملك فاعلمه بذلك فبعث اليه الملك

وكان قد رأى في المنام انه يجتمع مع أبي يعقوب وتحصل له منه فائدة ففرس انه هو فقال له
 أنت أبو يعقوب قال نعم فقام اليه وعانقه وأجلسه الى جانبه ثم احتمله الى مجلسه فاضافه
 بضيافته من الحلال المكتسب بكدمينه وأقام عنده أياماً ثم خرج من دمشق فارأى نفسه في
 أوامير البرد الشديد فأتي قرية من قرأها وكان بهار جل من الضعفاء فعرض عليه النزول عنده
 ففعل وصنع له مرققة وذبح دجاجة فأناها بها ونخبز شحيرة فأكل من ذلك ودعا للرجل وكان
 عنده جملة أولاد منهم بنت قد آن بناء زوجها عليها ومن عوائدهم في تلك البلاد ان البنت
 يجهزها أبوها ويكون معظم الجهار أو اني النحاس وبه يتفاخرون وبه يتبايعون فقال أبو
 يعقوب للرجل هل عندك شيء من النحاس قال نعم قد اشتريت منه لتجهيز هذه البنت قال
 اتني به فأناها به فقال له استمر من حيرانك ما أمكنتك منه ففعل وأحضر ذلك بين يديه فأوقد
 عليه النيران وأخرج صرة كانت عنده فيها الاكسير فطرح منه على النحاس فعاد كله ذهباً
 وتركه في بيت مقفل وكتب كتاباً الى نور الدين ملك دمشق يعلمه بذلك وينبهه على بناء
 مارستان له رضى من الغرباء ويوقف عليه الاوقاف ويبني الزوايا بالطرق ويرضي أصحاب
 النحاس ويعطي صاحب البيت كفايته وقال له في آخر الكتاب وان كان ابراهيم بن أدهم
 قد خرج عن ملك خراسان فانا قد خرجت من ملك المغرب وعن هذه الصنعة والسلام
 وفر من حينه وذهب صاحب البيت بالكتاب الى الملك نور الدين فوصل الملك الى تلك
 القرية واحتمل الذهب بعد ان أرضي أصحاب النحاس وصاحب البيت وطلب أبا يعقوب فلم
 يجده أثره ولا وقع له على خبر فعاد الى دمشق وبني المارستان المعروف باسمه الذي ليس
 في المعمور مثله ثم وصات الى مدينة طرابلس وهي إحدى قواعد الشام وبلدانها الضخام
 تخترقها الأنهار وتحفها البساتين والأشجار ويكنفها البحر بمراقفه العجيبة والبر
 بخيرات المقيمة ولها الاسواق العجيبة والمسارح الخصبية والبحر على ميلين منها وهي
 حديثة البناء وأما طرابلس القديمة فكانت على ضفة البحر وتماكها الروم زماناً فلما
 استرجعها الملك الظاهر خربت وأخذت هذه الحديثة وبهذه المدينة نحو أربعين من
 أمراء الأتراك وأميرها طي لان الحاجب المعروف بملك الأمراء ومسكنه منه بالدار

المعروفة بدار السمادة ومن عوائده أن يركب في كل يوم اثنين وخميس ويركب معه الامراء
والعساكر ويخرج الى ظاهر المدينة فاذا عاد اليها وقارب الوصول الى منزله ترحل الامراء
ونزلوا عن دوابهم ومشوا بين يديه حتى يدخل منزله وينصرفون وتضرب الطبل بخانة
عند دار كل أمير منهم بعد صلاة المغرب من كل يوم وتوقد المشاعل ويمن كان بهامس الاعلام
كاتب السربهاء الدين بن غانم أحد الفضلاء الحسباء معروف بالسخاء والكرم وأخوه حسام
الدين هو شيخ القدس الشريف وقد ذكرناه وأخوهما علاء الدين كاتب السرب بدمشق
ومنهم وكيل بيت المال قوام الدين بن مكين من أكابر الرجال ومنهم قاضي قضائهم شمس
الدين بن النقيب من أعلام علماء الشام وبهذه المدينة حمامات حسان منها حمام القاضي
القرمي وحمام سندمور وكان سندمور أمير هذه المدينة ويذكر عنه أخبار كثيرة في الشدة
على أهل الجنائيات منها ان امرأة شكت اليه بأن أحد عماليكه الخواص تعدى عليها في ابن
كانت تبغيه فشر به ولم تكن لها بينة فامر به فوسط فخرج الابن من مصرانه وقد اتفق مثل
هذه الحكاية للعتر يس أحد أمراء الملك الناصر أيام امارته على عيذاب واتفق مثلها للملك
كبك سلطان تركستان ثم سافرت من طرابلس الى حصن الاكراد وهو بلد صغير كثير
الاشجار والانهار بأعلى تل وبه زاوية تعرف بزاوية الابراهيمي نسبة الى بعض كبراء
الامراء ونزلت عند قاضيها ولا أحقق الآن اسمه ثم سافرت الى مدينة حمص وهي مدينة
مليحة ارجاؤها مونة وأشجارها مورقة وأنهارها متدفقة وأسواقها فسيحة الشوارع
وجامعها متميز بالحسن الجامع وفي وسطه بركة ماء وأهل حمص عرب لهم فضل وكرم
وبخارج هذه المدينة قبر خالد بن الوليد سيف الله ورسوله وعليه زاوية ومسجد وعلى القبر
كسوة سوداء وقاضي هذه المدينة جمال الدين الشريشي من أجمل الناس صورة وأحسنهم
سيرة ثم سافرت منها الى مدينه حماد احدي أمهات الشام الرفيعة ومدائن البديعة ذات
الحسن الرائق والجمال الفائق تحفها البساتين والجنات عليها التواعير كالافلاك
الدائرات يشقها النهر العظيم المسمى بالعاصي ولها ربض سمي بالمنصورية أعظم من المدينة
فيه الاسواق الحافلة والحمائم الحسان وبحمأة الفواكه الكثيرة ومنها المشمش اللوزي

إذا كثرت نواته وجدت في داخلها الوزه حلوة قال ابن جزى وفي هذه المدينة ونهرها
وتواعيرها وبساتينها يقول الأديب الرحال نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد
العنسي العماري الغرناطي نسبة لعمار بن ياسر رضي الله عنه (طويل)

حمى الله من شطى حماة مناظرا * وقفت عليها السمع والفكر والطرفا
تغنى حمام أوتيميل خمائل * وتزهي مباني تمنع الواصف الوصف
يلوموني أن أعصي الصون والنهي * (٢) وأطيع الكأس واللاه والقصفا
إذا كان فيها النهر عاص فكيف لا * أحاصيه عصيانا وأشربها صرفا
وأشدو لدى تلك التواعير شدوها * وأغلبها رقصاً وأشبهها غرفا
تئن وتذرى دمعها فبكائها * تهيم برآها وتسألها العظفا
ولبعضهم في نواعيرها ذاهبا مذهب التورية (طويل)

وناعورة رقت لعظم خطيئتي * وقد عاينت قصدي من المنزل القاصي
بكث رحمة لي ثم باح بشجوها * وحسبك أن الخشب تبكي علي العاصي
ولبعض المتأخرين فيها أيضاً من التورية (كامل)

ياسادة سكنوا حماة وحقكم * ما حلت عن تقوي وعن اخلاصي
والطرف بعدكم اذا ذكر اللفا * يجري المدامع طائماً كالعاصي

(رجع) ثم سافرت الى مدينة المعرة التي ينسب اليها الشاعر أبو العلاء المعري وكثير سواه
من الشعراء قال ابن جزى وانما سميت بمعرة انعمان لان النعمان بن بشير الانصاري
صاحب رسل الله صلى الله عليه وسلم توفي له ولد أيام امارته على حمص فدفنه بالمعرة فعرفت
به وكانت قبل ذلك تسمى ذات القصور وقيل ان النعمان جبل مطلق عليها سميت به
(رجع) والمعرة مدينة كثيرة حسنة أكثر شجرها التين والفسق و منها يحمل الى مصر
والشام وبخارجها علي فرسخ منها قبر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ولا زاوية عليه ولا
خديم له وسبب ذلك انه وقع في بلاد صنف من الرافضة ارجاس يغيضون العترة من
الصحابه رضي الله عنهم ولعن مبغضهم ويغيضون كل من اسمه عمر وخصوصاً عمر بن

عبد العزيز رضي الله عنه لما كان من فعله في تعظيم علي رضي الله عنه ثم سرنا منها الى مدينة
سرمين وهي حسنة كثيرة البساتين وأكثر شجرها الزيتون وبها يصنع الصابون الآجري
ويجلب الى مصر والشام ويصنع بها أيضا الصابون المطيب لغسل الأيدي ويصبغونه بالحمرة
والصفرة ويصنع بها ثياب قطن حسان تنسب اليها وأهلها سبابون ينفذون العشرة ومن
العجب انهم لا يذكرون لفظ العشرة وينادي سمسارهم بالاسواق على الساع فإذا بلغوا الى
العشرة قالوا تسعة وواحد وحضر بها بعض الأتراك يوما فسمع سمسارا ينادي تسعة
وواحد فضر به بالدبوس فلي رأسه وقال قل عشرة بالدبوس وبها مسجد جامع فيه تسع
قباب ولم يجعلوها عشرة قياما بذهبهم القبيح ثم سرنا الى مدينة حلب المدينة الكبرى والقاعد
العظمى قال أبو الحسين بن جبير في وصفها قدرها خطير وذكرها في كل زمان يطير خطابها
من الملوك كثير ومحلمها من النفوس أثير فكم حاجت من كداح وسئل عليها من يبض
الصفاح لها قاعة شهيرة الامتاع بائنة الارتفاع فنزهت حصانة من أن ترام أو تستطاع
منحوتة الاجزاء موضوعة على نسبة اعتدال واستواء قد طاولت الايام والاعوام
ووسعت الخواص والعوام أين أمراؤها الحمدانيون وشعراؤها فني جميعهم ولم يبق الا
بناؤها فإعجابا بالبلاد بقي وبذهب ملاكها ويهلكون لا يقضى هلاكها ونحط بدمهم فلا
يتعذرا ملاكها وترام في تيسر بأهون شيء ادراكها هذه حلب كم ادخات ملوكها في خبر
كان ونسخت صرف الزمان بالمكان أنت اسمها فتحلت بحياة الغوان وأنت بالعدو
فيمنداد وانجبت عروسا بعد سيف دواتها ابن حمدان هيئات سيهرم شبابها ويعدم
خطابها ويسرع فيها بعد حين خرابها وقلة حلب تسمى الشهباء وبداخلها جبلان ينبع
منهما الماء فلا تخاف الظماء ويظيف بها سوران وعاليها خندق عظيم ينبع منه الماء
وسورها متداني الابراج وقد انتظمت بها الملايحية المفتحة الطيقان وكل برج
منها مسكون والطعام لا يتغير بهذه القلعة على طول العهد وبها مشهد يقصده بعض الناس
يقال ان الخليل عليه السلام كان يتعبد به وهذه القلعة تشبه قلعة رحية مالك بن طوق التي على
الفرات بين الشام والعراق ولما قصد قازان طاغية الترمذية حلب حاصر هذه القاعة أياما

ونكص عنها خائباً قال ابن جزى وفي هذه القلعة يقول الخالدي شاعر سيف الدولة
 وخرقاء قد قامت على من برومها * بمرقبها العالي وجانبها الصعب
 يجبر عليها الجوجيب غمامه * ويلبثها عقد أبانجمه الشهب
 اذا ما سرى برق بدت من خلال له * كالأحت العذراء من خلال السحب
 فككم من جنود قد أمانت بقصة * وذى سطوات قد أبانت على عقب
 وفيها يقول أيضاً وهو من بديع النظم (بسيط)

وقلعة عائق العسقاء سافلها * وراز منطقة الجوزاء عاليها
 لا تعرف الفطر اذا كان الغمام لها * أرضاً توطأ قطريه مواشيها
 اذا الغمامة راحت غاض ساكنها * حياضها قبل ان تهيم عه اليها
 يعد من أنجم الافلاك مرقبها * لو أنه كان يجري في بحارها
 ردت مكاييد أقوام مكايدها * ونصرت لدواهيهم دواهيها
 وفيها يقول جمال الدين علي بن أبي المنصور (كامل)

كادت لبون سموها وعسلوها * تستوقف الفلك المحيط الدائرا
 وردت قواضها المجرة منها * ورعت سوابقها النجوم زواها
 ويظل صرف الدهر منها خائفا * وجلالها يسمي لديها حاضرا
 (رجع) ويقال في مدينة حلب حلب ابراهيم لان الخليل صلوات الله وسلامه على نبينا
 وعليه كان يسكنها وكانت له الغنم الكثيرة فكان يسقى الفقراء والمساكين والوارد والصادر
 من البانها فكانوا يجتمعون ويسألون حلب ابراهيم فسميت بذلك وهي من أعز البلاد التي
 لا نظير لها في حسن الوضع واتقان الترتيب واتساع الاسواق وانتظام بعضها ببعض
 وأسواقها ماسة بالخشب فأهلها دائمون في ظل ممدود وقياساريتها لا تائل حسنا وكبرا
 وهي تحيط بمسجدها وكل سباط منها محاذي لباب من أبواب المسجد ومسجدها الجامع
 من أجل المساجد في محنة بركة ماء ويظف به بلاط عظيم الاتساع ومنبرها بديع العمل
 حرصه بالعاج والأبنوس وبقراب جامعهامدرسة مناسبة له في حسن الوضع واتقان الصنعة

ينسب لأمرأء بنى حمدان وبالبلد - واهاتلات مدارس وبها مدارس - تان وأما خارج المدينة فهو بسيط أفصح عريض به المزارع العظيمة وشجرات الاغشاب منتظمة به والبساتين على شاطئ نهرها وهو النهر الذى يمر بحماة ويسمى العاصى وقيل انه سمي بذلك لانه يخيل لناظره ان جريانه من أسفل الى علو والنفس تجدد في خارج مدينة حلب اسرا حاسرا وروا ونشاطا لا يكون في سواها وهي من المادى التى تلح للمخلافة قال ابن جزى أطنبت الشمرء في وصف محاسن حلب وذكر داخلها وخارجها ونها يقول أبو عبادة البحتري (كامل)

يا براق أسفر عن فوق مطايي * حلب فاعلى القصر من بعلباس
عن منبت الورد المعصر صبغه * في كل ضاحية ومجنى الآس
أرض اذا السوحشتكم بتذكر * حشدت على نأ كثر ايناى

وقال فيها الشاعر المجيد أبو بكر الصنوبري (مقارب)

سقى حلب المازن مغنى حلب * فكم وصلت طربا بالطرب
وكم مستطاب من العيش لذ * بها اذ بها العيش لم يستط
اذا شر الزهر أعلامه * بها ومطارقه والعذب
غدا وحواشيه من فضة * تروق وأوساطه من ذهب

وقال فيها أبو العلاء المعري (خفيف)

حلب للورادجنة عدن * رعى للغادرين نار سمير
والعظيم العظيم يكبر في عيه * نيه منها قدر الصغير الصغير
فتويق في أنفس القوم بحر * وصاة منه مكان ثبير

وقال فيها أبو الفتيان بن جبوس

يا صاحبي اذا أتيا كما سقمي * فتدياني نسيم الريح من حلب
من البلاد التي كان الصبا سكنا * فيها وكان الهوى العذرى من أربي

وقال فيها أبو الفتح كشاجم (مقارب)

وما أمتعت جارها ببلدة * كما أمتعت حلب جارها

بها قد تجمع ما تشتهي * فزرها فطوبى لمن زارها

وقال فيها أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي العنسي (خفيف)

حادي العيس كم تذيخ المطايا * سقى بروحي من يدهم في سياق

حلب أنها مقر غرامي * ومرامي وقبلة الأشواق

لك خلا جوشن وبنياس والع * ومن كل وابل غيداق

كم بهامرتع ادرف وقاب * فيه سقى المني بكأس دهاق

وتغنى طيورها الارتياح * وتثني غصونها لعتاق

وعلو الشبهاء حيث استدارت * أنجم الأفق حولها كالنطاق

(رجع) وبحلب ملك الأمراء أرغون الدوادار أكبر أمراء الملوك الناصرو وهو من الفقهاء

موصوف العدل لكنه بخيل والقضاة بحلب أربعة للمذاهب الأربعة منهم القاضي كمال الدين

ابن الزمكاني شافعي المذهب عالي الهمة كبير القدر كريم النفس حسن الاخلاق متفنن

بالعلوم وكان الملك الناصرة بعث اليه ليوايه قضاة القضاة بحضرته ملكه ثم بقض له ذلك وتوفي

ببليس وهو متوجه اليها ولما ولي قضاء حلب فصدته اشعراء من دمشق وسواها وكان

فيمن قصده شاعر الشام شهاب الدين أبو بكر محمد بن الشيخ المحدث شمس الدين أبي عبد

الله محمد بن نباتة انقرشى الادوى الفارقي فامتدحه بقصيدة طويلة حافلة أولها (كامل)

أسفت لفقديك جاق الفيحاء * وتباشرت لقدومك الشهباء

وعلا دمه شق وقد رحلت كآبة * وعلا ربا حلب سنا وسناء

قد أسرفت دار سكنت فيها * حتى غدت ولنورها لآلاء

ياسائر اسقى المكارم والعلي * ممن يجل عنده الكرماء

هذا كمال الدين لديجنا به * تتم ثم الفضل والتعماء

قاضي القضاة أجل من أيامه * تغنى بها الايتام والفقراء

قاس زكي أصلا وفر عافا على * شرفت به الآباء والأبناء

من الاله على بنى حلب به * لله وضع الفضل حيث يشاء
 كشف المعمي فهمه وبيانه * فكأنما ذاك انتدكاء ذكاء
 يا حاكم الحكام تدرك سابق * عن ان تسرك رتبة شماء
 ان المناصب دون همتك التي * في الفضل دون محلها الجوزاء
 لك في العلوم فضائل مشهورة * كالصبح شق له الظلام ضياء
 ومناقب شهد الندوب فضلها * والفضل ما شهدت به الاعداء

وهي أزيد من خمسين يتاوأجازها عليها بكسوة ودراهم وانتقد عليه الشتراء ابتداء
 بلفظ أسست قال ابن جزى وليس كلامه في هذه التصيدة بذاك وهو في المقطعات أجود
 منه في القصائد وانتهت الرئاسة في الشعر على هذا العهد في جميع بلاد المشرق وهو من
 ذرية الخطيب أبي يحيى عبد الرحيم بن نبانة منشي الخطب الشهيرة ومن بديع منطحاته
 في التورية قوله (كامل)

علقها غيداء حالية البلي * تحب على عقل الحب وقلبه
 بخلت باؤاؤا فرها عن الائم * ففدت مطوقة بما بخلت به

(رجع) ومن قضاة حلب قاضي قضاة الحنفية الامام المدرس ناصر الدين بن لعديم حسن
 الصورة والسيرة أصيل مدينة حلب (كامل)

تراه اذا ماجتته متهللا * كانتك تعطيه الذي أنت سائله
 ومنهم قاضي قضاة المالكية لأذكره كان من الموثقين بمصر وأخذ الخطة عن غير
 استحقاق ومنهم قاضي قضاة الحنابلة لأذكر اسمه وهو من أهل صالحيه دمشق وتقيب
 الاشراف بحلب بنو الدين بن الزهراء ومن فقهاء شافعية الدين بن المعجمي وأتابه هم
 كبراء مدينة حلب ثم ماقرت منها الى مدينة تيزين وهي على طريق قنسرين (وضبط
 اسمها بقاء معلومة منسورة ويا مدوزاي مكسورة ويا مدثانية ونون) وهي حديثه اتخذها
 التركمان وأسواقها حسان ومساجدها في نهاية من الاتقان وقاضيا بدير الدين المسقلاني
 وكانت مدينة قنسرين قديمة كبيرة ثم خرجت ولم يبق الا رسومها ثم سافرت الى مدينة

انطاكية وهي مدينة عظيمة أصالية وكان عليها سور محكم لا نظير له في أسوار بلاد الشام فلما فتحها الملك الظاهر هدم سورها وانطاكية كثير العمارة ودورها حسنة البناء كثيرة الاشجار والمياه ويخارجها نهر العاصي وبها قبر حبيب التجار رضى الله عنه وعليه زاوية فيها الطعام للوارد والصادر شيخها الصالح المعمر محمد بن علي سنة ينف على المائة وهو جمع بقوته دخلت عليه مرة في بستان له وقد جمع حطباً ورفعته على كاهله يأتي به منزله بالمدينة ورأيت ابنه قد أتى على الثمانين الا انه محدود بالظهر لا يستطيع الهوض ومن يراها يظن ان والدهما ولدان والولد الدائم سافرت الى حصن بفراس (وضبط اسمه بيا موحدة مضومة وغين معجمة مسكنة وراءه وآخره سين مهملة) وهو حصن منيع لا يرام عليه البساتين والمزارع ومنه يدخل الى بلاد سيس وهي بلاد كفار الارمن وهم رعية للملك الناصر يؤدون اليه مالا ودراهمهم فضة خالصة تعرف بالبلدية وبها تصنع الثياب الديزية وأمير هذا الحصن صارم الدين بن الشيباني وله ولد فاضل اسمه علاء الدين وابن أخ اسمه حسام الدين فاضل كريم يسكن الموضع المعروف بالرصاص (بضم الراء والصاد المهملة الاول) ويحفظ الطريق الى بلاد الارمن ﴿حكاية﴾

شكى الارمن مرة الى الملك الناصر بالامير حسام الدين وزوروا عليه امورا لا تليق ففقد امره لامير الامراء بحلب ان يخنقه فلما توجه الامير بلغ ذلك صديقه من كبار الامراء فدخل على الملك الناصر وقال يا خوندان الامير حسام الدين هو من خيار الامراء يصح للمسلمين ويحفظ الطريق وهو من الشجمان والامن يريدون الفساد في بلاد المسلمين فيمنعهم ويقهرهم وانما ارادوا اضعاف شوكة المسلمين بقتله ولم يزل به حتى أنفذ امرأته ثانيا بسراجه والخلع عليه وردده لموضع ودعا الملك الناصر بريديا يعرف بالافوش وكان لا يبعث الا في مهم وأمره بالاسراع والجدي السير فسار من مصر الى حلب في خمس وهي مسيرة شهر فوجد امير حلب قد حضر حسام الدين وأخرجه الى الموضع الذي يخنق به الناس فخلصه الله تعالى وعاد الى موضعه ولقيت هذا الامير ومعه قاضي بفراس شرف الدين الحموي بموضع يقال له العمق متوسط بين انطاكية

وتيزين وبغراس ينزله التركان بمواشيهم لخصبه وسعته ثم سافرت الى حصن القصير تصغير
 قصر وهو حصن حسن أميره علاء الدين الكردي وقاضيه شهاب الدين الارمنتي من
 أهل الديار المصرية ثم سافرت الى حصن الشنبر بكاس (وضبط اسمه بضم الشين المعجم
 واسكان الفين المعجم وضم اراء والباء الموحدة وآخره سين مهمل) وهو منبع في رأس
 شامق أميره سيف الدين الطنطاش فاضل وقاضيه جان الدين بن شجرة من أصحاب ابن
 التيمية ثم سافرت الى مدينة صهيون وهي حسنة بها الانهار المطردة والاشجار المورقة
 ولها قلعة جيدة وأميرها يعرف بالابراهيمى وقاضيا محي الدين الحمصى وبخارجها زاوية
 في وسط بستان فيها الطعام ناوارد والصادر وهي على قبر الصالح العابد عيسى البدوي
 رحمه الله قد زرت قبره ثم سافرت منها فمرت بحصن القدموس (وضبط اسمه بفتح
 القاف واسكان الدال المهمل وضم الميم وآخره سين مهمل) ثم بحصن المينقة (وضبط
 اسمه بفتح الميم واسكان الياء وفتح النون والقاف) ثم بحصن الحليقة واسمه على لفظ
 واحدة العايق ثم بحصن مصيايف (وصادده مهملة) ثم بحصن الكهف وهذه الحصون
 اطائفة يقال لهم الاسماعيلية ويقال لهم الفداوية ولا يدخل عليهم أحد من غيرهم وهم سهام
 الملك الناصر بهم يصيب من يعدو عنه من أعدائه بالعراق وغيرها ولهم المربيات واذا
 أراد السلطان ان يبعث أحدهم الى اغتيال عدوله أعطاه ديتة فان سلم بعد تأتي ما يراد منه
 فهي له وان أصيب فهي لولده ولهم سكاكين مسمومة يضربون بها من بعثوا الى قتله
 وربما لم تصح حيلهم فقتلوا كما جرى لهم مع الامير قراسنقور فانه لما ضرب الى العراق
 بعث اليه الملك الناصر جملة منهم فقتلوا ولم يقدروا عليه لانه بالجزم (حكاية)
 كان قراسنقور من كبار الامراء ومن حضر قتل الملك الاشرف أخى الملك الناصر
 وشارك فيه ولما تمهد الملك للملك الناصر وقر به القرار واشتدت أواخى سلطانه جعل
 يتتبع قتلة أخيه فيقتلهم واحدا واحدا وأظهار الاخذ بثأر أخيه وخوفا أن يتجاسروا
 عليه بما تجاسروا على أخيه وكان قراسنقور أمير الامراء بحلب فكتب الملك الناصر الى
 جميع الامراء أن ينفروا بعساكرهم وجعل لهم ميغادأ يكون فيه اجتماعهم بحلب ونزولهم

عليها حتى يقبضوا عليه فامام فعلوا ذلك خاف قراسنقور ع: نفسه ركان له ثمانمائة مملوك
فركب فيهم وخرج على العساكر صباحاً فاختر قههم وأعجزهم سبقوا كانوا في عشرين ألفاً
وقصد منزل أمير العرب ميثابن عيسى وهو دلي مسيرة يومين من حاب وكان ميثابي
قنص له فقصد يته و نزل عن فرسه وأتى العمامة في عنق نفسه ونادى الجوار يا أمير العرب
وكانت هنالك أم الفضل زوج ميثاب بنت عمه فقالت له قد أجرتك وأجرتنا من معك
فقال أتعلم أطاب أولادى ومالى فقالت له لك ماتحب فانزل في جوارنا ففعل ذلك وأتى ميثاب
فاحسن نزله وحكمه فى ماله فقال ائت أحب أهلى ومالى الذى تركته بحباب فسد عامهنا
ياخوته و بنى عمه مشاورهم فى أمرهم ففهم من أجابه الى ما أراد ومنهم من قال له كيف
نحارب الملك الناصر ونحن فى بلاده بالشام فقال لهم ميثاب أما أنا فأقول لهذا الرجل ما يريد
وأذهب معه الى سلطان العراق وفى ثمان ذلك ورد عليهم الخبر بأن أولاد قراسنقور
سيروا على البريد الى مصر فقال ميثاب انتراسنقور أما أولادك فلاحيلة فيهم وأمامالك
فجتهد فى خلاصه فركب فيمن أطاعه من أهله واستغفر من العرب نحو خمسة وعشرين
ألفاً وقصدوا حاب فأحرقوا باب تاجها وتغابزاعا بها واستخلصوا منها مال قراسنقور
ومن بقى من أهله لم يتمدوا الى سوى ذلك وقصدوا ملك العراق وخزيم أمير حمص
الأنثرو ووصلوا الى الملك محمد بن محمد بنده سلطان العراق وهو بوضع معسيفه المسمى
تراباغ (بنح تناف والراء والياء الموحدة والقبين المعجمة) وهو ما بين السلطانية
وتبريز فأكرم نزلهم وأعطى ميثاب عراق العرب وأعطى قراسنقور مدينة مراغة من
عراق العجم وتسمى دمشق نصفية وأعطى الأفرم همدان وأقاموا عنده مدة مات
فيها الأفرم وعاد ميثاب الى الملك الناصر بسد موثيق وعهوداً أخذها منه وبقى قراسنقور
على حاله وكان الملك الناصر يبحث له الفداوية مرة بعد مرة ففهم من يدخل عليه داره
فيقتل دونه ومنهم من يرمى بنفسه عليه وهوراكب فيضربه وقتل بسببه من الفداوية
جساعة وكان لا يفارق الدرع أبداً ولا ينام الا فى بيت العود والحديد ففعلت السلطان
محمد وولي ابنه أبو سعيد وقع ما سئذ كره من أمر الجوبان كبير أمرائه وفرار ولده

الدمر طاش الى الملك الناصر ووقعت المراسلة بين الملك الناصر وبين ابي سعيد وانفقا
على أن يبعث أبو سعيد الى الملك الناصر برأس قر استقور ويبحث اليه الملك الناصر
برأس الدمر طاش فبعث الملك الناصر برأس الدمر طاش الى أبي سعيد فلما وصله أمر
يحمل قر استقور اليه فمأعرف قر استقور بذلك أن ذخائما كان له مخوفافي داخله سم
ناقع فزع فضه وامتص ذلك السم فمات - لينه فمرف أبو سعيد بذلك الملك الناصر ولم
يبحث له برأسه ثم سافرت من حصون الفداوية الى مدينة جيسلة وهي ذات أنهار مطردة
وأشجار والبحر على نحو ميل منها وبها قبر الولي الصالح الشهير ابراهيم بن أدهم رضي الله
عنه وهو الذي نبذ الملك وانقطع الى الله تعالى حسب ما ظهر ذلك ولم يكن ابراهيم من بيت
ملك كى يرضه الناس انما ورث الملك عن جده أبي أمه وأما أيزه أدهم فكان من الفقراء
الصالحين السائمين المتعبدين الورعين المنقطعين

حكاية أدهم

يذكر انه مر ذات يوم ببساتين مدينة بخارى وتوضأ من بطن الأنهار التي تتخللها قاذ
بتفاحة يحملها ماء النهر فقال هذه لا خطر لها فأكلها ثم وقع في خاطر من ذلك وسواس
فغزم على أن يستحل من صاحب البستان فقرع باب البستان فخرجت اليه مجارية فقال لها
ادعي لي صاحب المنزل فقالت انه لا امرأة فقال استأذني لي عايم اففعات فأخبر المرأة بخبر
التفاحة فقالت له ان هذا البستان نصه على ونصفه لاساطان وواساطان يومئذ باخ وهو
مسيرة عشرة قوس بخارى وأحاطت المرأة من اصفها وذهب الى باخ فاعترض الساطان في
موكبه فأمره ان يمد يده من الفده كان لاساطان بنت بارة الجمال
قد خطبها ابنا الملوك فتمنت - وحبيت اليها العبادة وحب الصالحين وهي تحب أن تتزوج من
ورع زاهد في الدنيا فلما عاد الساطان الى منزله أخبر بنته بخبر أدهم وقال ما رأيت أورع
من هذا يأتي من بخارى الى باخ لاجل نصف تفاحة فرغبت في تزوجه فلما أتاه من الفد
قال لا أحلك الآن تتزوج ببنتي فانتاد لذلك بعد استمضاء وتمنع فتزوج منها فلما دخل
عليها وجدها مزينة والبيت مزين بالفرش وسواها فعمد الى ناحية من البيت وأقبل على

صلاته حتى أصبح ولم يزل كذلك سبع ليال وكان السلطان مأحله قبل فبهث اليه أن يحله فقال لأحدك حتى يقع اجتماعك بزواجك فلما كان الليل واقعها ثم اغتسل وقام إلى الصلاة فصاح صيحة وسجد في مصلاه فوجد ميتاً رحمه الله وحملت منه فولدت إبراهيم ولم يكن لجدّه ولد فأُسند الملائكة اليه وكان من تخليه عن الملك ما اشتهر وعي قبر إبراهيم ابن أدهم زاوية حسنة فيها بركة ماء وبها الطعام لادروا وأوردوا خادمها إبراهيم الجمحي من كبار الصالحين والناس يقصدون هذه الزاوية ليلة الاصف من شعبان من سائر أقطار الشام وقيحون بها ثلاثاً وبقوم بها خارج المدينة سوق عظيم فيه من كل شيء ويقدم الفقراء المتجردون من الآفاق بحضور هذا الموسم وكل من يأتي من الزوار هذه التربة يعطي خادمها شمة فيجتمع من ذلك قناطير كثيرة وأكثر أهل هذه السواحل هم الطائفة التصيرية الذين يعتقدون أن علي بن أبي طالب اله وهم لا يصلون ولا يتطهرون ولا يصومون وكان الملك الظاهر أزمهم بناء المساجد بقراهم فبنوا بكل قرية مسجداً بعيداً عن النار ولا يدخلونه ولا يعمرونه ويرتبا آوت اليه مواشيهم ودوابهم وربما وصل الغريب اليهم فينزل بالمسجد ويؤذن للصلاة فيقولون له لا تنهق عليك يأتيك وعددهم كثير

(حكاية)

ذكر لي أن رجلاً مجبوراً وقع بداره . لطائفة فادعى الهداية وتكاثر واعاياه فوعدهم بملك البلاد وقسم بينهم بلاد الشام وكان يعين لهم البلاد ويأمرهم بالخروج اليها ويعطيهم من ورق الزيتون ويتول لهم استغاثهم وابهاقاتها كالأوامر لكم فاذا خرج أحددهم إلى بلد أحضره أمير حامية قول له ان الامام المهدي أعطاني هذا البلد فيقول له أين الامر فيخرج ورق الزيتون فيضرب ويحبس ثم أنه أمرهم بالتجهيز لقتال المسلمين وأن يسدوا بمدينة جبلة وأمرهم أن يأخذوا عرض السيوف قضبان الآس ووعدهم أنها تصير في أيديهم سيوفاً عند القتال فتدروا مدينة جبلة وأهلها في صلاة الجمعة فدخلوا الدور وهتكوا الحرم ونار المسلمون من مدهم فخذوا السلاح وقتلوهم كيف شاؤوا واتصل الخبر بالاذقية فاقبل أميرها بدر حيداته يسكر دوطيرت الحمام إلى طرابلس

فأتى أمير الأمراء بساكره واتبعوه هم حتى قتلوا منهم نحو عشرين ألفاً وتحصن الباقون بالجبال وراسلوا ملك الأمراء والتزموا أن يعطوه ديناراً عن كل رأس إن هو حاول إبقاءهم. كان الخبر قد طير به الخمام إلى الملك الناصر وصدر جوابه أن يحمل عليهم السيف فراجعهم ملك الأمراء وألقى له أنهم عمال المسلمين في حرثة الأرض وأنهم إن قتلوا ضغف المسلمون لذلك فأمر بالبقاء عليهم ثم سافرت إلى مدينة اللاذقية وهي مدينة عتيقة على ساحل البحر يزعمون أنها مدينة الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا وكانت انما تعدتها لزيارة الولي الربيع عبد المحسن الأندلسي فامام وصاتها وجدته غائبا بالحجاز الشريف فلما أتت من أصحابه الشيخين الصالحين سعيد البجائي ويحيى السلاوي وهما بمسجد علماء الدين بناتها. بعد فضلا الشام وكبرائها صاحب الصدقات والمكارم وكان قد عمر لهم زاوية بقرب المسجد وجمال بها الطعام لا وارد والصادر وقاضيه الفقيه الفاضل جلال الدين عبد الحق المصري المالكي فاضل كريم تمام بطيوان ملك الأمراء فولاه قضاءها.

﴿حكاية﴾

كان باللاذقية رجل يعرف بابن المؤيد هجاء لا يسلم أحد من أسانه منهم في دينه مستخف يتكلم بانقباض من الأحاد فمرضت له حاجة عند طيوان ملك الأمراء فلم يقضها له فقصد مصر وتقول عاياه أمورا شنيعة وعاد إلى اللاذقية فكتب طيوان إلى القاضي جلال الدين أن يحمي في قتله بوجه شرعي فمداه القاضي إلى منزله وباحثه واستخرج كامن الحاد فقتلهم بمظالم أيسرها وجب القتل وقد أعد القاضي الشهود وخاف الحجاب فكتبوا عقدا بمقاله وثبت عند القاضي وسجن وأعلم ملك الأمراء بقضيته ثم أخرج من السجن وحق على بابه ثم لم يلبث أن استأجر طيوان أن عزل عن طرابلس ووايها الحاج قرطية من كبار الأمراء ومن تقدمت له فيها النولية وبينه وبين طيوان عداوة فجعل يتبع سقطاته وقام لديه أخوة ابن المؤيد شاكين من القاضي جلال الدين فأمر به بالشهود الذين شهدوا على ابن المؤيد فاحضروا وأمر بنحقتهم وأخرجوا إلى ظاهرا المدينة حيث يثقب الناس وأجلس

كل واحد منهم تحت مختلفه وزعت عمامتهم ومن عادة امراء تلك البلاد انه متى امر
أحدهم بقتل أحد من الناس يمر الحاكم من مجلس الأمير سباقاً على فرسه الى حيث المأمور
بقتله ثم يمد الى الأمير فيكرراستئذانه يفعل ذلك ثلاثاً فإذا كان بعد الثلاث أنفذ الأمر
فما فعل الحاكم ذلك قامت الامراء في المرة الثالثة وكشفوا رؤسهم وقالوا أيها الأمير
هذه سبة في الاسلام يقتل القاضي والشهود قبل الأمير شفاعتهم وحتى سيابهم وبخارج
اللاذقية الدير المعروف بدير القاروص وهو أعظم دير بالشام ومصر يسكنه الرهبان
ويقصد انصارى من الآفاق وكل من نزل به من المسلمين فالنصارى يغيرونه وطعامهم
الخبز والخبز والزيتون والخل والكبرياء ميناء هذه المدينة عاها ساسانية بين برجين
لا يدخلها أحد ولا يخرج منها حتى تحيط له السلسلة وهي من أحسن المراسي بالشام
سافرت الى حصن المرقب وهو من الحصون العظيمة بمثل حصن الكرك وميناء على
جبل شامخ وخار به روض ينزله انهر به ولا يدخلون قاعته وافتتحه من أشد الروم الملك
المنصور قلاوون وعاليه ولد ابنه الملك الناصر وكان قاضيه برهان الدين المصري من
أفاضل انتفاة وكرماهم ثم سافرت الى الجبل القارع وهو أعلى جبل بالشام وأول
ما يظهر منها من البحر وسكانه التركان وفيه العيون والأنهار وسافرت منه الى جبل لبنان
وهو من أحسن جبال الدنيا فيه أصناف الفواكه وعيون المساء والثلال والافرة ولا ينزلو
من المنقطعين الى الله تعالى والزهاد والمساكين وهو شهر بذلك ورأيت به جماعة من
الصالحين قد انقطعوا الى الله تعالى ممن لم يشتر اسمه
أخبرني بعض الصالحين الذين اتيتهم بمقال كتاب الخصال مع جماعة من الشراة أيام البعد
الشديد فأوقدنا ناراً عظيمة وأخذت نألفها فقال بعض الحاضرين يصاح لهذه النار ما يشوي
فيها فقال أحد الفقراء ممن ترديه الاعمى ولا يهابه في كنت عند صلاة العصر بمعتبداً إبراهيم
ابن ادهم فرأيت بمقربة منه حماراً وحشاً قد أحرقا تلج به من كل جانب وأظنه لا يتدر على
الحراك فلو ذهبتم اليه أقدرتم عليه وشويتم لحمه في هذه النار قال فتمنا اليه في خمسة
رجال فلقيناه كما وصف البنافق بفضله وأتيناه بأصحابنا وذبحناه وأشويناه لحمه في تلك النار

وطبنا الفقير الذي نبه عليه فلم يجده ولا وقفنا له علي أثر نطال عجينا منه ثم وصلنا من جبل لبنان الي مدينة بعليك وهي حسنة قديمة من أطيب مدن الشام تحديقها البساتين الشريفة والجنات المنيفة وتحترق أرضها الانهار الجارية وتضاهي دمشق في خيراتها المتناهية وبها من حب الملوك ما ليس في سواها وبها يصنع الدبس المنسوب اليها وهو نوع من الرب يصنعونه من المنب وطم تربة يضعونها فيه فيجمد وتكسر القالة التي يكون بها فيبقى قطعة واحدة وتصنع منه الحلواء ويجعل فيها الفستق واللوز ويسمون حلواء بالمابن ويسمون بها أيضا بجلد الفرس وهي كثيرة الابان وتجلب منها الي دمشق ويذهبها مسيرة يوم للمجد وأما الرفاق فيخرجون من بعليك فيبيتون ببلدة صغيرة تعرف بالزبداني كثيرة الفواكه ويقدون منها الي دمشق يصنع بعليك اثياب المنسوبة اليها من الالام وغيره ويصنع بها أواني الخشب وملاعق التي لا نظير لها في البلاد وهم يسمون الصحاف بالدسوت وربما صنعوا الصفحة وصنعوا صحفة أخرى تسع في جوفها وأخرى في جوفها الي ان يبالغوا العشرة فيخيل لرائيها انها صحفة واحدة وكذلك الملاعق يصنعون نهائة عشرة واحدة في جوف واحدة ويصنعون لها غشاء من جلد ويمسكها الرجل في يذامه واذا حضر طعاما مع أصحابه أخرج ذلك فيخزن رائيه انها مائة واحدة ثم يخرج من جوفها تسعة وكان دخول بعليك عشية النهار وخرجت منها لندول فرط اشتياقي الي دمشق ووصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عام ستة وعشرين الي مدينة دمشق الشام فزات منها بمدرسة الملكة المعروفة بانشر ابشية ودمشق هي التي تفضل بيع البلاد حسنة وتتقدمها جلا واكل وصف وان طال فهو قاصر عن محاسنها وان ادعى مما قاله أبو الحسين ابن جبير رحمه الله تعالى في ذكرها قل وأما دمشق فهي جنة المشرق ومطلع نورها المشرق وخاتمة بلاد الاسلام التي استقر فيها وعروس المدن التي اجتليتها قد تحلت بازاهير الرياحين وتجت في حالي سندسية من البساتين وحلت من موضع الحسن بالمكان المكين وتزينت في منصفها أجمل تزيين وتشرفت بأن آوى المسيح عليه السلام وأمه منها الي ربوة ذات قرار ومعين ظل ظليل وماء سلسيل تناسبه

مذاذيه انسياب الارقام؛ كل سبيل ورياض يحجي النفوس نسيمها العليل تتبرج لناظرها
بمجتلى صقيل وتناديهم هاموا الي معربس لاحسن ومقيل وقد شمت أرضها كثرة
الماء حتى اشتاقت الي الظماء فتكاد تناديك بها الصم الصلاب أركض برجلك هذا
مغتسل بارد وشراب وقد أحقت البساتين بها احداق الهالة بالقمر والا كام بالثمر
وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر وكل موضع لحظت بجهاها الاربع
نضرت اليه اليانة قيد البصر ولله صدق القائلين عنها ان كانت الجنة في الارض فدمشق
لا شك فيها وان كانت في السماء فهي تساميا وتحاذيها قال ابن جزى وقد نظم بعض
شعرائهم في هذا المعنى فقال

ان تكن جنة الخلود بأرض * فدمشق ولا تكون سواها
أو تكن في السماء فهي عليها * قد أبدت هواءها وهواها
بلد طيب ورب غفور * فاعتمها عشية ونهارها

وذكر شيخنا المحدث الرحال شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر بن حسان التيسري
الوادي أشي نزيل تونس ونص كلام ابن جبير ثم قال ولقد أحسن فيما وصف منها وأجاد
وتوق الأنفس للتطاع على صورتها بما أفاد هذا وان لم تكن له بها اقامه فيعرب عنها
بحقيقة علامه ولا وصف ذهيبات أصيائها وقد حان من الشمس غروبها ولا زمان
جفوها المتنوعات ولا أوقات سرورها المنبهات وقد احتص من قال الفيتما كما تصف
الألسن وفيها ما تشبهه الأنفس وتلذ الأعين قال ابن جزى والذي قالته الشعراء في
وصف محاسن دمشق لا يحصر كثرة وكان والذي رحمه الله كثيرا ما ينشد في وصفها هذه
الابيات وهي لشرف الدين بن محسن رحمه الله تعالى

دمشق بناشوق اليها مبرح * وان لج واش أو ألح عذول
بلاد بها الحصباء دروتربها * غير وأنقاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل

وهذا من النظم العالي من الشعر وقال فيها عروة الدمشقي الكلابي (كامل)

الشام شامة وجنة الدنيا كما * انسان مقلتها الغضيفة جلق
من آسها لك جنة لا تنقذ * ومن الشقيق جهنم لا تحرق

وقال أيضا فيها (بسيط)

اما دمشق فجنات معجلة * لاطالين بها الولدان والخور
ما صاح فيها سلى أوتاره قر * الا يئنه قمرى وشحرور
باحبذا ودروع الماء تنسجها * أنامل الريح الا انها زور

وله فيها أشعار كثيرة سوى ذلك وقال فيها أبو الوحش سبع بن خلف الاسدي (رجز)

سقى دمشق الله غيثا محسنا * من مستهل ديمة دهاقها
مدينة ايس يضاها حسنها * في سائر الدنيا ولا آفاقها
تود زورا العراق انها * منها ولا تعزى الى عراقها
فأرضها مثل السما بهجة * وزهرها كالزهر في اشراقها
نسيم روضها متى ما قدسرى * فكأخا لهموم من وثاقها
قدر تبع الريح في ربوعها * وسيقت الدنيا الى أسواقها
لا تسمم العيون والانوف من * رؤيتها يوما ولا تستنشقها

ومما يناسب هذا القاضى الفاضل عبد الرحيم اليسانى فيها من قصيدة وقد نسبت أيضا
لابن المنير (كامل)

يا برق هل لك في احتمال تحية * عذبت فصارت مثل مائك سلسلا
باكر دمشق بمشق اقلام الحيا * زهر الرياض مرصعا ومكلا
واجرد بجيرن ذيولك واختصص * مغنى تآزر بالعلا وتسربلا
حيث الحيا الربيع محلول الحيا * والوابل الرقي مفرى الكلا

وقال فيها أبو الحسن على بن موسى بن سعيد العنسي الغرناطي المدعو نور الدين (بسيط)

دمشق منزلنا حيث النسيم بدا * مكلا وهو فى الآفاق محصر
القصب راقصة والطير صادحة * والزهر مرتفع والماء منحدر

وقد تجلت من الازدات أوجهها * لكنها بظلال الدوح تستتر
وكل واديه موسى يفجره * وكل روض على حافته الحضر

وقال أيضا فيها (بسيط)

خيم بجاق بين الكأس والوتر * في جنة هي ملء السمع والبصر
ومتع الطرف في مرأى محاسنه * وروض السكر بين الروض والنهر
وانظر الي ذهبيات الاصيل بها * واسمع الى نعمات الطير في الشجر
وقل لمن لام في لذاته بشرا * دعني فانك عندي من سوى البشر

وقال فيها أيضا (كامل)

أما دمشق فجنة * ينسي بها الوطن الغريب
لله أيام السبو * تبها ومنظرها العجيب
انظر بعينك هل تري * الا محبا أو حبيب
في موطن غنى الحما * مبه على رقص القضيبي
رغدت ازاهر روضه * تحال في فرح وطيب

وأهل دمشق لا يعملون يوم السبت عملا انما يخرجون الى المنزهات وشطوط الانهار
ودوحات الاشجار بين البساتين النضيرة والمياه الجارية فيكونون بها يومهم ثم الى الليل وقد

طال بنا الكلام في محاسن دمشق فلنرجع الى كلام الشيخ ابي عبد الله

«ذكر جامع دمشق المعروف بجامع بني أمية»

وهو أعظم مساجد الدنيا احتفالا وأتقن اصناعة وابديها حسنا وبهجة وكالا ولا يعلم له
نظير ولا يوجد له شبيه وكان الذي تولى بناءه واتفقانه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن
سروان ووجه الى ملك الروم بقسطنطينية يأمره ان يبعث اليه الصناع فبعث اليه اثني عشر
الف صانع وكان موضع المسجد كنيسة فاما اقتتح المسلمون دمشق دخل خالد بن الوليد
رضي الله عنه من احدى جهاتها بالسيف فاتمهي الى نصف الكنيسة ودخل أبو عبيدة بن
الجراح رضي الله عنه من الجهة الغربية صلحها فاتمهي الى نصف الكنيسة فصنع المسلمون

من نصف الكنيسة الذي دخلوه عنوة مسجد أو بقي النصف الذي صالحوا عليه كنيسة فلما عزم الوليد على زيادة الكنيسة في المسجد طلب من الروم ان يبيعوا منه كنيسة لهم تلك بمساواة امن عوض فأبوا عليه فانتزعها من أيديهم وكانوا يزعمون ان الذي يهدمها يحزن فذكروا ذلك للوليد فقال انا اول من يحزن في سبيل الله وأخذ الفأس وجعل يهدم بنفسه فلما رأى المسلمون ذلك تابعوا على الهدم وأكذبوا زعم الروم وزين هذا المسجد بقصور الذهب المنروقة بالنسيفساء تخاطبها أنواع الاصبغة الغربية الحسن وذرع المسجد في الطول من الشرق الى الغرب مائة خطوة وهي ثلاثمائة ذراع وعرضه من القبلة الى الجوف مائة وخمس وثلاثون خطوة وهي مائة ذراع وعدد شمسات الزجاج الملونة التي فيه أربع وسبعون وبلاطاته ثلاثة مستطيلة من شرق الى غرب سبعة كل بلاط منها ثمان عشرة خطوة وقد قامت على أربع وخمسين سارية وثماني أرجل جصية تحللها وست أرجل مربعة مربعة بالرغام الملون قدحسور فيها اشكال محاريب وسواها وهي مثل قبة الرصاص التي امام المحراب المسماة بقبة النسر كأنهم شبهوا المسجد بنسرا طائر او الة رأسه وهي من أعجب مباني الدنيا ومن أي جهة استقبلت المدينة بدت لاث قبة النسر ذاهبة في الهواء منيفة على جميع مباني البلد وتستدير بالصحن بلاطات ثلاثة من جهاته الشرقية والغربية والجوفية سعة كل بلاط منها عشر خطا وبها من السواري ثلاث وثلاثون ومن الارجل أربع عشرة وسعة الصحن مائة ذراع وهو من أجمل المناظر وأتمها حسنا وبها يجتمع أهل المدينة بالمشايخ قاري ومحدث وذاهب ويكون انصرافهم بعد العشاء الاخيرة واذا لقي أحد كبارهم من الفقهاء وسواهم صاحب الدار سرع كل منهما نحو صاحبه وخط رأسه وفي هذا الصحن ثلاث من القباب احداها في غربيه وهي أكبرها وتسمى قبة عائشة أم المؤمنين وهي قائمة على ثمان سواري من الرغام منخرقة بالفصوص والاصبغة الملونة مسقفة بالرصاص يقال ان ما ان الجامع كان يحترق بها وذكركلي ان فوائده مستنلات الجامع ومجايبه نحو خمسة وعشرين الف دينار ذهباني كل سنة والقيمة الثانية من شرقي الصحن على هيئة الاخرى الا انها أصغر منها قائمة على ثمان من سواريه

الرخام وتسمى قبة زين العابدين والقبة الثالثة في وسط المسجد وهي صغيرة مشتمنة من
 رخام عجيب محكم الاصاق قائمة على أربع سوارى من الرخام الناصع وتحتها شباك حديد
 في وسطه أنبوب نحاس ينج المَاء الى علو فيرتفع ثم ينثنى كأنه قضيب لحين وهم يسمونه
 قفص المَاء ويستحسن الناس وضع افواههم فيه لا لشرب وفي الجانب الشرقي من المسجد
 باب يفتى الى مسجد بديع الوضع يسمى مشهد على بن أبي طالب رضي الله عنه ويقابله من
 الجهة الغربية حيث يلتقي البساطان الثربي والجوفي موضع يقال ان عائشة رضي الله عنها
 سمعت الحديث هناك وفي قبلة المسجد المقصورة العظمى التي يؤم فيها امام الشافعية وفي
 الركن الشرقي منها ازاء المحراب خزانة كبيرة فيها المصحف الكريم الذي وجهه أمير
 المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه الى الشام وتفتح تلك الخزانة كل يوم جمعة بعد الصلاة
 فيزدحم الناس على اتم ذلك المصحف الكريم وهناك يحلف الناس غرماء دم ومن ادعوا
 حاه شياً وعن يسار المقصورة محراب الصحابة ويذكر أهل التاريخ انه اول محراب وضع
 في الاسلام وفيه يؤم امام المالكية وعن يمين المقصورة محراب الخفية وفيه يؤم امامهم
 ويليه محراب الخنابلة وفيه يؤم امامهم ولهذا المسجد ثلاث صوامع احداها بشارقية وهي
 من بناء الروم وبابها داخل المسجد وباسفها مطهرة وبيوت للوضوء يغتسل فيها
 المعتكفون والماتزمون للمسجد ويتوضؤون والصومعة الثانية بغربية وهي أيضا من بناء
 الروم والصومعة الثالثة بشماله وهي من بناء المسلمين وعدد المؤذنين به سبعون مؤذنا وفي
 شرق المسجد مقصورة كبيرة فيها صهريج ماء وهي لطائفة الزياعة السودانية وفي وسط
 المسجد قبر زكريا عليه السلام وعليه تابوت معترض بين اسطواناتين مكسوة بثوب حرير
 اسود مع لم فيه مكتوب بالايض (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى) وهذا المسجد
 شهر الفضل وقرأت في فضائل دمشق عن سفيان الثوري ان الصلاة في مسجد دمشق
 بتلاتين ألف صلاة وفي الاثر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يعبد الله فيه بعد خراب
 الدنيا أربعين سنة ويقال ان الجدار القبلي منه وضعه نبي الله هو وعليه السلام وان قبره به
 وقد رأيت على مقربة من مدينة ظفار اليمن بموضع يقال له الاحقاف بنية فيها قبر مكتوب

عليه هذا قبر هود بن عابر صلى الله عليه وسلم ومن فضائل هذا المسجد انه لا يخلو عن قراءة القرآن والصلاة الا قليلا من الزمان كما سئذ كره والناس يجتمعون به كل يوم اثر صلاة الصبح فيقرؤون سبعا من القرآن ويجتمعون بعد صلاة العصر اقراء تسمى الكوثرية يقرؤون فيها من سورة الكهول الى آخر القرآن وتجمعهم بين على هذه القراءة مرتبات تجرى لهم وهم نحو ستمائة انسان ويدور عليهم كاتبة الغيبة فمن غاب منهم قطع له عند دفع المرتب بقدر نذيته وفي هذا المسجد جماعة كثيرة من المجاورين لا يخرجون منه مقبلون على الصلاة والقراءة والذكر لا يفترون عن ذلك ويتوضئون من المطامر التي بداخل الصومعة الشرقية التي ذكرناها وأهل البلد يعينونهم بالمعاعم والملابس من غير أن يسألوهم شيئا من ذلك وفي هذا المسجد أربعة أبواب باب قبلي يعرف بباب الزيادة وباعلام قطعة من الرمح الذي كانت فيه راية خالد بن الوليد رضي الله عنه ولهذا الباب دهايز كبير متسع فيه حوانيت السقاطين وغيرهم ومنه يذهب الى دار الخيل وعن يسار الخارج منه سماط الدفارين وهي سوق عظيمة تمتد مع جدار المسجد اقبلي من أحسن اسواق دمشق وبموضع هذه السوق كانت دار معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ودور قومه وكانت تسمى الخضراء فهدمها بنو العباس رضي الله عنهم وسار مكانها سوقا وباب شرقي وهو أعظم أبواب المسجد ويسمى بباب جيرون وله دهايز عظيم يخرج منه الى بلاط عظيم طويل امامه خمسة أبواب لها ستة أعمدة طوال وفي جهة اليسار منه مشهد عظيم كان فيه رأس الحسين رضي الله عنه وبازائه مسجد صغير ينسب الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وبه ما جاور وقد اتظمت امام البلاط درج ينحدر فيها الى الدهايز وهو كالخندق العظيم يتصل بباب عظيم الارتفاع تحته اعمدة كالجدوع طوال وبجانب هذا الدهايز اعمدة قد قامت عليها اشوارع مستديرة فيها دكاكين البزازين وغيرهم وعليها اشوارع مستطيلة فيها حوانيت الجوهريين والكتبيين وصناع أواني الزجاج العجيبة وفي الرحبة المتصلة بالباب الاول دكاكين لكبار الشهود منها دكانان للشافعية وسائر اصحاب المذاهب يكون في

أما كان منها الخمسة والستة من العدول والعاقلة لانكحة من قبل القاضي وسائر الشهود
 مفترقون في المدينة وبمقربة من هذه الدكاكين سوق الوراقين الذين يبيعون الكاغد
 والاقلام والمسداد وفي وسط الدهليز المذكور حوض من الرخام كبير مستدير عليه قبة
 لا سقف لها تقام الأعمدة رخام وفي وسط الحوض أبواب نحاس يزجج الماء بقوة فيرتفع
 في الهواء تزيد من قامة الانسان يسمونه الفوارة منظره عجيب وعن يمين الخارج من باب
 جيرون وهو باب الساعات غرفة لها هيئة طاق كبير فيه طيقان صفراء مفتحة لها أبواب
 على عدد ساعات النهار والأبواب مصبوغة باطنها بالخضرة وظاهرها بالصفرة فإذا ذهبت
 ساعة من النهار انقلب الباطن الأخضر ظاهرا والظاهر الأصفر باطنا ويقال ان بداخل
 الغرفة من يتولى إلهائها يده عند مضي الساعات والباب الغربي يعرف باب البريد وعن
 يمين الخارج منه مدرسة الشافعية وله دهليز فيه حوائط لائمه عين وسماط لبيع الفواكه
 وباعلام باب اسمه في درج له اعمدة سامية في الهواء وتحت الدرج سقاية تان عن يمين
 وشمال مستديرة الباب الجوي يعرف باب النطاغانيين وله دهيز عظيم وعن يمين
 الخارج منه خاتمة تعرف بالشميعانية في وسطها صهريج ماء ولها مطاهر يجري فيها الماء
 ويقال انها كانت دار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وعلى كل باب من أبواب المسجد
 الأربعة دار وضوء يكون فيها نحو مائة بيت تجري فيها المياه الكثيرة
 ﴿ذكر الأئمة بهذا المسجد﴾

وأئمة ثلاثة عشر إماما أولهم إمام الشافعية وكان في عهد دخولي اليها إمامهم قاضي القضاة
 جلال الدين محمد بن عبد الرحمن التزويني من كبار الفقهاء وهو الخطيب بالمسجد وسكنه
 بدار الخطابة ويخرج من باب الحديد ازاء المقصورة وهو الباب الذي كان يخرج منه معاوية
 رضي الله عنه وقت تولى جلال الدين بعد ذلك قضاء القضاة بالديار المصرية بعد ان أدى عنه
 الملك الناصر نحو مائة الف درهم كانت عليه ديناً بدمشق وإذا سلم إمام الشافعية من صلواته
 أقام الصلاة إمام مشهد علي ثم إمام مشهد الحسين ثم إمام الكلاسة ثم إمام مشهد أبي بكر ثم
 إمام مشهد عمر ثم إمام مشهد عثمان رضي الله عنهم أجمعين ثم إمام المالكية وكان إمامهم

في عهد دخولي إليها الفقيه أبي عمر بن أبي أيوب الدين الحاج التجيبي القرطبي الأصل
الغرناطي المولد نزيل دمشق وهو يتأوب بالإمامة مع أخيه رحمه الله ثم إمام الحنفية
وكان إمامهم في عهد دخولي إليها الفقيه عماد الدين الحنفي المعروف بابن الرومي وهو من
كبار الصوفية وله شاخوخ الحنفية وله أيضاً خاتمة الشرف الأعلى ثم إمام الحنابلة
وكان في ذلك العهد الشيخ عبد الله الكفيف أحد سيوخ القراءة بدمشق ثم بعد هؤلاء
خمسائة لقضاء الفوائت فلا تزال الصلاة في هذا المسجد من أول النهار إلى ثلث الليل
وكذلك قراءة القرآن وهذا من مفاخر هذا الجامع المبارك

﴿ذكر المدرسين والمعلمين به﴾

ولهذا المسجد حائقات التدريس في قون تعلم والحدثون يقرؤون كتب الحديث على
كراسي مرتفعة وقراء القرآن يقرؤون بالأصوات الحسنة صباحاً ومساءً وبه جماعة من
المعلمين لكتاب الله يستند كل واحد منهم إلى سارية من سوارى المسجد يلقن الصبيان
ويقرئهم وهم لا يكتبون القرآن في الألواح تنزيهاً لكتاب الله تعالى وإنما يقرؤون القرآن
تلقيناً ومعلم الخط غير معلم القرآن يعلمهم بكتب الأشعار وسواها فينصرف الصبي من
التعليم إلى التكتيب وبذلك جاد خطه لأن المعلم لا يخط لا يعلم غيره ومن المدرسين بالمسجد
المذكور العالم الصالح زهران الدين بن الفركح الشافعي ومنهم العالم الصالح نور الدين أبو
اليسر بن الصائغ من المشتهرين بالفضل والصلاح وذلك ولي القضاء بمصر جلال الدين
القزويني وجهه إلى أبي اليسر الحامة والأمر بقضاء دمشق فامتنع من ذلك ومنهم الإمام
العالم شهاب الدين بن جليل من كبار العلماء هرب من دمشق لما امتنع أبو اليسر من
قضائها خوفاً من أن يقلد القضاء فاتصل بذلك بالملك الناصر فولى قضاء دمشق شيخ
الشيوخ بالديار المصرية قطب العارفين لسان المتكلمين علاء الدين القونوي وهو من
كبار الفقهاء ومنهم الإمام الفاضل بدر الدين علي السخاوي المالكي رحمة الله
عليهم أجمعين

﴿ذكر قضاء دمشق﴾

قد ذكرنا قاضي القضاة الشافعي بها جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني وأما قاضي المالكية فهو شرف الدين بن خطيب الفيوم حسن الصورة والهيئة من كبار الرؤساء وهو شيخ شيوخ الصوفية والنائب عنه في القضاة شمس الدين بن القفصى ومجلس حكمه بالمدرسة الصمصامية وأما قاضي قضاة الحنفية فهو عماد الدين الحوراني وكان شديد السطوة واليه يحاكم النساء وأزواجهن وكان الرجل إذا سمع اسم القاضي الحنفى أنصف من نفسه قبل الوصول إليه وأما قاضي الحنابلة فهو الإمام الصالح عز الدين بن مسلم من خيار القضاة ينصرف على حمائله ومات بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً لمسا توجه له حجاز الشريف

﴿حكاية﴾

وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير الشام يتكلم في الفنون إلا أن في عقله شياً وكان أهل دمشق يعظمونه أشد التعظيم ويعظمهم على المنبر وتكلم مرة بأمراء أنكره الفقهاء ورفعوه إلى الملك الناصر فأمر بأمره فخاصه إلى القاهرة وجمع القضاة والفقهاء بمجلس الملك الناصر وتكلم شرف الدين الزواوي المالكي وقال إن هذا الرجل قال كذا وكذا وعد ما أنكر على ابن تيمية وأحضر العقود بذلك ووضعها بين يدي قاضي القضاة وقال قاضي القضاة لابن تيمية ما تقول قال لا إله إلا الله فأعاد عليه فأجاب بمثل قوله فأمر الملك الناصر بسجنه فسجن أعواماً وصنف في السجن كتاباً في تفسير القرآن سماه بالبحر المحيط في نحو أربعين مجلداً ثم إن أمه تعرضت للملك الناصر وشكت إليه فأمر بإطلاقه إلى أن وقع منه مثل ذلك ثانية وكنت إذ ذاك بدمشق فحضرت يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه أن قال إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة من درج المنبر فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وأنكر ما تكلم به فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والأعمال ضرباً كثيراً حتى سقطت عمامته وظهر على رأسه شاشية حرير فأنكر وأعليه لباسها واحتملوه إلى دار عز الدين بن مسلم قاضي الحنابلة فأمر بسجنه وعزله بعد ذلك فأنكر فقهاء المالكية والشافعية ما كان من تعزيره ورفعوا الأمر إلى ملك الأمراء سيف الدين

تسكين وكان من خيار الامراء وصالحتهم فكتب الى الملك الناصر بذلك وكتب عقدا شرعيا على ابن تيمية بامور متكررة منها ان المطلق بالثلاث في كلمة واحدة لا تلزمه الاطلاق واحدة ومنها المسافر الذي ينوي سفره زيارة القبر الشريف زاده الله طيبا لا يقصر الصلاة وسوى ذلك مما يشبهه وبعث العقد الى الملك الناصر فامر بسجن ابن تيمية بالقلمة فسجن بها حتى مات في السجن

﴿ذكر مدارس دمشق﴾

اعلم ان لشافعية بدمشق جملة من المدارس اعظمها العادلية وبها يحكم قاضي القضاة وتقابلها المدرسة الظاهرية وبها يقبض الملك الظاهر وبها جلوس نواب القاضي ومن نوابه نجر الدين القبطي كان والده من كتاب القبط واسلم ومنهم جمال الدين بن جملة وقد تولي قضاء قضاة الشافعية بعد ذلك وعزل لامرا أو جب عزله

﴿حكاية﴾

كان بدمشق الشيخ الصالح ظهير الدين العجمي وكان ينف الدين تسكين ملك الامراء يتلمذ له ويعظمه فحضر يوما بدار العدل عند ملك الامراء وحضر القضاة الاربعة فحكي قاضي القضاة جمال الدين بن جملة حكاية فقال له ظهير الدين كذبت فأنت القاضي من ذلك وامتض له فقال الامير كيف يكذبني بحضرتك فقال له الامير احكم عليه وسلمه اليه وظنه انه رضي بذلك فلا يناله بسوء فأحضره القاضي بالمدرسة العادلية وضر به مائتي سوط وطيف به على حمار في مدينة دمشق ومنادين ينادي عليه ففرغ من نداءه ضربه على ظهره ضربة وهكذا العادة عندهم فبلغ ذلك ملك الامراء فأنكره أشد الانكار وأحضر القضاة والفقهاء فأجمعوا على خطا القاضي وحكمه بغير مذهب فان التعزير عند الشافعي لا يبلغ به الحد وقال قاضي القضاة المالكية شرف الدين قد حكمت بتفسيقه فكتب الى انلك الناصر بذلك فعزله وللاحنفية مدارس كثيرة وأكبرها مدرسة السلطان نور الدين وبها يحكم قاضي قضاة الحنفية والمالكية بدمشق ثلاث مدارس احداها المصامية وبها سكن قاضي القضاة المالكية وقعوده للاحكام والمدرسة التورية عمرها

السلطان نور الدين محمود بن زنكي والمدرسة الشراشية عمرها شهاب الدين الشراشبي
التاخر وللحنابلة مدارس كثيرة اعظمها المدرسة النجمية
(ذكر أبواب دمشق)

ومدينة دمشق ثمانية أبواب منها باب الفراديس ومنها باب الحايية ومنها الباب الصغير
وقيامين هذين البابين مقبرة فيها العديد من الصحابة والشهداء فمن بعدهم قال محمد
ابن جزى لقد أحسن بعض المتأخرين من أهل دمشق في قوائمه

دمشق في أوصافها * جنة خلد راضيه

أما ترى أبوابها * قد جعلت ثمانية

(ذكر بعض المشاهد والمزارات بها)

فمنها بالمقبرة التي بين البابين باب الحايية والباب الصغير قبر أم حبيبة بنت أبي سفيان أم
المؤمنين وقبر أخيها أمير المؤمنين معاوية وقبر بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورضى الله عنهم أجمعين وقبر أويس القرني وقبر كعب الأحبار رضى الله عنهم ما وجدت
في كتاب العلم في شرح صحيح مسلم لأقرطبي أن جماعة من الصحابة صحبهم أويس القرني
من المدينة إلى الشام فتوفي في أثناء الطريق في بركة لا عمارة فيها ولا ماء فتحيروا في أمره
فتزكروا فوجدوا حنوطا وكفنا وما فزعجوا من ذلك وغسلوه وكفنوه وصاوا عليه
ودفنوه ثم ركبوا فقال بعضهم كيف نترك قبره بغير علامة فمادوا ثم وضع فلم يجدوا القبر
من أثر قال ابن جزى ويقال أن أويسا قتل بصفين مع علي عليه السلام وهو الأصح أن شاء
الله ويلي باب الحايية باب شرقي عنده جبانة فيها قبر أبي بن أمية صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفيها قبر العابد الصالح رسلان المدروف بالباز الاشهب

(حكاية في سبب تسميته بذلك)

يحكى أن الشيخ الولي أحمد الرفاعي رضي الله عنه كان مسكنه بام عبيدة بمقربة من مدينة
واسط وكانت بين ولي الله تعالى أبي مدين شعيب بن الحسين وبينه وواخاة ومراسلة
ويقال إن كل واحد منهما كان يسلم على صاحبه باحاً ومساء فيرد عليه الآخر وكانت

لاشيخ أحمد نخيلات عند زاويته فلما كان في إحدى السنين جذها على عادته وترك تذقا
 منها وقال هذا برسم أخي شبيب فحج الشيخ أبو مدين تلك السنة واجتمعوا بالموقف الكريم
 بعرفة ومع الشيخ أحمد خديعة رسلان فتفاوضا الكلام وحكي الشيخ حكاية العذق فقال
 بهر الان عن أمرك ياسيدي آتية به فأذن له فذهب من حينه وأتاه به ووضع بين أيديهما
 فأخبر أهل الزاوية أنهم رأوا عشيية يوم عرفة بازاء شهاب قد انقض على النخلة فقطع
 ذلك العذق وذهب به في الهواء وبغري دمشق جبانة تعرف بقبور الشهداء فيها قبر أبي
 الدرداء وزوجة أم الدرداء وقبر فضالة بن عبيد وقبر وائلة بن الاسقع وقبر سهل بن
 حنظلة من الذين نأيموا تحت الشجرة رضى الله عنهم أجمعين وبقرية تعرف بالتيحة شرقي
 دمشق وعلى أربعة أميال منها قبر سمدين تبادنة رضى الله عنه وعليه مسجد صغير حسن
 البناء وعلى رأسه حجر فيه مكتوب هذا قبر سعد بن عباد رأس الخرزج صاحب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم تسيما وبقرية قبلي البلد وعلى فرسخ منها شهاد أم كلثوم بنت علي بن
 أبي طالب من فاطمة عليهم السلام ويقال ان اسمها زينب وكنىها النبي صلى الله عليه وسلم
 أم كلثوم اسبها بنحو أنها أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه مسجد كبير
 وحوله مساكن وله أوقاف ويسميه أهل دمشق قبر الست أم كلثوم وقبر آخر يقال انه قبر
 سكينه بنت الحسين بن علي عليه السلام وبجامع الزيرب من قري دمشق في بيت بشريه قبر
 يقال انه قبر أم مريم عليها السلام وبقرية تعرف بداريا غربي البلد وعلى أربعة أميال منها
 قبر أبي مسلم الخولاني وقبر أبي سليمان الداراني رضى الله عنهما ومن مشاهد دمشق
 الشهيرة البركة مسجد الأقدام وهو في قبلي دمشق على مياين منها على قارعة الطريق
 الأعظم الآخذ الى الحجاز الشريف والبيت المقدس وديار مصر وهو مسجد عظيم
 كثير البركة وله أوقاف كثيرة ويعظمه أهل دمشق تعظيما شديدا والأقدام التي ينسب اليها
 هي أقدام مصورة في حجر هنالك يقال انها أثر قدم موسى عليه السلام وفي هذا المسجد
 بيت صغير فيه حجر مكتوب عليه كان بعض الصالحين يرى المصطفى صلى الله عليه وسلم في
 النوم فيقول له ههنا قبر أخي موسى عليه السلام وبمقربة من هذا المسجد على الطريق

موضع يعرف بالكثيب الأحمر وبقرية من بيت المقدس وأريحا موضع يعرف أيضاً
بالكثيب الأحمر تعظيمة اليهود (حكاية)

شاهدت أيام الطاعون الأعظم بدمشق في أواخر شهر ربيع الثاني سنة تسع وأربعين من
تعظيم أهل دمشق لهذا المسجد ما يعجب منه وهو أن ملك الأمراء نائب السلطان أرغون
شده أمر منادياً ينادي بدمشق أن يصوم الناس ثلاثة أيام ولا يضيخ أحد بالسوق ما يؤكل
نهاراً أو أكثر الناس بها إنما ياكلون الطعام الذي يصنع بالسوق فصام الناس ثلاثة أيام متوالية
كان آخرها يوم الخميس ثم استمع الأمراء والشرفاء والنقطة والعقهاء وسائر الطبقات على
احتياط في الجامع حتى غص بهم وباتوا ليلة الجمعة به ما بين معانٍ وذاكرٍ وداع ثم صلوا
المسبح وخرجوا جميعاً على أقدامهم وبأيديهم المنصاحف والأمراء حفافة وخرج جميع
أهل البلد كوراً أو ناعماً أو كباراً أو خراج اليهود بتوراتهم والصغارى بأنجيلهم ومعهم
أساءة والبرادان وجميعهم باكون مضرعون متوسلون إلى الله بكتبته وأنبيائه وقصدها
مسجد الأقدام وأقاموا به في تضرعهم ودعائهم إلى قرب الزوال وعادوا إلى البلد فصلوا
الجمعة وختم الله تعالى عنهم ما انتهى عدد الموتى إلى اثنين في اليوم الواحد وقد انتهى
عدد بانه هرقة مصر إلى أربعة عشرين الثاني يوم واحد وبالباب الشرقي من دمشق
منارة يضاء يقال لها التي ينزل عيسى دايه السلام عند احتسابها ورد في صحيح مسلم

(ذكر أرباض دمشق)

وندور بدمشق من جهاتها ما عندا الشرقية أرباض نسيحة الساحات دواخلها أملاح من
داخل دمشق لأجل الضيق الذي في سككها بالحجارة النسيحية، ثم أرباض الصالحية وهي
مدينة عظيمة مسورة لا نظير لحسنه وفيها مسجد جامع ومارستان وبها مدرسة تعرف
بمدرسة ابن عمر موقوفة على من أراد أن يتعلم القرآن الكريم من الشيوخ والكهول
وتجري لهم ولمن يعاينهم كفايتهم من المال كل والملابس ويدخل البلد أيضاً مدرسة مثل
هذه تعرف بمدرسة ابن منجا وأهل الصالحية كلهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل
رضي الله عنه (ذكر قاسيون ومشاهد الأباركة)

وقاسيون جبل في شمال دمشق والصالحية في سفحه وهو شهر البركة لانه مصعد الانبياء
عليهم السلام ومن مشاهد الكريمة الغار الذي ولد فيه ابراهيم الخليل عليه السلام وهو
غار مستطيل ضيق عليه مسجد كبير وله سومة عالية ومن ذلك الغار رأى الكوكب
والقمر والشمس حسبما ورد في الكتاب العزيز وفي ظهر الغار مقامه الذي كان يخرج اليه
وقد رأيت بيلا العراق قرية تعرف ببرص (بضم الباء الموحدة وآخرها صاده مهمل)
ما بين الحلة وبغداد يقال ان مولدا ابراهيم عليه السلام كان بها وهي بمقربة من بلذذ الكفل
عليه السلام وسها قبره ومن مشاهدته بالقرب منه مغارة الدم وفوقها الجبل دم هابيل بن
آدم عليه السلام وقد أبقى الله منه في الحجاراة أثر احمر او هو الموضع الذي قتله اخوه به
واجتره الي المغارة ويذكر ان تلك المغارة صلى فيها ابراهيم وموسى وعيسى وأيوب ولوط
صلى الله عليهم أجمعين وعليهم مسجد متقن البناء يصعد اليه على درج وفيه بيوت ومرافق
للسكنى ويفتح في كل يوم اثنين وخميس والشمع والسررج توقد في المغارة ومنها كمف
بأعلى الجبل ينسب لآدم عليه السلام وعليه بناء وأسفل منه مغارة تعرف بمغارة الجوع
يذكر انه آوى اليه اسجدون من الانبياء عليهم السلام وكان عندهم رغيغ فلم يزل يدور
عليهم وكل منهم ينثر ما حبه به حتى ماتوا جميعا صلى الله عليهم وعلى هذ المغارة مسجد
مبنى والسرج تقده اياما ونهارا ولكل مسجد من هذه المساجد أوقاف كثيرة معينة
ويذكر ان فيما بين باب الفراءديس وجامع قاسيون مدفن سبع مائة نبي و بعضهم يقول
سبعين ألفا وخارج المدينة المقبرة العتيقة وهي مدفن الانبياء والصالحين وفي صرفها تماثيل
البساتين أرض منخفضة غاب عليها الماء يقال انها مدفن سبعين نبيا وقد عادت قرارا
لأما ونزهت من ان يدفن فيها أحد

﴿ ذكر الربوة والقرى التي تواليها ﴾

وفي آخر جبل قاسيون الربوة المباركة المذكورة في كتاب الله ذات القرار والمعين ومأوى
المسيح عيسى وأمه عليهم السلام وهي من أجمل مناظر الدنيا ومنزهاتها ربها القصور
المشيقة والمباني الشريفة والبساتين البديعة والمأوى المبارك مغارة صغيرة في وسطها

كالبيت الصغير وازاءها بيت يقال انه مصلى الخضر عليه السلام يبادر الناس الى الصلاة
 فيها ولما رى باب حديد صغير والمسجد يدور به وله شوارع دائرية وسبعة حكمة ينزل
 لها الماء من علو ويزبغ في شاذر وان في الجدار يتصل بحوض من رخام ويقع فيه الماء
 ولا نظير له في الدنيا وغرابة الشكل وقرب ذلك مطاهر للوضوء يجري فيها الماء وهذه
 الربوة المباركة هي رأس بساتين دمشق وبها منابع مياهها وينقسم الماء الخارج منها على
 سبعة أنهار كل نهر آخذ في جهة ويمر في ذلك الموضع بانقسام وأكبر هذه الأنهار النهر
 المسمى بتورة وهو يشق تحت الربوة وقد نحت له مجرى في الحجر الصلد كأنها الكبر وربما
 انغمس ذو الجسارة من المواين في النهر من أعلى الربوة واندفع في الماء حتى يشق مجراه
 ويخرج من أسفل الربوة وهي مخاضرة عظيمة وهذه الربوة تشرف على البساتين الدائرة
 بالبلد ولها من الحسن والسمع مسرح الابصار ما ليس لسواها وتلك الأنهار السبعة تذهب
 في طرق شتى فتعدها الراعين في حسن اجتماعها وافتراقها واندفاعها وانصبابها وجمال
 الربوة وحسبها التمام أعظم من ان يحيط به الوصف بلها الاوقاف الكثيرة من المزارع
 والبساتين والرباع تقام منها وظائفها الامام المؤذن وانصاره والواردون على الربوة قرية
 الثير وقد تكاثرت بساتينها وتكاثفت ظلالها وتدنات أشجارها فلا يظهر من بنائها الا
 ما سمارتناعها ولها حمام ما يحولها جامع بديع مفروش بحجره بفصوص الرخام وفيه سقاية
 ماء رائحة الحسن ومطهرة فيها بيوت عدة يجري فيها الماء وفي القبلي من هذه القرية قرية
 المنزة وتعرف بمنزة كلب نسبة الى قبيلة كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن
 الحاف بن قضاعة وكانت اقطاعا لهم واليه يانصب الامام حافظ الدين جمال الدين يوسف
 ابن الزكي الكلبي المزي وكثير واهل من العلماء وهي من أعظم قرى دمشق بها جامع كبير
 عجيب وسقاية مينة وأكثر قرى دمشق فيها الحمامات والمساجد الجامعة والاسواق
 وسكانها كاهل الحاضرة في مناحيهم وفي شرقي البلد قرية تعرف ببيت الالهية وكانت فيها
 كنيسة يقال ان آزر كان نحت فيها الاصنام فيكسرها الخليل عليه السلام ولها الآن مسجد
 جامع بديع مزين بفصوص الرخام الملونة المنظمة باعجب نظام وأزين التمام

﴿ ذكر الاوقاف بدمشق وبعض فضائل أهلها وعوائدهم ﴾

والاوقاف بدمشق لا تحصر أنواعها ومصارفها لكثرة فوائدها أوقاف على العاجزين عن الحج يعطى لمن يحج عن الرجل منهم كفايته ومنها أوقاف على تجهيز البنات إلى أزواجهن وهي اللواتي لا قدرة لأهلن على تجهيزهن ومنها أوقاف لفكك الأسارى ومنها أوقاف لأبناء السبيل يعطون منها ما يأكلون ويأبسون ويستزودون لبلادهم ومنها أوقاف على تعديل الطرقات ورصفها لأن أزقة دمشق ليكل واحد منها رصيفان في جنبه يمر عليهما المترجلون ويمر الركبان بين ذلك ومنها أوقاف أسوى ذلك من أفعال الخير

﴿ حكاية ﴾

مررت يوماً بموضع أزقة دمشق فرأيت به مملوكاً صغيراً قد سقطت من يده صحيفة من الفخار الصيني وهم يسمونها الصحن فتكسرت واجتمع عليه الناس فقال له بعضهم اجع شقفها واحملها معك صاحب أوقاف الأواني فجمعها وذهب الرجل معه إليه فأراد إياها فدفعت له ما اشترى به مثل ذلك الصحن وهذا من أحسن الأعمال فإن سيد الغلام لا بد له أن يضربه على كسر الصحن أو ينهره وهو أيضاً ينكسر قلبه ويتغير لاجل ذلك فكان هذا الوقف - بيرا نة تلوب جزى الله خيراً من تسامت همته في الخير إلى مثل هذا وأهل دمشق يتنافسون في عمارة المساجد والزوايا والمدارس والمساكن يهدوهم بحسنون الطن بالمقاربة ويعطمشون أنفسهم بالاموال والأهالي والأولاد وكل من انقطع بجهة من جهات دمشق لا بد أن يتأتي له وجه من المعاش من إمامة مسجد أو قراءة بمدرسة أو ملازمة مسجد يجي إليه فيه رزقه أو قراءة القرآن أو خدمة شهد من المشاهد المباركة أو يكون كجالة الصوفية بالحرايق تجري له النفقة والكسوة فن كان بها غريباً على خير لم يزل مصوناً عن بذل وجهه محفو ظاعماً يزدي بالمرورة ومن كان من أهل المهنة والخدمة فله أسباب آخر من حراسة بستان أو أمانة طاحونة أو كفالة صبيان يفسدو معهم إلى التعليم ويروح ومن أراد طالب العلم أو التفرغ للعبادة وجد الإعانة التامة على ذلك ومن فضائل أهل دمشق أنه لا يفتط أحد منهم في ليالي رمضان وحده البتة فمن كان من الأمراء والقضاة والكبراء فانه يدع أصحابه والفقراء

ينطرون عنده ومن كان من التجار وكبار السوقة صنع مثل ذلك ومن كان من الضعفاء
 والبادية فانهم يجتمعون كل ليلة في دار أحدهم أو في مسجد ويأتى كل أحد بما عنده فيفطرون
 جميعا ولما وردت دمشق وقمت بين وبين نور الدين السخاوي مدرس المالكية صحبة
 فرغب منى أن أفطر عنده في أياى رمضان فحضرت عنده أربع ليال ثم أصابتنى الحمى
 فخبث عنى فبعث في طابى فاعتذرت بالمرض فلم يسمعنى عذرا فرجعت اليه وبث عنده فلما
 أردت أن أسراف بالعدمعنى من ذلك وقال لي احسب دارى كأنها دارك أو دار أهلك أو
 أخيك وأمر باحضار طبيب وان يصنع لى بداره كل ما يشتهي الطيب من دواء أو غذاء
 وأتت كذلك عنده الى يوم العيد وحضرت المصلى وشفاني الله تعالى عما أصابنى وقد كان
 ما تشدى من النفقة نفرا فعمل بذلك فاكترى لى جمالا وأعتاز الزاد وسواه وزادنى دراهم
 وقال لى تكون لى عسى أن يعترىك من أمر مهم جزاه الله خيرا وكان بدمشق فاضل من
 كتاب الملك الناصر يسمى عماد الدين القيصرانى من عادته انه متى سمع ان مغربيا وصل الى
 دمشق بحث عنه وأضافه أحسن اليه فان عرف منه الدين والفضل أمره بتلازمته وكان
 بالازمة منهم جماعة وعلى هذه الطريقة أيضا كتب السير الفاضل علاء الدين بن عام وجادة
 غيرة وكان بها فاضل من كبرائها وهو الصاحب عز الدين التتالانسي له مآثر ومكارم
 ونضائل وإثار وهو ذو مال عرض وذكروا ان الملك الناصر لما قدم دمشق أضافه
 وجميع أهل دولته ومما يكره خواصه ثلاثة أيام فسماء اذذاك بالصاحب * ومما يؤثر من
 فساناتهم ان أحدهم لو كهم السالفين لما نزل به الميت أو حي ان ينفق بقبلة الجامع المكرم
 ويحفر قبره وعين أو قافا عظيمة لقراء يقرؤن سبعاً من القرآن الكريم فى كل يوم صلاة
 الصبح بالجهة الشرقية من متصورة الصحابة رضى الله عنهم حيث قبره فصارت قراءة
 القرآن على قبره لا تنقطع أبداً وبقي ذلك الرسم الجميل بعده مخلداً ومن عادة أهل دمشق
 وسائر تلك البلاد انهم يخرجون بعد صلاة العصر من يوم عرفة فيقفون بمسجدون المساجد
 كبيت المقدس وجامع بنى أمية وسواها ويقف بهم أئمتهم تاشفى رؤسهم داعين خاضعين
 حاشعين ملتزمين البركة ويتوخون الساعة التي يقف فيها وقد الله تعالى وحجاج بيته

بعرفات ولا يزالون في خضوع وودعاء وابتهاال وتوسل الى الله تعالى بحجاج يته الى ان
 تغيب الشمس فينفرون كما ينفر الحاج باكين على ما حرموه من ذلك الموقوف الشريف
 بعرفات داعين الى الله تعالى ان يوصلهم اليها ولا يخليهم من بركة القبول فيما فعلوه ولهم ايضاً
 في اتباع الجنائز رتبة عجيبة وذلك انهم يمشون امام الجنائز والقراء يقرؤون القرآن بالاصواب
 الحسنة واللاحين المبكية التي تكاد تنفوس تطير لها رقة وهم يصلون على الجنائز بالنسج
 الجامع قبالة المقصورة فان كان الميت من أئمة الجامع أو مؤذنيه أو خدامه أدخلوه بالقراءة
 الى موضع الصلاة عليه وان كان من سواهم قطعوا القراءة عند باب المدجد ودخلوا
 الجنائز وبعضهم يجتمع له بالباطل الرمي من الصحن بمقربة من باب البريد فيجاسون
 وامامهم ربعات القرآن يترؤن فيها ويرفعون أصواتهم بالنداء لكل من يصلح للعرس من
 كبار البلدة وأعيانها ويقولون باسم الله فلان الدين من كمال وجمال وشمس وبدرو غير
 ذلك فاذا أتموا القراءة قام المؤذنون فيقولون افتكروا واعتبروا ولا تكلمن على فلان
 الرجل الصالح العالم ويصفونه بصفات من الخير ثم يصلون عليه ويذهبون به الى مدقته
 ولاهل الهند رتبة عجيبة في الجنائز ايضاً رائدة على ذلك وهي انهم يجتمعون بروضة الميت
 صبيحة ثلاث من دفنه وتفرش الروضة بالثياب الرقيقة ويكسى القبر بالكسي الفاخرة
 وتوضع حوله الرياحين من الورد والفسرين والياسمين وذلك النوار لا ينقطع عندهم
 ويأتون بأشجار الليمون والارج ويجعلون منها حبوبها ان لم تكن فيها ويجعل صيوان يظلل
 الناس نحو دوياتي القضاة والامراء ومن يماثلهم فيقعدون ويقابلهم التمرات ويؤتي بالربعات
 اكرام يأخذ كل واحد منهم جزءاً فاذا تمت القراءة من القراء بالاصوات الحسان يدعى
 القاضي ويقوم قائماً ويخطب خطبة معدة لذلك ويذكر فيها الميت ويرثيه بأيات شعر
 ويذكر أقاربهم ويعزيهم عنه ويذكر السلطان داعياله وعند ذكر السلطان يقوم الناس
 ويخطون رؤسهم الى سمت الجهة التي بها السلطان ثم يقعد القاضي ويأتون بماء الورد
 فيصب على الناس صبايتسداً بالقاضي ثم من يليه كذلك الى ان يم الناس أجمعين ثم يؤتى
 بأواني السكر وهو الجلاب محلول بالماء فيسقون الناس منه ويبدؤن بالقاضي ومن يليه

هم يؤتي بالتنبول وهم يعظمونه ويكرمونه من يأتي لهم به فإذا أعطي السلطان أحداهم
فهو أعظم من أعيناء الذهب والخلع وإذا مات الميت لم يأت كل أهله بالتنبول الا في ذلك اليوم
فيأخذ القاضى أو من يقوم مقامه أو اقامته فيعطىها لولي الميت فيأكلها وينصرفون حينئذ
وسباني ذكر التنبول ان شاء الله تعالى

﴿ذكر سماعي بدمشق ومن أجازني من أهلها﴾

سمعت بحاجه نيامية عمره الله بذكره جميع صحيح الامام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل
الجعفي البجلي رضي الله عنه على الشيخ المعمر رحمة الآفاق ملحق الا صاغر بالا كابر
شهاب الدين أحمد بن أبي طالب بن أبي النعمان حسن بن علي بن بيان الدين مقرر الصالح
المعروف باب الشحنة الحجازي في أربعة عشر مجاها ولها يوم الثلاثاء منتصف شهر
رمضان المعظم سنة ست وعشرين وسبعمائة وآخرها يوم الاثنين الثامن والعشرين منه
بقراءة الامام الحافظ مؤرخ الشام عبد الله بن أبي محمد انقاسم بن محمد بن وسف البرزالي
الاشبيلي الاصل الدمشقي في جماعة كبيرة كتب أسماءهم محمد بن داود بن عبد الله بن
الغزال تميمي بسماع الشيخ أبي العباس الحجازي جميع الكتاب من الشيخ الامام سراج
الدين أبي عبد الله الحسين بن أبي بكر المبارك بن محمد بن يحيى بن علي بن الحسين بن عمران
الريسي البغدادي التبريدي الحنبلي في آخر شوال وأوائل ذي القعدة من سنة ثلاثين
وسمائة بالحاج المظفر بسفح جبل قاسيون ظاهر دمشق وبأجازته في جميع الكتاب
من الشيخين أبي الحسن محمد بن أحمد بن عمر بن الحسين بن الحافظ القطيبي المؤرخ وعلي بن
أبي بكر بن عبدالله بن روبة القلاسي العطار البغدادي ومن باب غيرة النساء ووجدته
الي آخر الكتاب من أبي العباس عبدالله بن عمر بن علي بن زيد بن أبي الحزامي البغدادي
بسماع أربعين منهم من الشيخ سعيد الدين أبي الوقت عبداً الاول بن عيسى بن شعيب بن
ابراهيم السجزي الهروي الصوفي في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ببغداد قال أخبرنا
الامام جمال الاسلام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود بن
أحمد بن معاذ بن سهل بن الحكم الداودي قراءة عليه وأنا أسمع ببوشنج سنة خمس

وستين وأربعمائة قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حوية بن يوسف بن أيمن
 السرخسي قراءة عليه وأنا أسمع في صفر سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة قال أخبرنا عبد الله
 محمد بن يوسف بن مطار بن صالح بن بشر بن إبراهيم الفريرى قراءة عليه وأنا أسمع سنة
 ست عشرة وثلاثمائة بفربر قال أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري رضي
 الله عنه سنة ثمان وأربعين ومائتين بفربر ومرة ثانية بمدها سنة ثلاث وخمسين ومن
 أجازني من أهل دمشق أجازة عامة الشيخ أبو العباس الحجازي المذكور سبق إلى ذلك
 وتلفظ لي به ومنهم الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي
 ومولده في ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وستمائة ومنهم الشيخ الإمام الصالح عبد الرحمن
 ابن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن النحدي ومنهم الإمام الأئمة جمال الدين أبو الحسن
 يوسف بن انزكى عبد الرحمن بن يوسف المزني الكلابي حافظ الحافظ ومنهم الشيخ
 الإمام علاء الدين علي بن يوسف بن محمد بن عبد الله النافعي والشيخ الإمام الشريف محي
 الدين يحيى بن محمد بن علي الملوي ومنهم الشيخ الإمام المحدث محمد الدين القاسم بن عبد
 الله بن أبي عبد الله بن المعلى الدمشقي ومولده سنة أربع وخمسين وستمائة ومنهم الشيخ
 الإمام عالم شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن فلاح بن محمد الاسكندرى ومنهم الشيخ
 الإمام ولي الله تعالى شمس الدين بن عبد الله بن تمام والشيخ خان الإخوان شمس الدين
 محمد وكان الدين عبد الله ابنا إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي والشيخ المأبد شمس
 الدين محمد بن أبي الزمراء بن سالم الهكاري والشيخ الصالح أم محمد عائشة بنت محمد بن
 مسلم بن سلامة الحراني والشيخ الصالح رحمة الدين أزياب بنت كمال الدين أحمد بن عبد
 الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي كل هؤلاء أجازني أجازة عامة في سنة ست وعشرين
 بدمشق ونا استهل شوال من السنة المذكورة خرج الراكب الحجازي إلى خارج دمشق
 ونزلوا القرية المعروفة بالكسوة فأخذت في الحركة معهم وكان أمير الراكب سيف الدين
 الجوبان من كبار الأمراء وقاضيه شرف الدين الأذري الحوراني وحج في تلك السنة
 مدرس المالكية صدر الدين الغماري وكان سفري مع مائة من العرب تدعى العجامة

أميرهم محمد بن رافع كبير القدر في الامراء وارتحلنا من الكسوة الى قرية تعرف بالعنمين
عظيمة ثم ارتحلنا منها الى بلدة زرعوة وهي صغيرة من بلاد حوران نزلنا بالقرب منها ثم
ارتحلنا الى مدينة بصرى وهي صغيرة ومن عادة الركبان يقسمها أربعين اهل حق بهم من
تخلف بدمشق اقضاء ما ربه والى بصرى وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعث
في تجارة خديجة وبها مبارك ناقته قد بنى عليه مسجد عظيم ويجتمع اهل حوران لهذه
المدينة ويتزود الحاج منها ثم يرحلون الى بركة زيرة (زير) ويتيمون عليها يوما ثم يرحلون
الى الالحوز بهاء الماء الجاري ثم يرحلون الى حصن الكرك وهو من أعجب الحصون
وأمنها وأشهرها ويسمى بحصن الغراب والوادي يطيف به من جميع جهاته وله باب
واحد قد نحت المدخل اليه في الحجر الصلد ومدخل دلهزه كذلك وبهذا الحصن يحصن
الملوك واليه ياجئون في النوائب وله لجأ الملك الناصر لأنه ولى الملك وهو صغير السن
فاستوى على التمدد بمملوكه سالار النائب عنه فاطم الملك الناصر انه يريد الحج وواقفه
الامراء على ذلك فتوجه الى الحج فاما وصل عقبه أيلة لجأ الى الحصن وأقام به أعواما
ان قصده امراء الشام واجتمع عايله المماليك وكان قد ولى الملك في تلك المدة برس
الشنكير وهو أمير الطما وتسمى بالملك المظفر وهو الذي بنا الخانقاه الليبرية بمقرنة من
خانقاه سعيد السعداء التي بناها صلاح الدين بن أيوب فقصد الملك الناصر بالعساكر ففر
يسبرس الى الصحراء فبعثه العساكر وقبض عليه وأوتى به الى الملك الناصر فامر بقتله
فقتل وقبض على سالار وحبس في جب حتى مات جوعا ويقال انه أكل جيفة من الجوع
نموذ بالله من ذلك وأقام الركبان بخارج الكرك أربعة أيام ووضع يقال له الثانية وتجهزوا
لدخول البرية ثم أرحلنا اي معان وهو آخر بلاد الشام ونزلنا من عقبه الصوان الى
الصحراء التي يقال فيها داخاها مفقود وخارجها مولودو بعد مسيرة يومين نزلنا ذات حجج
وهي حسيان لا عمارة بها ثم الى وادي بلدح ولما به ثم الى تبوك وهو الموضع الذي
غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها عين ماء كانت تبخر بشئ من الماء فاما نزلها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوضأ منها جادت بالماء المعين ولم نزل الى هذا العهد

ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عادة حجاج الشام اذا وصلوا منزل تبوك أخذوا اسلحتهم وجردوا سيوفهم وحملوا على المنزل وضربوا النخيل بسيوفهم ويقولون هكذا دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وينزل الركب العظيم على هذه العين فيروى منها جميعهم ويقيمون أربعة أيام للراحة وارواء الجمال واستعداد المساء للبرية المخوفة التي بين العلا وتبوك ومن عادة السقائين انهم ينزلون على جوانب هذه العين ولهم أحواض مصخوعة من جلود الجواميس كالصهاريج الضخام يسقون منها الجمال ويملئون الروايا والقرب ولكل أمير أو كبير حوض يسقى منه جماله وجمال أصحابه ويملأ رواياهم وسواهم من الناس يتفق مع السقائين على سقى جملة وملء قربة بشيء معلوم من الدراهم ثم يرحل الركب من تبوك ويجدون السير ليلا ونهارا خوفا من هذه البرية وفي وسطها الوادي الاخضر كاه وادي جهنم اعادنا الله منها وأصاب الحجاج به في بعض السنين مشقة بسبب ريح السموم التي تهب فانتشفت المياه وانتهت شربة المساء الى ألف دينار ومات مشربها وبائعها وكتب ذلك في بعض صخر الوادي ومن هنالك ينزلون بركة المعظم وهي ضخمة نسبتها الى الملك المعظم من أولاد أيوب ويجمع بياماء المطر في بعض السنين وربما جف في بعضها وفي الخامس من أيام رحيلهم عن تبوك يصلون الى بئر الحجر حجر ثمود وهي كثيرة المساء ولكن لا يرد لها أحد من الناس مع شدة عطشهم اقتداء بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بها في غزوة تبوك فأسرع براحله وأمر أن لا يسقى منها أحد ومن عجن به أطعمه الجمال وهنالك ديار ثمود في جبال من الصخر الاحمر منحوتة لها عتب منقوشة يظن رائيها انها حديثة الصنعة وعظامهم منحرة في داخل تلك البيوت ان في ذلك لمبرة ومبرك ناقة صالح عليه السلام بين جبلين هنالك وبينهما أثر مسجد يصلي الناس فيه وبين الحجر والملا نصف يوم أو دونه والملاقية كبيرة حسنة لها بساكن النخل والمياه المعينة يقيم بها الحجاج أربعين يوما يزودون ويغسلون ثيابهم ويدعون بها ما يكون عندهم من فضلى زاد ويستصحبون قدر الكفاية وأهل هذه القرية أصحاب أمانة واليه ينتهي تجار

نصارى الشام لا يتمدونهم اويبا يعون الحجاج بها الزاد وواد ثم يرحل الركب من العلا
 فينزلون في غدر حياهم الوادي المعروف بالعطاس وهو شديد الحرارة فيه السحوم المهلكة
 هبت بعض السنين على الركب فلم يخلص منهم الا اليسير وتعرف تلك السنة سنة الامير
 الجالقي ومنه ينزلون هـ دبة وهي حسيان ماء بوادي يحفرون به فيخرج الماء بهو زقاق وفي
 اليوم الثالث ينزلون بظاهر البلد المقدس الكريم الشريف

﴿طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم﴾

وفي عشي ذلك اليوم دخلنا الحرم الشريف واتينا الى المسجد الكريم فوقنا باب السلام
 مسامين وصلينا بالروضة الكريمة بين القبر والمنبر الكريم واستمعنا القطعة الباقية من الجذع
 الذي حن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي موصلة بعدد قائم بين القبر والمنبر عن
 عيين مستقبل القبلة وأدينا حق السلام على سيد الاولين والآخرين وشفيع العصاة
 والمذنبين الرسول النبي الهاشمي الابطاحي محمد صلى الله عليه وسلم تسليما وشرف وكرم
 وحق السلام على ضجيعيه وصاحبيه أبي بكر الصديق وأبي حفص عمر الفاروق رضي الله
 عنهم ما وانصرفنا الى رحلتنا سرورين بهمة انعم الله علينا مستبشرين بنيل هذا المنة
 اكبرى حامدين لله تعالى على البلوغ الى معاهد رسوله الشريفه ومشاهدا العظيمة المنيفة
 داعين أن لا يجعل ذلك آخر عهدنا بها وأن يجعلنا ممن قبلت زيارته وكتبت في سبيل
 الله سفرته

﴿ذكر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروضته الشريفه﴾

المسجد العظيم مستطيل تحفه من جهاته الاربع بلاطات دائرية ووسطه محن فروس
 باخصى والرميل ويدور بالمسجد الشريف شارع مباط بالحجر المنحوت والروضة
 المقدسة صلوات الله وسلامه على ساكنها في الجهة القبالية مما يلي الشرق من المسجد
 الكريم وشكلها عجيب لا يتأتى تمثيله وهي مدورة بالرغام البديع تحت الرائق التمت قد
 علاها تضيغ المسك والطيب مع طول الازمان وفيه فجحة القبالية منها سمار فضة هو
 قبالة الوجه الكريم وهناك يقف الناس لسلام مستقبين الوجه الكريم مستدبرين القبلة

فيسامون وينصرفون يمينا الى وجهه أبي بكر الصديق ورأس أبي بكر رضي الله عنه عند
 قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتم ينصرفون الى عمر بن الخطاب ورأس عمر عند
 كتفي أبي بكر رضي الله عنهما وفي الجوف من الروضة المتدسة زادها الله طيبا حوض صغير
 مرخم في قبلته شغل محراب يقبل انه كان بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 تسليما ويقال أيضا هو قبرها والله أعلم وفي وسط المسجد الكريم دفة مطبوعة على وجه
 الارض مقفلة على سرداب له درج يقضي الى دار أبي بكر رضي الله عنه خارج المسجد على
 ذلك السرداب كان طريق بنّة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها الى داره ولا شك انه هو
 الحوطة التي ورد ذكرها في الحديث وأمر النبي صلى الله عليه وسلم لم تسليما ببقائها وسما
 سواها وبازاء دار أبي بكر رضي الله عنه دار عمرو ودار ابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
 وبشرقي المسجد الكريم دار امام المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه وبجربة
 من باب السلام سفابة ينزل انهار على درج ماؤها معين وتعرف بالعين الزرقاء
 (ذكر ابتداء بناء المسجد الكريم)

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما المدينة الشريفة دار الهجرة يوم الاثنين الثالث
 عشر من شهر ربيع الاول فنزل على عمرو بن عوف اقام عندهم ثنتين وعشرين
 ليلة وقبل أربع عشرة ليلة وقيل أربع ليال ثم توجه الى المدينة فنزل على بني النجار بدار
 أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه وأقام عنده سبعة أشهر حتى بني مساكنه ومسجده
 وكان موضع المسجد مر بدار سهل وسهيل ابني رافع بن أبي عمرو بن عابد بن ثعلبة بن غانم بن
 مالك بن النجار وهما يتيمان في حجر أسعد بن زرارة رضي الله عنهما أجمعين وقيل كانا في
 حجر أبي أيوب رضي الله عنه فابتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ذلك المر يدوقيل
 بل أراضاها أبو أيوب عنه وقيل انهما وهبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما فبنى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم تسليما المسجد وعمل فيه مع أصحابه وجعل عليه حائطاً ولم يجعل له
 سعة ولا أساطين وجعله مر بباطوله مائة ذراع وعرضه مثل ذلك وقيل ان عرضه كان
 دون ذلك وجعل ارتفاع حائطه قدر القامة فالما اشتد الحر تكلم أصحابه في تسقيفه فاقام له

أساطين من جذوع النخل وجعل سقفه من جريد هافلما أمطرت السماء وكف المسجد
فكلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم في عمله
بالطين فقال كلا عريش كعريش موسى أو ظلة كظلة موسى والامر أقرب من ذلك قيل
وما ظلة موسى قال صلى الله عليه وسلم كان اذا قام أصاب السقف رأسه وجعل للمسجد
ثلاثة أبواب ثم سد الجنوبي منها حين حولت القبلة وبقي المسجد على ذلك حياة رسول الله
صلى الله عليه وسلم تسليما وحياة أبي بكر رضي الله عنه فلما كانت أيام عمر بن الخطاب رضي
الله عنه زاد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وقال لولا اني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم تسليما يقول ينبغي ان يزيد في المسجد ما زدت فيه فانزل أساطين الخشب
وجعل مكانها أساطين اللبن وجعل الأساس حجارة الى القامة وجعل الابواب ستة منها
في كل جهة ماعدا القبلة بابان وقال في باب منها ينبغي ان يترك هذا للنساء فري فيه حتى
لقي الله عز وجل وقال لو زدنا في هذا المسجد حتى يباغ الحيانة لم يزل مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأراد عمر ان يدخل في المسجد موضعه للعباس عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم تسليما ورضي عنه ما فتنه منه وكان فيه ميزاب يصب في المسجد فنزع عمر وقال
انه يؤذي الناس فنازعه العباس وحكما بينهما أبي بكر رضي الله عنهما فأتيا داره فلم يأذن
لهما الا بعد ساعة ثم دخلا اليه فقال كانت جاريتي تغسل رأسي فذهب عمر ايتكلم فقال له
أبي دع أبا الفضل يتكلم لما كانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما فقال العباس خطبة
خطبها لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وبنيتهما معه وما وضعت الميزاب الا ورجلاي
على عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء عمر فطرحه وأراد دخاله في المسجد فقال
أبي ان عندي من هذا علما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما يقول أراد داود
عليه السلام ان يبني بيت الله المقدس وكان فيه بيت ليتيمين فراودهما على البيع فأيا ثم
راودهما فباعاه ثم قاما بالعين فرد البيع واشتراه منهما ثم رداه كذلك فاستعظم داود الثمن
فأوحى الله اليه ان كنت تعطي من شيء هولاك فأنت أعظم وان كنت تعطيها من رزقنا
فأعطها ما حتى يرضيا وان أغنى البيوت عن مظلمة بيت هولي وقد حرمت عليك بناءه

قال يارب فأعطه إيمان فأعطاه سليمان عليه السلام فقال عمر من لي بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما قاله فخرج أبي قوم من الانصار فاقبئوا له ذلك فقال عمر رضي الله عنه أما اني لو لم أجد غيرك أخذت قولك ولكني أحبيت أن أثبت ثم قال للعباس رضي الله عنه والله لا ترد الميزاب الا وقدامك على عاتقي ففعل العباس ذلك ثم قال أما اذا أثبتت لي فهي صدقة لله فهدمها عمر وأدخلها في المسجد ثم زار فيه عثمان رضي الله عنه وبناه بقوة وباشره بنفسه فكان يظل فيه نهارة ويضوئها نهارا ثم عمل به بالحجارة المنة وشبهه من جهاته الاربعة الشرق منها وجعل له سواري حجارة مثبتة بأعمدة الحديد والرصاص وسقفه بالساج وصنع له محرابا وقيل ان مروان هو أول من بنى المحراب وقيل عمر بن عبد العزيز في خلافة الوليد ثم زاد فيه الوليد بن عبد الملك تولى ذلك عمر بن عبد العزيز فوسعه وحسنه وبالغ في اتقانه وعمله بالرخام والساج المذهب وكان الوليد يبعث الى ملك الروم اني أريد ان أبني مسجدا نبينا صلى الله عليه وسلم تسليما فأعني فيه فبعث اليه الفمعة وثمانين ألف مثقال من الذهب وأمر الوليد بادخال حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تسليما فيه فاشترى عمر من الدور ما زاده في ثلاث جهات من المسجد فلما صار الى القبلة امتنع عبيد الله بن عبد الله بن عمر من بيع دار حفصة وطال بينهم الكلام حتى ابتاعها عمر على أن لهم ما بقي منها وعلى أن ينخرجوا من باقيها طريقا الى المسجد وهي الخوخة التي في المسجد وجعل عمر للمسجد أربع صوامع في أربعة أركانها وكانت احداها مظلة على دار مروان فلما حج سليمان بن عبد الملك نزل بها فاطل عليه المنيذون حين الاذان فامر بهدمها وجعل عمر للمسجد محرابا ويقال هو أول من أحدث المحراب ثم زاد فيه المهدي ابن أبي جعفر المنصور وكان أبوه هم بذلك ولم يقض له وكتب اليه الحسن بن زيد يرغبه في الزيادة فيه من جهة الشرق ويقول انه ان زيد في شرقيه توسطت الروضة الكريمة المسجد الكريم فاتمه أبو جعفر بانه انما أراد هدم دار عثمان رضي الله عنه فكتب اليه اني قد عرفت الذي أردت فاكفف عن دار عثمان وأمر أبو جعفر ان يظل الصحن أيام القيظ يستور تنشر على حبال ممدودة على خشب تكون في الصحن لتكن المصلين من الحر وكان

طول المسجد في بناء الوليد مائتي ذراع فبلغه المهدي الى ثلاثمائة ذراع وسوي المقصورة
بالارض وكانت مرتفعة عنها بقدر ذراعين وكتب اسمه على مواضع من المسجد ثم أمر
الملك المنصور قلاوون ببناء دار للوضوء عند باب السلام فتولى بناءها الامير الصالح علاء
الدين المعروف بالاقمر واقامها متسعة الفناء تستدير بها اليوت واجري اليها الماء واراد
ان يبنى بمكة شرفها الله تعالى مثل ذلك فلم يتم له ببناء ابنه الملك الناصر بين الصفة والمروة
وسيدكر ان شاء الله وقبلة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما قبله قطع لانه صلى
الله عليه وسلم تسليما اقامها و قيل اقامها جبريل عليه السلام وقيل كان يشرب جبريل له الى
سمتها وهو يقيمها وروى ان جبريل عليه السلام اشار الى الحياض فتواضعت فتشحت حتى
بدت الكعبة فكان صلى الله عليه وسلم تسليما يبنى وهو ينظر اليها عيانا وبكل اعتبار نهي قبله
قطع وكانت ثقبلة اول ورود النبي صلى الله عليه وسلم تسليما المدينة الى بيت المقدس ثم
حوالت الى الكعبة بعد ستة عشر شهرا وقيل بعد سبعة عشر شهرا

﴿ ذكر المنبر الكريم ﴾

وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما كان يخطب الى جذع نخلة بالمسجد
فلما صنع له المنبر ونحوه تحول اليه من الجذع حنين الناقة الى حوارها وروى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم تسليما نزل اليه فالتزمه فسكن وقال لو لم ألتزمه لن الى يوم القيامة
واحتمت الروايات في من صنع المنبر الكريم فروى ان تمجدا لداري رضى الله عنه هو الذي
صنعه وقيل ان غلاما لالعباس رضى الله عنه صنعه وقيل غلام لامرأة من الانصار وورد
ذلك في الحديث الصحيح صنع من طرفاء الغابة وقيل من الابل وكان له ثلاث درجات
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد على عليا هن ويضع رجله الكريمتين في
وسطاهن فلما ولي أبو بكر الصديق رضى الله عنه قعد على وسطاهن وجعل رجله على
أولاهن فلما ولي عمر رضى الله عنه جلس على أولاهن وجعل رجله على الارض وفعل
ذلك عثمان رضى الله عنه صدر من خلافة ثم ترقى الى الثالثة ولما ان صار الامر الى معاوية
رضي الله عنه اراد نقل المنبر الى الشام فضج المسلمون وعصفت ريح شديدة وخسفت

الشمس وبدأت النجوم نهاراً وأظلمت الأرض فكان الرجل يصادم الرجل ولا يتبين مسلك فاحار أي ذلك معاوية تركه وزاد فيه ست درجات من أسفل فبلغ تسع درجات ﴿ذكر الخطيب والامام بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

وكان الامام بالمسجد الشريف في عهد دخولي الى المدينة بهاء الدين بن سلامة من كبار أهل مصر وينوب عنه العالم الصالح الزاهد بغيه المشايخ عن الدين الواسطي نفع الله به وكان يخطب قبله ويقضى بالمدينة الشريفة سراج الدين عمر المصري ﴿حكاية﴾

يذكر ان سراج الدين هذا أقام في خطة القضاء بالمدينة والخطابة بها نحو أربعين سنة ثم انه أراد الخروج بعد ذلك الى مصر فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم ثلاث مرات في كل مرة ينهيه عن الخروج منها وأخبره باقتراب أجله فلم ينته عن ذلك وخرج فمات بموضع يقال له يسويس على مسيرة ثلاث من مصر قبل ان يصل اليها نعوذ بالله من سوء الخاتمة وكان ينوب عنه الفقيه أبو عبد الله محمد بن فرحون رحمه الله وأبناءؤه الآن بالمدينة الشريفة أبو محمد عبد الله مدرس المالكية ونائب الحكم وأبو عبد الله محمد زأصاهم من مدينة تونس ولهم بها حسب واصله وتولى الخطابة والقضاء بالمدينة الشريفة بعد ذلك جمال الدين الاسيوطي من أدلى مصر وكان قبل ذلك قاضياً بخص الكرك

﴿ذكر خدام المسجد الشريف والمؤذنين به﴾

وخدام هذا المسجد الشريف وسدته قتيان من الاحايش وسواهم وهم على هيات حسان وصور نظاف وملا بس ظراف وكبيرهم يعرف بشيخ الخدام وهو في هيئة الامراء الكبار ولهم المراتب بديار مصر والشام ويأتي اليهم بها في كل سنة ورئيس المؤذنين بالحرم الشريف الامام المحدث الفاضل جمال الدين المطري من مطرية قرية بمصر وولده الفاضل عفيف الدين عبد الله والشيخ المجاور الصالح أبو عبد الله محمد بن محمد الغرناطي المعروف بالتراس قديم الجبورة وهو الذي جب نفسه خوفاً من الفتنة ﴿حكاية﴾

يذكر ان أبا عبد الله الغرناطي كان خديماً للشيخ يسمى عبد الحميد المعجمي وكان الشيخ حسن الظن به يعلمن اليه بأهله وماله ويتركه متى سافر بداره فسافر مرة وتركه على عادته

بمنزله فعلقت به زوجة الشيخ عبد الحميد وراودته عن نفسه فقال اني أخاف الله ولا أخون
من اتتمنى على أهله وماله فلم تزل تراوده وتعارضه حتى خاف عن نفسه الفتنة وجب نفسه
وغشى عاينه ووجدته الناس على تلك الحالة فمالجوه حتى ربي وصار من خدام المسجد
الكريم ومؤذنبه ورأس الطائفتين وهو باق بقيد الحياة الى هذا العهد
﴿ذكر المجاورين بالمدينة الشريفة﴾

منهم الشيخ الصالح فاضل أبو العباس أحمد بن محمد بن مرزوق كثير العبادة والصوم
والصلاة بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً صابر محتسباً وكان ربما جاور بمكة
المعظمة رأيت به في سنة ثمان وعشرين وهو أكثر الناس طوافاً وكنت أعجب من ملازمته
الطواف مع شدة الحر بالمطاف والمطاف مفروش بالحجارة السود وتصير بحر الشمس
كانها الصفايح المحممة واقدرأيت السقائين يصبون الماء عليها فما يجاوز الموضع الذي
يصب فيه الا ويلتهب الموضع من حينه وأكثر الطائفتين في ذلك الوقت يلبسون الجوارب
وكان أبو العباس بن مرزوق يطوف حافي القدمين ورأيت به يوماً يطوف فاحيت ان أطوف
معه فوصلت المطاف وأردت استلام الحجر الاسود فاحتقني لهب تلك الحجارة وأردت
الرجوع بددت قليل الحجر فإوصاته الا بعد جهد عظيم ورجعت نلماً أطف وكنت أجعل
بجادي على الارض وأمشي عليه حتى بلغت الرواق وكان في ذلك العهد بمكة وزير غرامة
وكبيرها أبو القاسم محمد بن محمد بن محمد بن أبي الحسن سهل بن مالك الازدي وكان يطوف
كل يوم سبعين أسبوعاً ولم يكن يطوف في وقت القائلة لشدة الحر وكان ابن مرزوق يطوف
في شدة القائلة زيادة عليه ومن المجاورين بالمدينة كرمها الله الشيخ الصالح العابد سعيد
المراكشي الكفيف ومنهم الشيخ أبو مهدي عيسى بن حزون المكناسي (حكاية)
جاور الشيخ أبو مهدي بمكة سنة ثمان وعشرين وخرج الي جبل حراء مع جماعة من
المجاورين فلما صعدوا الجبل ووصلوا المتعبد النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً ونزلوا عنه
تأخراً أبو مهدي عن الجماعة ورأى طريقاً في الجبل فظنه قاصراً فسلك عليه ووصل
الصحابة الي أسفل الجبل فانتظروهم فلم يأت فتطلعو فيها حولهم فلم يروا له أثراً فظنوا انه

سبقهم فمضوا الى مكة شرفها الله تعالى ومر عيسى على طريقه فافضى به الى جبل آخر وتاه
عن الطريق وأجهده العطش والحرو وتمزقت نعله فكان يقطع من ثيابه ويلف على رجليه
الى ان ضعف عن المشي واستظل بشجرة قام غيلان فبعث الله امرأياً على جبل حتى وقف
عليه فأعامه بحاله فأركبه وأوصله الى مكة وكان على وسطه هميان فيه ذهب فسلمه اليه واقام
نحو شهر لا يستطيع القيام على قدميه وذهبت جلدهما ونبتت لهما جلدة أخرى وقد جرى
مثل ذلك لصاحب لي اذ كره ان شاء الله ومن المجاورين بالمدينة الشريفة أبو محمد الشروي
من انقراء المحسنين وجاور بمكة في السنة المذكورة وكان يقرأ بها كتاب الشفاء للقاضي
عياض بعد صلاة الظهر وأم في التراويح بها ومن المجاورين الفقيه أبو العباس الفاسي
مدرس المالكية بها وتزوج بنت الشيخ الصالح شهاب الدين الزرندي (حكاية)
يذكر ان أبا العباس الفاسي تكلم يوماً مع بعض الناس فاتهى به الكلام الى ان تكلم بعظيمة
ارتكب فيها بسبب جهله بعلم النسب وعدم حفظه للسانه من تكبا صعبا عفا الله عنه فقال ان
الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام لم يعقب قبله كلامه الى أمير المدينة طفيل بن
منصور بن جبار الحسفي فانكر كلامه ويحق انكاره واراد قتله فكلّم فيه ففاه عن المدينة
ويذكر انه بعث من اغتاله والى الآن لم يظهر له أثر نعمو ذب الله من عثرات اللسان وزله

﴿ذكر أمير المدينة الشريفة﴾

كان أمير المدينة كيش بن منصور بن جبار وكان قد قتل عمه مقبلاً ويقال انه توضعاً بدمه
ثم ان كيش اخرج سنة سبع وعشرين الى الفلاة في شدة الحر ودمه أصحابه فادركتهم القائلة
في بعض الايام فتفرقوا تحت ظلال الاشجار فراعهم الاواباء مقبل في جماعة من
عيدهم ينادون يا ثارات مقبل فقتلوا كيش بن منصور صبراً ولعقوا دمه وتولي بعده
أخوه طفيل بن منصور الذي ذكرنا انه نفى أبا العباس الفاسي

﴿ذكر بعض المشاهد الكريمة بخارج المدينة الشريفة﴾

فمنها بقيع الفرقد وهو شرقي المدينة المكرمة ويخرج اليه على باب يعرف باب البقيع فأول
ما يلتقي الخارج اليه على يساره عند خروجه من الباب قبر صفيية بنت عبد المطلب رضي الله

عنهم اوهى عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تسليما وأم الزبير بن العوام رضي الله عنه
 واما مها قبر امام المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه وعليه قبة صغيرة مختصرة
 البناء واما قبر السلالة الطاهرة المقدسة النبوية الكريمة ابراهيم بن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم تسليما وعليه قبة بيضاء وعن يمينها تربة عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب رضي
 الله عنهما وهو المعروف بأبي شحمة وبازائه قبر عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه وقبر عبد
 الله ابن ذي الجناحين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما وبازائهم روضة يذكرون قبور
 أمهات المؤمنين بها رضي الله عنهن ويليها روضة فيها قبر العباس بن عبد المطلب عم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وهي قبة ذاهبة في
 الهواء بديعة الاحكام عن يمين الحاج من باب البقيع ورأس الحسن الى رحلي العباس
 عليهم السلام وقبرا ممر تمنعان عن الارض متسعان مغشيان بالواح بديعة الاصاق
 مرصعة بصفائح الصفرة البديعة العمل وبالبقيع قبور المهاجرين والانصار وسائر الصحابة
 رضي الله عنهم الأمهات لا يعرف أكثرها وفي آخر البقيع قبر أمير المؤمنين أبي عمر عثمان
 ابن عفان رضي الله عنه وعليه قبة كبيرة وعلى مقربة منه تربة فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي
 ابن أبي طالب رضي الله عنهم وعن ابنها ومن المشاهد الكريمة قباء وهو قبلي المدينة على نحو
 ميلين منها الطريق بينهما في حدائق النخل وبه المسجد الذي أسس على التقوى
 والرضوان وهو مسجد مربع فيه صومعة بيضاء طويلة تظهر على البنية وفي وسطه مبرك
 الناقة بالنبي صلى الله عليه وسلم تسليما يتبرك الناس بالصلاة فيه وفي الجهة القبليّة من صحنه
 محراب على مسطبة هو أول موضع ركع فيه النبي صلى الله عليه وسلم تسليما وفي قبلي المسجد
 دار كانت لأبي أيوب الانصاري رضي الله عنه فويلها دور تنسب لأبي بكر وعمر وفاطمة
 وعائشة رضي الله عنهم وبازائه بئر اريس وهي التي عادماؤها عذ بالماتفل فيه النبي صلى الله
 عليه وسلم تسليما بعد أن كان أجاجا وفيه وقع الختم الكريم من عثمان رضي الله عنه ومن
 المشاهد قبة حجر الزيت بخارج المدينة الشريفة يقال ان الزيت رشع من حجر هنالك
 للنبي صلى الله عليه وسلم تسليما والي جهة الشمال منه بئر بضاعة وبازائها جبل الشيطان حيث

صرخ يوم أحد وقال قتل نبيكم وعلى شفير الخندق الذي حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً عند تحزب الأحزاب حصن خرب يعرف بحصن العزاب يقال إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصفها بعشرين ألفاً ومن المشاهد الكريمة أحد وهو الحبل المبارك الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً إن أحد أجبل يحبنا ونحبه وهو بجوف المدينة الشريفة على نحو فرسخ منها وبازائه الشهداء المكرمون رضي الله عنهم وهناك قبر حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً ورضي الله عنه وحوله الشهداء المستشهدون في أحد رضي الله عنهم وقبورهم أقبل أحد وفي طريق أحد مسجد ينسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ومسجد ينسب إلى سامان الفارسي رضي الله عنه ومسجد الفتح حيث أنزلت سورة الفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً وكانت أقامت بالمدينة الشريفة في هذه الوجهة أربعة أيام وفي كل ليلة نبت بالمسجد الكريم والناس قد حلقوا في حلقاً وأوقدوا الشمع الكثير ويذبحون القرآن الكريم يملونه وبعضهم يذكرون الله وبعضهم في مشاهدة التربة الطاهرة زادها الله طيباً والحدادة بكل جانب يترنمون بمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً وهكذا أدب الناس في تلك الليالي المباركة ويجودون بالصدقات الكثيرة على المجاورين والمحتاجين وكان في صحبتي في هذه الوجهة من الشام إلى المدينة الشريفة رجل من أهلها فاضل يعرف بنصور بن شكل وأضافني بها واجتمعنا بعد ذلك بحلب وبخاري وكان في صحبتي أيضاً قاضي الزبدي شرف الدين قاسم بن سنان وصحبتي أيضاً أحد العلماء الفقهاء من أهل غرناطة يسمى بعلي بن حجر الأموي (حكاية)

لما وصلنا إلى المدينة كرمها الله على ساكنها أفضل الصلاة ذكر لي علي بن حجر المذكور أنه رأى تلك الليلة في النوم قائلاً يقول له اسمع مني واحفظ عني (طويل)

هنيئاً لكم يا زائرين ضريحه * أنتم به يوم المعاد من الرجس

وصاتم إلى قبر الحبيب بطيبة * فطوبى لمن يضحي بطيبة أو يمسي

وجاور هذا الرجب بعد صحبه بالمدينة ثم رحل إلى مدينة دهلي قاعدة بلاد الهند في سنة

ثلاث وأربعين فزل في جوارى و ذكرت حكاية رؤياه بين يدي ملك الهنـ فأمـر باحضاره
فحضر بين يديه وحكى له ذلك فأعجبه واستحسنه وقال له كلاما جميلا بالفارسية وأمر بانزاله
واعطاه ثلثة تسكة من ذهب ووزن التسكة من دنانير المغرب ديناراً ونصف دينار
واعطاه فرساً على السرج والاعجام وخلمة وعين له مرتباً في كل يوم وكان هنالك فقيه طيب
من أهل غرناطة ومولده بـبـاية يعرف هنالك بـبـيـهـال الدين المغربي فصاحبه علي بن حجر
المذكور وواعده على ان يزوجه بنته وأنزله بدويرة خارج داره واشترى جارية وغلاما
وكان يترك الدنانير في مفرش ثيابه ولا يطمئن بها الا حـد فاتفق النلام والجارية على أخذ
ذلك الذهب واخذاه وهربا فلما اتى الدار لم يجد لهما أثرا ولا للذهب فامتنع من الطعام
والشراب واشتد به المرض أسـفـا على ما جرى عليه فعرضت قضيته بين يدي الملك فامر
أن يخاف له ذلك فبعث اليه من يعلمه بذلك فوجدته قد مات رحمه الله تعالى وكان رجلاً
من المدينة تريد مكة شرفهم الله تعالى فنزلنا بقرب مسجد ذي الحليفة الذي أحرم منه
رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً والمدينة منه على خمسة أميال وهو منتهى حرم المدينة
وبالقرب منه وادي العقيق وهناك تجردت من مخيط الثياب واغتسلت ولبست ثوب
احرامى وصليت ركعتين واحرمت بالحج مفرداً ولم أزل ملياً في كل سهل وجبل وصعود
وسددور الى ان أتيت شعب علي عليه السلام وبه نزلت تلك الليلة ثم رحلنا منه ونزلنا
بالروحاء وما يترعرع بـبـيـر ذات العلم ويقال ان علياً عليه السلام قاتل بها الجن ثم رحلنا
ونزلنا بالصفرى وهو واد معمر فيه ماء ونخل وبنيان وقصر يسمى الشرفاء الحسينيون
وسواهم فيها حصن كبير وتواليه حصون كثيرة وقرى متصلة ثم رحلنا منه ونزلنا بـبـدر
حيث نصر الله رسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً وانجز وعده الكريم واستأصل صناديد
المشركين وهي قرية فيم احدى نخل متصلة وبها حصن منيع يدخل اليه من بطن واديين
جبال ويبدو عين فوارة يجري ماؤها وموضع القلب الذي سحب به أعداء الله المشركون
هو اليوم بـبـستان وموضع الشهداء رضى الله عنهم خلفه وجبل الرحمة الذي نزلت به
الملائكة على يسار الداخل منه الى الصفرى وبازاته جبل الطبول وهو شبه كتيب الرمل

ممتدو يزعم أهل تلك البلدة أنهم يسمعون هنالك مثل أصوات الطبول في كل ليلة جمعة
وموضع عريش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان به يوم بدر يناشدر به جل وتعالى
متصل بسفح جبل الصبول وموضع الوقعة أمامه وعند نخل القليب مسجد يقال له مبارك
ناقة النبي صلى الله عليه وسلم تسليما وبين بدر والصفراء نحو بربد في وادي بين جبال تطرد
فيه العيون وتتصل حدائق النخل ورحلتنا من بدر إلى الصحراء المعروفة بقاع البرواء وهي
برية يضل بها الدليل ويذهل عن خايله الخليل مسيرة ثلاث وفي متنهاها وادي رابغ
يتكون فيه بالمطر غدران يبقى بها الماء زمانا طويلا ومنه يحرم حجاج مصر والمغرب
وهو دون الجحفة وسرنا من رابغ ثلاثا إلى خايس ومررنا بقبه السويق وهي على مسافة
نصف يوم من خايس كثيرة الرمل والحجاج يقصدون شرب السويق بها ويستسحبونه
من مصر والشام برسم ذلك ويسقونه الناس مخاطا بالسكر والامراء يماؤن منه
الاحواض ويستقونها الناس ويذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بها ولم يكن مع
أصحابه طعام فأخذ من رملها فأعطاهم إياه فشربوه وسويقا ثم نزلنا بركة خايس وهي
في بسيط من الأرض كثيرة حدائق النخل لها حصن مشيد في قنة جبل وفي البسيط
حصن خرب وسها عين فوارة قد صنعت لها أخاديد في الأرض وسربت إلى الضياع
وصاحب خايس شريف حسني النسب وعرب تلك الناحية يقيمون هنالك سوة عظيمة
يجلبون إليها الغنم والتمر والام ثم رحلنا إلى عسفان وهي في بسيط من الأرض بين جبال
وبها آبار ماء معين تنسب أحداها إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه والمدرج المنسوب إلى
عثمان أيضا على مسافة نصف يوم من خايس وهو مضيق بين جبالين وفي موضع منه بلاط
على صورة درج أثر عمارة قديمة وهنالك بئر تنسب إلى علي عليه السلام ويقال أنه
أحدثها بعسفان حصر عتيق وبرج مشيد قد أوهنه الخراب وبه من شجر المثل كثير
ثم ارحلنا من عسفان ونزلنا بطن مرو يسمى أيضا مر الظاهران وهو واد مخصب كثير
النخل ذو عين فوارة تسقى تلك الناحية ومن هذا الوادي تجلب الفواكه والخضر
إلى مكة شرفها الله تعالى ثم أدرجنا من هذا الوادي المبارك والتفوس مستبشرة يملو

آمالها مسرورة بحملها وما لها فوصلنا عند الصباح الى البلد الامين مكة شرفها الله تعالى
 فوردنا منها على حرم الله تعالى ومبوا أخايله ابراهيم ومبعث صفيه محمد صلى الله عليه وسلم
 ودخلنا البيت الحرام الشريف الذي من دخله كان آمنا من باب نبي شية وشاهدنا الكعبة
 الشريفة زادها الله تعظيما وهي كالعروس تحبي على منصة الجلال وترفل في برود الجمال
 محفوفة بوفود الرحمن موصلة الى جنة الرضوان وطفنا بها طواف اقدوم واستلنا
 الحجر الكريم وصنينا ركعتين بمقام ابراهيم وتعاقنا بأستار الكعبة عند الملتزم بين الباب
 والحجر الاسود حيث يستجاب الدعاء وشرينا من ماء زمزم وهو لما شرب له حسبا وورد
 عن النبي صلى الله عليه وسلم تسايما ثم سعيانا بين الصفا والمروة ونزلنا هناك بدار بمقربة من
 باب ابراهيم والحمد لله الذي شرفنا بالوفادة على هذا البيت الكريم وجعلنا من بلغته دعوة
 الخليل عليه الصلاة والسلام ومتع أعيننا بمشاهدة الكعبة الشريفة والمسجد العظيم والحجر
 الكريم وزمزم والحمام ومن عجب صنع الله تعالى انه طبع القلوب على النزوع الى هذه
 اشاهد المنيعة والشوق الى المنور بما عاها الشريعة وجل بها تمكنا في القلوب فلا
 يحتمل أحدا الا أخذت بمجامع قلبه ولا يفارقها الا أسفا فراقها متو لها بالعبادة تنها شديد
 الحنين اليها تاوي التكرار الوفاة عليها فارضها المباركة نصب الاعين ومحبتها حشوا القلوب
 حكمة من الله بالغة وتصديقا لدعوة خايله عايله السلام والشوق يحضرها وهي نائية ويمثلها
 وهي غائبة ويهون على قاصدها ما يلقاه من المشاق ويعانيه من العناء وكم من ضعيف يرى
 الموت عيانا دونها ويشاهد التلذذ في طريقها فاذا جمع الله بها شمله تلقاها مسرورا
 مستبشرا كأنها لم تذوق المرارة ولا كابد محنة ولا نصيبا انه لا امر الا الهي وصنع رباني
 ودلالة لا يشوبها لبس ولا تشاها شبهة ولا يضرها تمويه وتز في بصيرة المستبصرين وتبدو
 في فكرة المتفكرين ومن رزقه الله تعالى الحلول بلك الارحاء والمثول بذلك الفناء فقد
 أنعم الله عليه النعمة الكبرى وخوله خير الدارين الدنيا والاخرى فحق عليه ان يكثر
 الشكر على ما خزله ويديم الحمد على ما أولاه جعلنا الله تعالى بمن قبلت زيارته وربحت في
 قصدها تجارته وكتبت في سبيل الله آثاره وعيت بالقبول أوزاره بمنه وكرمه

﴿ذكر مدينة مكة المعظمة﴾

وهي مدينة كبيرة متصلة البنيان مستطيلة في بطن واد تحف به الجبال فلا يراها قاصدها حتى يصل إليها وتلك الجبال المطلة عليها ليست بمفرجة الشموخ والاختشبان من جبالها هما جبل أبي قيس وهو في جهة الجنوب، ونهار جبل قمععان هو في جهة منها وفي الشمال منها الجبل الأحمر ومن جهة أبي قيس أحياد الأكر وأحياد الأصغر وهما شعبان والخدمة وهي جبل وسند كروا ناسك كاهاني وعرفة وانزلفة بشرقي مكة شرفها الله وللمكة من الأبواب ثلاثة باب المعلى بأعلاها وباب الشبيكة من أسفلها ويعرف أيضا باب الزاهر وباب الحرة وهي إلى جهة المغرب وعليه طريق المدينة الشريفة وحصر الشام وجدة ومنه يتوجه إلى التميم وسند كروا ذلك وباب المسفل وهو من جهة الجنوب ومنه دخل خالد بن الوليد رضي الله عنه يوم الفتح بمكة شرفها الله كما أخبر الله في كتابه العزيز حاكيا عن نبيه الخليل بواد غير ذي زرع ولكن سبقت لها الدعوة المباركة فدخل طرفه تجاب إليها وثمرات كل شيء تنجي لها وقد أكلت بهائم النواكح العنب والتين والخوخ والرطب مالا نظيره في الدنيا وكذلك البطيخ المجلوب إليها لا يأت ثلثه سوا طيب أو حلاوة والاحوم بها سمان لذيات الطعموم وكل ما يفترق في البلاد من السماع فيها - بجمع - وتجلب لها الفواكه والخضر من الطائف ووادي نخلة وبطن من الحفان من الله بكان حرمة الأمين ومجاوري بيته العتيق

﴿ذكر المسجد الحرام شرفه الله وكرمه﴾

والمسجد الحرام في وسط البلد وهو متسع الساحة طوله من شرق إلى غرب أزيد من أربع مائة ذراع . كي ذلك الأزقي وعرضه يقرب من ذلك والكعبة العظمى في وسطه ومنظره مبدع ومرآة جميل لا يتعطل السان وصف بدائمه ولا يحيط الوصف بحسن كماله وارتفاع حيطانه نحو عشرين ذراعا وسقفه على أعمدة طوال مصطفة ثلاثة صفوف بأقن صناعة وأجاء وقد انتظمت بلاطانه الثلاثة انتظاما عجيبا كأنها بلاط واحد وعدد سواريه الرخامية أربع مائة واحد وتسعون سارية ماعدا الجصية التي في دار الندوة

المزينة في الحرم وهي داخلة في البلاط الآخذ في الشمال ويقابلها المقام مع الركن العراقي وقضاؤه متصل يدخل من هذا البلاط اليه ويتصل بجدار هذا البلاط مساطب تحت قبة بناها بجلوسها المقرؤون والنساخون والخطاطون وفي جدار البلاط الذي يقابله مساطب تمثّلها وسائر البلاطات تحت جدرانها مساطب بدون خنايا وعند باب ابراهيم مدخل من البلاط الغربي فيه سوارى بصبية وللاخليفة المهدي محمد بن الخليفة أبي جعفر المنصور رضى الله عنهم آثار كريمة في توسيع المسجد الحرام واحكام بنائه وفي أعلى جدار البلاط الغربي مكتوب أمر عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين أصلحه الله بتوسعة المسجد الحرام لحاج بيت الله وعمارة في سنة سبع وستين ومائة

﴿وذكر الكعبة المعظمة الشريفة زادها الله تعظيما وتكريما﴾

والكعبة ماثلة في وسط المسجد وهي بنية مربعة ارتفاعها في الهواء من الجهات الثلاث ثمان وعشرون ذراعا ومن الجهة الرابعة التي بين الحجر الاسود والركن اليماني تسع وعشرون ذراعا وعرض صفحتها التي من الركن العراقي الى الحجر الاسود أربعة وخمسون شبرا وكذلك عرض الصفحة التي تقابلها من الركن اليماني الى الركن الشامي وعرض صفحتها التي من الركن العراقي الى الركن الشامي من داخل الحجر ثمانية وأربعون شبرا وكذلك عرض الصفحة التي تقابلها من الركن الشامي الى الركن العراقي وأما خارج الحجر فانه مائة وعشرون شبرا والطواف انما هو خارج الحجر وبنائها بالحجارة الصخر قد ألصقت بأبدع الاصاق وأحكامه وأشده فلا تغيرها الايام ولا تؤثر فيها الا زمان وباب الكعبة المعظمة في الصفح الذي بين الحجر الاسود والركن العراقي بينه وبين الحجر الاسود عشرة أشبار وذلك الموضع هو المسمى بالمتزم حيث يستجاب الدعاء وارتفاع الباب عن الارض أحد عشر شبرا ونصف شبرا وسعته ثمانية أشبار وطوله ثلاثة عشر شبرا وعرض الحائط الذي يتطوى عليه خمسة أشبار وهو مصفح بصفائح الصلصة وعضاداته وعتبه العليا مصفحات بالفضة وله تقارتان كبيرتان من فضة عليهما قفل ويفتح الباب الكريم في كل يوم جمعة بعد الصلاة ويفتح في يوم

مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ورسمهم في فتحه ان يضعوا كرسيا شبه المنبر له
 درج وقوائم خشب لها أربع بكرات يجري الكرسي عليها ويصقونه الى جسد الكعبة
 الشريفة فيكون درجه الاعلى متصلا بالعتبة الكريمة ثم يصعد كبير الشيعين ويبيدها لفتح
 الكريم ومعه المدينة فيمسكون الستر المسبل على باب الكعبة المسمى بالبرقع بخلاف ما يفتح
 رئيسهم الباب فاذا فتحه قبل العتبة الشريفة ودخل البيت وحده وادخل الباب وأقام قدر
 ما ركع ركعتين ثم يدخل سائر الشيعين ويسدون الباب أيضا ويركعون ثم يفتح الباب
 ويبادر الذين بالدخول وفي أثناء ذلك يقفون مستقبلين الباب الكريم باصابع خاشعة
 وقلوب ضارعة وأيدي مبسوطة الى الله تعالى فاذا فتح كبروا نادوا اللهم افتح لنا أبواب
 رحمتك ومغفرتك يا أرحم الراحمين وداخل الكعبة الشريفة مفروش بالرخام المجزع
 وحيطانه كذلك وله أعمدة ثلاثة طولها مفرطة الطول من خشب الساج بين كل عمود منها
 وبين الآخر أربع ختلا وهي متوسطة في الفضاء داخل الكعبة الشريفة يقابل الاوسط
 منها نصف عرض الصفح الذي بين الركنين العراقي والشامي وستور الكعبة الشريفة
 من الحرير الاسود مكتوب فيها بالابيض وهي تتلأأ عليها نور او اشراق وتكسو جميعها
 من الاعلى الى الارض ومن عجائب الآيات في الكعبة الكريمة ان بابها يفتح والحرم خاص
 بأمم لا يحصيها الا الله الذي خلقهم ورزقهم فيدخلونها أجمعين ولا تضيق عنهم ومن
 عجائبها انها لا تخلو عن طائف أبدا ليلا ولا نهارا ولم يذكر أحد انه رآها قبل دون
 طائف ومن عجائبها ان حرم مكة على كثرتها وسواها من الطير لا ينزل عليها ولا ينزلها
 في الديران وتجد الحمام يطير على أعلى الحرم كله فاذا حاذى الكعبة الشريفة عرج عنها الى
 إحدى الجهات ولم يعلها ويقال انه لا ينزل عليها طيرا الا اذا كان به مرض فمان يموت
 لحينه أو يبرأ من مرضه فسبحان الذي خصها بالتشريف والتكريم وجعل لها المهابة

﴿ ذكر الميزاب المبارك ﴾

والتعظيم

والميزاب في أعلى الصفح الذي على الحجر وهو من الذهب وسعته شبر واحد وهو بارز

بمقدار ذراعين والموضع الذي تحت الميزاب مظنة استجابة الدعاء وتحت الميزاب في الحجر هو قبر اسمعيل عليه السلام وعليه رخامة خضراء مستطيلة على شكل محراب متصلة برخامة خضراء مستديرة وكلتا عماستهما مقدار شبر ونصف شبر وكلتاها مغربية الشكل راقعة تنظر الى جانبه مما يلي الركن العراقي قبر أمه هاجر عليها السلام وعلامته رخامة خضراء مستديرة سعتها مقدار شبر ونصف وبين القبرين سبعة أشبار

﴿ذكر الحجر الاسود﴾

وأما الحجر فار تفاعه عن الأرض ستة أشبار فالطويل من الناس يتطأ بن لقيه والصغير يتطاول اليه وهو ماصق في الركن الذي الي جهة المشرق وسعته ثلثا شبر وطوله شبر وعقد ولا يعلم قدر ما دخل منه في الركن وفيه أربع قطع ماصقة ويقال ان القمر طمى عنه الله كسره وقيل ان الذي كسره سواه ضربه بدبوس فكسره وتبادر الناس الى قتله وقتل بسببه جماعة من المغاربة وجوانب الحجر مشدودة بصفيحة من فضة يلوح بياضها على سواد الحجر الكريم فجبتلي منه العيون حسنا باهرا واتقيله لذة يتعم بها النعم وبودلائمه ان لا يفارق لثمه خاصية مودعة فيه وعناية ربانية به وكفى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يمين الله في أرضه نفعنا الله باستلامه ومصاحته واوفد عاياه كل شيق اليه وفي القطعة الصحيحة من الحجر الاسود مما يلي جانبه الموالي ليمين مستلثة نقطة بيضاء صغيرة مشرقة كأنها خال في تلك الصفحة البهية وترى الناس اذا طافوا بها يتساقط بعضهم على بعض أزدحاماً على تقيله فقام ما يمكن أحدهم من ذلك الا بعد المزاخرة الشديدة وكذلك يصنعون عند دخول البيت الكريم ومن عند الحجر الاسود ابتداء الطواف وهو اول الاركان التي يلقيها الطائف فاذا استلمه تقهقر عنه قليلا وجعل انكبة الشريفة عن يساره ومضى في طوافه ثم يلقى بعد الركن العراقي وهو الى جهة الشمال ثم ياتي الركن الشامي وهو الى جهة الغرب ثم يلقى الركن اليمني وهو الى جهة الجنوب ثم يعود الى الحجر الاسود وهو الى جهة المشرق

﴿ذكر المقام الكريم﴾

اعلم ان بين باب الكعبة شرفها الله وبين الركن العراقي موضعا طوله اثنا عشر شبرا وعرضه نحو نصف من ذلك وارتفاعه نحو شبرين وهو موضع المقام في مدة ابراهيم عليه السلام ثم صرفه النبي صلى الله عليه وسلم الى الموضع الذي هو الآن مصلى وبقي ذلك الموضع شبه الحوض واليه ينصب ماء البيت الكريم اذا غسل وهو موضع مبارك يزدحم الناس للصلاة فيه وموضع المقام الكريم يقابل ما بين الزكن العراقي وباب الكريم وهو الى الباب اميل وعليه قبة تحتها شبك حديد متجاف عن المقام الكريم قد رما متصل اصابع الانسا اذا أدخل يده من ذلك الشباك الى الصندوق والشباك مقفل ومن ورائه موضع محوز قد جعل مصلى لركعتي الطواف وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ما دخل المسجد أتى البيت فطاف به سبعا ثم أتى المقام فقرأ وأخذوا من مقام ابراهيم مصلى وركع خلفه ركعتين وخلف المقام مصلى امام الشافعية في الخطيم الذي هنالك

﴿ ذكر الحجر والمطاف ﴾

ودور جدار الحجر تسع وعشرون خطرة وهي أربعة وتسعون شبرا من داخل الدائرة وهو بالرخام البديع المجزع المحكم الا لصاق وارتفاعه خمسة اشبار ونصف شبرا وسعته أربعة اشبار ونصف شبرا وداخل الحجر بلاط واسع مقروش بالرخام المجزع المنظم مجز الصنة البديع الاتقان وبين جدار الكعبة الشريفة الذي تحت الميزاب وبين ما يقابله من جدار الحجر على خط استواء أربعون شبرا ولا حجر مدخل لأن أحدهما بينه وبين الركن العراقي وسعته ستة ذرع وهذا الموضع هو الذي تركته قريش من البيت حين بنه كما جاءت الآثار الصحاح والمدخل الآخر عند الركن الشامي وسعته أيضا ستة أذرع بين المدخلين ثمانية وأربعون شبرا وموضع الطواف مقروش بالحجارة السوداء محكمة لالصاق وقد اتسعت عن البيت بمقدار تسع خطا في الجهة التي تقابل المقام الكريم فقامت تمتد اليه حتى احاطت به وسائر الحرم مع البلاطات مقروش برمل أبيض وطواقم النساء في آخر الحجارة المفروشة

﴿ ذكر زمزم المباركة ﴾

وقبة بئر زمزم تقابل الحجر الاسود ويُنسبها أربع وعشرون خطرة والمقام الكريم عن

يمين القبة ومن ركنها اليه عشر خطا وداخل القبة مفروش بالرخام الأبيض وتور البئر المباركة في وسط القبة مائلا الى الجدار المقابل للكعبة الشريفة وهو من الرخام البديع الاصاقي مفروغ بالرصاص ودوره أربعون شبرا وارتفاعه أربعة أشبار ونصف شبرا وعمق البئر أحد عشر ذراقة وهم يذكرون ان ماءها يتزايد في كل ليلة جمعة وباب القبة اربعة الشروق وقد استدارت بداخل القبة سقاية سعتها شبر وعمقها مثل ذلك وارتفاعها من الارض نحو خمسة أشبار تملأ ماء للوضوء وحوالها مسطبة دائرة يقعد الناس عاينها للوضوء ويلى قبة زمزم قبة الشراب المندوبة الى العباس رضي الله عنه وبابها الى جهة الشمال وهي الاذن يجمل بهاء زمزم في قلال يسمونها الدوارق وكل دورق له مقبض واحد وترك بها ليرد فيها الماء فيشربه الناس وبها اختزان المصاحف الكريمة والكتب التي لا تحرق الشريف وبها خزانة تحتوي على تابوت مبسوط متسع فيه مصحف كريم بخط زيد بن ثابت رضي الله عنه منسوخ سنة ثمان عشرة من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وأهل مكة اذا أصابهم قحط أو شدة أخرجوا هذا المصحف الكريم وقبحوا باب الكعبة الشريفة ووضعوه على القبة الشريفة ووضعوه في مقام ابراهيم عليه السلام واجتمع الناس كاشفين رؤسهم داعين متضرعين متوسلين بالمصحف العزيز والمقام الكريم فلا يفصلون الا وقد تداركهم الله برحمته وتغمدهم بلطفه ويلى قبة العباس رضي الله عنه على انحراف القبة المعروفة بقبة اليهودية

ذكر أبواب المسجد الحرام وما دار به من المشاهد الشريفة

وابواب المسجد الحرام شرفه الله تعالى تسعة عشر بابا أكثرها مفتحة على أبواب كثير فتحها باب الصفا وهو مفتوح على خمسة أبواب وكان قديما يعرف بباب بنى مخزوم وهو أكبر أبواب المسجد ومنه يخرج الى المسمى ويستحب للوافد على مكة ان يدخل المسجد الحرام شرفه الله من باب بنى شيبه ويخرج بعد طوانه من باب الصفا جاعلا طريقه الاسطواناتين اللتين قامهما أمير المؤمنين المهدي رحمه الله على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما الى الصفا ومنها باب أحياذ الاصغر مفتوح على باين ومنها باب الحياطين

ففتح على باين ومنها باب العباس رضي الله عنه مفتوح على ثلاثة أبواب ومنها باب النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً مفتوح على باين ومنها باب بنى شينة وهو في ركن الجدار الشرقي من جهة الشمال امام باب الكعبة الشريفة متياسراً وهو مفتوح على ثلاثة أبواب وهو باب بنى عبد شمس ومنه كان دخول الخلفاء ومنها باب صغير ازاء باب بنى شينة لا اسم له وقيل يسمى باب الرباط نه يدخل منه لرباط السدرة ومنها باب الندوة ويسمى بذلك ثلاثة أبواب اثنان منتظمان والثالث في الركن الغربي من دار الندوة ودار الندوة قد جعلت مسجداً شارعاً في الحرم مضافاً اليه وهي تقابل الميزاب ومنها باب صغير لدار العجلة محدث ومنها باب السدرة واحد ومنها باب العمرة واحد وهو من أجمل أبواب الحرم ومنها باب ابراهيم واحد والناس يختلفون في نسبته فبعضهم ينسبه الى ابراهيم الخليل عليه السلام والصحيح انه منسوب الى ابراهيم الخواري من الاعاجم ومنها باب الحزورة مفتوح على باين ومنها باب احياد الاكبر مفتوح على باين ومنها باب ينسب الى احياد ايضاً مفتوح على باين وباب ثالث ينسب اليه مفتوح على باين ويتصل لباب الصفا ومن الناس من ينسب البابين من هذه الاربعة المنسوبة لاجياد الى الدقاقين وصوامع المسجد الحرام خمس احدها على ركن أبي قيس عند باب الصفا والاخرى على ركن باب بنى شينة والثالثة على باب دار الندوة والرابعة على ركن باب السدرة والخامسة على ركن احياد وبمقربة من باب العمرة مدرسة عمرها السلطان المعظم يوسف بن رسول ملك اليمن المعروف بالملك المظفر الذي تنسب اليه الدراهم المظفرية باليمن وهو كان يكسو الكعبة الى أن غلبه على ذلك الملك المنصور قلاوون وبخارج باب ابراهيم زاوية كبيرة فيها دار امام المالكية الصالح أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المدعو بن خليل وعلى باب ابراهيم قبة عظيمة مفرطة السمو قد صنع في داخلها من غرائب صنع الجص ما يعجز عنه الوصف وبازاء هذا الباب عن يمين الداخل اليه كان يقعد الشيخ العابد جلال الدين محمد بن أحمد الافشهرى وخارج باب ابراهيم بئر تنسب كنسبته وعنده يضادار الشيخ الصالح دانيال المعجمي الذي كانت صدقات المراق في أيام السلطان أبيه سعيد تأتي على يديه وبمقربة منه رباط الموفق وهو من أحسن الرباطات سكنت أيام

بحاورتي بمكة المعظمة وكان به في ذلك العهد الشيخ الصالح أبو عبد الله الزواوي المغربي وسكن به أيضا الشيخ الصالح الطيار سماعة الجرائي ودخل يومًا إلى بيته بعد صلاة العصر فوجد ساجدًا مستقبل الكعبة الشريفة ميتًا من غير مرض كان به رضي الله عنه وسكن به الشيخ الصالح شمس الدين محمد الشامي نحوًا من أربعين سنة وسكن به الشيخ الصالح شعيب المغربي من كبار الصالحين دخلت عليه يومًا فلم يقع بصري في بيته على شيء سوى حصر فقلت له في ذلك فقال لي استر على ما رأيت وحول الحرم الشريف دور كثيرة لها مناظر وسطوح يخرج منها إلى سطح الحرم وأهلها في مشاهدة البيت الشريف على الدوام ودور لها أبواب تفضي إلى الحرم منها دار زيدة زوج الرشيد أمير المؤمنين ومنها دار المعجزة ودار الشرايبي وسواها ومن المشاهد الكريمة بمقربة من المسجد الحرام قبة الوحي وهي في دار خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها بمقربة من باب النبي صلى الله عليه وسلم وفي البيت قبة صغيرة حيث ولدت فاطمة عليها السلام وبمقربة منها دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبيتا بلها جدار مبارك فيه حجر مبارك بارز طرفه من الحائط يستلمه الناس ويقول أنه كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ويذكره أن النبي صلى الله عليه وسلم تسليما جاء يومًا إلى دار أبي بكر الصديق ولم يكن حاضرًا فنادى به النبي صلى الله عليه وسلم تسليما فطق ذلك الحجر وقال يا رسول الله إنه ليس بمحاضر.

﴿ذكر الصفات المروية﴾

ومن باب الصفات الذي هو أحد أبواب المسجد الحرام إلى الصفات وسبعون خطوة وسعة الصفات سبع عشرة خطوة وله أربع عشرة درجة عالياً من كائنها مسطبة وبين الصفات والمروة أربع مائة وثلاث وتسعون خطوة منها من الصفات إلى الميل الأخضر ثلاث وتسعون خطوة ومن الميل الأخضر إلى الميلين الأخضرين خمس وسبعون خطوة ومن الميلين الأخضرين إلى المروة ثلاث مائة وخمس وعشرون خطوة ولله مروة خمس درجات وهي ذات قوس واحد كبير وسعة المروة سبع عشرة خطوة والميل الأخضر هو سارية خضراء مثبتة مع يمين الصومعة التي على الركن الشرقي من الحرم عن يسار الساعية إلى المروة والميلان

الاخضران هما ساريتان خضر اوان ازاء باب على من أبواب الحرم أحدهما في جدار الحرم
عن يسار الخارج من الباب والاخرى تقابلها وبين الميـل الاخضر والميلين الاخضرين
يكون الرمل ذاهباً وعائدان بين الصفا والمروة مسيل فيه سوق عظيمة يباع فيها الحبوب
وللحم والتمر والسمن وسواها من الفواكه والساعون بين الصفا والمروة لا يكادون
يخلصون لازدحام الناس على حوانيت الباعة وليس بمكة سوق منتظمة سوى هذه الا
البزازون والطارون عند باب بني شيبه وبين الصفا والمروة دار العباس رضى الله عنه وهي
الآن رباط يسكنه المجاورون عمره الملك الناصر رحمه الله ونبي أيضاً دار وضوء فيما بين
الصفا والمروة سنة ثمان وعشرين وجعل لها بابين أحدهما في السوق المذكور والاخر في
سوق الطارين وعليها ربيع يسكنه خدامها وتولى بناء ذلك الأمير علاء الدين بن هلال
وعن يمين المروة دار أمير مكة سيف الدين عطيفة بن أبي نعي وسند كرم

﴿ذكر الحيانة المباركة﴾

وحيانة مكة خارجة باب المعلى ويعرف ذلك الموضع أيضاً بالحجون واية عن الحرث بن
مضاخر الجرهمي بقوله

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالي والجدود انموثر

وبهذه الحيانة مدفئ الجم الفقير من الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين والاولياء الا ان
مشاهدتهم دثرت وذهب عن أهل مكة علمها فلا يعرف منها الا القليل فمن المعروف منها قبر
أم المؤمنين ووزير سيد المرسلين خديجة بنت خويلد أم أولاد النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً
كلهم ما عدا ابراهيم وجدة السبطين الكريمين صلوات الله وسلامه على النبي صلى الله عليه
وسلم تسليماً وعليهم أجمعين وبمترربة منه قبر الخليفة أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور عبد الله
ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهم أجمعين وفيها الموضع الذي صلب فيه
عبد الله بن الزبير رضى الله عنهم وكان به بنية هدمها أهل الطائف غيرة منهم لما كان يلحق
حجاجهم المير من الامن وعن يمين مستقبل الحيانة مسجد خراب يقال انه المسجد الذي

باعت الحن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً وعلى هذه الحياة طريق الصاعد الى
عرفات وطريق الذهاب الى الطائف والى العراق

﴿ذكر بعض انشاء خارج مكة﴾

ثمها الحجون وقد ذكرناه ويقال أيضاً ان الحجون هو الجبل المطل على الحياة ومنها
المحصب وهو أيضاً الا بطح وهو الى الحياة المذكورة وفيه خيف بني كنانة الذي نزل به
رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً ومنها ذو طوى وهو واديهبط على قبور المهاجرين
التي بالحصحاء دون ثنية كداء ويخرج منه الى الاعلام الموضوعات بين الحل والحرم
وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه اذا قدم مكة شرفها الله تعالى بيده بذي طوى ثم يغتسل
منه وينتقل الى مكة ويذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً فعل ذلك ومنها ثنية
كدي (بضم الكاف) وهي باعلى مكة ومنها دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
الى مكة ومنها ثنية كداء (بفتح الكاف) ويقال لها الثنية البيضاء وهي بأسفل مكة ومنها
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً عام الوداع وهي بين جبلين وفي مضيقها كوم
حجارة موضوع على الطريق وكل من يمر به يرجه بحجر ويقال انه قبر أبي لهب وزوجه
حالة الخطب وبين هذه الثنية وبين مكة بسيط سهل ينزله الرك اذا صدر راعن في
وبمقربة من هذا الموضع على نحو ميل من مكة شرفها الله مسجد بازائه حجر موضوع على
الطريق كأنه مسطبة يملوه حجر آخر كان فيه نقش فدر رسمه يقال ان النبي صلى الله عليه
وسلم تسليماً قعد بذلك الموضع مستريحاً عند مجيئه من عمرته فيتبرك الناس بتقييله ويستندون
اليه ومنها التميمي وهو على فرسخ من مكة ومنها يعتمر أهل مكة وهو أدنى الحل الى الحرم
ومنه اعتمر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً
في حجة الوداع مع أخيها عبد الرحمن رضي الله عنه وأمره أن يعمرها من التميمي وبنت
هنالك مساجد ثلاثة على الطريق تنسب كلها الى عائشة رضي الله عنها وطريق التميمي طريق
فسيح والناس يخرجون كنهه في كل يوم رغبة في الاجر والثواب لان من المعتمرين من يمشي
فيه حافياً وفي هذا الطريق الآبار العذبة التي تسمى الشبيكة ومنها الزاهر وهو على نحو ميلين

من مكة على طريق التنعيم وهو موضع على جانبي الطريق فيه أثر دور وبساتين وأسواق وعلى جانب الطريق دكان مستطيل تصنف عليه كيزان الشرب وأواني الوضوء ولماؤها خديم ذلك الموضع من آبار الزاهر وهي بعيدة القعر جدا والخديم من الفقراء المجاورين وأهل الخير يعينونه على ذلك لمسافيه من المرفقة للمعتمرين من الغسل والشرب والوضوء وذو طوي يتصل بالزاهر

﴿ذكر الجبال المطيفة بمكة﴾

فمنها جبل أبي قبيس وهو في جهة الجنوب والشرق من مكة حرسها الله وهو أحد الاخشيين وادنى الجبال من مكة شرفها الله وبقابل ركن الحجر الاسود وبأعلاه مسجد وأثر رباط وعمارة وكان الملك الناصر رحمه الله أراد أن يعمره وهو مطلق على الحرم الشريف وعلى جميع البلد منه يظهر حسن مكة شرفها الله وجمال الحرم واتساعه والكعبة المعظمة ويذكر أن جبل أبي قبيس هو أول جبل خلقه الله تعالى وفيه استودع الحجر زمان الطوفان وكانت قريش تسميه الامين لأنه أدى الحجر الذي استودع فيه الى الخليل ابراهيم عليه السلام ويقال ان قبر آدم عليه السلام به وفي جبل أبي قبيس موضع موقف النبي صلى الله عليه وسلم حين انشق له القمر ومنها قبة معان وهو أحد الاخشيين ومنها الجبل الاحمر وهو في جهة الشمال من مكة شرفها الله ومنها الخندمة وهو جبل عند الشيبين المعروفين باحياد الاكبر وأحياد الاصغر ومنها جبل الطير وهو على أربعة عن جهتي طريق التنعيم يقال انها الجبال التي وضع عليها الخليل عليه السلام أجزاء الطير ثم دعاها حسبما نص الله في كتابه العزيز وعياها الأعلام من حجارة ومنها جبل حراء وهو في الشمال من مكة شرفها الله تعالى على نحو فرسخ منها وهو مشرف على مني ذاهب في الهواء عالي القنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه كثير اقبل المبعث وفيه ماء الحقي من ربه وبدء الوحي وهو الذي اهتز تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اثبت فسا عليك الانبي وصديق وشهيدواختلف فيمن كان معه يومئذ وروى أن العشرة كانوا معه وقد روى أيضاً أن جبل ثبير اهتز تحته أيضاً ومنها جبل نور وهو على مقدار فرسخ من مكة شرفها

الله تعالى على طريق اليمن وفيه الغار الذي آوى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما حين
خروجه مهاجرا من مكة شرفها الله ومعه الصديق رضي الله عنه حسبما ورد في الكتاب
العزیز وذكر الازرق في كتابه أن الحليل المذكور نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
تسليما وقال الى يا محمد الى الى فقد آويت قبلك سبعين نبيا فلما دخل رسول الله الغار واطمأن
به وصاحبه الصديق معه نسجت العنكبوت من حينها على باب الغار وصنعت الحمامة عشا
وفرخت فيه باذن الله تعالى فاتمهي المنسركون ومعهم قصاص الاثر الى الغار فقالوا ههنا
انقطع الاثر ورأوا العنكبوت قد نسج على فم الغار والحمام مفرخة فقالوا ما دخل احدنا
وانصرفوا فقال الصديق يا رسول الله لو ولجوا علينا منه قال كنا نخرج من هنا وأشار بيده
المباركة الى الجانب الآخر ولم يكن فيه باب فافتتح فيه باب لالحين بقدره الملك الوهاب
والناس يقصدون زيارة هذا الغار المبارك فيرومون دخوله من الباب الذي دخل منه
النبي صلى الله عليه وسلم تبركا بذلك فمنهم من يتأني له ومنهم من لا يتأني له وينشب فيه حق
يتناول بالجذب العنيف ومن الناس من يصلي امامه ولا يدخله وأهل تلك البلاد يقولون انه
من كان لرشدة دخله ومن كان لزنية لم يقدر على دخوله ولهذا يتحاماه كثير من الناس لانه
مخجل فاضح قال ابن حزي اخبرني بعض أشياخنا الحجاج الاكياس ان سبب صعبوبة
الدخول اليه هو ان بداخله ممالي هذا الشق الذي يدخل منه حجرا كبيرا معترضا فمن
دخل من ذلك الشق مبطحا على وجهه وصل رأسه الى ذلك الحجر فلم يتمكن التولج ولا يمكنه
أن ينطوي الى العلو ووجهه وصدره يليان الارض فذلك هو الذي ينشب ولا يخلص الا
بمد الجهد والجذا الى خارج ومن دخل منه مستاقيا على ظهره لم يتمكن لانه اذا وصل رأسه
الى الحجر انعترض رفع رأسه واستوى قاعد أفكان ظهره مستندا الى الحجر المعترض
وأوسطه في الشق ورجلاه من خارج الغار ثم يقوم قائما بداخل الغار رجعا (حكاية)
ومما اتفق بهذا الحليل لصاحبين من أصحابي أحدهما الفقيه المكرم أبو محمد عبد الله بن
فرحان الافريقى الثوزري والآخر أبو العباس أحمد بن الاندلسي الوادي أشي انهما قصدا
(الغار) في حين مجاورتهما بمكة شرفها الله تعالى في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وذهبا

منفردين لم يستصحباه ليلاعارفا بطريقه فتأها وضلا طريق النار وسلكا طريقا سواها
 منقطعة وذلك في أو ان اشتداد الحر وحمي القيظ فلهما انقذا ما كان عندهما من الماء وهما لم يصلا
 الى النار اخذا في الرجوع الى مكة شرفها الله تعالى فوجداهما طريقا فاتبعا وكان يفضي الى
 جبل آخر واشتد بهما الحر وأجهدهما العطش وعائنا الهلاك وعجز الدقيع أبو محمد بن فرحان
 عن المشي جملة والقي بنفسه الى الارض ونجا الاندلسي بنفسه وكان فيه فضل قوة ولم يزل
 يسلك تلك الجبال حتى أفضي به الطريق الى أحياد فدخل الى مكة شرفها الله تعالى وقصدني
 وأعلمني بهذه الحادثة وبما كان من أمر عبد الله التوزري واتقطاعه الجبل وكان ذلك في
 آخر النهار ولعب الله المذكور ابن عم اسمه حسن وهو من سكان وادي نخلة وكان اذذاك
 بمكة فاعلمته بما جرى على ابن عمه وقصدت الشيخ الصالح الامام أبا عبد الله محمد بن عبد
 الرحمن المعروف بخليل امام المالكية فنع الله به فاعلمته بخبره فبعث جماعة من أهل مكة
 عارفين بتلك الجبال والشعاب في طلبه وكان من أمر عبد الله التوزري انه لما فارقه رفيقه
 لحجا الى حجر كبير فاستظل بظله واقام على هذه الحالة من الجهد والعطش والغربان تطير
 فوق رأسه وتنتظر موته فلما انصرم النهار وأتى الليل وجد في نفسه قوة ونعشه برد الليل
 فقام عند الصباح على قدميه ونزل من الجبل الى بطن واد حجبت الجبال عنه الشمس فلم يزل
 ماشيا الى أن بدت له دابة فقصد قصدها فوجد خيمة للعرب فلما رآها وقع الى الارض ولم
 يستطع النهوض فرأته صاحبة الخيمة وكان زوجها قد ذهب الى ورد الماء فسقته ما كان
 عندها من الماء فلم يرو ووجاء زوجها فسقاه قربة ماء فلم يرو وواركه حمارا له وقدم به مكة
 فوصلها عند صلاة العصر من اليوم الثاني متغيرا كما قام من قبر

﴿ ذكر أمير مكة ﴾

وكانت اماره مكة في عهد دخول اليها للشريفيين الاجلين الاخوين أسد الدين رميثة
 وسيف الدين عطيفة ابني الامير أبي نعيم بن أبي سعد بن علي بن قتادة الحسينيين ورميثة
 أكبرهما سنا ولكنه كان يقدم اسم عطيفة في الدعاء له بمكة لعدله ولرميثة من الاولاد أحمد
 وعجلان وهو أمير مكة في هذا العهد وتقية وسند وأم قاسم وللعطيفة من الاولاد محمد ومبارك

ومسعود ودار عطيفة عن عيين المرو ودار أخيه رميشة برباط الشرايبي عند بادية بني شيبية
وتضرب الطبول على باب كل واحد منها عند صلاة المغرب من كل يوم

﴿ ذكر أهل مكة وفضايلهم ﴾

ولا اهل مكة الا اعمال الجيلة والمكارم التسامة والاخلاق الحسنة والايشار الي الضعفاء
والمنقطعين وحسن الجوار لاغرباء ومن مكارمهم انهم متى صنع أحدهم وليمة يبدأ فيها بطعام
الفقراء المنقطعين المجاورين ويستدعيهم بتلخف ورفق وحسن خلق ثم يطعمهم وأكثر
الماكين المنقطعين يكونون بالافران حيث يطبخ الناس أخبازهم فاذا طبخ أحدهم خبزه
واحتمله الي منزله فيتبعه المساكين فيعطى لكل واحد منهم ما قسم له ولا يرددهم خاشين ولو
كانت له خبزة واحدة فانه يمطي ثلثها أو نصفها طيب النفس بذلك من غير ضجر ومن أفعالهم
الحسنة ان الايتام الصغار يقعدون بالسوق ومع كل واحد منهم قمتان كبرى وصغرى وهم
يسمونها ثمة مكنة فيأتي الرجل من أهل مكة الي السوق فيشتري الحبوب وانا يحم
والخضر ويعطى ذلك لاصبي فيجعل الحبوب في إحدى قفتيه والاحم والخضر في الاخرى
ويوصل ذلك الي دار الرجل ليأمله طامامه منها ويذهب الرجل الي طوافه وحاجته فلا
يذكر ان احدا من الصبيان خان الامانة في ذلك قط بل يؤدي ما حمل على انهم الوجوه ولهم
على ذلك أجرة معلومة من فلوس وأهل مكة لهم ظرف ونظافة في الملابس وأكثر لباسهم
لبياض فترى ثيابهم ابدانا صعبة ساطمة ويستعملون الطيب كثيرا ويكثرون ويكثرون
لسواك بعيدان الاراك الاخضر ونساء مكة فائقات الحسن بارعات الجمال ذوات صلاح
يعفاف وهن يكثرن التطيب حتي ان احدا هن لتيت طاوية وتشترى قوتها طيبا وهن
تمسدن الطواف بالبيت في كل ليلة جمعة فيأتين في أحسن زي وتغلب على الحرم رائحة طيبهن
تذهب المرأة منهن فيبقى أثر الطيب بعد ذهابها بقاء ولا اهل مكة عوائد حسنة في الموسم
غيره سندكرها ان شاء الله تعالى اذا فرغنا من ذكر فضلائها ومجاوريها

﴿ ذكر قاضي مكة وخطيبها وامام الموسم وعلمائها وصلحاتها ﴾

قاضي مكة العالم الصالح العابد نجم الدين محمد بن الامام العالم محيي الدين الطبري وهو فاضل

كثير الصدقات والمواصلة لمجاورين حسن الأخلاق كثير الطواف والمشاهدة للكمبة الشريفة يطعم الطعام الكثير في الواسم المعلقة وخصوصاً في مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً فإنه يطعم فيه شرفاء مكة وكبراءها وفقراءها وخدام الحرم الشريف وجميع المجاورين وكان سلطان مصر الملك الناصر رحمه الله يعظمه كثير من جميع صدقاته وصدقات أمرائه تجري على يديه وولده شهاب الدين فاضل وهو الآن قاضي مكة شرفها الله وخطيب مكة الإمام بمقام إبراهيم عليه السلام الفصيح المصقع وحيد عصره بهاء الدين الطبري وهو أحد الخطباء الذين ليس بالعمورة مثلهم بلاغة وحسن بيان وذكرك لي أنه ينشئ لكل جمعة خطبة ثم لا يكررها فيما بعد وإمام الموسم وإمام المالكية بالحرم الشريف هو الشيخ الفقيه السالم الصالح الخاشع الشهير أبو عبد الله محمد بن الفقيه الإمام السالم الخ الورع أبي زيد بمبداء الرحمن وهو المشتهر بخليل تفع الله به وأمتع ببقائه وأهله من بلاد الجريد من إفريقية ويمر فون بها ببني حيون وهم من كبارها ومولده ومولده أبيه بمكة شرفها الله وهو أحد الكبار من أهل مكة بل وأبناها وقطعها بأجاء الطوائف على ذلك مستغرق العبادة في جميع أوقاته مستحج كريم النفس حسن الأخلاق كثير الشفقة لا يرد من سأله خائباً

﴿حكاية مباركة﴾

رأيت أيام مجاورتي بمكة شرفها الله وأنا إذ ذاك ساكن منها بالمدرسة المظفرية برسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً في النوم وهو قاعد بمجاس التدريس من المدرسة المذكورة بجانب الشباك الذي تشاهد منه الكمبة الشريفة والناس يبايعونه فكنت أرى الشيخ أبا عبد الله المدعو بخليل قد دخل وقمنا لقرئنا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً وجعل يده في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبايكم على كذا وكذا وعدداً من شأنها وأن لا أردد من يتي مسكيناً خائباً وكان ذلك آخر كلامه فكنت أعجب من قوله وأقول في نفسي كيف يقول هذا ويقدر عليه مع كثرة فقره مكة واليمن والزيالة والعراق والعجم ومصر والشام وكنت أراه حين ذلك لا بأساجية بيضاء قصيرة من ثياب القطن المدعوة بالقفطان كان يلبسها في بعض الأوقات فلما صابت الصبح تدوت عليه وأعلمته برؤياي فسر بها وبكى

وقال لي تلك الحجة أهدها بعض الصالحين لجدي فانا ألبسها تبركا وما آيته بعد ذلك يرد
سائر الخائبين وكان يأمر خدامه ينجزون الخبز ويطحون الطعام ويأتون به الى بعد صلاة
العصر من كل يوم وأهل مكة لا يأكلون في اليوم الامرة واحدة بعد العصر ويقتصرون
عليها الى مثل ذلك الوقت ومن أراد الاكل في سائر النهار أكل التمر ولذلك صححت أبدانهم
وقلت فيهم الامراض والعاهات وكان الشيخ خليل متزوجا بنت القاضي نجم الدين الطبري
فحشك في طلاقها وفارقها وتزوجها بعد الغمقية شهاب الدين النويري من كبار المجاورين
وهو من صعيد مصر وأقامت عنده أعواما وسافر بها الى المدينة الشريفة ومعهما أخوها
شهاب الدين فحشك في يمين بالطلاق ففارقها على ضناتها وراحا معها الفقيه خليل بعد سنين
عدة ومن أعلام مكة امام الشافعية شهاب الدين بن البرهان ومنهم امام الحنفية شهاب الدين
أحمد بن علي من كبار أئمة مكة وفضلائها يطعم المجاورين وأبناء السبيل وهو أكرم فتيها مكة
ويدان في كل سنة أربعين ألف درهم وخمسين ألفا يؤديه الله عنه وأمره الاتراك
يعظمونه ويحسنون الظن به لانه امامهم ومنهم امام الخنابلة المحدث الفاضل محمد بن عثمان
البغدادي الأصل السكي الاولد وهو نائب القاضي نجم الدين والمحتسب بعد قتل تقي الدين
المصري والناس يهابونه اسعلاوته

﴿حكاية﴾

كان تقي الدين المصري محتسبا بمكة وكان له دخول فيما يمينه وفيما لا يمينه فاتفق في بعض
السنين ان أتى أمير الحاج بصبي من ذوى الدعارة بمكة قد سرق بعض الحاج فامر بقطع
يده فقال له تقي الدين ان لم تقطعها بحضرتك والاغلب أهل مكة خدامك عليه فاستنقذوه
منهم وخاصة فامر بقطع يده في حضرة فقطعت وحقد هالتقى الدين ولم يزل يتربص به
الدوائر ولا قدرة له عليه لان له حساب من الاميرين بميثقة وعطيفة والحسب عندهم ان يعطى
أحدهم هدية من عمامة أو شاشية بمحضرة الناس تكون جوار المن أعطيته ولا تزول
حرمتهامعه حتى يريد الرحلة والتحول عن مكة فاقام تقي الدين بمكة أعواما ثم عزم على
الرحلة وودع الاميرين وطاف طواف الوداع وخرج من باب الصفا فلقى صاحبه الاقطع
وتشكى له ضعف حاله وطلب منه ما يستعين به على حاجته فانهزم تقي الدين وزجره فاستل

ختمجرا له يعرف سندهم بالجندية وضربه ضربة واحدة كان فيها حتفه ومنهم الفقيه الصالح زين الدين الطبري شقيق نجم الدين المذكور من أهل الفضل والاحسان للمجاورين ومنهم الفقيه المبارك محمد بن فهد القرشي من فضلاء مكة وكان ينوب عن القاضي نجم الدين بعد وفاة الفقيه محمد بن عثمان الحنبلي ومنهم العدل الصالح محمد بن البرهان زاهد ورع مبتلي بالوسواس رأيت يوم مايتوضأ من بركة المدرسة المظفرية فيغسل ويكرر واسم رأسه أعاد مسحه مرات ثم لم يقنه ذلك فمطس رأسه في البركة وكان إذا أراد الصلاة بمصلي الامام الشافعي وهو يقول نويت نويت فيصلي مع غيره وكان كثير الطواف والاعمار وذكر

﴿ ذكر المجاورين بمكة ﴾

فمنهم الامام العالم الصالح الصوفي المحقق العابد عفيف الدين عبد الله بن أسعد البني الشافعي الشهير باليا فقي كثير الطواف بالليل وأطراف النهار وكان إذا طاف من الليل يصعد إلى سطح المدرسة المظفرية فيقعد ثم يشاهد الكعبة الشريفة إلى أن يغلب النوم فيجمل تحت رأسه حجرا وينام يسيرا ثم يجدد الوضوء ويعدو لحاله من الطواف حتى يصلي انصبح وكان متزوجا بنت الفقيه العابد شهاب الدين بن البرهان وكانت صغيرة السن فلا تزال تشكو إلى أبيها حالها فأتى مرها بالصبر فقامت معه على ذلك سنين ثم فارقتهم ومنهم الصالح العابد نجم الدين الاصفهاني كان قاضيا ببلاذ الصعيد فانقطع إلى الله تعالى وجاور بالحرم الشريف وكان يعتمر في كل يوم من التعميم ويعتمر في رمضان مرتين في اليوم اعتمادا على ما في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم تسليما أنه قال عمرة في رمضان تعدل حجة ممي ومنهم الشيخ الصالح العابد شمس الدين محمد الحلبي كثير الطواف والتلاوة من قدماء المجاورين مات بمكة شرفها الله ومنهم الصالح أبو بكر الشيرازي المعروف بالصامت كثير الطواف أقام بمكة أعواما لا يتكلم فيها ومنهم الصالح خضر العجمي كثير الصوم والتلاوة والطواف ومنهم الشيخ الصالح برهان الدين العجمي انوا عظ كان ينصب له كرسي تجاه الكعبة الشريفة فيعظ الناس ويذكرهم بلسان فصيح ووقاب خاشع يأخذ بمجامع القلوب ومنهم الصالح المجود برهان الدين ابراهيم المصري مقرئ مجيد ساكن رباط السعدرة ويقصده أهل مصر والشام

بصدقاتهم ويعلم الايتام كتاب الله تعالى ويقوم بمؤتمهم ويكسوهم ومنهم الصالح العابد عن
الدين الواسطي من أصحاب الأموال الطائلة يحمل اليه من بلده المال الكثير في كل سنة
فيبتاع الحبوب والتمرو يفرقها على الضعفاء والمساكين ويتولى حملها الى بيوتهم بنفسه ولم
يزل ذلك دأبه الى ان توفي ومنهم الفقيه الصالح الزاهد أبو الحسن علي بن رزق الله الأنجري
من أهل قطر طنبجة من كبار الصالحين جاور بمكة أعواما وبها وافته كانت بينه وبين والذي
صحبة قديمة حتى أتى بلدها طنبجة نزل عندنا وكان له بيت بالمدرسة المظفرتة يعلم العلم فيها نهارا
ويأوى بالليل الى مسكنه برباط ربيع وهو من أحسن أرباض بمكة بداخله بئر عذبة
لا تماثلها بئر بمكة وسكانه الصالحون وأهل ديار الحجاز يعظمون هذا الرباط تعظيما شديدا
وينذرون له التذور وأهل الطائف يأتونه بالفواكه ومن عاداتهم ان كل من له بستان من
التخيل والغنب والفرسك وهو الخوخ والتين وهم يسمونه الخنط يخرج منه العشر لهذا
الرباط ويوصون ذلك اليه على جهالهم ومسيرة ما بين مكة والطائف يوان ومن لم يف بذلك
نقصت فواكه في السنة الآتية وأصابها الجوائح

حكاية في فضله

أتي يوما غلمان الأمير أبي نعي صاحب مكة الى هذا الرباط ودخلوا بخيل الأمير وسقوها من
تلك البئر فلما عادوا بالخيول الى مرابطها أصابتها الاوجاع وضربت بانفسها الارض
وبرؤسها وأرجلها واتصل الخبر بالأمير أبي نعي فاتي باب الرباط بنفسه واعتذر الي
المساكين الساكنين به واستصحب واحدا منهم فمضى الى بطون الدواب بيد أراقت
ما كان في أجوافها من ذلك الماء وبرئت مما أصابها ولم يترضا بعدها للرباط الا بالخير
ومنهم الصالح المبارك أبو العباس الفماري من أصحاب أبي الحسن بن رزق الله وسكن
رباط ربيع ووفاته بمكة شرفها الله ومنهم الصالح أبو يعقوب يوسف من بادية سبته كان
خدما للشيخين المذكورين فلما توفيا صار شيخ الرباط بعدها ومنهم الصالح السائح
السالك أبو الحسن علي بن فرغوس التماساني ومنهم الشيخ سعيد الهندي شيخ
رباط كلاله

في حكاية

كان الشيخ سعيد قد قصد ملك الهند محمد شاه فاعطاه مالا عظيما قدم به مكة فسيجنه الامير عطيفة وطلبه باداء المال فامتنع فعذب بعه ررجا فاعطني خمسة وعشرين ألف درهم نقرة وعاد الى بلاد الهند ورأيت بها ونزل بدار الامير سيف الدين غدا بن هبة الله بن عيسى ابن مؤخر أمير عرب الشام وكان غدا ساكنا ببلاد الهند متزوجا بخت مائكةا وسيد ذكر أمره فاعطني ملك الهند للشيخ سعيد جملة مال وتوجهه صحبة حاج يرف بوشلي من ناس الامير غدا ووجه الامير المذكور يأتيه ببعض ناسه ووجهه معه أهوا ولا وتختها من الخيمة التي حلتها عليه ملك الهند الى زفانه باخته وهي من الحرير الازرق نزر كشة بالذهب ومرصمة بالجواهر بحيث لا يظن لونها الغلبة الجوهر عاير به ثمنه خمسين ألف درهم ليث تري به الخيل العتيق فسا فر الشيخ سعيد صحبة وشمل واشترى اسلما بماعندهما من الاموال فلما وصلا جزيرة سقطرة المنسوب اليها الحبر السفطري خرج عليه مناصوص الهند في سراكب كثيرة فقاتلوه قالا لا شديدا مات فيه من الفريقين جملة وكان وشلي رايا فقتل منهم جماعة ثم تهاب السراق عليهم وطعنوا وشلا طعنة مات منها بعد ذلك وأخذوا ما كان عندهم وتركوا لهم مركبهم بالة ففردو زاد نذهبوا الى عدن ومات بها وشلي وعادة هؤلاء السراق أنهم لا ية لون أحدا إلا في حير القتل ولا يفرقونه وانما يأخذون ماله ويتركونه يذهب بمركبه يث شاء ولا يأخذون المما اليك لانهم من جنسه وكان الحاج سعيد قد سمع من ملك الهندا يريد اظهار الدعوة العباسية ببلده كمثل ما فعله ملوك الهند من بعده مثل الساعدان شمس الدين الممشوا (نفتح انهم الممشوا في سنة ١٠١٠ هـ) وشين معجم) وولده ناصر الدين وممثل السلطان جلال الدين فيروز شاه والسلطان غياث الدين بلبن وكانت الخلع تأتي اليهم من بغداد قلما توفي وشلي قصد الشيخ سعيد الى الخليفة أبي العباس بن الخليفة أبي الربيع سايمان العباسي بمصر وأعلمه بان لا مرفكتب له كتابا بخطه بالنيابة عنه ببلاد الهند فاستمع حبيب الشيخ سعيد الكتاب وذهب الى اليمن واشترى بها

ثلاث خلع سودا وركب البحر الى هذا فلما وصل كنيات وهي على مسيرة أربعين يوما من دهلي حضرة ملك الهند كتب صاحب الخراج الى الملك يعلمه بقدم الشيخ سعيد وأن معه أمير الخليفة وكتابه فورد الأمر ببعثه الى الحضرة مكر ما فلما قرب من الحضرة بعث الامراء والقضاة والفقهاء لتلقيه ثم خرج هو بنفسه لتلقيه فتلقاء وعائقه ودفع له الامر فقبله ووضع على رأسه ودفع له الصندوق الذي فيه الخلع فاحتمله الملك على كاهله خطرات ولبس احدي الخلع وكسى الاخرى الامير غياث الدين محمد بن عبد القادر بن يوسف بن عبد العزيز بن الخليفة المنتصر العباسي وكان مقيما عند وسيد كرخبره وكسى الخلة الثالثة الامير قبوله الملقب بالملك الكبير وهو الذي يقوم على رأسه ويشرد عنه الذباب وأمر الساطع فخلع على الشيخ سيد ومن معه وأركب على الفيل ودخل المدينة كذلك والسلطان امامه على فرسه وعن يمينه وشماله الاميران اللذان كساها الخلعين العباسيين والمدينة قد زينت بانواع الزينة وصنع بها احدي شجرة قبة من الخشب كل قبة منها أربع طبقات في كل طبقة طائفة من المغنيين رجالا ونساء وانراصات وكلهم مماليك الساطع والقبة مزينة بثياب الحرير المذهب أعانها وأسفلها وداخلها وخارجها وفي وسطها ثلاثة أحواض من جلود الحواميس ملوذة ماء قد غسل فيه الجلاب يشربه كل وارء وصادر لا يمنع منه أحد وكل من يشرب منه يعطى بمس ذلك خمس عشرة ورقة من أوراق التنبول والفوفل والتوردة فيأكلها فطيب نكهته ويزيد في حمرة وجهه ولثاته وتقمع عنه الصفراء وتهضم ما كل من الدعاء ولمس ركب الشيخ سعيد على الفيل فرشت له ثياب الحرير بين يدي الفيل بطأ أعياها النجيل من باب المدينة الى دار السلطان وأنزل بدار تقرب من الملك وبنت له أم والاطائلة وجميع الاثواب المعلقة المفروشة بالقبات والموضوعة بين يدي الفيل لا تعود الى السلطان بل يأخذها أهل الطرب وأهل الصناعات الذين يصنعون القباب وخدام الاحواض وغيرهم وهكذا فعلهم متى قدم السلطان من سفر وأمر الملك بكتاب الخليفة أن يقرأ على المنبر بين الخطبتين في كل يوم جمعة وأقام الشيخ سعيد شهراً ثم بعث معه الملك هدايا الى الخليفة فوصل كنيات وأقام بها حتى تيسرت أسباب حركته في البحر وكان

ملك الهند قد بعث أيضاً من عنده رسولاً الى الخليفة وهو الشيخ رجب البرقي أحد شيوخ
الصوفية وأصله من مدينة القرم من صحراء قبجق وبعث معه هدايا للخليفة منها حجر ياقوت
قيمه خمسون ألف دينار وكتب له يطلب منه أن يعقد له النيابة عنه ببلاد الهند والسند
ويبعث لها سواه من يظهر له هكذا نص عليه كتابه اعتقاد آمنه في الخلافة وحسن نية وكان
للشيخ رجب أخ بديار مصر يدعي بالامير سيف الدين الكاشف فلما وصل رجب الى
الخليفة أتى أن يقرأ الكتاب ويقبل الهدية الا بمحض الملك الصالح اسماعيل ابن الملك
الناصر فأشار سيف الدين على أخيه رجب ببيع الحجر فباعه واشترى بثمنه وهو ثلاثمائة
الف درهم أربعة أحجار وحضر بين يدي الملك الصالح ودفع له الكتاب وأحداً لحجار
ودفع سائرها لأمرائه واتفقوا على أن يكتب لملك الهند بما طلبة فوجهوا الشهود الى
الخليفة وأشهدوا على نفسه أنه قدمه نائباً عنه ببلاد الهند وما يليها وبعث الملك الصالح رسولاً من
قبله وهو شيخ الشيوخ بمصر ركن الدين المعجمي ومعه الشيخ رجب وجماعة من الصوفية
وركبوا بحر فارس من الابل الى هرمز وسلطانها يومئذ قطب الدين نعمان بن طوران شاه
فاكرم مشواهم وجهازهم مركباً الى بلاد الهند فوصلوا مدينة كنيات والشيخ سعيد بها
وأمرها يومئذ مقبول التلشي أحد خواص ملك الهند فاجتمع الشيخ رجب بهذا الأمير
وقال له ان الشيخ سعيد انما جاءكم بالزور والخلع التي ساقها انما اشتراها بعدن فينبغي
أن تتقفوه وتبعثوه لخوند عالم وهو السلطان فقال له الأمير الشيخ سعيد معظم عند السلطان
فما يفعل به هذا الا بأمره ولكي أبعثه معكم ليرى فيه السلطان رأيه وكتب الأمير بذلك
كله الى السلطان وكتب به أيضاً صاحب الاخبار فوقع في نفس السلطان تغير وانقبض عن
الشيخ رجب لكونه تكلم بذلك على رؤس الاشهاد بعد ما صدر من السلطان للشيخ سعيد
من الاكرام ما صدر فتمنع رجا من الدخول عليه وزاد في اكرام الشيخ سعيد ولم يدخل
شيخ الشيوخ على السلطان قام اليه وعانقه وأكرمه وكان متى دخل اليه يقوم له وبقى الشيخ
سعيد المذكور بارض الهند معظماً مكرماً وبها تركة سنة ثمان وأربعين وكان بمكة أيام
مجاورتى بها حسن المغربي المجنون وأمره غريب وشأنه عجيب وكان قبل ذلك صحيح العقل

خديع لولي الله تعالى نجم الدين الاصبهاني أيام حياته

﴿حكايته﴾ كان حسن المجنون كثير الطواف بالليل وكان يرى في طوافه بالليل فقير
يكثر الطواف ولا يرام بالنهار فلقبه ذلك الفقير ليلة وسأله عن حاله وقال له يا حسن ارامك
تبكي عليك وهي مشتاقة الي رؤيتك وكانت من امام الله الصالحات فتعجب أن تراها قال له نعم
ولكني لا قدر تلي على ذلك فقال له فجمع ههنا في الليلة المقبلة أن شاء الله تعالى فاما كانت
الليلة المقبلة وهي ليلة الجمعة وجده حيث واعدته فطافا بالبيت ما شاء الله ثم خرج وهو في أثره
الي باب المسمى نأمره أن يسد عينيه ويمسك بثوبه ففعل ذلك ثم قال بعد ساعة أعرف بلك
قال نعم قل هاهو هذا ففتح عينيه فاذا به على دار أمه فدخل سائها ولم يعلمها بشيء مما جرى
وأقام عندهما نصف شهر وأظن ان بلده مدينة أسفى ثم خرج الي الحياة فوجد فقير
ساحبه فقال له كيف أنت فقال ياسيدي انى اشتقت الي رؤية الشيخ نجم الدين وكنت
خرجت على عادتي وغبت عنه هذه الايام واحب ان ردي اليه فقل له نعم وواعدته الحياة
ليلا فاما واقام بها امره أن يفعل كفعله في مكة شرفها الله من تعويض عينيه والامساك بذيله
ففعل ذلك فاذا به في مكة شرفها الله وأوصاه ان لا يحدث نجم الدين بشيء مما جرى ولا يحدث
به غيره فلما دخل على نجم الدين قال له أين كنت يا حسن في غيبتك فأبى أن يخبره فعزم عليه
فأخبره بالحكاية فقال أرني الرجل فأتى معه ليلا وأتى الرجل على عادته فاما امر به ما قال له
ياسيدي هو هذا فسمعه الرجل فضرب بيده على فمها وقال أسكت أسكتك الله فخرس لسانه
وذهب عقله وبقى بالحرم وطاف بالليل والنهار من غير وضوء ولا صلاة والناس
يتبركون به وبنته وانه اذا جاع خرج الي السوق اتي بين المسنن والمروة في تصدحوا من
الحوانيت فبأكل منها ما احب لا يصدده أحد ولا يمنعه بل يسر كل من أكل له شيئا وتظهر له
البركة والنساء في بيعه وربحه وبقى في السوق تطاولاها باعناقهم اليه كل منهم يحرس
على أن يأكل من غده ما ساجر يوه من بركته وكذلك فعله مع السقائين متى أحب أن يشرب
ولم يزل دأبه كذلك الي سنة ثمان وعشرين ففج فيها الامير سيف الدين يملك فاستدعيه
سعه الي ديار مصر فاقطع خبره ففزع الله تعالى به

﴿ذكر عادة أهل مكة في صلواتهم وموضع أئمتهم﴾

فمن عادتهم أن يصلي أول الأئمة أمام الشافعية وهو المقدم من قبل أولى الأمر وصلاته خلف المقام الكريم مقام إبراهيم الخليل عليه السلام في حطيم له هنالك بديع وجهه والناس بمكة على مذهبه والحطيم خشبتان موصول ما بينهما بأذرع شبه السلم تقابلهما خشبتان على صفتها وقعدت على أرجل مجصصة وعرض على أعلى الخشب خشبة أخرى فيها خطاطيف حديد يعلق منها قاذيل زجاج فاذا صلى الإمام الشافعي صلى بعده الإمام المالكية في محراب قبالة الركن اليماني ويصلي أمام الحنبلية معه في وقت واحد مقابلا ما بين الحجر الأسود والركن اليماني ثم يصلي أمام الحنفية قبالة الميزاب المكرم تحت حطيم له هنالك ويوضع بين أيدي الأئمة في محاريبهم الشمع وترتيبهم هكذا في الصلوات الأربع وأما صلاة المغرب فانهم يصلونها في وقت واحد كل امام يصلي بطائفة ويدخل على الناس من ذلك سهو وتخليط فربما ركع المالكي ركوع الشافعي وسجدا الحنفي وسجودا الحنبلي وتراهم مصيحين كل واحد الى صوت المؤذن الذي يسمع طائفته لئلا يدخل عليه السهو

﴿ذكر عادتهم في الخطبة وصلاة الجمعة﴾

وعادتهم في يوم الجمعة أن يلصق المنبر المبارك الى صفح النكبة الشريفة قبا بين الحجر لاسود والركن العراقي ويكون الخطيب مستقبلا المقام الكريم فاذا خرج الخطيب أقبل لابس ثوب سواد معتما بعمامة سوداء عليها طياسان اسود كل ذلك من كسوة الملك الناصر وعليه الوقار والسكينة وهو يتهدى بين رايتين سوداوين تمسكهما رجلا من المؤذنين وبين يديه أحد القومة في يده الفرقة وهي عود في طرفه جلد رقيق مفتول ينفذه في الهواء فيسمع له صوت عال يسمعه من بداخل الحرم وخارجيه فيكون اعلاما بخروج الخطيب ولا يزال كذلك الى ان يقرب من المنبر فيقبل الحجر الاسود ويدعو عنده ثم يقصد المنبر والمؤذن الزمزمي وهو رئيس المؤذنين بين يديه لابس السواد وعلى عاتقه السيف ممسكا له يده أو تركز الرايتان عن جانبي المنبر فاذا صعد أول درج من درج المنبر قلده المؤذن السيف فيضرب بنصل السيف ضربة في الدرج يسمعها الحاضرين ثم يضرب في الدرج الثاني ضربة

ثم في الثالث أخرى فاذا استوي في عاليا الدرجات ضرب ضربة رابعة ووقف داعيا بدعاء
 خفي مستقبل الكعبة ثم يقبل على الناس فيسلم عن يمينه وشماله ويرد عليه الناس ثم يقعد
 ويؤذن المؤذنون في أعلى قبة زمزم في حين واحد فاذا فرغ الاذان خطب الخطيب خطبة
 يكثر بها من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول في أثنائها اللهم صل على محمد وعلى
 آل محمد ما طاف بهذا البيت طائف ويشير بأصبعه إلى البيت الكريم اللهم صل على محمد وعلى
 آل محمد ما وقف به رفقة واقف ويرضى عن الخلفاء الأربعة وعن سائر الصحابة وعن عمي
 النبي صلى الله عليه وسلم وسبطيه وأمهما وخريجة جدتهما على جميعهم السلام ثم يدعو
 للملك الناصر ثم للسلطان المجاهد نور الدين علي بن الملك المؤيد داود بن الملك المظفر
 يوسف بن علي بن رسول ثم يدعو للسيد الشريفين الحسينين أمير مكة سيف الدين
 عطيفة وهو أصغر الأخوين وبقية دم اسمه لعدله واسد الدين رميثة أبي نجي بن أبي سعد
 ابن علي بن قتادة وقد دعا السلطان العراقي مرة ثم قطع ذلك فاذا فرغ من خطبته صلى
 وانصرف والرايتان عن يمينه وشماله وانقرعة امامه اشعارا بانقضاء الصلاة ثم يعاد المنبر إلى
 مكانه إذا كان المقام الكريم

﴿ذكر عاداتهم في استهلال الشهور﴾

وعاداتهم في ذلك ان يأتي أمير مكة في أول يوم من الشهر وقوادمه يحفون به وهو لا بس البياض
 معتم متقلد سيفاً وعليه السكينة وانوار فيصلي عند المقام الكريم ركعتين ثم يقبل الحجر
 ويشترع في طواف أسبوع ورئيس المؤذنين على أعلى قبة زمزم فعند ما يكمل الأمير شوطاً
 واحداً ويقصد الحجر لتقبيله يندفع رئيس المؤذنين بالدعاء له التهنئة بدخول الشهر رافعا
 بذلك صوته ثم يذکر شعرافي مدحه ومدح سلفه الكريم ويفعل به هكذا في السبعة اشواط
 فاذا فرغ منها ركع عند الملتزم ركعتين ثم ركع خلف المقام أيضا ركعتين ثم انصرف ومثل
 هذا سواء يفعل اذا اراد سفر او اذا قدم من سفر ايضا

﴿ذكر عاداتهم في شهر رجب﴾

وإذا دخل ليل رجب أمر أمير مكة بضرب الطبول والبوقات اشعارا بدخول الشهر ثم

يخرج في أول يوم منه راكبا ومعه أهل مكة فرسانا ورجالا على ترتيب عجيب وكلهم بالأسلحة يلعبون بين يديه والفرسان يجولون ويجرون والرجالة يتواثبون ويرمون بحراهم أبي الهواء ويألقفونها والامير ربيعة والامير عطيفة معهما أولادها وقوادحها مثل محمد بن ابراهيم وعلي وأحمد ابني صبيح وعلي بن يوسف وشداد بن عمرو وعاصم الشرة ومنصور ابن عمرو وموسي المزرق وغيرهم من كبار أولاد الحسن ووجوه القوادح بين أيديهم الرايات والطبول والدفادب وعليهم السكينة والوقار ويسرون حتى ينتهون إلى الميقات ثم يأخذون في الرجوع على معهود ترتيبهم إلى المسجد الحرام فيطوف الامير بالبيت والمؤذن الزمزمي بأعلى قبة زمزم يدعوه عند كل شوط على ما ذكرناه من شادته فاذا طاف صلى ركعتين عند الملتزم وصلى عند المقام وتمسح به وخرج إلى المسمى فسمى راكبا والقوادح يحفون به والحراة بين يديه ثم يسير إلى منزله وهذا اليوم عندهم عيد من الأعياد ويلبسون فيه أحسن الثياب ويتنافسون في ذلك

﴿ ذكر عمرة رجب ﴾

وأهل مكة يحتفلون بعمرة رجب الاحتفال الذي لا يهدونه له وهي متصلة بسلامة نهارا وأوقات الشهور كلهم مودة بالعبادة وخصوصا أول يوم منه ويوم خمسة عشر والسابع والعشرين فانهم يستعدون لها قبل ذلك بأيام شاهدتهم في ليلة السابع والعشرين منه وشوارع مكة قد غصت بالهوادج عليها كساء الحرير والكتان الرقيق كالأحذية بقدر استطاعته والجمال مزينة مقلدة بقلائد الحرير واستار الهوادج ضافية تكاد تمس الأرض فهي كالقباب المضروبة ويخرجون إلى ميقات التمتع فتسيل أباطح مكة بلك الهوادج وانيران مشعلة بجنتي الطريق والشمع والمشاعل أمام الهوادج والجبال تحجب بصداها اهللال المهاين فترق النفوس وتهمل الدموع فاذا قضوا العمرة وطافوا بالبيت خرجوا إلى المسمى بين الصفا والمروة بعد مضي شيء من الليل والمسمى متقد السرج غاص بالناس والساعات في هوادجهم والمسجد الحرام يتلأل أنورا وهم يدعون هذه العمرة بالعمرة الاكبية لانهم يحرمون بها من اكمة أمام مسجد عائشة رضي الله عنها فسد ارغوة على مقربة من المسجد المنسوب إلى علي رضي الله عنه والاصل في هذه العمرة ان عبد الله بن الزبير

رضي الله عنهما سافر غ من بناء الكعبة المقدسة خرج اشيا حافيا معتمرا او معه أهل مكة
 وذلك في اليوم السابع والعشرين من رجب وانتهى الى الاكمة فاحرم منها وجعل طريقه
 على تبة الحجون الى المعلى من حيث دخل المسلمون يوم الفتح فبقيت تلك الممر سنة عند
 أهل مكة الى هذا العهد وكان يوم عبد الله مذكورا أهدي فيه بدنا كثير. أهدي اشراف
 مكة وأهل الاستطاعة منهم. أقاموا اياما يطعمون ويطعمون شكرا لله تعالى على ما وهبهم
 من التيسير والموتة في بناء بيته الكريم على الامة التي كان عليها في أيام الخليل صلوات الله
 عليه ثم لما قبل ابن الزبير نقض الحجاج الكعبة وردّها الى بنائها في عهد قريش وكانوا
 قد اقتصر وافي بنائها وأبقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك لحثانهم. هدم
 فالكفر ثم أراد الخليفة أبو جعفر المنصور ان يعيدها الى بناء ابن الزبير فنهاه مالك رحمه الله
 عن ذلك وقال يا أمير المؤمنين لا تجمل اليك ملعة للملوك متى أراد أحدهم أن يغيره فعمل
 فتركه على حاله سدالة نريمة وأهل الجهات الموالية لمكة مثل بحيلة وزهران وغندم
 يباعدون لحضه ورعمة رجب ويجلبون الى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبد
 والزيت والوزن فترخص الاسعار بركة ويرغ غعيش أهلها وتعمهم المرافق ولولا أهل هذه
 البلاد كان أهل مكة في شظف من العيش ويذكرونهم متى أقاموا ابيلا دهم ولم يأتوا بهذه
 الميرة أجديت بلادهم ووقع الموت في مواسمهم ومتى أوصلوا الميرة أخضبت بلادهم
 وظهرت فيها البركة وانت أموا لهم فهم انما حان وقت ميرتهم وأدركهم كسل عنها اجتهت
 نسائهم فاخرجهم وهذا من لطائف صنع الله تعالى وعنايته ببلده الامين وبلاد السرو
 التي يسكنها بحياة وزهران وغندم وسواهم من القبائل مخصبة كثيرة الاغاب وافرة الغلات
 وأهلها فصحاء الالسن لهم صدق نية وحسن اعتقاد وهم اذا طافوا بالكعبة يتطارحون
 عليها لا تدين بجوارها متعلقين باستارها داعين بادعية تتصدر لرقها القلوب وتدمع العيون
 بالجمادة فترمي الناس حولهم باسطي أيديهم مؤمنين على ادعيتهم ولا يتمكن غيرهم الطواف
 معهم ولا استلام الحج. انزاحهم على ذلك وهم شجمان انجاد ولباسهم الجلود واذوردوا
 مكة هابت اعراب الطريق مقدمهم وتجنبوا اعتراضهم ومن محبهم من الزوار حمد محبتهم

وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكرهم وأثنى عليهم نيرا وقال علموهم الصلاة بما ركم
الدعاء وكفاهم شرفادخولهم في عموم قوله صلى الله عليه وسلم الايمان بمان والحكمة
يمانية وذكر أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يحري وقت طوافهم ويدخل في
جملتهم تبركاً بدعائهم وشأنهم عجيب كله وقد جاء في أن رزاقهم في الطواف فان الرحمة
تصب عليهم صبا

﴿ذكر عاداتهم في ايلة النصف من شعبان﴾

وهذه ائيلة من الياالي المظمة عند أهل مكة يادرون فيها الى أعمال البر من الطواف
والصلاة جماعات وأفاذا والاعتبار ويجمعون في المسجد الحرام جماعات اجل جماعة
امام ويوقدون السرج والمصابيح والمشاعل ويقابل ذلك ضوء القمر يتلأأ الأرض
والسماء نوراً ويصلون مائة ركعة يقرؤن في كل ركعة بأم القرآن وسورة الاخلاص
يكررونها عشرة اوبعض النان يصلون في الحجر منفردين وبعضهم يطوفون بالبيت
الشريف وبعضهم قد خرجوا للاعتبار

﴿ذكر عاداتهم في شهر رمضان المعظم﴾

واذا أهل هلال رمضان تضرب الطبول والدفادب عند أمير مكة ويقع الاحتفال بالمسجد
الحرام من تجديد الحصر وتكثير الشمع والمشاعل حتى يتلأأ الحرم نوراً ويسطع بهجة
واشرقا وتتفرق الائمة فرقا وهم الشافعية والحنفية والحنابلة والزيدية وأمال المالكية
فيجتمعون على أربعة من القراءة ابون القراءة ويوقدون الشمع ولا تبقى في الحرم
زاوية ولا ناحية الا وفيها قارئ يصلي بجماعة فيبج المسجد لاصوات القراء وترق النفوس
وتحضر القلوب وتهمل الاعين ومن الناس من يقتصر على الطواف والصلاة في الحجر
متفردا والشافعية أكثر الائمة اجتهادا وعاداتهم انهم اذا اكملوا التراويح المعتادة وهي
عشرون ركعة يطوف امامهم وجاعته فاذا فرغ من الاسبوع ضربت الفرقة التي ذكرنا
انها تكون بين يدي الخطيب يوم الجمعة كأن ذلك اعلاما بالعودة الى الصلاة ثم يصلي
ركعتين ثم يطوف أبو عاهكذا الي ان يتم عشرون ركعة أخرى ثم يصلون الشفع والوتر

وينصرفون وساثر الائمة لا يزيدون على العادة شيئاً وإذا كان وقت السحور يتولى المؤذن
الزمزمي التسخير في الصومعة التي بالركن الشرقي من الحرم فيقوم داعياً مذكراً ومحرضاً
على السحور والمؤذنون في ساثر الصوامع فإذا تكلم أحد منهم أجابه صاحبه وقد نصبت في
أعلى كل صومعة خشبة على رأسها عود معترض قد علق فيه قنديلان من الزجاج كبيران
يقعدان فإذا قرب الفجر ووقع الاذان بالقطع مرة بعد مرة حط القنديلان وابتدأ
المؤذنون بالاذان وأجاب بعضهم بعضاً ولديار مكة شرفها الله سطوح فمن بعدت داره بحيث
لا يسمع الاذان يبصر القنديليين كورين فيتسحر حتى اذا لم يبصرهما أتبع عن الاكل
وفي كل ليلة وتر من ليالي العشر الاواخر من رمضان يختمون القرآن ويحضر الحتم القاضي
والنقهاء والكبراء ويكون الذي يختم بهم أحباء كبار أهل مكة فإذا ختم نصب له منبر
مزين بالحرير وأوقد الشمع وخطب فإذا فرغ من خطبته استعفى أبوه الناس الى منزله
فأطعمهم الاطعمة الكثيرة والحلاوات وكذلك يصنعون في جميع ليالي الوتر وأعظم تلك
اليالي عندهم ليلة سبع وعشرين واحتفالهم لها أعظم من احتفالهم لساثر الليالي ويختم
بها القرآن الكريم خاف المقام الكريم وتقام ازاء حطيم الشافعية خشب عظام توصل بالحطيم
وترص بينها ألواح طوال وتجعل ثلاث طبقات وعليها الشمع وقناديل الزجاج فيكاد
يغشي الابصار شعاع الانوار ويتقدم الامام فيصلي فريضة العشاء الآخرة ثم يتدي قراءة
سورة القدر واليه يكون انتهاء قراءة الائمة في الليلة التي قبلها وفي تلك الساعة يمسك جميع
الائمة عن التراويح تعظيماً للحمة المقام ويحضرونها تبركين فيختم الامام في تسليمين ثم
يقوم خطيباً من قبل المقام فإذا فرغ من ذلك عاد الائمة الى صلاتهم وانقضى الجمع ثم
يكون الحتم ليلة تسع وعشرين في المقام المذكور في منظر مختصر وعن المباهة منزلة
موقر فيختم ويخطب

﴿ ذكر عاداتهم في شوال ﴾

وعاداتهم في شوال وهو مفتتح أشهر الحج المعلومات أن يوقدوا المشاعل ليلة استهلاله
ويسرجون المصابيح والشمع على نحو فعلهم في ليلة سبع وعشرين من رمضان وتوقد

السرّج في الصوامع من جميع جهاتها ويوقد. طح الحرم كله ونسطح المسجد الذي بالي أبي
قيس وقيم المؤذنون ليأتهم تلك في تهليل وتكبير وتسييح والناس ما بين طواف وصلاة
وذكر ودعاء فاذا صلوا صلاة الصبح أخذوا في أهبة العيد ولبسوا أحسن ثيابهم وبادروا
لأخذ مجالسهم بالحرم الشريف وبه يصلون صلاة السيد لأنه لا موضع أفضل منه ويكون
أول من يكر إلى المسجد الشيعيون فيفتحون باب الكعبة المقدسة ويقعد كبيرهم في تحتها
وسائرهم بين يديه إلى أن يأتي أمير مكة فيتلقونه ويطوف بالبيت أسبوعاً والمؤذن الزمزمي
فوق شطح قبة زمزم على العادة رافعا صوته بالشاء عليه ولدعاء له ولاخيه كما ذكر ثم يأتي
الخطيب بين الرايتين السوداوين والفرقة امامه وهو لا يس السواد فيصلي خلف المقام
الكريم ثم يصعد المنبر ويخطب خطبة بليغة ثم اذا فرغ منها أقبل الناس بعضهم على
بعض بالسلاام والمصافحة والاسستغفار ويقصدون الكعبة الشريفة فيدخلونها أفواجا
ثم يخرجون إلى مقبرة باب المعلى تبركاً بمن فيها من الصحابة وصدور السلف ثم ينصرفون
﴿ذكر احرام الكعبة﴾

وفي اليوم السابع والعشرين من شهر ذي القعدة تشمر أسوار الكعبة الشريفة زادها الله
تعظيماً إلى نحو ارتفاع قامة ونصف من جهاتها الأربع صونا لها من الأيدي أن تنتهبها
ويسمون ذلك احرام الكعبة وهو يوم مشهود بالحرم الشريف ولا تفتح الكعبة المقدسة
من ذلك اليوم حتى تنقضي الوقفة بعرفة

﴿ذكر شعائر الحج واعماله﴾

واذا كان في أول يوم شهر ذي الحجة تضرب "طبول والدبادب في أوقات الصلوات وبكرة
وعشية اشعاراً بالموسم المبارك ولا تزال كذلك إلى يوم الصعود إلى عرفات فاذا كان
اليوم السابع من ذي الحجة خطب الخطيب إثر صلاة الظهر خطبة بليغة يعلم الناس فيها
مناسكهم ويعلمهم يوم الوقفة فاذا كان اليوم الثامن بكر الناس بالصعود إلى منى وامراء
مصر والشام والعراق وأهل العلم يبيتون تلك الليلة بمنى وتتبع المباهاة والمفاخرة بين أهل
مصر والشام والعراق في ايقاد الشمع ولكن الفضل في ذلك لأهل الشام دائماً فاذا كان

اليوم التاسع وحلوا من منى بعد صلاة الصبح الى عرفة فيمرون في طريقهم بوادي محسر ويهرولون وذلك سنة ووادي محسر هو الحد ما بين مزدلفة ومنى ومزدلفة بسيط من الارض فسيح بين جباين وحولها مصانع وصهاريج للماء مما بنته زبيدة ابنة جعفر بن أبي جعفر المنصور زوجة أمير المؤمنين هارون الرشيد وبين منى وعرفة خمسة أميال وكذلك بين منى ومكة أيضاً خمسة أميال وعرفة ثلاثة أسماء وهي عرفة وجمع والمشرع الحرام وعرفات بسيط من الارض فسيح ابيض تحديق به جبال كثيرة وفي آخر بسيط عرفات جبل الرحمة وفيه المواقف وفيما حوله والعلمان قبله بخوميل وهما الحد ما بين الحل والحرم وبمقربة منهم اسم سابل عرفة بطن عرنة الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالارتفاع عنه ويجب التحفظ منه ويجب أيضاً الامساك عن النفور حتى يتمكن سقوط الشمس فان الجمالين ربما استبحنوا كثير آمن الناس وحذروهم الزحام في القروا استدركواهم الى أن يصلوا بهم بطن عرنة فيبطل حجهم وجبل الرحمة التي ذكرناه قائم في وسط بسيط جمع منقطع عن الجبال وهو من حجارة منقطع بعضها عن بعض وفي أعلاه قبة تنسب الى أم سلمة رضي الله عنها وفي وسطها مسجديتزا حرم الناس للصلاة فيه وحوله سطح فسيح يشرف على بسيط عرفات وفي قبله جدار فيه محاريب منصوبة يصلي فيه الناس وفي أسفل هذا الجبل عن يسار المستقبل للكعبة دار عتيقة البناء تنسب الى آدم عليه السلام وعن يسارها المخزرات التي كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم عندها وحول ذلك صهاريج وجباب للماء ويمتد منه الموضع الذي يقف فيه الامام ويخطب ويجمع بين الظهر والعصر وعن يسار العلمين للمستقبل أيضاً وادي الاراك وبه أراك أخضر يمتد في الارض امتداداً طويلاً واذا حان وقت النفرا أشار الامام المسالكى بيده ونزل عن موقفه فدفع الناس بالنفر دفعة ترجح لها الارض وترجف الجبال فياله موقفاً كريماً ومشهداً عظيماً ترجو النفوس حسن عقابه وتطمح الآمال الى نفحات رحماء جعلنا الله ممن خصه فيه برضاه وكانت وقفتي الاولى يوم الخميس سنة ست وعشرين وأمر أمير الراكب المصري يومئذ أرغون الدوادار نائب الملك الناصر وحجت في تلك السنة ابنة الملك الناصر وهي زوجة أبي بكر بن أرغون

انذ كور و حجت فيها زوجة الملك الناصر المسماة بالخوندوة وهي بنت السلطان المعظم محمد
اوزبك ملك السراوق و خوارزم وأمير الركب الشامي سيف الدين الجوبان و لما وقع انفار
بعد غروب الشمس وصلنا من دلفة عند العشاء الآخرة فصليناها المغرب والعشاء جمعا
بينهما حسبما جرت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم و لما صلينا الصبح بمزدلفة غدونا
منها الى منى بعد ان وقوف والدعاء بالمشعر الحرام ومزدلفة كلها موقوف الا وادي محسر ففيه
تقع المروة حتى يخرج عنه ومن مزدلفة يستحب أكثر الناس حصيات الجمار وذلك
مستحب ومنهم من يلقطها حول مسجد الخيف والامر في ذلك واسع ولما انتهى الناس
الى منى بادروا الرمي جرة العقبة ثم نحر وادبحوا ثم حلقوا وحلوا من كل شيء الا النساء
والطيب حتى يطوفوا طواف الافاضة ورمي هذه الجمرة عند طلوع الشمس من يوم النحر
ولما رموها توجه أكثر الناس بعد أن ذبحوا وحلقوا الى طواف الافاضة ومنهم من
أقام الى اليوم الثاني وفي اليوم الثاني رمي الناس عند زوال الشمس بالجرة الاولى سبع
حصيات وبأوسطي كذلك ووقفوا الدعاء بهاتين الجمرتين اقتداء بفعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولما كان اليوم الثالث تعبيل الناس الانحدار الى مكة شرفها الله بعد أنكمل لهم
رمي تسع وأربعين حصاة وكثير منهم أقام اليوم الثالث بعد يوم النحر حتى رمى
سبعين حصاة

تذكرة كسوة الكعبة

وفي يوم النحر بعثت كسوة الكعبة الشريفة من الركب المصري الى البيت الكريم فوضعت
في - ما حدها - كان اليوم الثالث بعد يوم النحر أخذ الشيعيون في اسبائها الى الكعبة
الشريفة وهي كسوة سوداء حالكة من الحرير مبطنة بالكتان وفي أعلاها طراز مكتوب
فيه بالياض جعل الله لكعبة البيت الحرام قياما الآية وفي سائر جهاتها طرز مكتوبة
بالياض فيها آيات من القرآن وعليها نور لائح مشرق من سوادها ولما كسيت شمرت
اذيا لها صونا من أيدي الناس والملك الناصر هو الذي يتولى كسوة الكعبة الكريمة وبعث
مراتب القاضي والخطيب والائمة والمؤذنين والفراشين والقومة وما يحتاج له الحرم

الشريف من الشمع والزيت في كل سنة وفي هذه الايام تفتح الكعبة الشريفة في كل يوم للعراقيين والحراسانيين وسواهم ممن يصل مع الركب العراقي وهم يقيمون بمكة بعد سفر الركبين الشامي والمصري اربعة ايام فيكثرون فيها الصدقات على المجاورين وغيرهم ولقد شاهدتهم يطوفون بالحرم ليلافس لقوه في الحرم من المجاورين أو المكيين أعطوه الفضة والاثياب وكذلك يعطون للمشاهدين الكعبة الشريفة وربما وجدوا انساناً ثاماً فجعلوا في فيه الذهب والفضة حتى يفيق ولما قدمت معهم من العراق سنة ثمان وعشرين فملوا من ذلك كثيراً وأكثروا الصدقة حتى رخص سوم الذهب بمكة وانتهى صرف المتقال الى ثمانية عشر درهماً نقرة لكثرة ما تصدقوا به من الذهب وفي هذه السنة ذكر اسم السلطان أبي سعيد ملك العراق على المنبر وقبة زمزم

﴿ ذكر الانفصال عن مكة شرفها الله تعالى ﴾

وفي الموفى عشرين ندى الحجة خرجت من مكة صحبة أمير ركب العراقي البهلوان محمد الخويج (بعضين مهملين) وهو من أهل الموصل وكان يلي إمارة الحاج بعد موت الشيخ شهاب الدين قلندر وكان شهاب الدين شيخاً فاضلاً عظيم الحرمه عند سلطانه يحلق لحيته وحاجبيه على طريقة القاندريّة ولما خرجت من مكة شرفها الله تعالى في صحبة الأمير البهلوان المذكور اكرت لي شقة محارة الى بغداد ودفع اجارتهما من ماله وأنزلني في جواره وخرجنا بعد طواف الوداع الى بطن صر في جمع من العراقيين والحراسانيين والفارسيين والاعاجم لا يحصى عديدهم توج بهم الارض موجواً يسرون سير السحاب المتراكم فمن خرج عن الركب لحاجة ولم تكن له علامة يستدل به على موضعه ضل عنه لكثرة الناس وفي هذا الركب نواضح كثيرة لآبناء السبيل يستقون منها الماء وجمال ترفع الزاد للصدقة ورفع الادوية والاشربة والسكر لمن يصيبه مرض واذا نزل الركب طبخ الطعام في قدور نحاس عظيمة تسمى الدسوت وأطعم منها أبناء السبيل ومن لا زاد معه وفي الركب جملة من الجمال يحمل عليها من لا قدرة له على المشي كل ذلك من صدقات السلطان أبي سعيد ومكارمه قال ابن جزى كرم الله هذه الكنية الشريفة فما أعجب أمر

في الكرم وحسبك بمولانا بحر المكارم ورافع رايات الجود الذي هو آية في الندى والفضل
 أمير المسلمين أبي سعيد ابن مولا نافع الكفار والآخذ للاسلام بالنار أمير المسلمين أبي
 يوسف قدس الله أزواجهم الكريمة وأبقى الملك في عقبهم الطاهر إلى يوم الدين (رجع)
 وفي هذا الركب الاسواق الحافلة والمرافق العظيمة وأنواع الاطعمة والفواكه وهم
 يسرون بالليل ويوقدون المشاعل امام القطار والمحارات فتري الارض تتألأ نورا
 والليل قد عاد نهارا ساطعا ثم رملنا من بطن مر إلى عسفان ثم إلى خليص ثم رحلنا
 أربع مراحل ونزلنا وادي السمك ثم رحلنا خمسا ونزلنا في بدر وهذه المراحل ثنتان في
 اليوم احدهما بعد الصبح والاخرى بالمشي ثم رحلنا من بدر فنزلنا الصفراء وأقمنا بها
 يوما مستريحين ومنها إلى المدينة الشريفة مسيرة ثلاث ثم رحلنا فوصلنا إلى طيبة مدينة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وحصلت لنا زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا وأقمنا
 بالمدينة كرمها الله تعالى ستة أيام واستصحبنا منها الماء لمسيرة ثلاث ورحلنا عنها فنزلنا في
 الثالثة بوادي العروس فزودنا منه الماء من حسيان يحفرون عليها في الارض فينبطون
 ماء عذبا معنا ثم رحلنا من وادي العروس ودخلنا أرض نجد وهو بسيط من الارض مد
 البصر فتدسمنا سيمة الطيب الارج ونزلنا بعد أربع مراحل على ماء يعرف بالعسيلة ثم
 رحلنا عنه ونزلنا ماء يعرف بالنقرة فيه آثار مصانع كاصهاريج اعظيمة ثم رحلنا إلى ماء
 يعرف بالقارورة وهي مصانع مملوءة بماء المطر مما صنعتها زبيدة ابنة جعفر رحمه الله ونهها
 وهذا الموضع هو وسط أرض نجد فسيح طيب النسيم صحيح الهواء نقي التربة معنبدل في
 كل فصل ثم رحلنا من القارورة ونزلنا بالحاجر وفيه مصانع الماء يعرف بالحجر فحفر عن
 الماء في الجفار ثم رحلنا ونزلنا سميرة وهي أرض غائرة في بسيط فيه شبه حصن مسكون
 وماؤها كثير في آبار الا انه زعاق ويأتي عرب تلك الارض بالغن والسمن والابن فيبيعون
 ذلك من الحجاج بالثياب الخام ولا يبيعون بسوى ذلك ثم رحلنا ونزلنا بالحليل المحروق
 وهو في يبداء من الارض وفي أعلاه ثقب نافذ تخرقه الريح ثم رحلنا منه إلى وادي
 الكروش ولا ماء به ثم اسرنا إلى سلا وصبحنا حصن فيد وهو حصن كبير في بسيط من

الأرض يدور به سور وعليه ريش وساكنوه عرب يتعيشون مع الحاج في البيع والتجارة
وهناك يترك الحجاج بعض أزوادهم حين وصولهم من العراق إلى مكة شرفها الله تعالى
فاذا عادوا وجدوه وهو نصف الطريق من مكة إلى بغداد ومنه إلى الكوفة مسيرة اثني عشر
يوماً في طريق سهل به المياه في المصانع ومن عادة الركاب ان يدخلوا هذا الموضع على تعبئة
وأهبة للحرب ارباباً لعرباً مجتمعين هناك وقطعاً لاطماعهم عن الركاب وهناك اقينا
أمير العرب وهما فياض وحيار واسمه (بكسر الحاء واهماله وياء آخر الحروف) وهما
أبناء الأمير مهدي بن عيسى ومنهما من خيل العرب ورجالهم من لا يحصون كثرة فظهر
منهم ما لمحافظة على الحاج والرحال والحوطة لهم وأبي العرب بالجمال والغنم فاشترى منهم
الناس ما قدروا عليه ثم رحلنا ونزلنا الموضع المعروف بالاجفر ويشترى باسم العاشقين
جميل وبثينة ثم رحلنا ونزلنا بالبيداء ثم أسرىنا ونزلنا زروود وهي بسيطة من الأرض
فيه رمال منهالة وبه دور صغير قد اداروه شبه الحصن وهناك ابار ماء ليست بالمعذبة ثم
رحلنا ونزلنا النعلابية ولما حصل خرب ازارنه مصنع هائل ينزل اليه في درج وبه من ماء لغار
ما يعم الركاب ويجمع من العرب بهذا الموضع جمع عظيم فيبيعون الجمال والغنم والسمن
واللبن ومن هذا الموضع إلى الكوفة ثلاث مراحل ثم رحلنا فنزلنا ببركة المرجوء وهو
مشهد على الطريق عاياه كوم عظيم من حجارة وكل من مر به رجوه يذكر ان هذا
المرجوم كان اقصيانا سافر مع الركاب يريد الحج فوكت بينه وبين أهل السنة من الأتراك
مشاجرة فشب بعض الصحابة فقتلوه بالحجارة وبهذا الموضع بيوت كثيرة للعرب
ويقصدون الركاب بالسمن واللبن وسوى ذلك وبه مصنع كبير يبيع الركاب من اثاره
زيدة رحمة الله عاياه وكل مصنع أو بركة أو بئر بهذا الطريق التي بين مكة وبغداد فهي من
كريم آثارها جزاها الله خير او وفي لها أجرها ولو لا غايتها بهذه الطريق ما انكها أحد ثم
رحلنا ونزلنا موضعاً يعرف بالمشقوق فيه مصنعان بهما الماء العذب العسافي وأراق النار
ما كان عندهم من الماء وتزودوا منها ثم رحلنا ونزلنا موضعاً يعرف بالسانر وفيه مع
مجنى بالماء ثم أسرىنا منه واجتازنا ضحوة زمالة وهي قرية معسورة بها تصرب

ومصنعان للماء وآبار كثيرة وهي من مناهل هذا الطريق ثم رحلنا فزلنا الهشمين وفيه
مصنعان للماء ثم رحلنا فزلنا دون العقبة المعروفة بعقبة الشيطان وصعدنا العقبة في اليوم
الثاني وليس بهذا الطريق وعمرسواها على أنها ليست بصعبة ولا طائلة ثم زلنا موضعا
يسمى واقصة فيه قصر كبير ومصانع للماء معمور بالعرب وهو آخر مناهل هذا الطريق
وليس فيما بعده إلى الكوفة منهل مشهور إلا مزارع ماء الفرات وبه يتلقى كثير من أهل
الكوفة الحاج ويأتون بالدقيق والخبز والتمر والفواكه ويهني الناس بعضهم بعضا بالسلامة ثم
زلنا موضعا يعرف بلورة فيه مصنع كبير للماء ثم زلنا موضعا يعرف بالمساجد فيه ثلاث
مصانع ثم زلنا موضعا يعرف بمنارة القرون وهي منارة في يداء من الأرض بئنة الارتفاع
مجلمة بقرون الغزلان ولا عمارة حولها ثم زلنا موضعا يعرف بالعذيب وهو واد
مخصب عليه عمارة وحوله فلاة خصبة فيها مسرح للبصر ثم زلنا القادسية حيث كانت
الوقعة الشهيرة على الفرس التي أظهر الله فيها دين الإسلام وأذل الجوس عبدة النار فلم تقم
لهم بعدها قائمة واستأصل الله شأقتهم وكان أمير المسلمين يومئذ سعد بن أبي وقاص رضي الله
عنه وكانت القادسية مدينة عظيمة افتتحها سعد رضي الله عنه وخر بت فلم يبق منها الآن إلا
مقدار قرية كبيرة وفيها حدائق النخل وبها مزارع من ماء الفرات ثم رحلنا منها فزلنا مدينة
مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنجف وهي مدينة حسنة في أرض فسيحة صلبة من
أحسن مدن العراق وأكثرها ناسا وأتقنها أبناء ولها أسواق حسنة نظيفة دخلناها من باب
الحضرة فاستقبلنا سوق البقالين والطباخين والخبازين ثم سوق الفاكهة ثم سوق الحياطين
والقسارية ثم سوق العطارين ثم باب الحضرة حيث القبر الذي يزعمون أنه قبر علي عليه
السلام وبازائه المدارس والزوايا والخوانق معمورة أحسن عمارة وحيطان بالقاشاني
وهو شبه الزليج عندنا لكن لونه أشرق ونقشه أحسن

﴿ ذكر الروضة والقبور التي بها ﴾

ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة ولكل

وارد عليها ضيافة ثلاثة أيام من الخبز واللحم والتمر مرتين في اليوم ومن تلك المدرسة
 يدخل الى باب القبة وعلى بابها الحجاب والنقباء والطواشية فعند ما يصل الزائر يقوم اليه
 أحدهم أو جميعهم وذلك على قدر الزائر فيقنون معه على العتبة ويستأذنون له ويقولون
 عن أمركم يا أمير المؤمنين هذا العبد الضعيف يستأذن على دخوله للاروضة العلية فان
 أذنتم له والارجع وان لم يكن أذالذلك فأنتم أهل المكارم والسيتر ثم يأمرونه بتقيل
 العتبة وهي من الفضة وكذلك العضادتان ثم يدخل القبة وهي مروشة بأنواع البسط من
 الحرير وسواه وبها قناديل الذهب والفضة منها الكبار والصغار وفي وسط القبة مسطبة
 مربعة مكسوة بالخشب عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكمة العمل مسطرة بمسامير الفضة
 قد غلبت على الخشب بحيث لا يظهر منه شيء وارتفاعها دون القمامة وفوقها ثلاثة من
 القبور يزعمون أن أحدها قبر آدم عليه الصلاة والسلام والثاني قبر نوح عليه الصلاة
 والسلام والثالث قبر علي رضي الله عنه وبين القبور طسوت ذهب وفضة فيها ماء الورد
 والمسك وأنواع الطيب يغمس الزائر يده في ذلك ويدهن به وجهه تبركا وللقبلة باب آخر
 عتبة أيضاً من الفضة وعليه ستور من الحرير الملون يقضي الى مسجد مقروش بالبسط
 الحسان مستورة حيطانه وسقفه بستور الحرير وله أربعة أبواب عتبها فضة وعليها ستور
 الحرير وأهل هذه المدينة كلهم رافضية وهذه الروضة ظهرت لها كرامات ثبت بها
 عندهم أن بها قبر علي رضي الله عنه فمنها ان في ليلة السابع والعشرين من رجب وتسمى
 عندهم ليلة الحيا يؤتي الى تلك الروضة بكل مقعد من المراقين وخراسان وبلاد فارس
 والروم فيجتمع منهم الثلاثون والاربعمون ونحو ذلك فاذا كان بعد المساء الآخرة جعلوا
 فوق الضريح المقدس والناس ينتظرون بياهم وهم ما بين مصل وذاكر وتل ومشاهد
 للاروضة فاذا مضى من الليل نصفه أو ثلثاه أو نحو ذلك قام الجميع اصحاء من غير سوء وهم
 يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله على ولي الله وهذا أمر مستفيض عندهم سمعته من
 الثقات ولم أحضر تلك الليلة لكني رأيت بمدرسة الضياف ثلاثة من الرجال أحدهم
 من أرض الروم والثاني من أصبهان والثالث من خراسان وهم مقعدون فاستخبرتهم على

شأنهم فاخبروني انهم لم يدركوا ليلة الحيا وانهم متظرون أو انها من عام آخر وهذه الليلة يجتمع لها الناس من البلاد. ويقيمون سوقاً عظيمة مدة عشرة أيام وليس بهذه المدينة مغرم ولا مكاس ولا وال وإنما يحكم عليهم نقيب الاشراف وأهلها تجاريسفرون في الاقطار وهم أهل شجاعة وكرم ولا يضام جارهم محبتهم في الاسفار فخدمت محبتهم لكنهم غلوا في على رضي الله عنه ومن الناس في بلاد العراق وغيرها من يصيبه المرض فينذر للروضة نذراً اذا برى ومنهم من يعرض رأسه فيصنع رأساً من ذهب أو فضة ويأتي به الى الروضة فيجعله النقيب في الخزانة وكذلك اليد والرجل وغيرهما من الاعضاء وخزانة الروضة عظيمة فيها من الاموال ما لا يضبط لكثرة

﴿ ذكر نقيب الاشراف ﴾

ونقيب الاشراف مقدم من ملك العراق ومكانه عنده مكين ومنزاته رفيعة وله ترتيب الامراء الكبار في سفره وله الاعلام والاطبال وتضرب الطبل بخانة عند بابيه مساءً وصباحاً واليه حكم هذه المدينة والوالي بها سواء ولا مغرم فيها للسلطان ولا لغيره وكان النقيب في عهد دخولي اليها نظام الدين حسين بن تاج الدين الآوى نسبة الى بلدة آوة من عراق العجم أهلها رافضة وكان قبله جماعة يلي كل واحد منهم بعد صاحبه منهم جلال الدين ابن الفقيه ومنهم قوام الدين بن طاوس ومنهم ناصر الدين مطهر ابن الشريف الصالح شمس الدين محمد الاوهرى من عراق العجم وهو الآن بارض الهند من ندماء ملكها ومنهم أبو غرة بن سالم بن مهني بن جمار بن شيحة الحسيني المدني ﴿ حكاية ﴾

كان الشريف أبو غرة قد غلب عليه في أول أمره العبادة وتعلم العلم واشتهر بذلك وكان ساكناً بالمدينة الشريفة كرمها الله في جوار ابن عمه منصور بن جبار أمير المدينة ثم انه خرج عن المدينة واستوطن العراق وسكن منها بالحلة فمات النقيب قوام الدين بن طاوس فاتفق أهل العراق على تولية أبي غرة نقابة الاشراف وكتبوا بذلك الى السلطان أبي سعيد فامضاه ونفذه اليه وهو الظهير بذلك وبعث له الخلة والاعلام والطبول على عادة النقباء ببلاد العراق فغلبت عليه الدنيا وترك العبادة والزهد وتصرف في الاموال تصرفاً

قبيحاً فرفع أمره إلى السلطان فلما علم بذلك أعمل السفر مظهراً أنه يريد خراسان قاصداً
 زيارة قبر علي بن موسى الرضي بطوس وكان قصده الفرار فلما زار قبر علي بن موسى قدم
 مرافقوه أي آخر بلاد خراسان وأعلم أصحابه أنه يريد بلاد الهند فرجع أكثرهم عنه وتجاوز
 هو وأرض خراسان إلى السند فاجاز وادي السند المعروف بذي آب ضرب طبوله
 وانفاره فراع ذلك أهل القرى وظنوا أن التتر أتوا للغارة عليهم وأجفلوا إلى المدينة
 المسماة بأوجا وأعلموا أميرها بما سمعوه فركب في عساكره واستعد للحرب وبعث
 الطلائع فرأوا نحو عشرة من الفرسان وجماعة من الرجال والتجار ممن صحب الشريف
 في طريقه معهم الأطباء والاعلام فسألوهم عن شأنهم فأخبروهم أن الشريف تقيب
 العراق أتى وافداً على ملك الهند فرجع الطلائع إلى الأمير وأخبروه بكيفية الحال
 فاستضعف عقل الشريف لرفعه العلامات وضربه الطبول في غير بلاده ودخل الشريف
 مدينة أوجا وأقام بها مدة تضرب الأطباء على باب داره غدوة وعشيا وكان مولعاً بذلك
 ويذكر أنه كان في أيام تقابته بالعراق تضرب الأطباء على رأسه فإذا أمسك النصارى
 الضرب يقول له زد نقرية نقر حتى لقب بذلك وكتب صاحب مدينة أوجا إلى ملك الهند
 يخبر الشريف وضربه الأطباء بالطريق وعلى باب داره غدوة وعشيا ورفع الاعلام وعادة
 أهل الهند أن لا يرفع علماً ولا يضرب طبل إلا من أعطاه الملك ذلك ولا يفعله إلا في السفر
 وأما في حال الإقامة فلا يضرب الطبل إلا على باب الملك خاصة بخلاف مصر والشام والعراق
 فإن الطبول تضرب على أبواب الأمراء فلما بلغ خبره إلى ملك الهند كره فعله وأنكره
 وفعل في نفسه ثم خرج الأمير إلى حضرة الملك وكان الأمير كشي خن والخان عندهم
 أعظم الأمراء وهو الساكن ببلتان كرمي بلاد السند وهو عظيم القدر عند ملك الهند
 يدعو به بالعم لأنه كان ممن أعان أباء السلاطين غياث الدين تغلق شاه على قتال السلاطان ناصر
 الدين خسرو شاه قد قدم على حضرة ملك الهند فخرج الملك إلى لقائه فاتفق أن كان وصول
 الشريف في ذلك اليوم وكان الشريف قد سبق الأمير بامبال وهو على حاله من ضرب
 بالاطبال فلم يرعه إلا السلطان في موكبته فتقدم الشريف إلى السلطان فسأله عليه وسأله

السلطان عن حاله وما الذي جاء به فأخبره ومضي السلطان حتى لقي الأمير كشلي خان وعاد إلى حضرته ولم يلتفت إلى الشريف ولا أمر له بانزال ولا غيره وكان الملك عازماً على السفر إلى مدينة دولة آباد وتسمي أيضاً بالكتكة (بفتح الكافين والتاء المملوكة التي بينهما) وتسمي أيضاً بالدو بجر (دو كير) وهي على مسيرة أربعين يوماً من مدينة دهلي حضرة الملك فلما شرع في السفر بعث إلى الشريف بخمسمائة دينار دراهم وصرقها من ذهب المغرب مائة وخمسة وعشرون ديناراً وقال لرسوله إليه قل له إن أراد الرجوع إلى بلاده فهذا زاد وإن أراد السفر معناه في نفقته بالطريق وإن أراد الإقامة بالحضرة فهي نفقته حتى يرجع فأنتم الشريف لذلك وكان قصده أن يجزل له العطاء كما هي عادته مع أمثاله واختار السفر صحبة السلطان وتعلق بالوزير أحمد بن إياس المدعو بنحو واجه جهان وبذلك ساء الملك وبه يدعو له وبه يدعو سائر الناس فإن من عادتهم أنه متى سمي الملك أحداً باسم مضاف إلى الملك من عماد أو ثقة أو قطب أو باسم مضاف إلى الجهان من صدر وغيره فبذلك يخاطبه الملك وجميع الناس ومن خاطبه بسوي ذلك لزمته العقوبة فتأكدت المودة بين الوزير والشريف فأحسن إليه ورفع قدره ولاطف الملك حتى حسن فيه رأيه وأمر له بقرتين من قرى دولة آباد وأمر أن تكون إقامته بها وكان هذا الوزير من أهل الفضل والمروءة ومكارم الأخلاق والمحبة في الغرباء والاحسان إليهم وفعل الخير وأطعم الطعام وعمارة الزوايا فأقام الشريف يستغل القريتين ثمانية أعوام وحصل من ذلك مالا عظيماً ثم أراد الخروج فلم يمكنه فانه من خدم السلطان لا يمكنه الخروج إلا بآذنه وهو محب في الغرباء فقليل ما يأذن لأحدهم في السراح فأراد الفرار من طريق الساحل فردمته وقدم الحضرة ورغب من الوزير أن يحاول قضية انصرافه فتلطف الوزير في ذلك حتى أذن له السلطان في الخروج عن بلاد الهند وأعطاه عشرة آلاف دينار من دراهمهم وصرقها من ذهب المغرب ألفان وخمسمائة دينار فأتى بها في بدرة فجعلها تحت فراشه ونام عليها المحبة في الدنيا وقرحه بها وخوفه أن يتصل لأحد من أصحابه شيء منها فانه كان بخيلاً فأصابه وجع في جنبه بسبب رقادها عليها ولم يزل يتزايد به وهو أخذ في حركة سفره إلى أن توفي بعد

عشرين يوماً من وصول البصرة إليه وأوصي بذلك المال لأشريف حسن الجرائي فتصدق بحملته على جماعة من الشيعة المقيمين بدلهي من أهل الحجاز والعراق وأهل الهند لا يورثون بيت المال ولا يتعرضون لمال الغرباء ولا يسألون عنه ولو بلغ ما عسي أن يبلغ وكذلك السودان لا يتعرضون لمال الأبيض ولا يأخذونه إنما يكون عند الكبار من أصحابه حتى يأتي مستحقه وهذا الشريف أبو غرة له أخ اسمه قاسم سكن غرناطة مدة وبها تزوج بنت الشريف أبي عبد الله بن إبراهيم الشهير بالمكي ثم انتقل إلى جبل طارق فسكنه إلى أن استشهد بوادي كربة من نظر الجزيرة الخضراء وكان بهمة من البهم لا يصطلي بناره خرق المعتاد في الشجاعة وله فيها أخبار شهيرة عند الناس وترك ولدين هما في كفالة ربيهما الشريف الفاضل أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم بن نفيس الحسيني الكر بلائي الشهير ببلاط المغرب بالعراق وكان تزوج أمهما بعد موت أبيهما وهو محسن لهما جزاه الله خيراً

ولما تحصلت لنا زيارة أمير المؤمنين على عليه السلام سافر الركب إلى بغداد وسافرت إلى البصرة صحبة رفيقة كبيرة من عرب خفاجة وهم أهل تلك البلاد ولهم شوكة عظيمة وبأس شديد ولا سيول للسفر في تلك الاقطار إلا في صحبتهم فاكثرت جملا على يد أمير تلك القافلة شامرين دراج الخفاجي وخرجننا من مشهد على غاية السلام فنزلنا الحورنق موضع سكني النعمان بن المنذر وآبائه من ملوك بني ماء السماء وبه عمارة وثقاي أبواب ضخمة في فضاء فسيح على نهر يخرج من الفرات ثم رحلنا عنه فنزلنا موضعا يعرف بقائم الوثائق وبه أثر قرية خربة ومسجد خرب لم يبق منه الا صومعته ثم رحلنا عنه آخذين مع جانب الفرات بالموضع المعروف بالمدار وهو غابة قصب في وسط المساء يسكنها اعراب يعرفون بالمعادي وهم قطاع الطريق رافضة المذهب خرجوا على جماعة من الفقراء تأخروا عن رفقتنا فسلموهم حتى النعال والكشاكل وهم تحصنون بتلك الغابة ويمتنعون بها ممن يريدهم والسباع بها كثيرة ورحلنا مع هذا العذار ثلاث مراحل ثم وصلنا مدينة واسط

﴿مدينة واسط﴾

وهي حسنة الاقطار كثيرة النساتين والاشجار بها اعلام يهودي الخير شاهدهم ونهدي

الاعتبار مشاهدتهم وأهلها من خيار أهل العراق بل هم خيرهم على الإطلاق أكثرهم يحفظون القرآن الكريم ويحيدون تجويده بالقراءة الصحيحة واليه يأتى أهل بلاد العراق برسم تعلم ذلك وكان في القافلة التي وصلنا فيها جماعة من الناس أتوا برسم تجويد القرآن على من بها من الشيخ وبها مدرسة عظيمة حافلة فيها نحو ثلاثمائة خلوة ينزلها الغرباء القادمون لتعلم القرآن عمرها الشيخ تقي الدين عبد المحسن الواسطي وهو من كبار أهلها وفقهائها ويسطى لكل متعلم بها كسوة في السنة ويجري له نفقته في كل يوم ويقعد هو وأخوانه وأصحابه لتعليم القرآن بالمدرسة وقد لقيته وأضافني وزودني تمرأودراهم ولما نزلنا مدينة واسط أقامت القافلة ثلاثاً بنجار جهال للتجارة فسئح لي زيارة قبر الولي أبي العباس أحمد الرفاعي وهو بقرية تعرف بأمة عبيدة على مسيرة يوم من واسط فطلبت من الشيخ تقي الدين أن يبعث معي من يوصاني إليها فبعث معي ثلاثة من عرب بني أسد وهم قطن تلك الجهة وأركني فرساً له وخرجت ظهر أفتت تلك الليلة بحوش بني أسد ووصلنا في ظهر اليوم الثاني إلى الرواق وهو رباط عظيم فيه آلاف من الفقراء وصادقنا به قدوم الشيخ أحمد قوجك حفيد ولي الله أبي العباس الرفاعي الذي قصدنا بزيارته وقد رسم من موضع سكناء من بلاد الروم برسم زيارة قبر جده والبه انتهت الشياخة بالرياق ولما انقضت صلاة العصر ضربت الطبول والدفوف وأخذ الفقراء في الرقص ثم صلوا المغرب وقدموا السباط وهو خبز الأرز والسماك والبن والتمر فأكل الناس ثم صلوا العشاء الآخرة وأخذوا في الذكر والشيخ أحمد قاعد على سجادة جده المذكور ثم أخذوا في السماع وقد أعدوا أحلاماً من الحطب فأحججوها ناراً ودخلوا في وسطها يرقصون ومنهم من يترغ فيها ومنهم من يأكلها بفمه حتى أطفئوها جميعاً وهذا دأبهم وهذه الطائفة الاحمدية مخصوصون بهذا وفيهم من يأخذ الحية العظيمة فيعض بأسنانه على رأسها حتى يقطعها

﴿حكاية﴾

كنت مررت بموضع يقال له أفقانبور من عمالة مزارا مروها وبينها وبين دهلي حضرة الهند مسيرة خمس وقد نزلنا بها على نهر يعرف بنهر السرور وذلك في أوان الشكال والشكال عندهم هو المطر وينزل في أبان القيظ وكان السيل يخدر في هذا أشهر من جبال

قراجيل فكل من يشرب منه من انسان أو بهيمة يموت - انزول المطر على الحشائش
المسمومة فألقنا على النهر أربعة أيام لا يقربه أحد ووصل الى هنالك جماعة من الفقراء في
أعناقهم أطواق الحديد وفي أيديهم وكبيرهم رجل أسود حالك اللون وهسم من الطائفة
المعروفة بالحيدرية فباتوا عندنا ليلة وطلب مني كبيرهم أن آتية بالحطب ليوقدوه عند رقصهم
فكلفنا والى تلك الجهة وهو عزيز المعروف بالحمار وسيأتي ذكره أن يأتي بالحطب فوجه
منه نحو عشرة أحمال فأضرموا فيه النار بعد صلاة العشاء الآخرة حتى صارت جمر او اخذوا
في السماع ثم دخلوا في تلك النار فسالوا ايرقصون ويتمرغون فيها وطلب مني كبيرهم
قيصاً فأعطيته قيصاً في النهاية من الرقة فلبسه وجعل يتمرغ به في النار ويضرها بأكمامه حتى
طفئت تلك النار وخذت وجاء الي بالقميص والنار لم تؤثر فيه شيئاً البتة فطال عجبنا منه ولما
حصلت لي زيارة الشيخ أبي العباس الرقاعي نفع الله به عدت الى مدينة واسط فوجدت
الرفقة التي كنت فيها قد رحلت فلحقته في الطريق ونزلنا ماء يعرف بالهضيب ثم رحلنا
ونزلنا بوادي الكراع وليس به ماء ثم رحلنا ونزلنا موضعاً يعرف بالمشرب ثم رحلنا منه
ونزلنا بالقرب من البصرة ثم رحلنا فدخلنا ضحوة النهار الى مدينة البصرة

﴿ مدينة البصرة ﴾

فزلنا بهار باط مالك دينار وكنت رأيت عند قدمي عليها على نحو ميلين منها بناء عالي مثل
الحصن فسألت عنه فقل له هو مسجد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكانت البصرة من
اتساع الحطة وانفساح الساحة بحيث كان هذا المسجد في وسطها وبينه الآن وبينها ميلان
وكذلك بينه وبين السور الاول المحيط بها نحو ذلك فهو متوسط بينهما مدينة البصرة
احدى أمهات العراق الشهيرة الذكري في الآفاق الفسيحة الارحاء المؤنقة الافناء ذات
الساتين الكثيرة والفواكه الانيرة توفر قسمها من الخضرة والخصب لما كانت مجمع
البحرين الاجاج والمذب وليس في الدنيا أكثر نخلا منها في باع التمر في سوقها بحساب أربعة
عشرة رطلاً عراقيه بدرهم ودرهمهم تلك النقرة ولقد بعث الى قاضيها حجة الدين
بقرصة تمر يحملها الرجل على تكلف فأردت بيعها في بيعت بدسعة دراهم أخذ الخمال

منها ثلثها عن أجرة حملها من المنزل الى السوق ويصنع بها من التمر غسل يسمى السيلان وهو طيب كأنه الجلاب والبصرة ثلاث محلات احداها محلة هذيل وكبيرها الشيخ الفاضل علاء الدين بن الاثير من الكرماء الفضلاء أضافني وبعث الي بذياب ودراهم والمحلة الثانية محلة بني حرام كبيرها السيد الشريف محمد الدين موسى الحسيني ذو مكارم وفواضل أضافني وبعث الي التمر والسيلان والدراهم والمحلة الثالثة محلة العجم كبيرها جمال الدين ابن اللوكي واهل البصرة لهم مكارم أخلاق وايناس للغريب وقيام بحقه فلا يستوحش فيما بينهم غريب وهم يصلون الجمعة في مسجد أمير المؤمنين على رضي الله عنه الذي ذكرته ثم يسد فلا يتونه الا في الجمعة وهذا المسجد من أحسن المساجد وصحبه متناهي الانفساح مفروش بالحصبا الحمراء التي يؤتي بها من وادي السباع وفيه المصحف الكريم الذي كان عثمان رضي الله عنه يقرأ فيه لما قتل وأثر تغيير الدم في اوراقه التي فيها قوله تعالى (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم)

(حكاية استبار)

شهدت مرة بهذا المسجد صلاة الجمعة فلما قام الخطيب به الى الخطبة وسردها نحن فيها لحنا كثير اجليا فعجبت من أمره وذكرت ذلك للقاضي حجة الدين فقال لي ان هذا البلد لم يبق به من يعرف شيئا من علم النحو وهذه عبرة لمن تفكر فيها سبحانه مغير الاشياء ومقلب الامور هذه البصرة التي الى أهلها انتهت رئاسة النحو وفيها أصله وفرعه ومن أهلها امامه الذي لا ينكر سبقه لا يقيم خطيبها خطبة الجمعة على دونه عليها ولهذا المسجد سبع صوامع احداها الصومعة التي تحرك بزعمهم عند ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه صعدت اليها من أعلى سطح المسجد ومعي بعض أهل البصرة فوجدت في ركن من أركانها مقبض خشب مسمران فيها كأنه مقبض مملسة البناء فجعل الرجل الذي كان معي يده في ذلك المقبض وقال بحق رأس أمير المؤمنين على رضي الله عنه تحركي وهن المقبض فتحركت الصومعة فجعلت أنا يدي في المقبض وقلت له وأنا أقول بحق رأس أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحركي وهززت المقبض فتحركت الصومعة فوجدوا من ذلك وأهل البصرة على مذهب السنة والجماعة ولا يخاف من يفعل مثل فعلهم ولو جرى مثل هذا بمشهد على

أو مشهد الحسين أو بالحلة أو بالبحرين أو قم أو قاشان أو ساوة أو آوة أو طوس لهلك
فاعله لأنهم رافضة غالية قال ابن جزى قد عانت بمدينة برشانة من وادي المنصورة من بلاد
الاندلس حاضها الله صومعة تهتز من غير أن يذكر لها أحد من الخلفاء أو سواهم وهي
صومعة المسجد الأعظم بها وبنائها ليس بالقديم وهي كأحسن ما أنت راء من الصوامع
حسن منظر واعتدالها وارتفاعها لا ميل فيها ولا زيج صعدت إليها مرة ومي جماعة من
الناس فأخذ بعضهم من كان معي بجوانب جامورها وهزوها فاهتزت حتى أشرت إليهم أن
يكفوا فكفوا عن هزها (رجع)

﴿ ذكر المشاهد المباركة بالبصرة ﴾

فمنها مشهد طاحنة بن عبيد الله أحد العشرة رضي الله عنهم وهو بداخل المدينة وعليه قبة
ومسجد وزاوية فيم الطعام لا وارد والصادر وأهل البصرة يعظمونه تعظيماً شديداً وحق
له ومنها مشهد الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته رضي الله
عنهما وهو بخارج البصرة ولا قبة عليه وله مسجد وزاوية فيها الطعام لا بناء السبيل ومنها
قبر حليمة السعدية أم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة رضي الله عنها وإلى جانبها
قبر ابنه ارضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها قبر أبي بكر صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعليه قبة وعلى ستة أميال منها بقرب وادي السباع قبر أنس بن مالك خادم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا سبيل لزيارته إلا في جمع كثيف لكثرة السباع وعدم العمران
ومنها قبر الحسن بن أبي الحسن البصري سيد التابعين رضي الله عنه ومنها قبر محمد بن
سير رضي الله عنه ومنها قبر محمد بن واسع رضي الله عنه ومنها قبر غيبة الغلام رضي الله
عنه ومنها قبر مالك بن دينار رضي الله عنه ومنها قبر حبيب العجمي رضي الله عنه ومنها
قبر سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه وعلى كل قبر منها قبرة مكتوب فيها اسم صاحب
القبر ووفاته وذلك كله داخل السور القديم وهي اليوم بينها وبين البلد نحو ثلاثة أميال
وبها سوى ذلك قبور الجمل الغفير من الصحابة والتابعين المستشهدين يوم الجمل وكان أمير
البصرة حين ورودى عليها يسمى بركن الدين العجمي التوريزي أضافني فأحسن إلى

والبصرة على ساحل الفرات والدجلة وبها المد والجزر كمثل ما هو بوادي سلا من بلاد
المغرب وسواه والخليج المالح الخارج من بحر فارس على عشرة أميال منها فإذا كان المد
غلب الماء المالح على العذب وإذا كان الجزر غلب الماء الحلو على المالح فيستقي أهل
البصرة الماء لدورهم ولذلك يقال إن ماءهم زعاق قل إن جزي وبسبب ذلك كان هواء
البصرة غير جيد وألوان أهلها مصفرة كاسفة حتى ضرب بهم المثل وقال بعض الشعراء
وقد أحضرت بين يدي صاحب أترجة (سريع)

لله أترج غدا ينتا * معبرا عن حال ذي عبرة
لما كسي الله ثياب الضنا * أهل الهوى وساكني البصرة

(رجع) ثم ركب من ساحل البصرة في صندوق وهو القارب الصغير إلى الابلّة وبينها
وبين البصرة عشرة أميال في بساتين متصلتين ونخيل مظلة عن اليمين واليسار والبيعة في
ظلال الأشجار يبيعون الخبز والسمك والتمر واللبن والفواكه وفيما بين البصرة والابلّة
متعبد سهل بن عبد الله التستري فإذا حاذاه الناس بالسفن تراهم يشربون الماء مما يحاذيه
من الوادي ويدعون عند ذلك تبركاً بهذا الولي رضي الله عنه والنواة بحرفون في هذه
البلاد وهم قيام وكانت الابلّة مدينة عظيمة يقصدها تجار الهند وفارس فخربت وهي الآن
قرية بها آثار قصور وغير هادالة على عظمها ثم ركبنا في الخليج الخارج من بحر فارس في
مركب صغير لرجل من أهل الابلّة يسمى بمغامس وذلك نياماً بعد المغرب فصبحنا عبادان
وهي قرية كبيرة في سبحة لا عمارة بها فيها مساجد كثيرة ومتعبدات ورباطات
للصالحين وبها وبين الساحل ثلاثة أميال قال ابن جزي عبادان كانت بلاداً فيما تقدم
وهي مجدبة لا زرع بها وإنما يجلب إليها والماء أيضاً بها قليل وقد قال فيها بعض
الشعراء (سريع)

من مبلغنا اندلسا اننى * حلت عبادان أقصى النرا
أوحش ما أبصرت لكننى * قصدت فيها ذكرها في الوري
الخبز فيها يتهدونه * وشربة الماء بها تشتري

(ر جيع) وعلى ساحل البحر منها رابطة تعرف بالنسبة الى الخضر والياس عليهما السلام وبازائها زاوية يسكنها أربعة من الفقراء بأولادهم يخدمون الرابطة والزاوية ويتعيشون من فتوحات الناس وكل من يمر بهم يتصدق عليهم وذكر لي أهل هذه الزاوية ان عبادان عابداً كبير القدر ولا أنيس له يأتي هذا البحر مرة في الشهر فيصطاد فيه ما يقوته شهراً ثم لا يرى الا بعد تمام شهر وهو على ذلك منذ أعوام فلما وصلنا عبادان لم يكن لي شأن الا طلبه فاشتغل من كان معي بالصلاة في المساجد والمتعبدات وانطلقت طالباً له فجيئت مسجداً آخر بافوجده يصلي فيه فجلست الى جانبه فأوجز في صلاته ولم أسلم أخذ بيدي وقال لي بلغك الله مرادك في الدنيا والآخرة فقد بلغت بحمد الله مرادي في الدنيا وهو السياحة في الارض وبلغت من ذلك ما لم يبلغه غيري فيما أعلمه وبقيت الاخري والرجاء قوى في رحمة الله وتجاوزته وبلغ المراد من دخول الجنة ولمسأتيت أصحابي أخبرتهم خبر الرجل وأعلمتهم بموضعه فذهبوا اليه فلم يجدوه ولا وقعوا له على خير فمجبوا من شأنه وعدنا بالعشي الى الزاوية فبتنا بها ودخل علينا أحد الفقراء الاربعة بعد صلاة العشاء الآخرة ومن عادة ذلك الفقير أن يأتي عبادان كل ليلة فيسرج السرج يساجدها ثم يعود الى زاويته فلما وصل الى عبادان وجد الرجل العابد فأعطاه سمكة طرية وقال له اوصل هذه الى الضيف الذي قدم اليوم فقال لنا الفقير عند دخوله علينا من رأى منكم الشيخ اليوم فقلت له انارأيته فقال يقول لك هذه ضياقتك فشكرت اني على ذلك وطبخ لنا الفقير تلك السمكة فأكلنا منها أجمعين وماأكلت قط سمكاً طيب منها وحس في خاطري الاقامة بقية العمر في خدمة ذلك الشيخ ثم صرفتني النفس للاجوج عن ذلك ثم ركبنا البحر منذ الصبح بقصد بلدة ماجول ومن عادتي في سفرى أن لا أعود على طريق سلكتها ما أمكنني ذلك وكنت أحب قصد بغداد العراق فأشار على بعض أهل البصرة بالسفر الى أرض اللور ثم الى عراق العجم ثم الى عراق العرب فعملت بمقتضى اشارته ووصلنا بعد أربعة أيام الى بلدة ماجول على وزن فاعول وجيمها معقودة وهى صغيرة على ساحل هذا الخليج الذي ذكرنا انه يخرج من بحر فارس وأرضها سبخة لا شجر فيها ولا نبات ولها سوق عظيمة

من أكبر الاسواق وأقيمت بها يوماً واحداً ثم اكرت دابة لركوبي من الذين يجلبون
 الحبوب من رامز الى ماجول وسرنا ثلاثاً في صحراء يسكنها الاكراد في بيوت الشعر ويقال
 ان أصلهم من العرب ثم وصلنا الى مدينة رامز وأول حروفها (راء) وآخرها زاي وميمها
 مكسورة) وهي مدينة حسنة ذات فواكه وأنهار ونزلنا بها عند القاضي حسام الدين
 محمود ولقيت عنده رجلاً من أهل العلم والدين والورع هندي الأصل يدعي بهاء الدين
 ويسمى اسماعيل وهو من أولاد الشيخ بهاء الدين أبي زكريا الملتاني وقرأ على مشايخ
 نوريز وغيرها وأقيمت بمدينة رامز ليلة واحدة ثم رحلنا منها ثلاثاً في بسيط فيه قرى يسكنها
 الاكراد وفي كل مرحلة منها زاوية فيها للوارد الحبز واللحم والحلواء وحلواؤهم من رب
 الغنم مخلوط بالديق والسمن وفي كل زاوية الشيخ والامام والمؤذن والخادم للفقراء
 والعبيد والخدم يطبخون الطعام ثم وصلت الى مدينة تستروهي آخر البسيط من بلاد
 اتاك وأول الحيايل مدينة كبيرة رائقة نضيرة وبها البساتين الشريفة والرياض المنيفة ولها
 المحاسن البارعة والاسواق الجامعة وهي قديمة البناء افتتحها خالد بن الوليد والى هذه
 المدينة ينسب سهل بن عبد الله ويحيط بها النهر المعروف بالازرق وهو عجيب في نهاية من
 الصفاء شديد البرودة في أيام الحر ولم أركز رفته الا نهر بياخشان ولها باب واحد للمسافرين
 يسمى دروازة دسبول والدروازة عندهم الباب ولها ابواب غيره شائعة الى النهر وعلى
 جانبي النهر البساتين والدواليب والنهر عميق وعلى باب المسافرين منه جسر على القوارب
 كجسر بغداد والحلة قال ابن جزي وفي هذا النهر يقول بعضهم (كامل)

انظر لاشاذروان تستروا عجب * من جمعه ماء لري بلاده

كملك قوم جمعت امواله * فقد ايفرقه على اجناده

وتفواكه بنسركشيرة والخيرات متيسرة غزيرة ولا مثل لاسواقها في الحسن وبخارجها
 تربة معظمة يقصدها اهل تلك الاقطار للزيارة ويتذرون لها التذور ولها زاوية بها
 جماعة من الفقراء وهم يزعمون انها تربة زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
 وكان نزولي من مدينة تستر في مدرسة الشيخ الامام الصالح المتوفى بن شرف الدين موسي ابن

الشيخ الصالح الامام العالم صدر الدين سليمان وهو من ذرية سهل بن عبدالله وهذا الشيخ ذو مكارم وفضائل جامع بين العلم والدين والصلاح والايتار وله مدرسة وزاوية وخدامها قتيان له اربعة سنبل وكافور وجوهر وسرور واحد منهم موكل بأوقاف الزاوية والثاني تصرف فيما يحتاج اليه من النفقات في كل يوم والثالث خديم السماط بين ايدي الواردين ومرتب الطعام لهم والرابع موكل بالطباخين والسقائين والفراشين فأقت عدة ستة عشر يوماً فلم أر أعجب من ترتيبه ولا أرغد من طعامه يقدم بين ايدي الرجل ما يكفي الاربعة من طعام الارز المنفل المطبوخ في السمن والدجاج المنلى والخبز واللحم والحلواء وهذا الشيخ من أحسن الناس صورة واقومهم سيرة وهو يعظ الناس بعد صلاة الجمعة بالمسجد الجامع ولما شاهدت مجالسه في الوعظ صفر لدي كل واعظ رأيت قبله بالحجاز والشام ومصر ولم ألق فيمن لقيتهم مثله حضرت يوماً عنده ببستان له على شاطئ النهر وقد اجتمع فقهاء المدينة وكبرائها وأتت الفقراء من كل ناحية فأطعم الجميع ثم صلى بهم صلاة الظهر وقام خطيباً واعظاً بعد ان قرأ القراء امامه بالتلاحين المبكية والنفقات المحركة المهيجة وخطب خبيرة بسكون ووقار وتصرف فنون العلم من تفسير كتاب الله وايراد حديث رسول الله والتكلم على معانيه ثم ترامت عليه الرقاع من كل ناحية ومن عادة الاعاجم ان يكتبوا المسائل في رقاع ويرمونها الي انواعظ فيجيب عنها فلما رمي اليه بلك الرقاع جمعها في يده وأخذ يجيب عنها واحدة بعد واحدة بأبداع جواب وأحسنه وحان وقت صلاة العصر فصلى بالقوم وانصرفوا وكان مجلسه مجلس علم ووعظ وبركة وتبادر التائبون فأخذ عليهم العهد وجزئوا صيهم وكانوا خمسة عشر رجلاً من الطلبة قدموا من البصرة برسم ذلك وعشرة رجال من عوام تستر

(حكاية)

لما دخلت هذه المدينة أصابني مرض الحمى وهذه البلاد يحجم داخلها في زمان الحرك كما يعرض في دمشق وسواها من البلاد الكثرة المياه والفواكه وأصابني الحمى أصحابي أيضاً فمات منهم شيخ اسمه يحيى الحراساني وقام الشيخ تجهيزه من كل ما يحتاج اليه الميت وصلى عليه وترك بها صاحباً لي يدعي بهاء الدين الحنفي فمات بعد سفره وكنت حين

مرضني لأشتهي الأ طعمة التي تصنع لي بمدرسته فذكر لي المقيه شمس الدين السندي من طلبتها طعاماً فأتته ودفعت له دراهم وطبخ لي ذلك الطعام بالسوق وأتى به إلي فأكلت منه وبلغ ذلك الشيخ فشق عليه وأتى إلي وقال لي كيف تفعل هذا وتبيع الطعام في السوق وهذا أمرت الخدام أن يصنعوا لك ما شئت به ثم احضر جميعهم وقال لهم جميع ما يطلب منكم من أنواع الطعام والسكر وغير ذلك فأتوا إلي به واطبجه الهمايشاؤه وأكد عليهم في ذلك أشد التأكيده خيراً ثم سافرتا من مدينة تسير ثلاثاً في جبال شامخة وبخل منزل زاوية كما تقسم ذكر ذلك ووصلنا إلى مدينة ايندج (وضبط اسمها) بكسر الهمزة وياء مسدود ذال معجم مفتوح وحيم وتسمى أيضاً مال الأمير وهي حضرة السلطان أتابك وعند وصولي إليها اجتمعت بشيخ شيوخها العالم الورع نور الدين الكرمانى وله النظر في جميع الزوايا وهم يسمونها المدرسة والسلطان يعظمه ويقصد زيارته وكذلك أرباب الدولة وكبراء الحضرة يزورونه غسداً وعشياً فأكرمني وإضافتي وأنزاني بزاوية تعرف باسم الدينوري وأقيمت بها أياماً وكان وصولي في أيام القيظ وكنا نصلي صلاة الليل ثم ننام باعلى سطحها ثم نزل إلي الزاوية ضحوة وكان في صحبتي اثنا عشر فقيراً منهم إمام وقارئان مجيدان وخادم ونحن على أحسن ترتيب

﴿ ذكر ملك ايندج وتستر ﴾

وملك ايندج في عهد دخولني إليها السلطان أتابك أفراسياب ابن السلطان أتابك أحمد وatabك عندهم سمة لكل من يلي هذه البلاد من ملك وتسمى هذه البلاد بلاد اللور وولي هذا السلطان بعد أخيه أتابك يوسف وولي يوسف بعد أبيه أتابك أحمد وكان أحمد المذكور ملكاً صالحاً سمعت من الثقة ببلادها أنه عمرار بعامة وستين زاوية ببلادها منها بحضرة ايندج أربع وأربعون وقفاً ثم خراج بلادها ثلاثاً فالثالث منه نفقة الزوايا والمدارس والثالث منه لمرتب العساكر والثالث نفقته ونفقة عياله وعبيده وخدمه ويبحث منه هدية للملك العراق في كل سنة ووربما وفد عليه بنفسه وشاهدت من آثاره الصالحة ببلادها أن أكثرها في جبال شامخة وقد نحتت الطرق في الصخور والحجارة وسويت ووسعت بحيث

تصعد هاللدواب بأحمالها وطول هذه الحبال مسيرة سبعة عشر في عرض عشرة وهي شاهقة متصل ؛ ضها يبيض تشقهها الانهار وشجرها البلوط وهم يصنعون من دقيق الخبز وفي كل منزل من منازلها زاوية يسمونها المدرسة فاذا وصل المسافر الى مدرسة منها أتى بما يكفيه من الطعام والملف لدايته سواء طلب ذلك أو لم يطلبه فارعادتهم أن يأتي خادم المدرسة فيعدهم من نزل بهما من الناس ويعطى كل واحد منهم قرصين من الخبز والحلوا وحلواء وكل ذلك من أوقاف السلطان عايتها وكان السلطان أتابك أحمد زاهد اصالحا كما ذكرناه يلبس تحت ثيابه عايلي جسده ثوب شعر ﴿حكاية﴾

قدم السلطان أتابك أحمد مرة على ملك العراق أبي سعيد فقال له بعض خواصه ان أتابك يدخل عليك وعليه الدرع وخن ثوب الشعر الذي تحت ثيابه درعا فامرهم باختبار ذلك على جهة من الانبساط ليعرف حقيقة فدخل عليه يوما فقام اليه الامير الجوبان عظيم امراء العراق والامير سويته أمير ديار بكر والشيخ حسن الذي هو الآن سلطان العراق وامسكوا بثيابه كأنهم يمازحونه ويضحكونه فوجدوا تحت ثيابه ثوب الشعر ورآه السلطان أبو سعيد و قام اليه رعاقه وأجاسه الي جانبه وقال له سن أطاو معناه بالتركية أنت أبي وعوضه عن هديته باضعافها وكتب له اليرليغ وهو الظهير ان لا يطالبه بهدية بعدها هو ولا أولاده وفي تلك السنة توفي وولي ابنه أتابك يوسف عشرة أعوام ثم ولى أخوه أفراسياب ولما دخلت مدينة اينج أردت رؤية السلطان أفراسياب المذكور فلم أيتأت لي ذلك بسبب انه لا يخرج الا يوم الجمعة لادمانه على الخمر وكان له ابن هو ولي عهد وليس له سواه فمرض في تلك الايام ولما كان في احدى الليالي أتاني أحد خدامه وسألني عن حاله فعرفته وذهب عني ثم جاء بعد صلاة المغرب ومعه طيفوران كبيران أحدهما بالطعام والاخر بالفاكهة وخريطة فيها دراهم ومعه أهل السماع بالآلاتهم فقال اعملوا السماع حتى يرهج الفقراء ويدعون لابن السلطان فقلت له ان أصحابي لا يدرون بالسماع ولا بالرقص ودعونا للسلطان ولولده وقسمت الدراهم على الفقراء ولم كان نصف الليل سمعنا الصراخ والتوايح وقدمات المريض المذكور ولما كان من الغد دخل على شيخ الزاوية

وأهل البلد وقالوا ان كبراء المدينة من القضاة والفقهاء والاشراف والامراء قد ذهبوا الى دار السلطان المعزاء فيذبني لك ان تذهب في جملتهم فأيدت عن ذلك فعزموا على فلم يكن لي بد من المسير فسرت معهم فوجدت مشور دار السلطان تلتار جالا وصييانا من الممالك وأبناء الملوك والوزراء والاجناد وقد لبسوا التبرليس وجلال الدواب وجمعوا فوق رؤسهم التراب والتين وبعضهم قد جز ناصيته وانقسموا فرقتين فرقة بأعلى المشور وفرقة بأسفله وترحف كل فرقة الى جهة الاخرى وهم ضاربون بأيديهم على صدورهم قائلون خوندكار ما ومعناه مولاي أنا (مولانا) فرأيت من ذلك أمرا هائلا ومنظرا فظي عالم به مثله

﴿حكاية﴾

ومن غريب ما اتفق لي يومئذاني دخالت فرأيت القضاة والخطباء والشرفاء قد استعدوا الى حيطان المشور وهو غاص بهم من جميع جهاته وهم بين باك ومتباك ومطرق وقد لبسوا فوق ثيابهم ثيابا خامة من غليظ القطن غير محكمة الخياطة بطائنها الى أعلى ووجوهها مملأ بلى أجسادهم وعلى رأس كل واحد منهم قطعة خرقه أو متر رأسود وهكذا يكون فلبسهم الى تمام أربعين يوما وهي نهاية الحزن عندهم وبعده ما بيعت السلطان لكل من فعل ذلك كسوة كاملة فلما رأيت جهات المشور خاصة بالناس نظرت يمينا وشمالا أرتاد موضع الجلوسي فرأيت هنالك سقيفة مرتفعة عن الارض بمقدار شبر وفي احدى زواياها رجل منفرد عن الناس قاعد عليه ثوب صوف شبه اللبد يلبسه بتلك البلاد ضعفاء الناس أيام المطر والتلج وفي الاسفار فتقدمت الى حيث الرجل وانقطع عني أصحابي لمسا رأوا اقدامي يحومون عجبوا في وأنا لا أعلم عندي بشي من حاله فصعدت السقيفة وسلمت على الرجل فرر على السلام وارتفع عن الارض كأنه يريد القيام وهم يسعون ذلك نصف القيام ووجدت في الركن المقابل له ثم نظرت الى الناس وقدر موني بأبصارهم جميعا فعجبت منهم ورأيت الفقهاء والاشايخ والاشراف مستندين الى الحائط تحت السقيفة وأشار الى أحد القضاة ان انحط الى جانبه فلم أفعل وحينئذ استشعرت انه السلطان فلما كان بعد ساعة أتى شيخ المشايخ نور

الدين الكرمانى الذى ذكرناه قبل فصد الى السقيفة وسلم على الرجل فقام اليه وجلس فيما بين وبينه حينئذ علمت ان الرجل هو السلطان ثم جئ بالجنائزة وهي بين أشجار الاترج والليمون والنارنج وقد ملؤا أغصانها بثمارها والأشجار بأيدي الرجل فكان الجنائزة تمشى في بستان والمشاعل في رماح طوال بين يديها والشمع كذلك فعلى عليها وذهبت الناس معها الى مدفن الملوك وهو بموضع يقال له هلا نيجان على أربعة أميال من المدينة وهناك مدرسة عظيمة يشقها النهر وبداخلها مسجد تقام فيه الجمعة ويخرجها حمام ويحف بها بستان عظيم وبها الطعام للوارد والصادر ولم أستطع ان أذهب معهم الى مدفن الجنائزة لبعده الموضع فعدت الى المدرسة فلما كان بعد أيام بعث الى السلطان رسوله الذي أتاني بالضيافة ألا يدعوني اليه فذهبت معه الى باب يعرف بباب السر ووجدت في درج كثيرة الى ان انتهينا الى موضع لا فرش به لاجل ما هم فيه من الحزن والسلطان جالس فوق مخدة وبين يديه آيستان قد غطيتا أحدهما من الذهب والاخرى من الفضة وكانت بالمجلس سجادة خضراء فقرشت لي بالقرب منه وقعدت عن يمينها وليس بالمجلس الا حاجب الفقيه محمود ونديم له لا أعرف اسمه فسألني عن حالي وبلادي وسأني عن الملك الناصر وبلاد الحجاز فأجبتة عن ذلك ثم جاء فقيه كبير هو رئيس فقهاء تلك البلاد فقال لي السلطان هذا مولانا فضيل والفقيه يبلاد الا عاجم كلها انما يخاطب بمولانا وبذلك يدعو السلطان وسواء ثم أخذني التواء على الفقيه المذکور وظهر لي ان السكر غالب عليه وكنت قد عرفت ادمانه على الخمر ثم قال لي باللسان العربي وكان يحسنه تكلم فقلت له ان كنت تسمع مني أقول لك أنت من أولاد السلطان أتاك أحمد المشهور بالصلاح والزهد وليس فيك ما يقدر في سلطنتك غير هذا وأشرت الي الآيتين فخجل من كلامي وسكت وأردت الا انصرف فأمرني بالجلوس وقل لي الاجتماع مع أمثالك رحمة ثم رأيته يتمسك بيدي النور فأنصرفت وكنت تركت فعلى بالباب فلم أجده فنزل الفقيه محمود في طلبه وصعد الفقيه فضيل يطلبه في داخل المجلس فوجدته في طاق هناك فأقنى اليه فأخجاني بره واعتذرت اليه فقبل نعلي حينئذ ووضع على رأسه وقال لي بارك الله فيك هذا الذي قلته لسلطاننا لا يقدر أحد ان يقول له

غيرك والله اني لا رجوا أن يؤثر ذلك فيه ثم كان رحيلي من حضرة ايدج بعد أيام فنزلت بمدرسة السلاطين التي بها قبورهم وأقت بها أياما ربت الي السلطان بجملة دناير وبعث بمثلها لاصحابي وسافرنا في بلاد هذا السلطان عشرة أيام في جبال شامخه وفي كل ليلة نزل بمدرسة فيها الطعام فمنها ما هو في العمارة ومنها ما لا عمارة حوله ولكن يجلب اليها جميع ما تحتاج اليه وفي اليوم العاشر نزلنا بمدرسة تعرف بمدرسة كريوا الرخ وهي آخر بلاد هذا الملك وسافرنا منها في بسط من الارض كثير المياه من عمالة مدينة أصفهان ثم وصلنا الى بلدة أشتركان (وضبط اسمها بضم المزة واسكان الشين المعجم وضم التاء المعلو واسكان الراو آخره نون) وهي بلدة حسنة كثيرة المياه والبساتين ولها مسجد يدعى يشقه النهر ثم رحلنا منها الى مدينة فيروزان واسمها كأنه تشبة فيروز وهي مدينة صغيرة ذات أنهار وأشجار وبساتين وصلناها بعد صلاة العصر فرأينا أهلها قد خرجوا لتشييع جنازة وقد أودوا خلفها و امامها المشاعل واتبعوها بالزامير والمغنين بأنواع الاغاني المطربة فمجبنا من شأنهم وبتنا باليلة ومررنا بالغد بقربة يقال لها ابلان وهي كبيرة على نهر عظيم والي جانبه مسجد في النهاية من الحسن يصعد اليه في درج وتحفه البساتين وسرنا يومنا فيما بين البساتين والمياه والقرى الحسان الكثير أبراج الحمام ووصلنا بعد العصر الى مدينة أصفهان من عراق العجم (واسمها يقال بالفاء الخاصة ويقال بالفاء المعقودة المفخمة) ومدينة أصفهان من كبار المدن وحسانها الا أنها الآن قد خرب أكثرها بسبب الفتنة التي بها بين أهل السنة والروافض وهي متصلة بينهم حتى الآن فلا يزالون في قتال وسها القوا كالكثيرة ومنها المشمش الذي لا نظير له يسمى بقمر الدين وهم يبيسونه ويدخرونه ونوام ينكسر عن لوز حلو ومنها السفرجل الذي لا مثل له في طيب المظم وعظم الجرم والاعناب الطيبة والبطيخ العجيب الشأن الذي ليس في الدنيا مثله الا ما كان من بطيخ بخاري وخوارزم وقشره أخضر وداخله أحمر ويدخر كما تدخر الشريحة بالمغرب وله حلاوة شديدة ومتى لم يكن ألفأ كاه فانه في أول أمره يسهله وكذلك اتفق لي لما أكلته بأصفهان وأهل أصفهان حسان الصور والوانهم بيض زاهرة مشوبة

بالحرارة والغالب عليهم الشجاعة والتجدة وفيهم كرم وتنافس عظيم فيما بينهم في الاطعمة تؤثر
 عنهم فيه أخبار غريبة ورعيادعا أحدهم صاحب فيقول له اذهب معي لأكل نان وماس
 والنان يلسانهم الحبز والناس اللبن فإذا ذهب معه أطعمته أنواع الطعام العجيب مباحياله
 بذلك وأهل كل صناعة يقدمون على أنفسهم كبيراً منهم يسمونه الكلو وكذلك كبار المدينة
 من غير أهل الصناعات وتكون الجماعة من الشبان الاعراب وتتفاخر تلك الجماعات
 ويضيف بعضهم مضام ظهري لمساقدروا عليه من الامكان محتفلين في الاطعمة وسواها
 الاحتفال العظيم واقد ذكر لي ان طائفة منهم أضفت أخرى فطبخوا طعامهم بنار الشمع
 ثم اضافوها الاخرى فطبخوا طعامهم بالحريرو كان نزولي باصفهان في زاوية تنسب للشيخ
 علي بن سهل تلميذ الجنيدي وهي معظمة تصدها أهل تلك الآفاق ويتبركون بزيارتها وفيها
 الطعام نامار دو الصادر وها حمام عجيب مفروش بالرخام وحيطانه بالاشاني وهو موقوف
 في السبيل لا يلزم أحد في دخوله شيء وشيخ هذه الزاوية الصالح العابد الورع قطب الدين
 حسين بن الشيخ الصالح ولي الله شمس الدين محمد بن محمود بن علي المعروف بالرجاء
 وأخوه العالم المفتي شهاب الدين أحمد أقت عند الشيخ قلب الدين هذه الزاوية أربعة عشر
 يوماً فرأيت من اجتهاده في العبادة وحبه في الفقراء والمساكين وتواضعه لهم ما قضيت منه
 العجب وبالغ في اكرامي وأحسن ضيافتي وكساني كسوة حسنة وساعة وصولي الزاوية
 بعث الي بالطعام وبنات بطيحات من البطيخ الذي وصفناه آنفاً ولم أكن رأيت قبل
 ولا أكلته - (كرامة لهذا الشيخ)

دخل على يوماً موضع نزولي من الزاوية وكان ذلك الموضع يشرف على بستان للشيخ
 وكانت ثيابه قد غسلت في ذلك اليوم وشررت في البستان ورأيت في جملتها حبة بيضاء مبطنة
 تدعي عندهم هزر ميخي فأعجبني وقلت في نفسي مثل هذه كنت اريد فإني دخل على الشيخ
 نظرت في ناحية البستان وقال لبعض خدامه ائتني بذلك الثوب الهزر ميخي فأتوا به فكساني
 اياه فأهويت الي قدميه اقباهما وطابت منه ان يلبسني طاقية من راسه ويجيزني في ذلك بما
 اجازة والده عن شيوخه فألبسني اياه في الرابع عشر لجمادي الاخرة سنة سبع وعشرين

وسبع مائة زوايته المذكورة كما لبس من والده شمس الدين ولبس والده من أبيه تاج الدين محمود ولبس محمود من أبيه شهاب الدين على الرجا ولبس على من الامام شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي ولبس عمر من الشيخ الكبير ضياء الدين أبي النجيب السهروردي ولبس أبو النجيب من عمه الامام وحيد الدين عمر ولبس عمر من والده محمد بن عبد الله المعروف بعمويه ولبس محمد من الشيخ أخي فرج الزنجاني ولبس أخو فرج من الشيخ أحمد الدينوري ولبس أحمد من الامام محمد بن محمد الدينوري ولبس محمد من الشيخ المحقق علي بن سهل الصوفي ولبس علي من أبي القاسم الجنيدي ولبس الجنيدي من سري القسطنطيني ولبس سري القسطنطيني من داود الطائي ولبس داود من الحسن ابن أبي الحسن البصري ولبس الحسن بن أبي الحسن البصري من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال ابن جزى هكذا: اورد الشيخ ابو عبد الله هذا السند والمعروف فيه ان سريا السقطنطيني صاحب معروف الكرخي وصاحب معروف داود الطائي وكذلك داود الطائي بينهما وبين الحسن حبيب العجمي وأخو فرج الزنجاني انما المعروف انه صاحب ابا العباس النهاوندي وصاحب النهاوندي ابا عبد الله بن خفيف وصاحب ابن خفيف ابا محمد رويما وصاحب رويما ابا القاسم الجنيدي واما محمد بن عبد الله عموه فهو الذي صاحب الشيخ أحمد الدينوري الاسود وليس بينهما أحد والله أعلم والذي صاحب أخو فرج الزنجاني هو عبد الله بن محمد بن عبد الله والد أبي النجيب (راجع) ثم سافرا من اصفهان بقصد زيارة الشيخ محمد الدين بشيراز وبيتهما مسيرة عشرة أيام فوصلنا الى بلدة كليل (وضبطها بفتح الكاف وكسر اللام وياء مد) وبيتهما وبين اصفهان مسيرة ثلاثة هي لمدة صغيرة ذات انهار وبساتين وفيها اكثر ايت التفاح يباع في سوقها خمسة عشر طراقة بدرهم ودرهم ثلث القرعة ونزانا منها زواية عمرها كبير هذه البلدة المعروف بخواجه كافي وله مال عريض قد اعانه الله على انفاقه في سبيل الخيرات من الصدقة وعمارة الزوايا واطعام الطعام لآباء السبيل ثم سرفنا من كليل يومين ووصلنا الى قرية كبيرة تعرف بصوماء وبها زواية فيها الطعام لاوارد والسادس عمرها خواجه كافي المذكور ثم سرفنا الى يزد خاص (وضبط اسمها بفتح الياء آخر الحروف

واسكان الزاى رضم الدال المهمل وخاء معجم والباء وصا، مهمل) بلدة صغيرة متقنة
العمارة حسنة السوق والمسجد الجامع بها عجيب مبنى بالحجارة مسقف بها والبلدة على
ضفة خن وفيه بساتينها ومياهها وبخارجها رباط ينزل به المسافرين عليه باب حديد وهو في
النهاية من الحسنة والمنعة وبداخله حوانيت يباع فيها كل ما يحتاجه المسافرون وهذا
الرباط عمره الامير محمد شاه بنجو والد السلطان ابي اسحق ملك شيراز وفي يزد خاص
يصنع الحين الزد خاصي ولا نظير له في طييه ووزن الحينة منه من اوقيتين الى اربع ثم سرنا
منها على طريق دشت الروم وهي صحراء يسكنها الاترك ثم سافرنا الى ماين (واسمها
بياتين مسفلتين اولاهما مكسورة) وهي بلدة صغيرة كثيرة الانهار والبساتين حسنة
الاسواق وأكثر أشجارها الجوز ثم سافرنا منها الى مدينة شيراز وهي مدينة أصلية البناء
فسيحة الارعاء شهيرة الذكر منيفة القدر لها البساتين المؤنقة والانهار المتدفقة
والاسواق البديعة والشوارع الرفيعة وهي كثيرة العمارة متقنة المباني عجيبة الترتيب
وأهل كل صناعة في سوقها لا يخالطهم غيرهم وأهلها احسان الصور نظاف الملابس وليس
في المشرق بلدة تداني مدينة دمشق في حسن أسواقها وبساتينها وأنهارها وحسن صور
ساكنيها إلا شيراز وهي في بساط من الارض تحف بها البساتين من جميع الجهات
وتشقها خمسة أنهار أحدها لنهر المروفي بركن آباد وهو عذب الماء شديد البرودة في
الصيف سخن في الشتاء فينبعث من عين في سفح جبل هنالك يسمى القليعة ومسجدها
الاعظم يسمى بالمسجد العتيق وهو من أكبر المساجد ساحة وأحسنها بناء وصحنه
متسع مفروش بالمرمر ويقل في أو ان الحرك كل ليلة ويجتمع فيه كبار أهل المدينة كل عشية
ويصلون به المغرب والعشاء وينال به باب يعرف بباب حسن يقضى الى سوق الفاكهة
وهي من أروع الاسواق وأنا أقول بتفضيلها على سوق باب البريد من دمشق وأهل شيراز
أهل صلاح ودين وعفاف وخصوصا نساؤها وهن يلبسن الخفاف ويخرجن متلحفات
متبرعات فلا يظهر منهن شيء ولهن الصدقات والايتار ومن غريب حالهن انهن يجتمعن
لسماع الواسط في كل يوم اثنين وخمس وجمعة بالجامع الاعظم فربما اجتمع منهن

الآلاف والالافان بأيديهم المراءوح وروحن بها على أنفسهن من شدة الحر ولم ارا اجتماع النساء في مثل عدد من في بلدة من البلاد وعند دخولي الى مدينة شيراز لم يكن لي هم الا قصد الشيخ القاضي الامام قطب الاولياء فريد الدهر ذي الكرامات الظاهرة محمد الدين اسماعيل ابن محمد بن خداداد ومعني خداداد عطية الله الله فوصلت الى المدرسة المجدية المنسوبة اليه وبها سكناء وهي من عمارته فدخلت اليه رابع اربعة من أصحابي ووجدت الفقهاء وكبار أهل المدينة في انتظار فخرج الي صلاة العصر ومعه محب الدين وعلاء الدين أبناء أخيه شقيقه روح الدين أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهما نائباه في القضاء لضعف بصره وكبر سنه فسلمت عليه وعاقني وأخذ بيدي الى أن وصل الي مصلاه فأرسل يدي وأومأ الي أن أصلي الي جانبه ففعلت وصلي صلاة العصر ثم قرئ بين يديه من كتاب المصاحب وشوارق الانوار للمصاغاني وطالعاه نائباه بما جرى لديهم ما من القضاء لو تقدم كبار المدينة للسلام عليه وكذلك عادتهم معه صباحاً ومساءً ثم سألتني عن حاله وكيفية قدومي وسألتني عن المغرب ومصر والشام والحجاز فأخبرته بذلك وأمر خدامه فأنزلوني بدويرة صغيرة بالمدرسة وفي غد ذلك اليوم وصل اليه رسول ملك العراق السلطان أبي سعيد وهو ناصر الدين الدرقي من كبار الامراء خراساني الاصل فعند وصوله اليه نزع شاشيته عن رأسه وهم يسمونها الكلا وقبل رجل القاضي وقعد بين يديه ممسكاً ذن نفسه بيده وهكذا فعل أمراء التتر عند ملوكهم وكان هذا الامير قد قدم في نحو خمسمائة فارس من مماليكه وخدامه وأصحابه ونزل خارج المدينة ودخل الي القاضي في خمسة نفر ودخل مجلسه وحده منفرداً تأدباً

﴿حكاية في السبب في تعظيم هذا الشيخ وهي من الكرامات الباهرة﴾

كان ملك العراق السلطان محمد خدابنده قد رغبه في حال كفره فقيه من الروافض الامامية يسمى جمال الدين بن مطهر فلما أسلم السلطان المذكور وأسلمت بأسلامه التتر زاد في تعظيم هذا الفقيه فزين له مذهب الروافض وفضله على غيره وشرح له حل الصحابة والخلافة وقرأ عليه ان بابكر وعمر كانا وزيرين لرسول الله وان علياً ابن عمه وصهره فهو وارث الخلافة ومثل ذلك بما هو مأثور عنده من ان الملك الذي بيده انما هو ارت

عن أجداده وأقاربه مع حاشان عهد السلطان بالكفر وعدم معرفته بقواعد الدين فأمر
السلطان بحمل الناس على الرفض وكتب بذلك الى العراقيين وفارس واذر يجان واصفهان
وكرمان وخراسان وبعث الرسل الى البلاد فكان أول بلاد وصل اليها ذلك بغداد
وشيراز واصفهان فأما أهل بغداد فامتنع أهل باب الأزج منهم هم أهل السنة وأكثرهم
على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وقالوا لا سمع ولا طاعة وأتوا المسجد الجامع يوم الجمعة
في السلاح وبه رسول السلطان فلما صعد الخطيب المنبر قاموا اليه وهم نحو اثني عشر ألفا في
سلاحهم وهم حماة بغداد والمشار اليهم فيها خلفوا له انه ان غير الخطبة المعتادة أ زاد فيها
أو نقص منها فانهم قاتلوه وقتلوا رسول الملك ومستسلمون بمد ذلك لما شاء الله وكان
السلطان أمرا بأن تسقط أسماء الخلفاء وسمائر الصحابة من الخطبة ولا يذكر إلا اسم على
ومن تبعه كعمر رضي الله عنهم فخاف الخطيب من القتل وخطب الخطبة المعتادة وفعل أهل
شيراز واصفهان كفعل أهل بغداد فرجعت الرسل الى الملك فاخبروه بما جرى في ذلك
فأمر أن يؤتى بقضاة المدن الثلاث فكان أول من أوفى به منهم القاضي محمد الدين قاضي
شيراز والسلطان اذذاك في موضع يعرف بقرباغ وهو موضع مصيفه فلما وصل القاضي
أمرا أن يرمي به الى الكلاب التي عنده وهي كلاب ضخام في أعناقها السلاسل معدة لأكل
بني آدم فاذا أوتي بمن يسلط عليه الكلاب جعل في رحبة كبيرة مطلقا غير مقيد ثم بثت
تلك الكلاب عليه فيفر امامها ولا مفر له فتدركه فتمزقه وتأكل لحمه فلما أرسلت الكلاب
على القاضي محمد الدين ووصلت اليه بصبغت اليه وحركت اذنانها بين يديه ولم تهجم عليه
بشيء فباع ذلك السلطان فخرج من داره حافي القدمين فأكب على رجلي القاضي بقية يوميهما
وأخذ بيده وسخلع عليه جميع ما كان عليه من اثياب وهي أعظم كرامات السلطان عندهم
واذا خلع ثيابه كذلك على أحد كانت شرفا له وابديه واعقابه يتوارثونه مادامت تلك اثياب
أوشي منها وأعظمها في ذلك السراويل ولما خلع السلطان ثيابه على القاضي محمد الدين
أخذ بيده وأدخله الى داره وأمر نساءه بتعظيمه والتبرك به ورجع السلطان عن مذهب
الرفض وكتب الى بلاده ان يقر الناس على مذهب أهل السنة والجماعة وأجزل العلماء

للقاضي وصرفه الى بلاده مكرما معظما واعطاه في جملة عطايا مائة قرية من قرى جهمكان وهو خندق بين بلين طوله أربعة وعشرون فرسخا يشقه نهر عظيم والقرى منتظمة بجانبه وهو أحسن موضع بشيراز من قراد العظيمة التي تضاهي المدن قرية مدين وهي للقاضي المذكور ومن عجائب هذا الموضع المعروف بجهمكان ان نصفه مماسيل شيراز وذلك مسافة اثني عشر فرسخا شديد البرد ينزل فيه الثلج وأكثر شجره الجوز والنصف الآخر مماسيل بلاده هنج وبال وبلاد اللار في طريق هرمز شربدا الحروف فيه شجر النخيل وقد تقرر لي لقاء القاضي مجد الدين ثانية حين خروجه من الهند قصدته من هرمز متبركا بلقائه وذلك سنة ثمان وأربعين وبين هرمز وشيراز مسيرة خمسة وثلاثين يوما فدخلت عليه وهو قد ضعف عن الحركة فسلمت عليه فعرفني وقام الي فعاينني ووقمت يدي على مرفقه وجلده لاصق بالمعظم لالحم بينهما وأزاني بالمدرسة حيث أنزلني أول مرة ووزرته يوما فوجدت ملك شيراز السلطان أباسحق وسيعق ذكره قاعدا بين يديه ممسكا باذن نفسه وذلك هو غاية الادب عندهم ويفعله الناس اذا قعدوا بين يدي الملك وأتيته مرة أخرى الى المدرسة فوجدت بابها مسدودا فسألت عن سبب ذلك فأخبرت ان أم السلطان وأخته نشأت بينهما خصومة في ميراث فصر فهما الي القاضي مجد الدين فوصلتا اليه الى المدرسة وتحاكمتا عنده وفصل بينهما بواجب الشرع وأهل شيراز لا يدعونه بالقاضي وإنما يقولون له مولانا أعظم وكذلك يكتبون في التسجيلات والعقود التي تفتقر الى ذكر اسمه فيها وكان آخر عهدي به في شهر ربيع الثاني من عام ثمانية وأربعين ولاحت على أنواره وظهرت لي بركاته نفع الله به وبأمثاله

ذكر سلطان شيراز

وسلطان شيراز في عهد قدومي عليه الملك الفاضل أبو اسحق بن محمد شاه بن جو ساهم أبوه باسم الشيخ أبي اسحق الكازروني نفع الله به وهو من خيار السلاطين حسن الصورة والسيرة والهيئة كريم النفس جميل الاخلاق متواضع صاحب قوة وملك كبير وعسكره يتنفذ على خمسين ألفا من الترك والاعاجم وبطائته الادنون اليه اهل أصفهان وهو

لا يأتمن أهل شیراز على نفسه ولا يستخدمهم ولا يقربهم ولا يبيع لأحد منهم حمل السلاح لأنهم أهل نجدة وبأس شديد وجراءة على الملوك ومن وجد بيده السلاح منهم عوقب ولقد شاهدت مرة رجلاً لا تجرأ الجنادة وهم الشرط إلى الحاكم وقد ربطوه في عنقه فسألت عن شأنه فأخبرت أنه وجدت في يده قوس بالليل فذهب السلطان المذكور إلى قهر أهل شیراز وتفضيل الأصفهانيين عليهم لأنه يخافهم على نفسه وكان أبوه محمد شاه بنجو والياً على شیراز من قبل ملك العراق وكان حسن السيرة محبباً إلى أهلها فلما توفي ولي السلطان أبو سعيد مكانه الشيخ محمد بن اهو ابن الجوبان أمير الأمراء وسياقي ذكره وبعث معه العساكر الكثيرة فوصل إلى شیراز وملكها وضم إليها ما كان من أعظم بلاد الله محبي ذكر لي الحاج قوام الدين الطمغجي وهو إلى الحبي بها أنه ضم منها بعشرة آلاف دينار دراهم في كل يوم وصر فها من ذهب المغرب الفان وخمسة مائة دينار ذهباً وأقام بها الأمير حسين مدة ثم أراد القدوم على ملك العراق فتبعض على أبي اسحق بن محمد شاه بنجو وعلى أخويه ركن الدين ومحمد بن علي والدته طاش خاتون وأراد حملهم إلى العراق ليطلبوا بأموال أيهم فلما توسطوا السوق بشيراز كشفت طاش خاتون وجهها وكانت متبرقة حياءان تري في تلك الحال فان عادة نساء الأتراك أن لا يغطين وجوههن واستغاثت بأهل شیراز وقالت أهكذا يا أهل شیراز أخرج من بينكم وأنا فلانة زوجة فلان فقام رجل من التجارين يسمى هلو ان محمود قد رأيته بالسوق حين قدومي على شیراز فقال لا نتركها تخرج من بلدنا ولا نرضى بذلك فتابعه الناس على قوله ونارت عامتهم ودخلوا في السلاح وقتلوا كثيراً من العسكر وأخذوا الأموال وخلصوا المرائ وأولاده وأولادهم والأمير حسين ومن معه وقدم على السلطان أبي سعيد مهزوماً فاعطاه العساكر الكشيفة وأمره بالعود إلى شیراز والتحكم في أهلها بما يشاء فلما بلغ أهلها ذلك علموا أنهم لا طاقة لهم به فقصدها القاضي محمد الدين وطلبوا منه أن يحقن دماء الفريقين ويوقع الصلح فخرج إلى الأمير حسين فترجل له الأمير عن فرسه وسلم عليه ووقع الصلح ونزل الأمير حسين ذلك اليوم خارج المدينة فلما كان من الغد برز أهلها للقائه في أجمل ترتيب وزينوا البلد وأوقدوا الشمع

الكثير ودخل الأمير حسين في ابهة وحفل عظيم وسار فيهم باحسن سيرة فلما مات السلطان أبو سعيد وانقرض عقبه وتغلب كل أمير علي ما يده خافهم الأمير حسين على نفسه وخرج عنهم وتغلب السلطان أبو اسحق عليها وعلى أصفهان وبلاد فارس وذلك مسيرة شهر ونصف شهر واشتدت شوكتهم وطمعت همته الي تملك ما يليه من البلاد فبدأ بالأقرب منها وهي مدينة يزد مدينة حسنة نظيفة عجيبية الاسواق ذات أنهار مطردة وأشجار نضيرة وأهلها تجار شافعية المذهب فحاصرها وتغلب عليها وتحصن الأمير مظفر شاه ابن الأمير محمد شاه ابن مظفر بقاعة على ستة أميال منها منبوعة تحمدق بها الرمال فحاصره بها فظهر من الأمير مظفر من الشجاعة ما خرق المعتاد ولم يسمع بمثله فكان يضرب على عسكر السلطان أبي اسحق ليلا ويقتل ماشاء ويحرق المضارب والفساطيط ويعود الي قلعته فلا يقدر على النيل منه وضرب ليلة على دوار السلطان وقتل هنالك جماعة وأخذ من عتاق حياه عشرة وعاد الي قلعته فامر السلطان ان تركب في كل ليلة خمسة آلاف فارس ويصنعون به السكائن ففعلوا ذلك وخرج على عادته في مائة من أصحابه فضرب على العسكر واحاطت به السكائن وتلاحقت المساكر فقتلهم وخلص الي قلعته ولم يصب من أصحابه الا واحد أتى به الي السلطان أبي اسحق فخلع عليه وأطلقه وبعث معه أمانا لمظفر لينزل اليه فأبى ذلك ثم وقعت بينهما المراسلة ووقعت له محبة في قلب السلطان أبي اسحق لما رأى من شجاعته فقال أريد أن أراه فاذا رأيته انصرفت عنه فوقف السلطان في خارج القلعة ووقف هو ببابها وسلم عليا فقال له السلطان انزل علي الامان فقال له مظفر اني عاهدت الله أن لا أنزل اليك حتي تدخل أنت قلعتي وحيثما أنزل اليك فقال له اقبل ذلك فدخل اليه السلطان في عشرة من أصحابه الخواص فلما وصل باب القلعة ترجل مظفر وقبل ركابه ومشى بين يديه مترجلا فأدخله داره وأكل من طعامه ونزل معه الي المحلة راكبا فأجلسه السلطان الي جانبه وخاع عليه ثيابه وأعطاه مالا عظيما ووقع الاتفاق بينهما أن تكون الخطابة باسم السلطان أبي اسحق وتكرن البلاد لمظفر وأبيه وعاد السلطان الي بلاده وكان السلطان أبو اسحق طمع ذات مرة الي بناء ايوان كبرى وأمر أهل شيراز ان يتولوا حفر اساسه

فأخذوا في ذلك وكان أهل كل صناعة يباهون كل من عسداهم فاتهموا في المباهاة إلى أن صنعوا القفاف لنقل التراب من الجلود وكسوها ثياب الحرير المزركش وفعلوا نحو ذلك في برادع الدواب وأخر أجهزها وصنع بعضهم الفؤس من الفضة وأوقدوا الشمع الكثير وكانوا حين الحفر يلبسون أجمل ثيابهم ويربطون فوط الحرير على أوساطهم والسلطان يشاهد أفعالهم في منظرته وقد شاهدت هذا المبنى وقدار ترفع عن الأرض نحو ثلاثة أذرع ولما بني أساسه رفع عن أهل المدينة الترخيم فيه وصارت الفعلة تخدم فيه بالاجرة ويحشر لذلك آلاف منهم وسمعت والي المدينة يقول أن معظم مجباهات نفق في ذلك البناء وقد كان الموكل به الأمير جلال الدين بن الفاسكي التوريزي وهو من الكبار كان أبوه نائباً عن وزير السلطان أبي سعيد المسمي على شاه تجيلان ولهذا الأمير جلال الدين الفلكي أخ فاضل اسمه هبة الله ويلة بهاء الملك وقد على ملك الهند حين وفودي عليه ووقدم عند شرف الملك أمير بخت نخلع ملك الهند علينا جميعاً وقدم كل واحد في شغل يابق به وعين لنا المرتب والاحسان وسند كذا ذلك وهذا السلطان أبو اسحق يريد التشبه بملك الهند المذكور في الإيثار واجزال العطايا ولكن أين الثريامن الثرى واعظم ما تعرفناه من عطيات أبي اسحق أنه أعطي الشيخ زاده الخراساني الذي أتاه رسولاً عن ملك هراة سبعين ألف ديناراً وأما ملك الهند فلم يزل يعطي أضعاف ذلك لمن لا يحصى كثرة من أهل خراسان وغيرهم (حكاية) ومن عجيب فعل ملك الهند مع الخراسانيين أنه قدم عليه رجل من فقهاء خراسان هروي الدار من سكان خوارزم يسمى بالأمير عبد الله بعثته الخاتون ترابك زوج الأمير قتلود مور صاحب خوارزم هدية إلى ملك الهند المذكور فقبلها وكافأ عنها بأضعافها وبمث ذلك اليها واختار رسولها المذكور الإقامة عنده فصيره في ندمائه لما كان ذات يوم قال له ادخل إلى الخزانة فارفع منها قدر ما تستطيع أن تحمله من الذهب فذهب إلى داره فأتى بثلاث عشرة خريطة وسجل في كل خريطة قدر ما وسعته وربط كل خريطة بعضو من أعضائه وكان صاحب قوة وقام بها فلما خرج عن الخزانة وقع ولم يستطع النهوض فأمر السلطان يوزن ما خرج به فكان جلته ثلاثة عشر مناب من دهلي والمن الواحد منها خمسة وعشرون

رطلا مصرية فأمره أن يأخذ جميع ذلك فأخذه وذهب به ﴿حكاية تناسبها﴾
 اشتكى مرة أمير بخت الملقب بشرف الملك الخراساني وهو الذي تقدم ذكره آنفاً بحضرة
 ملك الهند فأتاه الملك عائداً ولما دخل عليه أراد القيام فخلف له الملك أن لا ينزل عن كته
 والكت هو السرير ووضع للسلطان متكأة يسمونها المورة فقام معها ثم دعا بالذهب
 والميزان فحفي بذلك وأمر المريض أن يقدم في إحدى كفتي الميزان فقال يا خوند عالم لو
 علمت أنك تفعل هذا لبست علي ثياباً كثيرة فقال له البس الآن جميع ما عندك من الثياب
 فلبس ثيابه المععدة لابرد المحشوة بالقطن وقعد في كفة الميزان ووضع الذهب في الكفة
 الأخرى حتى رجحه الذهب وقال له خذ هذا فتصدق به على رأسك وخرج عنه
 ﴿حكاية تناسبها﴾ وقد عليه الفقير عبد العزيز الأردوبلي وكان قد قرأ علم الحديث
 بدمشق وتفقّه فيه فعمل مرتبة مائة دينار دراهم في اليوم وصرف ذلك خمسة وعشرون
 ديناراً ذهباً وحضر مجلسه يوماً فساءله السلطان عن حديث فسر له أحاديث كثيرة في ذلك
 المعنى فأعجبه حفظه وحاف له برأسه أن لا يزول من مجلسه حتى يفعل معه ما يراه ثم نزل
 الملك عن مجلسه فقبل قدميه وأمر بإحضار صينية ذهب وهي مثل الطيفور الصغير وأمر
 أن يلقى فيها ألف دينار من الذهب وأخذها السلطان بيده فصمغها عليه وقال هي لك مع
 الصينية ووفى عليه مرة رجل خراساني يعرف بابن الشيخ عبد الرحمن الأسفرايني وكان
 أبوه نزل بغداد فأعطاه خمسين ألف دينار دراهم وخيلاً وعبيداً وخداماً وسنداً كثيراً
 من أخبار هذا الملك عند ذكر بلاد الهند وانما ذكرنا هذا المقدمناه من أن السلطان
 أباسحق يريد التشبه به في المطايا وهو وإن كان كريماً فاضلاً فلا يحق بطبقة ملك الهند
 في الكرم والسخاء ﴿ذكر بعض المشاهد بشيراز﴾

فمنهم أحمد بن موسى أخي علي الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
 ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهو مشهور معظم عند أهل شيراز يتبركون به
 ويتوسلون إلى الله بفضل وبنت عليه طاش خاتون أم السلطان أبي اسحق مدرسة كبيرة
 وزاوية فيها الطعام لوارده والصادر والقراء يقرؤون القرآن على الترتيب دائماً من عادة

الخاتون انها تأتي الى هذا المشهد في كل ليلة اثنين ويجتمع في تلك الليلة القضاة والفقهاء
 والشرفاء وشيخا من أكثر بلاد الله شرفاء سمعت من الثقات ان الذين لهم بها المرتبات من
 الشرفاء ألف وأربعمائة ونيف بين صغير وكبير وتقيم عندهم عضد الدين الحسيني فاذا حضر
 القوم بالمشهد المبارك المذكور ختموا القرآن قراءة في المصاحف وقرأ القراء بالاصوات
 الحسنة وأتى بالطعام والفواكه والحلوى فاذا أكل القوم وعظ الواعظ ويكون ذلك
 كله من بعد صلاة الظهر الى العشي والخاتون في غرفة مظلة على المسجد لها شبك ثم
 تضرب الطبول والانتقار والبوقات على باب التربة كما يفعل عند أبواب الملوك ومن المشاهد
 بها مشهد الامام القطب الولي أبي عبد الله بن خفيف المعروف عندهم بالشيخ وهو قدوة
 بلاد فارس كلها ومشهد معظم عندهم يأتون اليه بكرة وعشيا فيتمسحون به وقد رأيت
 القاضي مجد الدين أتما زائر واستلمه وتأتي الخاتون الى هذا المسجد في كل ليلة جمعة
 وعليه زاوية ومدرسة ويجمع به القضاة والفقهاء ويفعلون به كفعالهم في مشهد أحمد بن
 موسي وقد حضرت الموضعين جميعا وتربة الامير محمد شاه بنجو والد السلطان أبي اسحق
 متصلة بهذه التربة والشيخ أبو عبد الله بن خفيف كبير القدر في الاولياء شهرته لذكرو هو
 الذي أظهر طريق جبل سرنديب بجزيرة سيلان من أرض الهند (كرامة لهذا الشيخ)
 يحكى انه قصد مرة جبل سرنديب ومعه نحو ثلاثين من الفقراء فاصابتهم مجاعة في طريق
 الجبل حيث لا عمارة وتأهوا عن الطريق وطلبوا من الشيخ أن يأذن لهم في القبض على
 بعض الفيلة الصغار وهي في ذلك الحبل كثيرة جدا ومنه تحمل الى حضرة ملك الهند فهاهم
 الشيخ عن ذلك فغلب عليهم الجوع فتعدوا قول الشيخ وقبضوا على فيل صغير منها
 وذكروه وأكوا لحمه وامتنع الشيخ من أكله فلما ناموا تلك الليلة اجتمعت الفيلة من كل
 ناحية وأتت اليهم فكانت تشم الرجل منهم وتتله حتى أتت على جميعهم وشمّت الشيخ ولم
 تتعرض له واخذته فيل منها ولف عليه خرطومها ورمي به على ظهره وأتى به الموضع الذي
 فيه العمارة فلما رآه أهل تلك الناحية عجبوا منه واستقبلوه ليتعرفوا امره فلما قرب منهم
 أمسكه الفيل بخرطومها ووضعته على ظهره الى الأرض بحيث يروونه فجأوا اليه وتمسحوا به

وذهبوا به الى ملكهم فمرفوه خبره وهم كفار وأقام عندهم أياماً وذلك الموضع على خور
 يسمى خور الحيزران والخور هو النهر وبذلك الموضع غاص الجوهر ويذكر ان الشيخ
 غاص في تلك الايام يحضر ملكهم وخرج وقد ضم يديه معا وقال للملك اختر ما في احداها
 فاختر ما في البقي فرمى اليه بمسافيهما وكانت ثلاثه احجار من الياقوت لا مثل لها وهي
 عندهم لو كهم في التاج يتوارثونها وقد دخلت جزيرة سيلان هذه وهم مقيمون على الكفر
 الا انهم يعظمون فقراء المسلمين ويأوونهم الى دورهم يطعمونهم الطعام ويكونون في
 بيوتهم بين اهليهم واولادهم خلافا لساير كفار الهند فانهم لا يقربون المسلمين ولا
 يطعمونهم في آيتهم لا يسقونهم فيها مع انهم لا يؤذونهم ولا يهجونهم واقدم كتنا اضطرا الي
 ان يطبخ لنا بعضهم اللحم فيأتون في قدورهم ويقعدون على بعد منا وياتون باوراق الموز
 فيجعلون عليها الارز وهو طعامهم ويصبون عليه الكوشان وهو الادام ويذهبون فناكل
 منه وما فضل عايناهم تاكله الكلاب والطيروا ان اكل منه الولد الصغير الذي لا يعقل ضربوه
 واطعموه ووث البقر وهو الذي يظهر ذلك في زعمهم * ومن المشاهد بها مشهد الشيخ
 الصالح القطب روزجهان القبلي من كبار الاولياء وقبره في مسجد جامع بخطب فيه وبذلك
 المسجد يصلي القاضي مجد الدين انذي تقدم ذكره رضى الله عنه وبهذا المسجد سمعت
 عليه كتاب مسند الامام أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي قال اخبرتنا به وزيرة بنت
 عمر بن المنجا قالت اخبرنا ابو عبد الله الحسين بن أبي بكر بن المبارك الزيدي قال اخبرنا
 أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي قال اخبرنا أبو الحسن المكي بن محمد بن منصور
 ابن علان العرضي قال اخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحرشي عن أبي العباس بن
 يعقوب الاصم عن الربيع بن سليمان المرادي عن الامام أبي عبد الله الشافعي وسمعت أيضاً
 عن القاضي مجد الدين هذا المسجد المذكور كتاب مشارق الانوار الامام رضى الدين
 أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصاغانى بحق سماعه له من الشيخ جلال الدين
 أبي هاشم محمد بن محمد بن أحمد الهاشمي الكوفي بروايته عن الامام نظام الدين محمود
 ابن محمد بن عمر الهروي عن المصنف ومن المشاهد بها مشهد الشيخ الصالح زركوب

وعليه زاوية لا طعام الطعام وهذه المشاهد كلها بداخل المدينة وكذلك معظم قبور أهلها
فإن الرجل منهم زوت ولده أو زوجته فيتخذ له تربة من بعض بيوت داره ويدفنه هناك
وينثرش البيت بالحصى والبسط ويجعل الشمع الكثير عند رأس الميت ورجليه ويصنع
للبيت باباً إلى ناحية لزقاق وشباك حديد فيدخل منه القراء يقرؤون بالأصوات الحسان
وليس في معمر الأرض أحسن أصواتاً بالقرآن من أهل شيراز ويقوم أهل الدار بالتربة
ويقرشونها ويوفدون السرج بها فكان الميت لم يبرح وذكر لي أنهم يطبخون في كل يوم
نصيب الميت من الطعام ويصدقون به عنه

﴿حكاية﴾

مررت يوماً ببعض أسواق مدينة شيراز فرأيت بها مسجداً متقناً البناء جميل الفرش وفيه
مصاحف موضوعة في خرائط حرير موضوعة فوق كرسي وفي الجهة الشمالية من
المسجد زاوية فيها شبك مفتوح إلى جهة السوق وهناك شيخ جميل الهيئة واللباس وبين
يديه دهرم يقرأ فيه فسلمت عليه وجاست إليه فسألني عن مقدمي فأخبرته وسألته عن
شأن هذا المسجد فأخبرني أنه هو الذي عمره ووقف عليه أوقافاً كثيرة للقراء وسواهم
وإن تارة الزاوية التي جاست إليه فيها هي موضع قبره إن قضى الله موته بملك المدينة ثم رفع
بساطاً كان تحته والقبر مغطى عليه ألواح خشب وأراني صندوقاً كان بازائه فقال في هذا
الصندوق كفي وحنوطي ودراهم كنت استأجرت بها نفسي في حفر بئر لرجل صالح
فدفع لي هذه الدراهم فتركتها لتكون نفقة مواراتي وما فضل منها يتصدق بها فمجيبت من
شأنه وأردب إلا نصراف فحلف علي وأضافني بذلك الموضع ومن المشاهد بخارج شيراز
قبر الشيخ الساحل المعروف بالسعدى وكان أشعر أهل زمانه باللسان الفارسي وربما
ألمع في كلامه بالعربي وله زاوية كان قد عمرها بذلك الموضع حسنة بداخلها بستان مليح
وهي بقرب رأس النهر الكبير المعروف بركن آباد وقد صنع الشيخ هناك أحواضاً صغاراً
من المرمر اغسل الثياب فيخرج الناس من المدينة لزيارته ويأكلون من سناطه ويغسلون
ثيابهم بذلك النهر وينصرفون وكذلك فعلت عند دمر حمه الله وبقرية من هذه الزاوية
زاوية أخرى تتصل بها مدرسة مبنيتان على قبر شمس الدين السمناني وكان من الأمراء

الفقهاء ودفن هنالك بوصية منه بذلك وبمدينة شيراز من كبار الفقهاء الشريف مجيد الدين
وأمره في الكرم عجيب وورع عا جاد بكل ما عنده وبأثياب التي كانت عليه ويلبس مرقعة له
فيدخل عليه كبراء المدينة فيجدونه على تلك الحال فيكسونه ومرتبه في كل يوم من
السلطان خمسون ديناراً درهم ثم كان خروجه من شيراز برسم زيارة قبر الشيخ الصالح
أبي اسحق الكازروني بكازرون وهي على مسيرة يومين من شيراز فنزلنا أول يوم ببلاد
الشول وهم طائفة من الاعام يسكنون البرية وفيهم الصالحون ﴿كرامة ليهضهم﴾
كنت يوماً ببعض المساجد بشيراز وقد قدمت أتوا كتاب الله عز وجل أرصالة الظهر
نحطرن بخاطري انه لو كان لي مصحف كريم لملوت فيه فدخل علي في أثناء ذلك شاب وقال
لي بكلام قوي خذ فرغ من رأسي اليه فأتني في حجري مصحفاً كريماً وذهب عني فحتمته
ذلك اليوم قراءة وانتظرته لأردمه فلم يعد الي فسألت عنه فقيل لي ذلك بهلول الشول ولم
أره بعد ووصلنا في عشي اليوم الثاني الى كازرون فقصصنا زاوية الشيخ أبي اسحق نفع
الله به وبتنا تلك الليلة ومن عادتهم أن يطعموا الوارد كائناً من كان من الهريسة المصنوعة
من اللحم والقمح والسمن وتؤكل بالرفاق ولا يترك كون الوارد عليهم لاسفر حتي يقيم في
الضيافة ثلاثة أيام ويعرض على الشيخ الذي بالزاوية حوائجه ويذكرها الشيخ لافتراء
اللازمين للزاوية وهم يزيدون على مائة منهم المتزوجون ومنهم من الاعزاب المتجردون
فيختمون القرآن ويذكرون الذكر ويدعون له عند ضريح الشيخ أبي اسحق فتقضى
حاجته باذن الله وهذا الشيخ أبو اسحق معظم عند أهل الهند والصين ومن عادة ركاب
بحر الصين انهم اذا تغير عليهم الهواء وخافوا الاصوص نذروا لابي اسحق نذوراً وكتب
كل منهم على نفسه ما نذره فاذا وصلوا بر السلامة صعد خدام الزاوية الي المركب واخذوا
الزمام وقبضوا من كل ناذر نذره وما من مركب يأتي من الصين أو الهند الا وفيه آلاف من
الدنانير يأتي الوكلاء من جهة خدام الزاوية فيقبضون ذلك ومن الفقراء من يأتي طالباً
صدقة الشيخ فيكتب له أمر بها وفيه علامة الشيخ منقوشة في قالب من الفضة فيضون

لطول وبهذا المسجد آثار كثيرة فنهايت ازاء المحراب عن يمين مستقبل القبلة يقال ان
 لحليل صلوات الله عليه كان له مصلى بذلك الموضع وعلى مقربة منه محراب محاق عليه
 باعواد الساج مرتفع وهو محراب بنى من ابي طالب رضي الله عنه وهما في ضربه الشقي
 بن ماجم والناسية بدون الصلاة وفي انزاوية من آخر هذا البلاط مسجد صغير
 محاق عليه ابي الماود الساج . كرا . موضع . سور . منة . الثور . من . فوقان . نوح . عليه
 السلام . في . ارض . ح . المدعيان . زهر . نوح . عليه . السلام . از . بيت
 زهر . نوح . عليه . السلام . يتصل . بمصلى . متصل . بالجدار . القبلي . من
 المسجد . يقال . انه . موضع . انشاء . سفينة . نوح . عليه . السلام . وفي آخر هذا المضاع دار علي بن ابي
 طالب رضي الله عنه والبيت الذي غسل فيه ويتصل به بيت يقال ايضا انه بيت نوح عليه
 السلام والله اعلم بصحة ذلك . كله وفي الجهة الشرقية من الجامع بيت مرتفع يصعد اليه فيه
 قبر مسلم بن عقيل بن ابي طالب رضي الله عنه ومقبرته منه خارج المسجد قبر عاتكة وسكينة
 بنتي الحسين عليه السلام واما قصر الامارة بالكوفة . الذي بناه سعد بن ابي وقص رضي الله
 عنه فلم يبق منه الا اساسه والفرات من الكوفة على مسافة نصف فرسخ في الجانب الشرقي
 منها وهو منتظم بحدائق النخل الملتصقة المتصل بعضها ببعض ورأيت بغربي جبانة الكوفة
 . وضعا مسودا شديدا السواد في سيط . ايض . فاخبرت ان قبر السقي ابن ماجم وان اهل
 الكوفة يأتون في كل سنة بالحطب الكثير فيوقدون النار على موضع قبره سبعة أيام وعلى
 قرب منه قبة اخبرت انها على قبر المختار بن ابي عبيد ثم رحلنا ونزلنا بئر ملاحه وهي بلدة
 حسنة بين حدائق النخل ونرات بخارجها . كرهت دخولها لان اهلها روافض ورحلنا
 منها الصبح فنزلنا مدينة الحلة وهي مدينة كبيرة مستطيلة مع الفرات وهو بشرقيها ولها
 اسواق حسنة جامعة للمرافق والصناعات وهي كثيرة العمارة وحدائق النخل منتظمة
 بهاد اخلا وخارجها دورها بين الحدائق ولها بئر عظيم معقود على مراكب متصلة
 منتظمة فيما بين الشعين تحف بها من جانبيها لاسل من حديد مربوط في كلال الشعين
 الى خشبة عظيمة متينة بالساحل واهل هذه المدينة كلها امامية اثنا عشرية وهم طائفتان

أحداها تعرف بالاكراد والآخرى تعرف بأهل الجامعين والفتنة بينهم متصلة والقتال قائم أبدا وبمقربة من السوق الأعظم هذه المدينة مسجد على بابها ستر حرير مسدول وهم يسمونه مشهد صاحب الزمان ومن عادتهم أنه يخرج في كل ليلة مائة رجل من أهل المدينة عليهم السلاح وبأيديهم سيوف مشهورة فيأتون أمير المدينة بعد صلاة العصر فيأخذون منه فرسا مسرجا ملجما أو بغلة كذلك ويضربون الطبول والنفار والبوقات امام تلك الدابة ويتقدمها خمسون منهم ويتبعها مثلهم ويمشي آخرون عن يمينها وشمالها ويأتون مشهد صاحب الزمان فيقفون بالباب ويقولون باسم الله يا صاحب الزمان باسم الله اخرج قد ظهر الفساد وكثر الظلم وهذا أو ان خروجه فيعرف الله بك بين الحق والباطل ولا يزالون كذلك وهم يضربون الأبواق والأطبال والأنفار الى صلاة المغرب وهم يقولون ان محمد بن الحسن العسكري دخل ذلك المسجد وغاب فيه وانه سيخرج وهو الامام المنتظر عندهم وقد كان غلب على مدينة الحلة بعد موت السلطان أبي سعيد الامير أحمد بن رميثة بن أبي نمي أمير مكة وحكمها أعواما وكان حسن السيرة يحمد أهل العراق الى أن غلب عليه الشيخ حسن سلطان العراق فعذبه وقتله وأخذ الأموال والذخائر التي كانت عنده ثم سافر نامها الى مدينة كربلاء مشهد الحسين بن علي عليهما السلام وهي مدينة صغيرة تحفها حدائق التخل ويسقيها ماء الفرات والروضة المقدسة داخلها وعاليها مدرسة عظيمة وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والصاروعلى باب الروضة الحجاب والقومة لا يدخل أحدا عن إذنهم فيقبل العتبة الشريفة وهي من الفضة وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة وعلى الابواب أستار الحرير وأهل هذه المدينة طائفتان أولاد خيك وأولاد فائز وبينهم القتال أبدا وهم جميعا امامية يرجعون الى أب واحد ولاجل قتلهم تخربت هذه المدينة ثم سافر نامها الى بغداد

✽ مدينة بغداد ✽

مدينة دار السلام وحضرة الاسلام ذات القبر الشريف والفضل المنيف
متوى الخلفاء ومقر العلماء قال أبو الحسين بن جبير رضي الله عنه وهذه المدينة العتيقة

وان لم تزل حضرة الخلافة العباسية ومثابة اندعوة لامامية القرشيه فقد ذهب رسمها ولم يبق الاسمها وهي بالاضافة الي ما كانت عليه قبل انحاء الحوادث عليها والتفات أعين النوائب اليها كالمظلل الدارس أو تمثال الخيال الشاخص فلا حسن فيها يستوقف البصر ويستدعى من المستوفز الغفلة والنظر الادجتها التي هي بين شرقيها وغربيها كالمرآة المجلوة بين صفحتين أو المقدم المنتظم بين لبين فهي تردها ولا تنظماً وتطلع منها في مرآة صقيلة لا تصدأ والحسن الحريري بين هواها وماثها ينشأ قال ابن جزي وكان أبا تمام حبيب بن أوس اطلع على ما آل اليه امرها حين قال فيها (بسيط)

لقد أقام على بغداد ناعيا * فليكنها لخراب الدهر باكيها
كانت على ماثها والحرب موقدة * والنار تطفأ حسنا في نواحيها
ترجي لها عودة في الدهر سالحة * فالآن أضمر منها اليأس راجيها
مثل المعجوز التي ولت شبيبها * وبان عنها جمال كان يحظيها

وقد نظم الناس في مدحها وذكروا محاسنها فاطنبوا ووجدوا مكان القول ذاسمة فأطالوا وأطابوا وفيها قال الامام القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر المالكي البغدادي وأنشدني والذي رحمه الله مرات (بسيط)

طيب الهواء ببغداد يشوقني * قربا اليها وان عاقت مقادير
وكيف أرحل عنها اليوم اذ جمعت * طيب الهواء من ممدود ومقصود
وفيها يقول أيضاً رحمه الله تعالى ورضي عنه (طويل)

سلام على بغداد في كل موطن * وحق لها من السلام المضاعف
فوالله ما فارقتها عن قلبي لها * واني بشطي جانبيها لعارف
ولكنها ضاقت على برحبها * ولم تكن الأقدار فيها تساعف
وكانت تكل كنت أهوى دنوه * واخلاقه تنأي به وتخالف

وفيها يقول أيضاً مغاضبها وأنشدني والذي رحمه الله غير مامرة (بسيط)
بغداد دار لأهل المال واسعة * ولا صمالك دار الضنك والضيق

ظلمت أمشي مضاعاً في أزقتها * كأنني مصحف في بيت زنديق
وفيها يقول القاضي أبو الحسن علي بن النبيه من قصيدة (خفيف)

آنست بالعراق بدر أميراً * فتوت غيباً وخاضت هجيراً
واستطابت دياراً نسائم بغداد * دفكادت لولا البرى أن تطيراً
ذكرت من مسارح الكرخ روضاً * لم يزل ناضراً وماء نميراً
واجتنت من ربا المحول نورا * واجتلت من مطالع التاج نورا

ولبعض نساء بغداد في ذكرها (كامل)

آها على بغدادها وعراقها * وظباثها والسحر في أحداقها
ومجاهلها عند الفرات بأوجه * تبدو أهلتها على أطواقها
متبخترات في التعميم كأنما * خلق الهوى المذرى من أخلاقها
نقسي الفداء لها فأى محاسن * في الدهر تشرق من سنا اشراقها

(رجع) وابعد جسر ان اتان معقودان على نحو الصفة التي ذكرناها في جسر مدينة
الحلوة والناس يعبرونهم باليلا ونهار ارجالاً ونساء فهم في ذلك في نزهة متصلة وبغداد من
المساجد التي يختلط فيها وتقام فيها الجمعة أحد عشر مسجداً منها بالجانب الغربي ثمانية
وبالجانب الشرقي ثلاثة والمساجد سواها كثيرة جداً وكذلك المدارس إلا أنها خربت
وحمامات بغداد كثيرة وهي من أبدع الحسامات وأكثرها مطايع بالقار مسطحة به
فيخيل لرأيتها نهر خام أسود وهذا القار يجلب من عين بين الكوفة والبرقة تنبع أبداً به
ويصير في حوائرها كالصاصال فيحرف منها ويجلب إلى بغداده في كل حمام منها خلوات
كثيرة كل خلوة منها فروع وشدة بالقار مطلى نصف حائطها بمسالي الأرض به والنصف
الأعلى مطلى بالجبص الأبيض الناصع فالضدان بها مجتمعان متقابل حسنهما وفي داخل كل
خلوة حوض من الرخام فيه أنبوبان أحدهما يجري بالماء الحار والآخر بالماء البارد
فيدخل الإنسان الخلوة منها منفرداً لا يشاركه أحداً إلا أن أراد ذلك وفي زاوية كل خلوة
أيضاً حوض آخر للاغتسال فيه أيضاً أنبوبان يجريان بالحار والبارد وكل داخل يعطى

ثلاثاً من القوط أحدها يتزربها عند دخوله والاخرى يتزربها عند خروجه والاخرى
ينشف بها الماء عن جسده ولم أر هذا الاثنان كله في مدينة سوى بغداد وبعض البلاد
تقاربها في ذلك

﴿ ذكر الجانب الغربي من بغداد ﴾

الجانب الغربي منها هو الذي عمر أولاً وهو الآن خراباً أكثره وعلى ذلك فقد بقي منه
ثلاث عشرة محلة كل محلة كأنها مدينة بها الحمامان والثلاثة وفي ثلث منها المساجد
الجامعة ومن هذه المحلات محلة باب البصرة وبها جامع الخليفة أبي جعفر المنصور رحمه الله
والمارستان فيما بين محلة باب البصرة ومحلة الشارع على الدجلة وهو قصر كبير خرب
بقيت منه الآثار وفي هذا الجانب الغربي من المشهد قبر معروف الكرخي رضي الله عنه
وهو في محلة باب البصرة وطريق باب البصرة مشهود حافل البناء في داخله قبر متسع السنام
عليه مكتوب هذا قبر عون من أولاد علي بن أبي طالب وفي هذا الجانب قبر موسى الكاظم
ابن جعفر الصادق والد علي بن موسى الرضا والى جانبه قبر الجواد والقبران داخل الروضة
عليهما دكانة ملبسة بالخشب عليه ألواح الفضة

﴿ ذكر الجانب الشرقي منها ﴾

وهذه الجهة الشرقية من بغداد حافلة الاسواق عظيمة الترتيب وأدغم أسواقها سوق
المعجبة بسوق الثلاثاء كل صناعة فيها على حد وفي وسط هذا السوق المدرسة نظامية
يعرف التي صارت الآن مثال تضرب بحسنها وفي آخره المدرسة المتصرفية وبسورها أمير
المؤمنين المستنصر بالله أبي جعفر بن أمير المؤمنين الظاهر بن أمير المؤمنين الناصر وبها
المذاهب الأربعة لكل مذهب ابوان في المسجد ووضع التدريس وجلس المدرس في
قبة خشب صغيرة على كرسي عليه البسط ويقعد المدرس وعليه السكينة والوقار لا يسأله
السواد معتمداً على عيئه ويسار معيدان يعيدان كل مائة يومه وهكذا ترتيب كل مجلس من
هذه المجالس الأربعة وفي داخل هذه المدرسة الحمام للطلبة ودار انوضوء وبهذه الجهة
الشرقية من المساجد التي تقام فيها الجمعة ثلاثة أحدها جامع الخليفة وهو المتصل بقصور

الخلفاء ودورهم وهو جامع كبير فيه سقايات ومطاهر كثيرة للوضوء والغسل لقيت بهذا
 المسجد الشيخ الامام العالم الصالح مسند العراق سراج الدين ابا حفص عمر بن علي بن عمر
 القزويني وسمعت عليا فيه جميع مسند أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام
 الدارمي وذلك في شهر رجب اتمرد عام سبعة وعشرين وسبعمائة قال اخبرتنا به الشيخة
 النصالحة المستدة بنت الملوك فاطمة بنت العباس تاج الدين أبي الحسن علي بن علي بن أبي
 البدر قالت اخبرنا الشيخ أبو بكر محمد بن مسعود بن هرير الطيب المارستاني قال اخبرنا أبو
 الوقت عبد الاول بن شعيب السنجرى الصوفى قال اخبرنا الامام أبو الحسن عبد الرحمن
 ابن محمد بن المظفر الداودى قال اخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن حموية السرخسى عن
 أبي عمران عيسى بن عمر بن العباس السمرقندى عن أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن
 الفصل الدارمي والجامع الثاني جامع الساطان وهو خارج البلد وتصل به قصور تنسب
 لسلطان والجامع الثالث جامع الرصافة وبينه وبين جامع السلطان نحو الميل

ذكر قبور الخلفاء ببغداد وقبور بعض العلماء والصالحين بها

وقبور الخلفاء العباسيين رضي الله عنهم بالرصافة وعلى كل قبر منها اسم صاحبه فمنهم قبر
 المهدي وقبر الهادي وقبر الأمين وقبر المعتصم وقبر الواثق وقبر المتوكل وقبر المنتصر وقبر
 المستعين وقبر المعتز وقبر المهدي وقبر المعتز وقبر المعتضد وقبر المهدي وقبر المعتز وقبر
 القاهر وقبر الراضى وقبر المتقى وقبر المستكن وقبر المطيع وقبر الطائع وقبر القائم وقبر
 القادر وقبر المستظهر وقبر المسترشد وقبر الراشد وقبر المقتدى وقبر المستنجد وقبر
 المستضى وقبر الناصر وقبر الظاهر وقبر المستنصر وقبر المستعصم وهو آخرهم وعليه
 دخل التبريداد بالسيف وذبحوه بعد أيام من دخولهم وانهط من بغداد اسم الخلافة
 العباسية وذلك في سنة أربع وخمسين وثمانمائة بقرب الرصافة قبر الامام أبي حنيفة رضي
 الله عنه وعليه قبة عظيمة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر وليس بمدينة بغداد اليوم زاوية
 يطعم الطعام فيها ما عدا هذه الزاوية فسبحان مبدى الاشياء ومغيرها وبالقرب منها قبر الامام
 أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه ولا قبة عليه ويذكر انها بنيت على قبره سرا

فتمدت بقدره الله تعالى وقبره عند أهل بغداد عظموا أكثرهم على مذهبه وبالقرب منه قبر أبي بكر الشبلي من أئمة المتصوفة رحمه الله وقبر سري السقطي وقبر بشر الحافي وقبر داود الطائي وقبر أبي القاسم الجيدير رضي الله عنهم أجمعين وأهل بغداد لهم يوم في كل جمعة لزيارة شيخ من هؤلاء المشايخ ويوم الشيخ آخر يليه مكنى إلى آخر الأسبوع وبغداد كثير من قبور الصالحين والعلماء رضي الله تعالى عنهم وهذه الجهة الشرقية من بغداد ليس بها فواكه وأنما تنجس اليها من الجهة الغربية لان فيها البساتين والحدائق ووافق وصولي إلى بغداد كون ملك العراق بها نذ كرمهنا

﴿ ذكر سلطان المراقين وخراسان ﴾

وهو السلطان الجليل أبو سعيد بهادر خان وخان عندهم الملك (وبها در بفتح الباء الموحدة وضم الدال المهملة وآخره راء) ن السلطان الجليل محمد خدابنده وهو الذي أسلم من ملوك التترو ضبط اسمه مختلف فيه فمنهم من قال ان اسمه خدابنده (بخاء معجمة مضمومة و ذال معجم مفتوح) وبنده لم يختلف فيه (وهو بباء موحدة مفتوحة ونون مسكنة و دال مهملة مفتوح وهاء استراحة) وتفسيره على هذا القول عبد الله لان خذا بالفارسية اسم الله عز وجل وبنده غلام أو عبد أو مافي معناها وقيل انما هو خربنده (بفتح الخاء المعجمة وضم اراء المهملة) وتفسيره خرب بالفارسية الحمار فنعاه على هذا غلام الحمار فشذ ما بين القولين من الخلاف على ان هذا الاخير هو المشهور وكان الاول غيره اليه من نصب وقيل ان سبب تسميته بهذا الاخير هو ان التتر يسمون المولود باسم أول داخل على البيت عند ولادته فلما لهذا السلطان كان أول داخل الزمال وهم يسمون خربنده فسمي به وأخو خربنده هو قازغان الذي يقول فيه الناس قازان وقازغان هو القدر وقيل سمي بذلك لانه لما ولد دخلت الجارية ومعهما القدر وخدا بنده هو الذي أسلم وقد مناقضته وكيف أراد أن يحمل الناس لما أسلم على الرقض وقصة القاضي مجد الدين معه ولم مات ولي الملك ولده أبو سعيد بهادر خان وكان ملكا فاضلا كرميا ملكا وهو صغير السن ورأيت به بغداد وهو شاب أجمل خاق الله صورة

لانبات بهار ضيه ووزير ما اذ ذاك الامير عياث الدين محمد بن خواججه رشيد وكان أبوه من
 مهاجرة اليهود واستوزره السلطان محمد خدابنده والد أبي سعيد رأيتهم ما يوم ما بحراقة في
 الدحلة وتسمى عندهم الشبيارة وهي شبه سلورة وبين يديه مشق خواججه ابن الامير
 جوبان المتغلب على أبي سعيد وعن يمينه وشماله شبارتان فيهما أهل الطرب والغناء ورأيت
 من مكارمه في ذلك اليوم انه تعرض له جماعة من العميان فشكوا ضعف حالهم فأمر لكل
 واحد منهم بكسوة وغلام يقودونه نفقة تجري عليه ولما ولي السلطان أبو سعيد وهو
 صغير كما ذكرناه استولى على أمره أمير الأمراء الجوبان وحجر عليه التصرفات حتى لم
 يكن يسده من الملك الا الاسم ويذكر انه احتاج في بعض الاعياد الى نفقة تنفقها فلم يكن له
 سبيل اليها فبعث الى أحد التجار فأعطاه من المال ما أحب ولم يزل كذلك الى أن دخلت
 عاياه يوما زوجة أبيه دنيا خاتون فقالت له لو كنا نحن الرجال ما تركنا الجوبان وولده على
 ماها عليه فاستفهمها عن مرادها بهذا الكلام فقالت له لقد انتهت امر دمشق خواججه بن
 الجوبان أن يفتك بحرم أسيك وانه بات البارحة عند طغي خاتون وقد بعث الى وقال لي اليلة
 أبيت عندك وما الرأي إلا أن تجمع الأمراء والعساكر فاذا صعدت الى القلعة تحتفيا برسم
 الميت أمكنك القبض عليه وأبوم يكني الله أمره وكان الجوبان اذ ذاك غائباً بخراسان فغابته
 الغيرة وبات يدبر أمره فلما علم أن دمشق خواججه بالقاعة أمر الأمراء والعساكر أن
 يطيفوا بها من كل ناحية فلما كان بالغد وخرج دمشق ومعه جندي يعرف بالحاج المصري
 فوجد سلسلة معرضة على باب القلعة وعالها قفل فلم يمكنه الخروج راكباً فضرب بالحاج
 المصري السلسلة بسيفه فقطعه واخرجها فاحاطت بها العساكر وخلق أمير من الأمراء
 الخاصكية يعرف بمصر خراجته وفتى يعرف بأولر دمشق خواججه فقتلاه وأتى الملك ابا
 سعيد برأسه فرموا به بين يدي فرسه وتلك عادتهم ان يفلوا برأس كبار أعدائهم وأمر
 السلطان بنهب داره وقتل من قاتل من خدامه ومماليكه واتصل الخبر بأبيه الجوبان وهو
 بخراسان ومعه أولاد أمير حسن وهو الأكر وطلس وجلو خان وهو أصغرهم وهو
 ابن أخت السلطان أبي سعيد أمه ساطي بك بنت السلطان خدابنده ومعه عساكر التتر

وحاميتها فاتفقوا على قتال السلطان أبي سعيد وزحفوا إليه فلما التقى الجمعان هرب التتر إلى
سلطانهم وأقروا الجوبان فلما رأى ذلك نكسر على عقيبه وفر إلى صحراء سجستان
وأوغل فيها وأجمع على الإحراق بملك امرأة ياث الدين مستجير أبوه و متحصناً بدينته
وكانت له عليه أيد سابقة فلم يوافقوه ولد حسن وطالش على ذلك وقالوا لا يبق بالمهد وقد
غدر فيروز شاه بعد أن لجأ إليه وقتله فأبى الجوبان إلا أن يلحق به ففارقوه ولداً وتوجه معه
ابنه الأصغر جلوخان فخرج غياث الدين لاستقباله وترجل له وأدخله المدينة على الأمان
ثم غدره بعد أيام وقتله وقتل ولده وبعث رأسيهما إلى السلطان أبي سعيد وأما حسن
وطالش فأنها قصد اخوارزم وتوجهها إلى السلطان محمد أوزبك فأكرم متواها وأمر لها
إلى أن صدر منه حاماً وأوجب قتلهما فقتلهما وكان للجوبان ولد رابع اسمه الدمري طاش
فهرب إلى ديار مصر فأكرمه الملك الناصر وأعطاه الاسكندرية فأبى من قبوله لها وقال
انما أريد العساكر لا قاتل أباً سعيد وكان متى بعث إليه الملك الناصر بكسوة أعطى هو
للذي يوصيها إليه أحسن منها أزرأه على الملك الناصر وأظهر أمورا أوجبت قتله فقتله
وبعث رأسه إلى أبي سعيد وقد ذكرنا قصته وقصة قرانقور فيما تقدم ولما قتل الجوبان
جى به وبولده ميتين فوقف بهما على عرفات وحملوا إلى المدينة ليدفنا في التربة التي اتخذها
الجوبان بالقرب من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنع من ذنائه ودفن بالبيع
والجوبان هو الذي جاب الماء إلى مكة شرفها الله تعالى ولما استقل السلطان أبو سعيد
بالمملك أراد أن يتزوج بنت الجوبان وكانت تسمى بغداد خاتون وعى من أجمل النساء
وكانت تحت الشيخ حسن الذي تغاب به وموت أبي سعيد على الملك وهو ابن عمرته فأمره
فزل عنها وتزوجها أبو سعيد وكانت أحظي النساء لديه والنساء لدي الأتراك وانتمنهن
حظ عظيم وهم إذا كتبوا أمرا يقولون فيه عن أمر السلطان والخواتين ولعل خاتون
من البلاد والولايات والمجاني العظيمة وإذا سافرت مع السلطان تكون في محلة على حدة
وغلبت هذه الخاتون على أبي سعيد وفضلها على سواها وأقامت إلى ذلك مدة أيامه ثم أنه
تزوج امرأة تسمى بدلشاد فأحبها حباً شديداً وأمر بغير بغداد خاتون فغارت لذلك وسمته في

منديل مسحته به بعد الجماع فسات وانقرض عتبه وغلبت أمراؤه على الجهات كما
سند كره ولما عرف الامراء ان بغداد خاتون هي التي سمتها اجمعوا على قتلها وبدر لذلك
الفتي الرومي خواجه اؤلؤ وهو من كبار الامراء وقد ماثم فأتاها وهي في الحمام فضر بها
بدبوسه وقتلها وطرحته هناك أياما مستورة المورة بقطعة تلبس واستقل الشيخ حسن
بملك عراق العرب وتزوج دلشادا امرأة السلطان أبي سعيد كمثل ما كان أبو سعيد فعله
من تزوج امرأته

﴿ ذكر المتغلبين على الملك بعد موت السلطان أبي سعيد ﴾

فمنهم الشيخ حسن ابن عمته الذي ذكرناه آنفا تغلب على عراق العرب جميعاً ومنهم ابراهيم
شاه ابن الامير سنيتها تغلب على الموصل وديار بكر ومنهم الامير ارتماغلب على بلاد التركمان
المعروفة أيضاً ببلاد الروم ومنهم حسن خواجه بن الدمراطاش بن الجوبان تغلب على
تبريز والسلطانية وهمدان وقم وقاشان والري وورامين وفرغان والكرج ومنهم الامير
طفيت مور تغلب على بعض بلاد خراسان ومنهم الامير حسين ابن الامير غياث الدين تغلب
على هراة ومعظم بلاد خراسان ومنهم ملك دینار تغلب على بلاد مكران وبلاد كيج ومنهم
محمد شاه بن مظفر تغلب على يزدو كرمان وورقور ومنهم الملك قطب الدين تمهتن تغلب
على هرمز وكيش والقطيف والبحرين وقاهات ومنهم السلطان أبو اسحق الذي تقدم
ذكره تغلب على شيراز واصفهان وملك فارس وذلك مسيرة خمس وأربعين ومنهم
السلطان افراسياب آتابك تغلب على ايدج وغيره من البلاد وقد تقدم ذكره ولتعدالي
ما كنا بسيله ثم خرجت من بغداد في محلة السلطان أبي سعيد وغرضي أن أشاهد ترتيب
ملك العراق في رحيله ونزوله وكيفية تنقله وسفره وعادتهم أنهم يرحلون عند طلوع الفجر
وينزلون عند الضحى وترتيبهم انه يأتي كل أمير من الامراء بعسكره وطبوله وأعلامه
فيقف في موضع لا يتعداه قد عين له إمام في الميمنة أو الميسرة فاذا توافوا جميعاً وتكاملت
صفوفهم ركب الملك وضربت طبول الرحيل وبوقاته وأنقاره وأتى كل أمير منهم فسلم على
الملك وعادالي موقفه ثم يتقدم أمام الملك الحجاب والنقباء ثم يليهم أهل الطرب وهم نحو

مائة رجل عليهم الثياب الحسنة وتحتهم مراكب السلطان وأمام أهل الطرب عشرة من
الفرسان قد تقعدوا عشرة من الأطباء وخمسة من الفرسان لديهم خمس صرنايات وهي
تسمى عندنا بالغيطات فيضربون تلك الأطباء والصرنايات ثم يسكون ويغني عشرة من
أهل الطرب نوبتهم فإذا قضوا ضربت تلك الأطباء والصرنايات ثم أمسكوا وغني عشرة
آخرون نوبتهم هكذا إلى أن تتم عشر نوبات فعند ذلك يكون النزول ويكون عن يمين السلطان
وشماله حين سيره كبار الأمراء وهم نحو خمسين ومن وراءه أصحاب الأعلام والأطبال
والانفار والبوقات ثم محاليلك السلطان ثم الأمراء على مراتبهم وكل أمير له اعلام
وطبول وبوقات ويتولى ترتيب ذلك كله أمير جند روله جماعة كبيرة وعقوبة من تخلف
عن فوجه وجماعته أن يؤخذ تماقه فيملا رملًا ويعلق في عنقه ويمشي على قدميه حتى
يباغ المنزل فيسوقي به إلى الأمير فيطاح على الأرض ويضرب خمسًا وعشرين مرة على
ظهره سواء كان رقيقًا أو وضيعًا لا يحاشون من ذلك أحدًا وإذا نزل السلطان ومخاليكه
في محلة على حدة وتنزل كل خاتون من خواتمته في محلة على حدة ولكل واحدة منهن الامام
والمؤذنون والقراء والسوق وينزل الوزراء والكتتاب وأهل الأشغال على حدة وينزل كل
أمير على حدة ويأتون جميعًا إلى الخدمة بعد العصر ويكون انصرافهم بعد العشاء الأخيرة
والمشاعل بين أيديهم فإذا كان الرحيل يضرب الطبل الكبير ثم يضرب طبل الخاتون
الكبرى التي هي الملكة ثم أطبال سائر الخواتين ثم طبل الوزير ثم أطبال الوزراء دفعة
واحدة ثم يركب أمير المقدمة في عسكره ثم يتبعه الخواتين ثم انقال السلطان وزاملته
وانقال الخواتين ثم أمير ثان في عسكره يمنع الناس من الدخول فيما بين الانقال
والخواتين ثم سائر الناس وسافرت في هذه المحلة عشرة أيام ثم صحبت الأمير علاء الدين
محمد إلى بلدة تبريز وكان من الأمراء الكبار الفضلاء فوصلنا بعد عشرة أيام إلى مدينة تبريز
ونزلنا بخارجها في موضع يعرف بالشام وهناك قبر قازان ملك العراق وعليه مدرسة
حسنة وزاوية فيها الطعام لا وارد والصادر من الخبز واللحم والأرز المطبوخ بالسمن
والحلواء وأنزلى الأمير ثلاث الزاوية وهي ما بين أنهار متدفقة وأشجار مورقة وفي غد

ذاك اليوم دخلت المدينة على باب يعرف باب بغداد ووصلنا الى سوق عظيمة تعرف
 بسوق قازان من أحسن سوق رأيتها في بلاد الدنيا كل صناعة فيها على حدة لا تخلطها
 أخرى واجتازت بسوق الجوهرين ثم شارع بصري ثم رأيت من أنواع الجواهر وهي
 بأيدي مماليك من العرب وغيرهم الثياب الفاخرة وأوسطهم مشدودة بمناديل الحرير
 وهم يمشون في أزواجهم في كل شارع من شوارعهم كثير من النساء
 فيه رأيت من بلاد كابل في أزواجهم في كل شارع من شوارعهم كثير من النساء
 وأعظم ثم وصلت الى مدينة حلب التي هي من بلاد الروم وبها من كل شيء
 عن يمينه مستقبل القبة من دونه من نوعين من الزاوية وبها من كل شيء
 بالقاشاني وهو شبه الزليج ويصنع من دونه من أنواع الأشجار وودوا الى العنب وشجر ياسمين
 ومن عاداتهم أنهم يقرؤون به كل يوم سورتين وسورة الفتح وسورة عم بعد صلاة العصر
 في صحن المسجد ويجمع لذلك أهل المدينة فتأثيلة بتبريز ثم وصل بالغدا أمر السلطان
 أبي سعيد الى الأمير علاء الدين بأن يصير اليه فعدت معه ومضى الى تبريز احدا من العلماء ثم
 سافرنا الى أن وصلنا محلة السلطان فاعلمه الأمير المند كور بمكانى وادخلنى عليه فسألنى عن
 بلادى وكسانى وادركنى واعلمه الأمير اذ أريد أن فرالى الحجاز الشريف فامرلى بالزاد
 والركوب فى السيل مع المحمل وكتب لى بذلك الى أمير بغداد فاجابه عروف فعدت الى
 مدينة بغداد واستوفيت ما أمر لى به السلطان وكان قد بقى لأوان سفر الركب أزيد من
 شهرين فظهر لى أن أسافر الى مصر وديار بكر لأشاهد تلك البلاد وعود الى بغداد فى
 حين سفر الركب فأتوجع الى الحجاز الشريف فخرجت من بغداد الى منزل على نهر دجيل
 وهو يفرع عن دجلة فيسقى فري كثيرة ثم نزلت بعد يومين بقرية كبيرة تعرف بحربة
 مخصصة فسيحة ثم رحلتنا من موضعنا على شط دجلة بالقرب من حصن يسمى المعشوق
 وهو مبني على الدجلة وفي العدا وذا المرقية من هذا الحصن مدينة سر من رأى ونسبى
 أيضا سامرا واية الهماسام رادوه عناء بالمارية طريق سام وراه هو الطريق وقد استولى
 الخراب على هذه المدينة فلم يبق منها الا القليل وهي معتلة الهواء رائحة الحسن على بلادها

ودروس معالمها وفيها أيضا منهد صاحب الزمان كما بالحلة ثم سمرنا منها مرحلة ووصلنا إلى مدينة تكريت وهي مدينة كبيرة فسيحة الأرجاء منيعة الأواق كثيرة المساجد وأهلها موصوفون بحسن الاخلاق والدجلة في الجهة الشمالية منها ولها قلعة حصينة على شاطئ الدجلة والمدينة عتيقة البناء عليها سور يطيف بها سور حزامتها رحاين ووصلنا إلى قرية تعرف بالقرية على شاطئ الدجلة وبها عمارات كثيرة من حديد وبنواها السخاين يعرفون بخارج الحديده أراج وبنواها حافل والقرية من حديد من حديدات الخيول وبنواها رحاين وبنواها يعرف بالفيار بنقرة من حديد وبنواها أرض سوداء فيها عيون تتبع بالقار ويصنع لها حواض ومجتمع فيها فتراث شبه الحماض على وجه الأرض حبات اللون صقيلار طباوله رائحة طيبة حول تلك العيون ركة كبيرة سوداء ولها شبه الطحلب الرقيق فتقذفه إلى حواضهم فيصير أبيض اقار او بمقربة من هذا الموضع عين كبيرة فاذا أرادوا نقل القار منها أوندوا عليها النار فتشبه النار ما هذا من رطوبة مائية ثم يقطعونه قطعا وينقلونه وقد تقدم كذا ذكر الامين في الكوفة وابصرة على هذا النحو ثم سافرنا من هذه العيون مرحتين ووصلنا بعد سالي الموصل

مدينة الموصل

وهي مدينة عتيقة كثيرة الخصب وقلعتها المعروفة بالحدباء عظيم الشأن شهيرة الامتاع عاينها سور محكم البناء شديد الارتفاع وتصل بها دور اساطين وقد فصل بينهما وبين البلد شارع متسع مستطيل من أعلى البلد إلى أسفله وعنى اسم سور ان اثنان وثيقان ابراجهما كثيرة متقاربات وفي باطن السور بيوت بعضها على بعض مستديرة بجدار متدتمكن فتحها فيه اسعته ولم أرى في أسوار البلاد مثله الا في سور الذي على مدينة دهلي حضرة ملك الهند وللموصل روض كبير فيه المساجد والمساجد والسور والسور والسور مسجدا جامع على شاطئ الدجلة تدور به شبايك حديد وتصنع به مصابيح تشرف على دجلة في النهاية من الحسن والاثقان وامامه مارستان وبداخل المدينة جامعان أحدهما قديم والآخر حديث وفي حيز الحديث منها مقبرة فيها حصرة مرفوعة من رتبة عني سارية رخام يخرج منها

الماء بقوة وانزعاج فيرتفع مائدة مدار العامة ثم ينشكس فيكور له مرأى حسن وقيسارية
الموصل مليحة لها أبواب حديد ويدور سهادكا كين وبيوت بعضها فوق بعض متقنة البناء
وبهذه المدينة مشهد جرحيس النبي عليه السلام وعليه مسجد والقرى في زاوية منه عن يمين
الداخل اليه وهو فيما بين الجامع الجديد وباب الجسر وقد حصلت لنا زيارته والصلاة
بمسجده والحمد لله تعالى وهناك تل يونس عليه السلام وعلى نحو ميل منه العين المنسوبة
اليه يقال انه أمر قومه بالتطهير فيها ثم صعدوا التل ودعوا فدعوا فكشف الله عنهم العذاب
وبمقربة منه قرية كبيرة يقرب منها خراب يقال انه موضع المدينة المعروفة بنذوي مدينة
يونس عليه السلام وأثر السور المحيط بها ظهروا واضع الأبواب التي هي متينة وفي التل
بناء عظيم ورباط فيه بيوت كثيرة ومطاهروا وسقايات يضم الجميع باب واحد
وفي وسط الرباط بيت عاليه ستر حديد وله باب مرصع يقال انه اوضع الذي به موقف
يونس عليه السلام ومحراب المسجد الذي بهذه الرباط يقال انه كان بيتا تمجده عليه
السلام وأهل الموصل يخرجون في كل ايلة جمعة الى هذا الرباط يتعبدون فيه وأهل
الموصل لهم مكارم اخلاق واين كلام وفضيلة ومحبة في الغريب واقبال عليه وكان أميرها
حين قدومي عليها السيد الشريف الفاضل علاء الدين علي بن شمس الدين محمد الملقب
بمحيدر وهو من الكرماء الفضلاء أنزلاني بداره وأجرني على الاتفاق مدة مقامي عنده وله
الصدقات والايثار المعروف وكان السلطان أبو سعيد يعظمه وفوض اليه في هذه المدينة
وما يليها ويركب في موكب عظيم من مماليكه وأجناده وجوهر أهل المدينة وكبرائها
يأتون لسلام عليه غدوا وعشيا وله شجاعة ومهابة وولاه في حين كتب هذا في حضرة
فاس مستقر الغرباء وماوى الفرق ومحط رحال الوفود زادها الله بسعادة أيام مولانا أمير
المؤمنين بهجة واشراقا وحرم ارجاءها ونواحيها ثم رحلتنا من الموصل ونزلنا قرية
تعرف بعين الرصد وهي على نهر عايشه جسر مني وبها خان كبير ثم رحلتا ونزلنا قرية
تعرف بالمويجة ثم رحلتا منها ونزلنا جزيرة ابن عمرو وهي مدينة كبيرة حسنة محيط
بها الوادي ولذلك سميت جزيرة وأكثرها خراب ولها سوق حسنة ومسجد عتيق

منى بالحجارة محكم العمل وسورها منى بالحجارة أيضاً وأهلها فضلاء لهم محبة في الغرباء
 ويوم نزولنا بهاراً بنا جبل الجودي المذكور في كتاب الله عز وجل الذي استوت عليه
 سفينة نوح عليه السلام وهو جبل عال مستطيل ثم رحلنا منها مرحلتين ووصلنا إلى مدينة
 نصيبين وهي مدينة عتيقة وسعة قد خرب أكثرها وهي في بساط أفيع فسيح فيه المياه
 الحارّة والبساتين الملتفة والأشجار المنتظمة والقواكه الكثيرة وبها يصنع ماء الورد الذي
 لا نظير له في العطارّة والطيب ويدور بها نهر يحلف عليها أنمطاف السوار منبعم من عيون في
 جبل قريب منها وينقسم أنقساماً فيتخال بساتينها ويدخل منه نهر إلى المدينة فيجري في
 شوارعها ودورها ويحترق صحن مسجد ها الأعظم وينصب فيه ماء يجرى من أحداهما في وسط
 الصحن والآخر عند الباب الشرقي وبهذه المدينة مارستان ومدرستان وأهلها أهل
 صلاح ودين وصدق وأمانة ولقد صدق أبو نواس في قوله

طابت نصيبين لي يوماً وطبت لها * ياليت حظي من الدنيا نصيبين

قال ابن جزي والناس يصصفون مدينة نصيبين بفساد الماء والوخامة وفيها يقول بعض
 الشعراء

نصيبين قد عجبت وما في * دارها لي داع إلى العلات

يعدم الورد أحمر في ذراها * لسقام حتى من الوجنات

ثم رحلنا إلى مدينة سنجار وهي مدينة كبيرة كثيرة القواكه والأشجار والعيون المنظر دة
 والانهار مبنية في سفح جبل تشبه دمشق في كثرة أنهارها وبساتينها ومسجدها الجامع
 مشهور بالبركة يذكر أن الدعاء به مستجاب ويدور به نهر ماويثقه وأهل سنجار أكرام
 ولهم شجاعة وكرم ممن لقبته به الشيخ الصالح العابد الزاهد عبد الله الكردي أحد المشايخ
 الكبار صاحب كرامات يذكر عنه أنه لا يفطر إلا بعد أربعين يوماً ويكون افطاره على نصف
 قرص من الشعير لقيته برابطة بأعلى جبل سنجار ودعالي وزدوني بدرهم ثم نزل عندي
 إلى أن سافرت كفار الهند ثم سافرنا إلى مدينة دارا وهي عتيقة كبيرة بيضاء المنظر لها

قلعة مشرفة وهي الآن خراب لا تبق لها في خارجها قرية معمورة بها كان نزولنا ثم
رحلنا منها فوصلنا إلى مدينة ماردين وهي عظيمة في سطح جبل من أحسن مدن الإسلام
وأبدعها وأتقنها وأحسنها أسواقاً وبها تصنع الثياب المنسوبة إليها من الصوف المعروف
بالمرعز ولها قاعة شماء من مشاهير الملاح في قبة حبابا قال ابن جزى قاعة ماردين هذه
تسمى الشـمباء وإياها تفي شاعر المرافد في الدين عبد العزيز بن سراي الحلبي بقوله في
سمطه (سريع)

فرع ربوع الحلة الفيحاء * وازور بالعيس عن الزوراء
ولا تقف بانوصل الحباء * أن شهاب القاعة النباء
بحرق شيطان صروف الدهر *

وقلعة حاب تحي الشهباء أيضاً وهذه المدينة بدعة مدحها الملك المنصور سلطان ماردين
وكان كريماً شهيراً العيت ولي الملك بها نحو خمسين سنة وأدرك أيام قازان ملك التتو وصاهر
السلطان خذاً ابنته دنيا خاتون

ذكر سلطان ماردين في عهد دخولي إليها *

وهو الملك الصالح بن الملك المنصور الذي ذكرناه آنفاً ورث الملك عن أبيه وله المنكارم
اشهيرة وإيس بأرض العراق والشام وهو صرا كرم من يقصده الشعراء والفقراء فيجزل
لهم العطايا جرياً على سنن أبيه قصده أبو عبد الله محمد بن جابر الاندلسي المروي الكفيف
ماد حافاً عطاءه عشر بن ألف درهم وله الصدقات والمدارس والزوايا لا يطعم الطعام وله
وزير كبير انقدر وهو الامام العالم وحيد الدهر وفريد العصر جمال الدين السنجاري قرأ
بمدينة تبريز وأدرك العلماء الكبار وقاضي قضاة الامام الكامل برهان الدين الموصلی وهو
ينتسب إلى الشيخ الولي فتح الموصلی وهذا القاضي من أهل الدين والورع والفضل
يلبس الحشن من ثياب الصوف الذي لا تبلغ قيمته عشرة دراهم ويتم بحوذلك وكثيراً
ما يجلس للاحكام بصحن مسجد خارج المدرسة كان يتعبد فيه فاذا رآه من لا يعرفه ظنه
بعض خدام القاضي وأعوانه

* حكاية *

ذكر لي ان امرأة أتت هذا القاضي وهو خارج من المسجد ولم تكن تعرفه فقالت له يا شيخ
 أين يجلس القاضي فقال لها وما تريد من متة فقالت له ان زوجي ضربني وله زوجة ثانية وهو
 لا يعدل يبتغي القسمة وقد دعوتني الى القاضي فأبى وأنا فقيرة ليس عندي ما أعطيه لرجال
 القاضي حتى يحضروه؟ جلسه فقال لها وأين منزل زوجك فقالت بقريّة الملاحين خارج
 المدينة فقال لها أنا أذهب معك اليه فقالت والله ما عندي شيء أعطيك أياه فقال لها وأنا
 لا آخذ منك شيئاً ثم قال لها اذهبي الى القريّة وانتظريني خارجها فاني على أن ترك قد هبت
 كما أمرها وانتظرت فوصل اليها وليس معها أحد وكانت عادت ان لا يدع أحدا يتبعه فجاءت به
 الى منزل زوجها فلما رآه قال لها ما هذا الشيخ النحس الذي معك فقال له نعم والله أنا
 كذلك ولكن أرض زوجك فقام طال الكلام جاء الناس فعرفوا القاضي وساءوا عليه
 وخاف ذلك الرجل وخجل ففعل له القاضي لا عليك أصلح ما بينك وبين زوجك
 فأرضها الرجل من نفسه وأعطاهما القاضي نفقة ذلك اليوم وانصرف لقيت هذا القاضي
 وأضافني بداره ثم رحلت عائداً الى بغداد فوصلت الى مدينة الموصل التي ذكرناها
 فوجدت ركباً يخرجها من وجهين الى بغداد وفيهم امرأة صالحة عابدة تسمى بالنسب زاهدة
 وهي من ذرية الخلفاء حدث مراراً وهي ملازمة الصوم سامت عليها وكنت في جوارها
 ومعها جملة من الفقراء يخدمونها وفي هذه الوجة توفيت رحمة الله عليها وكانت وفاتها بين رود
 ودقت هنالك ثم وصلنا الى مدينة بغداد فوجدت الحاج في أهبة الرجال فقصدت أميرها
 معروفة خواجه فطلبت منه ما أمر لي به السلطان فعين لي شقة محارة وزاد أربعة من
 الرجال وماءهم وكتب لي بذلك ووجه عن أمير الركبة وهو البعلوان محمد الجويش فأوصاه
 بي وكانت المعرفة بيني وبينه متقدمة فزادها تأكداً ولم أزل في جواره وهو يحسن الي
 ويزيدني على ما أمر لي به وأصابني عند خروجه من الكوفة اسهال فكانوا ينزلونني من
 أعلى الحمل مرات كثيرة في اليوم والامير يتفق دحالي ويوصي بي ولم أزل مريضاً حتى
 وصلت مكة حرم الله تعالى زادها الله شرفاً وتعظيماً وطفيت بالبيت الحرام كرمه الله تعالى
 طواف القدوم وكنت ضعيفاً بحيث أؤدي المكتوبة قاعداً فطقت وسيت بين الصفة

والمرورة أكبأ على فارس الأمير الخويج المذكور ووقفنا تلك السنة يوم الاثنين فلما نزلنا في
أخذت في الراحة والاستقلال من مرضى ولما اتقضى الحاج أقمت مجاوراً بمكة تلك السنة
وكان بها الأمير علاء الدين بن هلال مشيد (مشد) الدراوين مقيم المماردة دار الوضوء
بظاهر المطارين من باب بني شيبه وجاور في تلك السنة من انصريين جماعة من كبرائهم
منهم تاج الدين بن الكويك ونور الدين القاضي وزين الدين بن الاصيل وابن الحلبي
وناصر الدين الاسيوطي وسكنت تلك السنة بالمدرسة المخفزية وعافاني الله من مرضي
فكنت في أُنعم عيش وتفرغت للطواف والعبادة والالتزام وأتي في أثناء تلك السنة حجاج
الصعيد وقسم معهم الشيخ الصالح نجم الدين الاصفهاني وهي أول حجة حجها والاخوان
علاء الدين علي وسراج الدين عمر ابنا القاضي الصالح نجم الدين الباسي قاضي مصر
وجماعة غيرهم في منتصف ذي القعدة وصل الأمير سيف الدين ياملك وهو من الفضلاء
وصل في صحبته جماعة من أهل طنجة بلدي حرسها الله منهم الفقيه أبو عبد الله محمد ابن
القاضي أبي العباس ابن القاضي الخطيب أبي القاسم الجراوي والفقيه أبو عبد الله بن عطاء
الله والفقيه أبو محمد عبد الله الحضري والفقيه أبو عبد الله المرسي وأبو العباس ابن الفقيه أبي
علي البازي وأبو محمد ابن القابلة وأبو الحسن الياري وأبو العباس بن تافوت وأبو الصبر
ايوب الفخار وأحمد بن حكمة ومن أهل قصر الحجاز الفقيه أبو زيد عبد الرحمن ابن
القاضي أبي العباس بن خلوف ومن أهل القصر الكبير الفقيه أبو محمد بن مسلم وأبو اسحق
ابراهيم بن يحيى وولده وصل في تلك السنة الأمير سيف الدين تقردمور من الخاصكية
والأمير موسى بن قرمان والقاضي نحر الدين ناظر الجيش كاتب الممالك والتاج أبو
سحق والست حدق مريضة الملك الناصر وكانت لهم صدقات عميمة بالحرم الشريف
بواكثرهم صدقة القاضي نحر الدين وكانت وقفنا في تلك السنة في يوم الجمعة من عام ثمان
وعشرين ولما اتقضى الحج أقمت مجاوراً بمكة حرسها الله سنة تسع وعشرين وفي هذه
السنة وصل أحمد ابن الأمير مينة ومبارك ابن الأمير عطيفة من العراق صحبة الأمير محمد
بن الخويج والشيخ زاده الحر بازي والشيخ دانيال وأتوا بصدقات عظيمة للمجاورين

وأهل مكة من قبل السلطان أبي سعيد ملك العراق وفي تلك السنة ذكر اسمه في الخطبة بعد ذكر الملك الناصر ودعوا له بأعلى قبته من مزود ذكر وابعده سلطان اليمن الملك المجاهد نور الدين ولم يوافق الأمير عطيفة على ذلك وبعث شقيقه منصور اليه لم الملك الناصر بذلك فأمر رميته برده فردفبعثه ثانية على طريق جدة حتى أعلم الملك الناصر بذلك ووقعت تلك السنة وهي سنة تسع وعشرين يوم الثلاثاء ولما انتضى الحج اقت مجاوراً بمكة حرسها الله سنة ثلاثين وفي موسمها وقعت الفتنة بين أمير مكة عطيفة وبين أيدمور أمير جنود الناصري وسبب ذلك أن تجاراً من أهل اليمن سرقوا فنشكروا إلى يدمور بذلك فقال أيدمور لمبارك بن الأمير عطيفة أئت بهؤلاء السراق فقتل لأعرافهم فكيف تأتيهم وبعد فأهل اليمن تحت حكمنا ولا حكم عليهم لك أن سرق لأهل مصر والشام شيء فاطأبني به فشتته أيدمور وقال له يا قواد تقول لي هكذا وضرب به على صدره فسقط ووقعت عمالته عن رأسه وغضب له عبيده وركب أيدمور يربد عسكره فأحرقه مبارك وعبيده فقتلوه وقتلوا ولده ووقعت الفتنة بالرم وكان به الأمير أحمد ابن عم الملك الناصر ورمي الترك بالنشاب فقتلوا امرأة قيل أنها كانت تحرض أهل مكة على القتال وركب من الركب من الأتراك وأميرهم خاص ترك فخرج إليهم القاضي والائمة والمجاورين وفوق رؤسهم المصاحف وحاولوا الصلح ودخل الحجاج مكة فأخذوا ما لهم بها وانصرفوا إلى مصر وبلغ الخبر إلى الملك الناصر فشق عليه وبعث العساكر إلى مكة ففر الأمير عطيفة وابنه مبارك وخرج أخوه رميته وأولاده إلى وادي نخلة فلما وصل العسكر إلى مكة بعث الأمير رميته أحد أولاده يطلب له الأمان ولولده فأمنوا وأتي رميته وكفته في يده إلى الأمير فخلع عليه وسلمت إليه مكة وعاد العسكر إلى مصر وكان الملك الناصر رحمه الله حليماً فاضلاً فخرجت في تلك الأيام من مكة شرفها الله تعالى قاصداً بلاد اليمن فوصلت إلى حدة (بالحاء المهملة المقطوح) وهي نصف الطريق ما بين مكة وجدة (بالجيم المضموم) ثم وصلت إلى جدة وهي بلدة قديمة على ساحل البحر يقال أنها من عمارة الفرس وبخارجها مصانع قديمة وبها جباب للماء منقورة في الحجر الصلد متصل

بعضها ببعض تقوت الاحياء كثرة وكانت هذه السنة قليلة المطر وكان الماء يجلب الى
جدة على مسيرة يوم وكان الحجاج يسألون الماء من أصحاب البيوت ﴿حكاية﴾
ومن غريب ما اتفق لي بجدة انه وقف على بابي سائل أعمى يطلب الماء يقول غلام فسلم
علي وسألني باسمي واخذ بيدي ولم أكن عرفته قط ولا عرفني فمضت من شأنه ثم أمسك
أصبعي بيده وقال اين الفخة وهي الخاتم وكنت حين حروحي من مكة قد اقيني بعض
الفقراء وسألني ولم يكن عندي في ذلك الحين شئ قد فعت له ختمني فإلمأني عنه هذا
الاعمى قالت له اعطيتك الفخة فقال ارجع في طلبه فان فيه أسمة مكثرة فيها سر من الاسرار
وطال اعمى منه ومن معرفته بذلك كما هو الله أعلم بحاله ويجدة جامع يعرف بجامع الانبوس
معروف البركة يستجاب فيه الدعاء وكان الامير بها أبا يعقوب بن عبد الرزاق وقاضيهما
وخليفتهما الفقيه عبد الله من أهل مكة شافعي المذهب واذ كان يوم الجمعة واجتمع الناس
للاصلاة أتى المؤذن وعد أهل جدة المقيمين بها فان كلوا أربعين خطب وصلى بهم الجمعة
وان لم يبلغ مددهم أربعين صلى ظهرا أربعين ولا يعتبر من يس من أهلها وان كانوا عددا
كثيرا ثم ركبنا البحر من جدة في مركب اسمه نه الجلبة وكان له شيد الدين الالبي
الحديثي الاصل وركب الشريف منصور بن أبي نعي في جلبة أخرى ورغب مني أن اكون
معه فلم أقبل لكونه كان معه في جلبته الجمال نخفت من ذلك ولم أكن ركبنا البحر
قبلها وكان هنالك جملة من أهل اليمن قد جعلوا أزوادهم وأمتعتهم في الجلبا وهم
متأهبون للسفر ﴿حكاية﴾

ولما ركبنا البحر أمر الشريف منصور أحد غلماننا أن يأتيه به مديلة دقيق وهي نصف
حمل وبطة سم يأخذها من جلب أهل اليمن فأخذها وأتى بهما اليه فأتاني للتجار
يا كين وذكروا لي ان في جوف تلك المديلة عشرة آلاف درهم نقرة ورغبوا مني أن
أأكله في ردها وان يأخذوا ما أكلته في ذلك وقلت له ان للتجار في جوف هذه
المديلة شيئا فقال ان كان سكر افلا رده اليهم وان كان سوي ذلك فهو لهم ففتحوها
فوجدوا الدراهم فردها عليهم وقال لي لو كان عجلان ما ردها وعجلان هو ابن أخيه رميته

وكان قد دخل في تلك الايام دار تاجر من اهل دمشق فصدق اليه فذهب بمعظم ما كان فيها وعجلان هو أمير مكة على هذا المهد وقد صالحه وأظهر العدل والفضل ثم سافرتنا في هذا البحر بالريح الطيبة يومين وتغيرت الريح من ذلك وصعدتنا عن السيل التي قصدناها ودخلت أمواج البحر معاني المراكب واشتدنا يد بالناس ولم نزل في أهوال حتى خرجنا في مرسى يعرف برأس دواتر فيما بين عيذاب وسواكن فنزلنا به ووجدنا بساحله صريش قصب على هيئة مسجد وفيه كثير من قشور البيض والنعام ملوون من قشورنا منه وطبخنا ورأيت بذلك المرسى عجبا وهو خور مثل الوادي يخرج من باب حرقان الناس يأخذون الثوب ويمسكون بأطرافه ويخرجون بدونه متلأ سكاك سمكة منها قدر الذراع ويعرفونه بالبوري فطبخ منه الناس كثيرا وانستروا وقصدنا إلى ناظفة من البجاة وهم سكان تلك الأرض سودا لوان ألباهم الملاحات المستمرة ويشدون على رؤسهم عصائب حرقا في عرض الأصبع وهم أهل شدة وشجاعة وسلاحهم الرماح والسيوف ولهم جمال يسمونها الصهب يركبونها بالسروج فاكثرنا منهم الجمال وسافرتنا منهم في برية كثيرة الغزلان والبجاة لا يأكلونها فهي نأنس بالآدمي ولا تنفر منه وبه يومين من مسيرنا وصلنا إلى حي من العرب يعرفون بأولاد كاهل مختلطين بالبجاة عارفين بلسانهم وفي ذلك اليوم وصلنا إلى جزيرة سواكن وهي على نحو ستة أميال من البر ولما بها ولا زرع ولا شجر والماء يجاب إليها في القوارب وفيها صهارش يجتمع باماء المطر وهي جزيرة كبيرة وبها لحوم النعام والغزلان وحمر نوحش والامزي يتنهدهم كثير والالباز والسمن ودهنها يجلب إلى مكة وحبوبهم الجرجوج هو نوع من الذرة كالحب يجاب منها أيضا إلى مكة

ذكر سلطانها

وكان سلطان جزيرة سواكن حين وصولي إليها الشريف زيد بن أبي نسي وابوه أمير مكة وأخوه أمير اهامة وهما عطيفة ورميثة اللذين تقدم ذكرهما وصارت إليه من قبل البجاة فانهم اخواله ومعه عسكر من البجاة وأولاده كاهل وعرب جهينة وركبنا البحر من جزيرة سواكن نريد أرض اليمن وهذا البحر لا يسافر فيه بالليل لكثرة أحجاره وانما يسافرون

فيه من طنوع الشمس الى غروبها ويرسون وينزلون الي البر فاذا كان الصباح سعدوا الى
 التركيب زهم يسمون رئيس التركيب الربان ولا يزال ابد في مقعد المراكب ينبه صاحب
 السكان على الاحجار وهم يسمونها النبات وبه ستة ايام من خروجناعن جزيرة سواكن
 وصلا الى مدينة حلى (وضبط اسمها بفتح الحاء المهمل وكسر اللام وتخفيفها)
 وتعرف باسم ابن يعقوب وكان من سلاطين اليمن ساكنها اقربها وهي كبيرة حسنة
 اعمارة يسكنها طائفتان من العرب وهم بنو حرام وبنو كنانة وجامع هذه المدينة من
 أحسن الجوامع وفيه جماعة من الفقراء المنتظمين الى العبادة منهم الشيخ الصالح العابد
 الزاهد قبوله الهندي من كبار الصالحين باسمه مرقمة وقاعة وبدولة خلوة متصلة بالمسجد
 فرشها الرمل لا حصير بها ولا بساط ولمار بها حين انما له شيئاً الا ابريق الوضوء وسنطرة
 من حوص انمخيل فيها كسر شعير يابسة وصحيفة فيها ملح وصعتر فاذا جاء أحد قدم بين
 يديه ذلك ويسمع به أمخا به فيأتي كل واحد منهم بما حضر من غير تكلف شيء واذا صلوا
 العصر اجتمعوا لذكر بين يدي الشيخ الي صلاة المغرب واذا صلوا المغرب اخذ كل
 واحد منهم موقفه لا تتفل فلا يزالون كذلك الي صلاة العشاء الاخرة فاذا صلوا العشاء
 الاخرة اقاموا على الذكر الي ثلث الاليل ثم انصرفوا ويعودون في اول الثلث الثالث الي
 المسجد فيتمجدون الي الصبح ثم يذكرون الي ان تحين صلاة الاشراف فينصرفون
 بعد صلاتها ومنهم من يتيم الي أن يصلي صلاة الضحى بالمسجد وهذا دأبهم
 ولقد كنت أردت الإقامة معهم باقي عمري فلم أوفق لذلك والله تعالى يتداركنا
 ما طاعه وتوفيقه

ذكر سلطان حلى

هو سلطانها عامر بن ذويب من بني كنانة وهو من الفضلاء الادباء الشراء صحبته من مكة الي
 جدة وكان قد حج في سنة ثلاثين ولما قدمت مدينته أنزلني وأكرمني وأقامت في ضيافته
 أياماً وركبت البحر في مركب له ثم رصات الي بلدة السرجة (وضبط اسمها بفتح السين
 المهمل واسكان الراء وفتح الجيم) بلدة صغيرة يسكنها جماعة من أولاد الهبي وهم طائفة

من تجار اليمن أكثرهم ساكنون بصعداء ولهم فضل وكرم واطعام لا يناء السيل ويعينون
الحجاج وبركوتهم في مسالكهم ويزودونهم من أموالهم وقد عرفوا بذلك واشتهروا
به وكثر الله أموالهم وزادهم من فضله وأعانهم على فعل الخير وأيسر بالارض من يمسائلهم
في ذلك ألا الشيخ بدر الدين النقاس الساكن ببلدة القحمة فله مثل ذلك من المسائر
والابتار وأقنا بالسرجة ليلة واحدة في ضيافة المذكورين ثم رحلنا إلى مرسى الحادث ولم
نزل به ثم إلى مرسى الأبواب ثم إلى مدينة زيدة مدينة عظيمة باليمن فيها وين صنعاء
أربعون فرسحاً وليس باليمن بعد صنعاء أكبر منها ولا أغنى من أهلها واسعة البساتين كثيرة
المياه ونفوا كه من الموز وغيره وهي برية لا شطية إحدى قواعد بلاد اليمن (وهي بفتح
الزاي وكسر اليا والموحدة) مدينة كبيرة كثيرة العمارة بها النخل والبساتين والمياه
أمنح الأيمن وأجماها ولاهاها الطاقة الشمايل وحسن الاخلاق وجمال الصور
وانسائها الحسن الفائق الفائق وهي وادي الخصيب الذي يذكر في بعض الآثار ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما عاذ في وصيته ياء ما اذا جئت وادي الخصيب فهرول
ولا. في هذه المدينة سبوت النحل المشهورة وذلك انهم يخوجون في أيام البسر والرطب في
كل سبت إلى حدائق النخل ولا يبقى بالمدينة تأخذ من أهلها ولا من الغرباء ويخرج أهل
الغرب وأهل الأسواق الفواكه والحلاوات وتخرج النساء ممتطيات الجمال في المحامل
ولهم مع ما ذكرناه من الجمال الفائق الاخلاق الحسنة والمكارم وتغريب عندهم
هزية ولا يمتنع من تزوجه كما يفعله نساء بلادنا فاذا أراد السفر خرجت معه وودعته وان كان
بينهما ولد فهي تكفيه وتقوم به. يجب له الي أن يرجع أبوه ولا تطاله في أيام الغيبة بنفقة ولا
كسوة ولا. واهوا اذا كان مقبلاً فهي تمنع منه بقليل النفقة والكسوة لكنهن لا يخرجن عن
بلادهن أبداً ولو أعطيت احداً من ماعسى ان تهطأ على أن تخرج من بلادها لم تفعل وعلماء
تلك البلاد وفقهاؤها أهل صلاح ودين وأمانة ومكارم وحسن خلق لقيت بمدينة زيدة
الشيخ العالم الصالح أبا محمد الصنعاني والفقير المصوفي المحقق أبا العباس الأياني والفقير
المحدث أبا علي الزبيدي ونزلت في جوارهم فأكرموني وأضافوني ودخلت حدائقهم

واجتمعت عندهم بالفقهاء الفاضلي العالم أبي زيد عبد الرحمن الصوفي أحد فضلاء اليمن
ووقع عنده ذكر العابد الزاهد الحاشع أحمد بن المجيل اليمني وكان من كبار الرجال وأهل
الكرامات

سيرة كرامته

ذكر وأنفقها الزيدية وكبراءهم أتوا مرة إلى زيارة لشيخ أحمد بن المجيل فجلس لهم
خارج الزاوية واستمعوا له وأصحابه ولم يرح الشيخ عن موضعه فسأله وأما عليه وصاحبه
ورحب بهم ووقع بينهم الكلام في مسألة القدر وكانوا يقولون إن لا قدر وإن المكلف يخاف
أفعاله فقال لهم الشيخ فإن كان الأمر على ما تقولون تقوموا على مكانكم هذا فأرادوا التقييم
فلم يستطيعوا وتركهم الشيخ على حالهم ودخل الزاوية وأقاموا كذلك واشتبه بهم الحرف
ولحنهم وهرج أشميس وضجوا بمسارنهم فدخل أصحاب الشيخ إليه وقالوا له إن هؤلاء
القوم قد تابوا إلى الله ورجعوا عن مذهبهم الفاسد فخرجنا منهم الشيخ فأخذ بأيديهم
وعاهدهم على الرجوع إلى الحق وترك مذهبهم السيئ وأدخلهم زاويته وأقاموا في
ضيافته ثلاثاً وانصرفوا إلى بلادهم وخرجت لزيارة قبر هذا الرجل الصالح وهو بقربة
يقال لها غسانة خارج زيردواقيت ولده الصالح أبو الوائد اسمعيل ثم أتاني وبن عنده
وزرت خمرخ شيخ وأقامت معه ثلاثاً وسافرت في صحبته إلى زيارة الفقيه أبي الحسن الزيلعي
وهو من كبار الصالحين ويقوم حجج اليمن إذا وجهوا إليه حج وأهل تلك البلاد وأعراسها
يعظمون ويؤتمرون فوصلنا إلى جبله وهي بلدة صغيرة حسنة ذات نخيل وقواكه وأشجار فلما
سمع الفقيه أبو الحسن الزيلعي بقدم الشيخ أبي الوائد استقبله وأنزله بزاويته وسلمت عليه
معه وأقامت عنده ثلاثة أيام في خير مقام ثم انصرفنا إلى بلادنا فأتينا قريتنا إلى مدينة
تقر حضررة ملك اليمن (وضبط اسمها بفتح التاء العلوة وكسر العين المهملة وزاء) وهي
من أحسن مدن اليمن وأعظمها وأهلها ذوو نجبر وتكبر وفضائله وكذلك الغالب على
البلاد التي يسكنها الملوك وهي ثلاث محلات أحدها يسكنها السلطان ومالكه وحاشيته
وأرباب دولته وتسمى باسم لا أذكر والثانية يسكنها الأمراء والأجناد وتسمى مدينة
والثالثة يسكنها عامة الناس وبها السوق العظمى وتسمى المحاب

ذكر سلطان اليمن

وهو السلطان نجاهد بن نور الدين علي بن السلطان المؤيد هزير الدين داود بن السلطان المظفر يوسف بن علي بن رسول شهر جده يسمى برسل لان أحد خافاء بني اعباس أرسله الي اليمن ليكون بها أميرا ثم استقل أولاده بالملك وله ترتيب عجيب في قعوده وركوبه وكنت لما وصات هذه المدينة مع الفقير الذي بعثه الشيخ النقيع أبو الحسن الزيلعي في صحبتي قصدني الى قاضي القضاة الامام المحمدي في الدين الطبري المكي فسامنا عايشه ورغب بنا وأقنا بداره في ضيافته ثلاثا فلما كان في اليوم الرابع وهو يوم الخميس رفيع يجلس السلطان امامه الناس دخل في دايه فسامت عايشه وكيفية السلام عايشه ان يمس الانسان الارض بسبابته ثم يرفعها الى رأسه ويقول أدام الله عزك ففعلت كمثل ما فعله القاضي وقعد القاضي عن عين الملك وأمرني فتحدثت بين يديه فسأني عن بلادي وعن مولانا أمير المؤمنين جواد الاجواد أبي سعيد رضي الله عنه وعن ملك مصر وملك لعران وملك اللور فأحبه عمه سأل من أحوالهم وكان وزيره بين يديه بأمره بكرامي وأزالني وترتيب قعوده هذا الملك انه يجلس فوق دكة مفروشة مزينة بثياب الحرير وعن يمينه ويساره أهل السالاح ويديه منهم أصحاب السيوف والدارق ويديهم أصحاب القسي وبين يديهم في الميمنة والميسرة الحاجب وأرباب الدولة وكتاب السر وأمير جنده على رأسه والشوشية وهم من الجنادة وقوف على بعد فاذا قعد السلطان صاحوا صيحة واحدة بسم الله فاذا قام فعلاوا مثل ذلك فيعلم جميع من بالمشور وقت قيامه ووقت قعوده فاذا استوى قاعد دخل كل من عادته أن يسلم عليه فسلم ووقف حيث رسم له في الميمنة أو الميسرة لا يتعدى أحدهم موضعه ولا يعتمد الا من أمره بالقعود يقول السلطان للامير جنده امر فلانا بقعد فيتقدم ذلك المأمور بالقعود عن موقفه قائلا ويقلع على بساط هناك بين أيدي القائمين في الميمنة والميسرة ثم يؤتى بالطعام وهو طعامان طعام العامة وطعام الخاصة فأما الطعام الخاص فيأكل منه السلطان وقاضي القضاة والكبار من الشرفاء ومن الفقهاء والضيوف وأما الطعام العام فيأكل منه سائر الشرفاء والفقهاء والقضاة والمشايخ والأمراء ووجوه الجناد ومجلس كل انسان للطعام معين

لا يتعداه ولا يزاحم أحد منهم أحدًا وعلى مثل هذا الترتيب سواء هو ترتيب ملك الهند في
طعامه فلا أعلم أن سلاطين الهند أخذوا ذلك عن سلاطين اليمن أم سلاطين اليمن أخذوا
عن سلاطين الهند وأقت في ضيافة سلاطان اليمن أيما وأحسن إلى وأركبني وانصرفت
مسافرة إلى مدينة صنعاء وهي قاعدة بلاد اليمن الأولى مدينة كبيرة حسنة العمارة بناؤها
بالآجر والجص كثيرة الأشجار والفواكه والزروع معتدلة الهواء طيبة الماء ومن الغريب
أن المطر ببلاد الهندو اليمن والحبيشة إنما ينزل في أيام القيظ وأكثر ما يكون نزوله بعد
الغدير من كل يوم في ذلك الأوان فالمسافرون يستعجلون عند الزوال لئلا يصيبهم المطر
بأهل المدينة ينصرفون إلى منازلهم لأن أمطارها وابلًا متدفقة ومدينة صنعاء مفروشة
بها فإذا نزل المطر غسل جميع أزمتها وأنقاها وجامع صنعاء من أحسن الجوامع وفيه قبر
سبي من الأنبياء منهم السلام ثم سافرت منها إلى مدينة عدن مرسى بلاد اليمن على ساحل
البحر الأعظم والخيال تخف بها ولا مدخل إليها إلا من جانب واحد وهي مدينة كبيرة ولا
زروع بها ولا شجر ولا ماء وبها صهاريج يجتمع فيها الماء أيام المطر والمساء على بعد منها فرما
منه العرب وحاوئين أهل المدينة وبينه حتى يصانعوهم بالمال والنياب وهي شديدة الحر
وهي مرسى أهل الهند تأتي إليها المراكب العظيمة من كنيات وتانه وكولم وقاقوط
وفندرايشه والشاليات ومنجرو وروفا كنورو وهنورو وسندابورو وغيرها ونجار الهند
سكانون بها ونجار مصر أيضا وأهل عدن ما بين تجار وما بين حمالين وصديدين للسكك
وللتجار منهم أموال عريضة وربما يكون لأحدهم المركب العظيم بجميع ما فيه لا يشاركه
فيه غيره اسمه ما بين يديه من الأموال ولهم في ذلك تفاخر ومباهات ﴿حكاية﴾
ذكر لي أن بعضهم يث غلاما له يشترى له كبشًا ويث آخر منهم غلاما له يرسم ذلك أيضا
فاتفق أنه لم يكن بالسوق في ذلك اليوم إلا كبش واحد فوقع المزادة فيه بين الغلامين
فاتمهي ثمنه إلى أربع مائة دينار فأخذ أحدهما وقال إن رأس مالي أربع مائة دينار فإن
أعطاني مولاي ثمنه فحسن وإذا دفعت فيه رأس مالي ونصرت نفسي وغلبت صاحبي وذهب
بالكثير إلى سده فلما عرف سده بالقضية أعتقه وأعطاه ألف دينار وعاد الآخر إلى سيده

خائباً فضر به وأخذ ماله ونفاه عنه ونزلت في عدن عند تاجر يعرف بناصر الدين الفارسي فكان يحضر طعامه كل ليلة نحو عشرين من التجار له غلمان وخدام أكثر من ذلك ومع هذا كله فهم أهل دين وتواضع وصلاح ومكارم أخلاق يحسنون إلى الغريب ويؤثرون على الفقير ويعطون حق الله من الزكاة على ما يجب ولقيت بهذه المدينة قاضيها الصالح الم ابن عبد الله الهندي وكان والده من العبيد الحمايين واشتغل ابنه بالمعلم قرأس وسادوه ومن خيار القضاة وفضلائهم أقمت في ضيافته أياماً وسافرت من مدينة عدن في البحر أربعة أيام ووصلت إلى مدينة زيلع وهي مدينة البربر وههم طائفة من السودان شافعية المذهب وبلادهم صحراء مسيرة شهرين أولها زيلع وآخرها مقدشو ومواسيهم الجمال وهم أغنام مشهورة السمن وأهل زيلع سودا لوان وأكثرهم رافضة وهي مدينة كبيرة لها سوق عظيمة إلا أنها أقدر مدينة في المعمور وأوحشها وأكثرها تنناً وسبب تنناتها كثرة سمكها ودماء الابل التي تخر ونها في الأزقة ولما وصلنا إليها اخترنا المبيت بالبحر على شدة هوله ولم نبت بها القدرها ثم سافرنا منها في البحر خمس عشرة ليلة ووصلنا مقدشو (وضبط اسمها بفتح الميم واسكان القاف وفتح الدال المهملة والشين المعجم واسكان النوار) وهي مدينة متناهية في الكبر وأهلها لهم جمال كثيرة تخر ون منها المئين في كل يوم ولهم أغنام كثيرة وأهلها تجار أقوياء وبها تصنع الثياب المنسوبة إليها التي لا نظير لها ومنها تحمل إلى ديار مصر وغيرها ومن عند أهل هذه المدينة أنه متى وصل مركب إلى المرسى تصعد الصنابق وهي القوارب الصغار إليه ويكون في كل صنبق جماعة من شبان أهلها فيأتي كل واحد منهم بطبق مغطى فيه الطعام فيقدمه لتاجر المركب ويقول هذا نزيلك وكذلك يفعل كل واحد منهم ولا ينزل التاجر من المركب إلا إلى دار نزيله من هؤلاء الشبان الأمن كان كثير التردد إلى البلد وحصلت له معرفة أهله فانه ينزل حيث شاء فإذا نزل عند نزيله باع له ما عنده واشترى له ومن اشترى منه يخش أو باع منه بغير حضور نزيله فذلك البيع مردود عندهم ولهم منفعة في ذلك ولما صعد الشبان إلى المركب الذي كنت فيه جاء إلى بعضهم فقال له أصحابي ليس هذا بتاجر وإنما هو فقيه فصاح بأصحابه وقال لهم هذا نزيل القاضي وكان فيها

أحد أصحاب القاضي فعرفه بذلك فأتى الى ساحل البحر في جملة من الطلبة وبعث الى أحدهم فنزلت أنا وأصحابي وسلمت على القاضي وأصحابه وقال لي باسم الله توجه لسلام على الشيخ فقلت ومن الشيخ فقال السلطان وعادتهم ان يقولوا للسلطان الشيخ فقلت له اذا نزلت توجهت اليه فقال لي ان العادة اذا جاء الفقيه أو الشريف أو الرجل الصالح لا ينزل حتى يرى السلطان فذهبت معهم اليه كما طابوا

ذكر سلطان مقدشو

وسلطان مقدشو كما ذكرناه انما يقولون له الشيخ واسمه أبو بكر بن الشيخ عمرو وهو في الاصل من البربرة وكلامه بالمشي ويعرف اللسان العربي ومن عوائدانه متى وصل مركب يصعد اليه صندبوق السلطان فيسأل عن المركب من أين قدم ومن صاحبه ومن ربانه وهو الرئيس وما وسقه ومن قدم فيه من التجار وغيرهم فيعرف بذلك كتابه ويعرض على السلطان فن استحق ان ينزله عنده انزاه ولما وصلت مع القاضي المذكور وهو يعرف بابن البرهان المصري الاصل الى دار السلطان خرج بعض الفتيان فسلم على القاضي فقال له بلغ الامانة وعرف مولانا الشيخ ان هذا الرجل قد وصل من أرض الحجاز فباع ثم عاد وأتى بطبق فيه أوراق التنبول والفوفل فأعطاني عشرة أوراق مع قايل من الفوفل وأعطى للقاضي كذلك وأعطى لأصحابي واطلبة القاضي ما بقي في الطبق وجاء بقمة من ماء الورد الدمشقي فسكب على وعلى القاضي وقال ان مولانا أمر ان ينزل بدار الطلبة وهي دار معدة لضيافة الطلبة فأخذ القاضي بيدي وجئت الى تلك الدار وهي بقرنة من دار الشيخ مفروشة مرتبة بمحتاج اليه ثم أتى بالطعام من دار الشيخ ومعه أحد وزرائه وهو الموكل بالضيوف فقال مولانا سلم ساكنكم ويقول لكم قد تم خبز مقدم ثم وضع الطعام فأكلنا وطعامهم الأرز المطبوخ بالسمن يجملونه في صحفة خشب كبيرة ويجعلون فوقه صحاف الكوشان وهو الادم من الدجاج واللحم والحوت والبقول ويطحخون الموز قبل نضجه في اللبن الحليب ويجعلونه في صحفة ويجعلون اللبن المريب في صحفة ويجعلون علبه الليمون المصبر وعناقيد الفلفل المصبر والمخلل والمملوح والزنجبيل الأخضر والنبات وهي مشهورة

التفاح ولكن لها نواة وهي اذا اضجت شديدة الحلاوة وتؤكل كالفاكهة وقبل نضجها حامضة كانوا يصبرونها في الخل وهم اذا اكلوا القمه من الأرز اكلوا بعد هذا من هذه المواالح والمخالات والواحد من أهل مقدشوا كل قدر مائتا كلة الجماعة من عادتهم وهم في نهاية من ضخامة الجسوم وسميها ثم لمسا طعمنا انصرف عنا القاضي وأقننا ثلاثة أيام يؤني الينا بالظمام ثلاث مرات في اليوم وتلك عادتهم فلما كان في اليوم الرابع وهو يوم الجمعة جاء في القاضي والخطبة وأحد وزراء الشيخ وأتوني بكسوة وكسوتهم فوطه خزيشدها الانسان في وسطه عوض السر او يملقاهم لا يعرفونها ودراعة من المقطع المصري معلمة وفرجية من التدمي مبعثنة وعمامة مصرية معلمة وأتوا لاجل حاجتي بكسي تناسبهم وأتينا الجامع فصاينا خلف المقصورة فلما خرج الشيخ من باب المقصورة سلمت عليه مع القاضي فرحب وتكلم بأساسهم مع القاضي ثم قال اللسان العربي قدمت خيرة مقدم وشرفت بلادنا وأنستنا وخرج الى صحن المسجد فوقف على قبر والده وهو مدفون هناك فقرا أودعا ثم جاء الوزراء والأمراء ووجوه الأجناد فسلموا وعادتهم في السلام كعادة أهل اليمن يضع سبابته في الأرض ثم يجعلها على رأسه ويقول أدام الله عزك ثم خرج الشيخ من باب المسجد فلبس نعليه وأمر القاضي أن يتمل وأمرني أن أنتمل وتوجه الى منزله ماشياً وهو بالقرب من المسجد ومشى الناس كلهم حفاة ورفعت فوق رأسه أربع قباب من الحرير الملون وعلى أعلى كل قبة صرة طائر من ذهب وكان لباسه في ذلك اليوم فرجية قدسي أخضر وتحته من ثياب مصر وطروحاتها الحسان وهو متقلد بفوطه حرير وهو معتم بعمامة كبيرة وضربت بين يديه الطبول والابواق والانصار وأمراء الأجناد امامه وخافه والقاضي وانفقها وانشرقاه معه ودخل الى مشوره على تلك الهيئة وقعد الوزراء والأمراء ووجوه الأجناد في سقيفة هنالك وفرش للقاضي بساط لا يجلس معه غيره عليه والفقهاء والشرفاء معه ولم يزلوا كذلك الى صلاة العصر فلما صلو العصر مع الشيخ أتى جميع الأجناد ووقفوا صفوفا على قدر مراتبهم ثم ضربت الاطبال والانصار والابواق والصراياات وعند ضربها لا يتحرك أحد ولا يتزحزح عن مقامه ومن كان ماشياً وقف فلم يتحرك الى خلف ولا

الى امام فاذا فرغ من ضرب الطباخة سلموا بأصابعهم كاذكرناه وانصرفوا وتلك عادة لهم في كل يوم جمعة واذا كان يوم السبت يأتى الناس الى باب الشيخ فيقعدون في سقائهم خارج الدار ويدخل القاضي والفقهاء والشرفاء والصالحون والمشايخ والحجاج الى انشور الثاني فيقعدون على دكاكين خشب معدة لذلك ويكون القاضي على دكاته وحده وكل صنف على دكاته تحصنهم لا يشاركهم فيها سواهم ثم يجلس الشيخ بمجلسه ويذهب الى القاضي فيجلس عن يساره ثم يدخل الفقهاء فيقعد كبراؤهم بين يديه وسائرهم يسارون وينصرفون ثم يدخل الشرفاء فيقعد كبراؤهم بين يديهم ويسلم سائرهم وينصرفون ثم يدخل الوزراء ثم الأسماء ثم وجوه مال الجنادر طائفة بمسطاطة أخرى فيسلمون وينصرفون ويؤتى بالطعام فياً كل بين يدي الشيخ القاضي والشرفاء ومن كان قاعداً بالمجلس ويأكل الشيخ معهم وان اراد تشريف أحد من كبار امرائه بمثاليه فأكل معهم ويأكل سائر الناس بدار الطعام وأكلهم على ترتيب مثل ترتيبهم في الدخول على الشيخ ثم يدخل الشيخ الى داره ويقعد القاضي والوزراء وكاتب السر وأربعة من كبار الأسماء لفصل بين الناس وأهل الشكايات فما كان متعلقاً بالاحكام الشرعية حكم فيه القاضي وما كان من سوي ذلك حكم فيه أهل الشورى وهم الوزراء والأسماء وما كان مقتراً الى مشورة السلطان كتبوا اليه فيه فيخرج لهم الجواب من حينه على ظهر البعاطة بما يقتضيه نظره وتلك عادتهم دائماً ثم ركب البحر من مدينة مقدشو متوجهاً الى بلاد السواحل قاصداً مدينة كلوا من بلاد الزنوج فوصلنا الى جزيرة منبسى (وضيعة اسمها ميم مفتوح ونون مسكن وباء موحدة مفتوحة وسين مهمل مفتوح وياء) وهي جزيرة كبيرة بينها وبين أرض السواحل مسيرة يومين في البحر ولا بر لها وأشجارها الموز والليمون والاترج ولهم فاكهة يسمونها الجمون وهي شبه الزيتون ولها نوى كنواء الا أنها شديدة الحلاوة ولا زرع عند أهل هذه الجزيرة وانما يجلب اليهم من السواحل وأكثر طعامهم الموز والسك وهم شافعية المذهب أهل دين وعفاف وصلا

ومساجدهم من الخشب محكمة الاتقان وعلى كل باب من أبواب المساجد البئر واشتاتان وعمق آبارهم ذراع أو ذراعان فيستقون منها الماء بقدر خشب قد غرر فيه عود رقيق في طول الذراع والارض حول البئر والمسجد مسطحة فمن أراد دخول المسجد غسل رجليه ودخل ويكون على بابه قطعة صير غايط يمسح بها رجليه ومن أراد الوضوء أمسك القدح بين فخذه وصب على يديه يتوضأ وجميع الناس بمشون حفاة لا قدام وبتنا بهذه الجزيرة قليلة وكثنا بالبحراني مدينة كلوا (وضبط اسمها بضم الكاف واسكان اللام وفتح الواو) وهي مدينة عظيمة ساحلية أكثر أهلها الزوج المستحكم والسواد ولهم شرطات في وجودهم كهي في رجوه الليميين من جنادة وذكرني بعض التجار أن مدينة سفالة على مسيرة نصف شهر من مدينة كلوا وان بين سفالة ويوفي من بلاد الليميين مسيرة شهر ومن يوفي يوثي بالتبر الى سفالة ومدينة كلوا امن أحسن المدن وأتمتعها عمارة وكلها بالخشب وسقف بيوتها اللبس والامطار بها كثيرة وهم أهل جهاد لانهم في ربه واحد متصل مع كفار الزوج والغالب عليهم الدين والصلاح وهم شافعية المذهب

﴿ ذكر سلطان كلوا ﴾

وكان سلطانها في عهد دخولي ايها أبو المنقر حسن ويكنى أيضاً أبو المواب الكثرة مواهبه ومكارمه وكان كثير الغزو الى ارض الزوج يغير عليهم ويأخذ الغنائم فيخرج خيما ويصرفه في معارنه المعينة في كتاب الله تعالى ويجعل نصيب ذوى القربى في خزانة على حدة فاذا جاءه الشرفاء دفع اليهم وكان الشرفاء يقصدونه من عراق والحجاز وسواها ورأيت عنده من شرفاء الحجاز جماعة منهم محمد بن جاز ونصود بن يمين بن أبي نعي ومحمد بن شيلة بن أبي نعي وناقت بمقدشواتيل بن كيش بن جاز وهو يريد القدوم عليه وهذا السلطان له تواضع شديد ويجلس مع الفقراء ويأكل معهم ويعظم أهل الدين والشرف

﴿ حكاية من مكارمه ﴾

حضرته يوم جمعة وقد خرج من الصلاة قاصدا الى داره فعرض له أحد الفقراء البنيين

فقال له يا أبا انوار اهب فقال ليك يا فقير ما حاجتك قال اعطني هذه الثياب التي عليك فقال له نعم أعطيكها قال الساعة قال نعم الساعة فرجع الى المسجد ودخل بيت الخطيب فلبس ثيابا سواها وخاع تلك الثياب وقال للفقير ادخل نخذها فدخل الفقير وأخذها وربطها في منديل وجعلها فوق رأسه وانصرف فمعظم شكر الناس للسلطان على ما ظهر من تواضعه وكرمه وأخذ ابنه ولي عهده تلك الكسوة من الفقير وعوضه عنها بعشرة من العبيد وبلغ السلطان ما كان من شكر الناس له على ذلك فامر للفقير أيضا بعشرة رؤس من الرقيق وحمض من العاج ومعظم عطاياهم العاج وقلما يعطون الذهب ولما توفى هذا السلطان الفاضل الكريم رحمه الله عليه ولى أخوه داود فكان على الضد من ذلك إذا أتاه سائل بقول له مات الذي كان يعطى ولم يترك من بعده ما يعطى ويقيم الوفود عند الشهور الكثيرة وحينئذ يطعمهم التليل حتى انقطع الوافدون عن بابها وركبوا البحر من كلوا الى مدينته ظفار الخوض (وضبط اسمها بفتح الظاء المعجم والفاء وآخره راء مبنية على الكسر) وهي آخر بلاد اليمن على ساحل البحر الهندي ومنها تحمل الخيل العتاق الى الهند ويقطع البحر فيما بينها وبين بلاد الهند مع مساعدة الريح في شهر كامل وقد قطعت مرة من قالقوط من بلاد الهند الى ظفار في ثمانية وعشرين يوما بالريح الطيبة لم ينقطع لنا جري بالليل ولا بالنهار وبين ظفار وعدن في البر مسيرة شهر في صحراء وبينها وبين حضرموت ستة عشر يوما وبينها وبين عمان عشرون يوما ومدينة ظفار في صحراء متقطعة لا قرية بها ولا عمالة لها والسوق خارج المدينة برى يعرف بالحر جاء وهي من أقدر الاسواق وأشدها تنناوا أكثرها ذبايا أكثر ما يباع بها من الثمرات والسمك وأكثر سمكها النوع المعروف بالسردين وهو بها في النهاية من السمك ومن العجائب ان دوابهم انما علفها من هذا السردين وكذلك غنمهم ولم أر ذلك في سواها وأكثر باعها الخدم وهم يلبسون السواد وزرع أهلها الذرة وهم يسقونها من آبار بعيدة الماء وكيفية سقيهم انهم يصنعون دلوأ كبيرة ويحملون لها حبالا كثيرة ويحزم بكل حبل عبدا أو خادما ويجرون الدلو على عود كبير مرتفع عن الأرض ويصبونها في صهر يج يسقون منه ولهم قح بسمونه العلس وهو في الحقيقة نوع من السلحفاة

والأرض يجلب اليهم من بلاد الهند وهو أكثر طعامهم ودراهم هذه المدينة من النحاس
والقصدير ولا تتفق في سواها وهم أهل تجارة لا عيش لهم إلا منها ومن عاداتهم أنه إذا وصل
مركب من بلاد الهند أو غيرها خرج عبيد السلطان إلى الساحل وصعدوا في صندوق إلى
المركب ومعهم الكسوة الكاملة لصاحب المركب أو وكيله ولاربان وهو الرئيس والسكراني
وهو كاتب المركب ويؤتي اليهم بثلاثة أفراس فيركبونها وتضرب أمامهم الأبطال
والأبواق من ساحل البحر إلى دار السلطان فيسلمون على الوزير وأمر جنس دار تبعث
الضيافة لكل من بالمركب ثلاثا وبعد الثلاث يأكلون بدار السلطان وهم يفعلون ذلك
استجلابا لأصحاب المراكب وهم أهل تواضع وحسن أخلاق وفضيلة ومحبة للغرباء
وليأسهم القطن وهو يجلب اليهم من بلاد الهند ويشدون القوط في أوساطهم عوض
السروال وأكثرهم يشد فوطة في وسطه ويجعل فوق ظهره أخرى من شدة الحر
وينتقلون مرات في اليوم وهي كثيرة المساجد ولهم في كل مسجد مطهر كثيرة معدة
للاغتسال ويصنع بهائيات من الحرير والقطن والكتان حسان جدا والغالب عن أهلها
رجال ونساء المراض المعروف بداء الفيل وهو انتفاخ القدمين وأكثر جاهلهم مبتلون
بالأدر والعياذ بالله ومن عوائدهم الحسنة التصافح في المسجد أثر صلاة الصبح والعصر
يستند أهل الصف الأول إلى القبلة ويصافحهم الذين يلونهم وكذلك يفعلون بعد صلاة
الجمعة يتصافحون أجمعون ومن خواص هذه المدينة ومعجائبها أنه لا يقصد لها أحد بسوء
إلا عاد عليه مكرم وحيل بينه وبينها وذكري أن السلطان قطب الدين تمهتن بن طوران شاه
صاحب هرمز نازلها مرة في البر والبحر فأرسل الله سبحانه عليه ريحا عاصفا كسرت
مراكبه ورجع عن حصارها وصالح ملكها وكذلك ذكر لي أن الملك المجاهد سلطان
اليمين عيسى بن عم له بعسكر كبير برسم انتزاعها من يد ملكها وهو أيضا ابن عمه فلما خرج
ذلك الأمير عن داره سقط عليه حائط وعلى جماعة من أصحابه فهلكوا جميعا ورجع
الملك عن رأيه وترك حصارها وطلبها ومن الغرائب أن أهل هذه المدينة أشبه الناس
بأهل المغرب في شؤونهم نرات بدار الخطيب بمسجدها الأعظم وهو عيسى بن علي كثر

القدر كريم النفس فكان له جوار مسميات بأسماء خدم المغرب احدها من اسمها بخيته
والاخرى زاد المال ولم اسمع هذه الاسماء في بلد سواها وأكثراها هار و سهم مكشوفة
لا يجعلون عليها العمام وفي كل دار من دورهم سجادة اخوص معاقة في البيت يصلي عليها
صاحب البيت كما يفعل أهل المغرب وأكلهم الذرة وهذا التشبه كما عاينته في قول بان
صنهاجة وسواهم من قبائل المغرب أصابهم من حمير وقرب من هذه المدينة بن بسايتها
زاوية الشيخ الصالح العابد أبي محمد بن أبي بكر بن عيسى من أهل ظفار وهذه الزاوية
معظمة عندهم بأتون اليهم غدوا وعشوا ويستجيرون بها فاذا دخلها المستجير لم يقدر
السلطان عليه رأيت بها شخصاً ذكر لي ان له بهامسة سنين مستجير لم يتعرض له السلطان
وفي الايام التي كنت بها استجار بها كاتب السلطان وأقام فيها حجة وقع بينهما الصلح أتيت هذه
الزاوية فبت بها في ضيافة الشيخين أبي العباس أحمد وأبي عبد الله محمد ابني الشيخ أبي بكر
المذكور وشاهدت لهما فاضلا عظيما ولما غسانا أيدينا من الضمام أخذوا أبو العباس منهما
ذلك الماء الذي غسلنا به فشرب منه وبعث الخادم بياقيه الى أهل وأولاده فشرى به وكذلك
يفعلون بمن يتوسعون فيه الخير من الواردين عليهم وكذلك أضافني قاتله الصالح أبو
هاشم عبد الملك الزبيدي وكان يتولى خدمتي وغسل يدي بنفسه ولا يكل ذلك الي غيره
وبتقربة من هذه الزاوية تربة سالف السلطان الملك المغيث وهي معظمة عندهم ويستجير
بها من طاب حاجة تقضى له ومن عادة الجسد انه اذا تم الشهر ولم يأخذوا أرزاقهم
استجاروا به هذه التربة وأقاموا في جوارها الى أن يعطوا أرزاقهم وعلى مسيرة نصف يوم
من هذه المدينة الاحقاف هي منازل عاترة هناك زاوية ومجد على ساحل البحر
وحوله قرية لصيادي السمك وفي الزاوية قبر مكتوب عليه هذا قبر هو دين عابره عليه أفضل
الصلاة والسلام وقد ذكرت ان بمسجد دمشق موضعاً عليه مكتوب هذا قبر هو دين عابر
والاشبه أن يكون قبره بالاحقاف لانها بلاد والله أعلم ولهذا المدينة بسايتين فيها موز
كثير كبير الجرم وزن بمحضرى حبة منه فكان وزنها اثنتي عشرة أوقية وهو طيب المطعم
شديد الحلاوة وبها أيضاً التبول والنار جيل المعروف بجوز الهند ولا يكونان الا

ببلاد الهند بمدينة ظفار هذه يشبهها بالهند وقربها منها اللهم إلا أن في مدينة زبيد في بستان
السلطان شجيرات من النار حيا واذ قد وقع ذكر التنبول والنار حيل قلند كرها واثمد كـ
خصائصهما

ذكر التنبول

والتنبول شجر يغرس كما تغرس دوالي العنب ويصنع له معرشات من القصب كما يصنع لدوالي
العنب أو يغرس في مجاورة شجر النار حيل فيصنع فيها كك ما تصعد الدوالي وكما يصعد
الفاصل ولا تمر للتنبول وإنما المقصود منه ورقه وهو يشبه ورق العليق وأطيبه الأصفر
وتجتنى أوراقه في كل يوم وأهل الهند يعممون التنبول تعظيماً شديداً وإذا أتى الرجل دار
صاحبه فأعطاه خمس ورقات منه فكأنما أعطاه الدنيا وما فيها لاسيما كان أميراً أو كبيراً
واعطاؤه عندهم أعظام شأن وأدل على الحرامة من اعطاء الفضة والذهب وكيفية استعماله
أن يؤخذ قبل الفوفل وهو شبه جوز الياف في كسر حتى يصير أطرافاً صفراء ويجعله
الإنسان في فمه ويمسكه ثم يأخذ ورق التنبول فيجعل عليها شيئاً من نورة ويمسحها مع
الفوفل وخاصيته أنه يطيب التنكة ويذهب بروائح النعم ويهضم الطعام ويقطع ضرر شرب
الماء على الريق ويفرح آكله ويعين على الجماع ويجعله الإنسان عند رأسه لئلا فاذا استيقظ
من نومه أو أيقظته زوجته أو جاريته أخذ منه فيأكله عافى فمه من رائحة كريهة ولقد
ذكر لي أن جوارى السلطان والأمراء ببلاد الهند لا يأكلن غيره وسند كره عند ذكر
بلاد الهند

ذكر النار حيل

وهو جوز الهند وهذا الشجر من أغرب الأشجار شأنها وأعجبها أمر أو شجره شبه شجر
النخل لا فرق بينهما إلا أن هذه ثمر جوز أو تلك ثمر تمر أو جوزها يشبه رأس ابن آدم
لأن فيها شبه العينين والفم وداخلها شبه الدماغ إذا كانت خضراء وعليها ليف شبه الشعر
وهم يصنعون منه حبالاً يخيطنون بها المراكب عوضاً من مسامير الحديد ويصنعون منه
الحبال للمراكب والجوزة منها وخصاً التي يحجز أثرية المهمل تكون بمقدار رأس
الآدمي ويزعمون أن حكيمان من حكماء الهند في غابر الزمان كان متصلاً بملك من الملوك

ومعظمها لديه وكان للملك وزير يئنه وبين هذا الحكيم معاداة فقال الحكيم للملك ان رأس
هذا الوزير اذا قطع ودفن تخرج منه نخلة تمر بتمر عظيم يعود نفعه على أهل الهند وسواهم
من أهل الدنيا فقال له الملك فان لم يظهر من رأس الوزير ما ذكرته قال ان لم يظهر فاصنع
برأسى كما صنعت برأسه فأمر الملك برأس الوزير فقطع وأخذ الحكيم وغرس نواة تمر في
نمائه وعالجها حتى صارت شجرة واثمرت بهذا الجوز وهذه الحكاية من الأكاذيب ولكن
ذكرناها لشهرتها عندهم ومن خواص هذا الجوز تقوية البدن واسراع السمن والزيادة
في حمرة الوجه واما الاعانة على الباءة ففعله فيها عجيب ومن عجائبه انه يكون في ابتداء أمره
حضر فمن قطع بالسكين قطعة من قشره وفتح رأس الجوزة شرب منها ماء في النهاية من
الحلاوة والبرودة ومزاجه حار معين على الباءة فاذا شرب ذلك الماء أخذ قطعة النخلة
وجعلها شبه الملعقة وجرد بها ما في داخل الجوزة من الطعم فيكون طعمه كطعم البيض
اذا شويت ولم يتم نضجها كل التمام وينغذى به ومنه كان غذائي أيام اقامتي بجزائر ذبية
بالمهل مدة من عام ونصف عام ومن عجائبه انه يصنع منه الزيت والحليب والعسل فأما كيفية
صناعة العسل منه فان خدام النخل منه ويسمون الفازانية يصعدون الى النخلة غدواً
وعشياً اذا أرادوا أخذ ماؤها الذي يصنعون منه العسل وهم يسمونه الاطواق فيقطعون
العذق الذي يخرج منه الثمر ويتركون منه مقدار اصبعين ويربطون عليه قدر اصغيرة
فيقطر فيها الماء الذي يسيل من العذق فاذا ربطها غدت وصعد اليها عشايا ومعه قدحان
من قشر الجوز المذكور أحدهما ملو ماء فيصب ما اجتمع من ماء العذق في أحدهما القدحين
ويغسله بالماء الذي في القدح الآخر ويجري من العذق فايلا ويربداً عليه القدر ثانية ثم
يفعل غدوة كفعله عشايا فاذا اجتمع له الكثير من ذلك الماء طبخه كما يطبخ ماء العنب اذا
صنع منه الرب فيصير عسلاً عظيم النفع طيباً فيشتره تجار الهند واليمن والصين ويحملونه الى
بلادهم ويصنعون منه الحلواء وأما كيفية صنع الحليب منه فان بكل دار شبه الكرسى تجلس
فوقه المرأة ويكون بيدها عصي في أحد طرفيها حديدة مشرفة فيفتحون في الجوزة مقدار
بما تدخل تلك الحديدة ويجرشون ما في باطن الجوزة وكل ما ينزل منها يجتمع في صحفة حتى

لا يبقى في داخل الجوزة شيء ثم يمرس ذلك الجريش بالماء فيصير كالون الحليب بياضاً ويكون طعمه كطعم الحليب ويأتد به الناس وأما كيفية صنع الزيت فانهم يأخذون الخوز بعد نضجه وسقوطه عن شجره فيزيلون قشره ويطعمونه قطعاً ويجعل في الشمس فإذا ذبل طبخوه في الندور واستخرجوا زيته وبه يستعمل يحون ويأتدمون به ويجعله اساء في شعورهن وهو عظيم النفع

✽ ذكر سلطان ظفار ✽

وهو السلطان الملك المغيث بن الملك الفاتر ابن عم ملك اليمن وكان أبوه أمير أعلى ظفار من قبل صاحب اليمن وله عليه هدية يعشها له في كل سنة ثم استبد الملك المغيث بملكها وامتنع من ارسال الهدية وكان من عزم ملك اليمن على محاربه وتبين ابن عمه لذلك ووقع الحائط عليه ما ذكرناه آنفاً والسلطان قصر بداخل المدينة يسمى الحصن عظيم فسيح والجامع بازائه ومن عادته ان تضرب الطبول والبوقات والأفانج والصرنايات على بابه كل يوم بعد صلاة الصلوة وفي كل يوم اثنين وخميس تأتى العساكر الى بابه فيقفون خارج المشور ساعة وينصرفون والسلطان لا يخرج ولا يراد أحد الا في يوم الجمعة فيخرج ناصلة ثم يعود الى داره ولا يمتنع أحد من دخول المشور وأمير جنود القاعة يد على بابه واليه ينتهي كل صاحب حاجة أو شكاية وهو يطالع السلطان ويأتيه الجواب للحين وإذا أراد السلطان الركوب خرجت مراكبه من القصر وسلاحه ومساكنه الى خارج المدينة وأتى بحمل عايه محمل مستور بستر أبيض منقوش بالذهب فيركب السلطان وتديمه في المحمل بحيث لا يرى وإذا خرج الى بستانه وأحب ركوب الفرس ركبته ونزل عن الجمل وعادته أن لا يعارضه أحد في طريقه ولا يقف لرؤيته ولا لشكايته ولا غيرها ومن تعرض لذلك ضرب أشد الضرب فتجد الناس إذا سمعوا بخروج السلطان فروا عن الطريق وتحاموها ووزير هذا السلطان الفقيه محمد العدني وكان معلم صيدان فعلم هذا السلطان القراءة والكتابة وعاهده على أن يستوزر من ملك فلما ملك استوزره فلم يكن يحسنها فكان الاسم له والحكم لغيره ومن هذه المدينة ركبنا البحر نريد عمان في مركب صغير لرجل يعرف بعلي بن ادريس

المصري من أهل جزيرة مصيرة وفي انشائي لركوبنا زائنا بمري حاسك وبه ناس من العرب
صيادون للسماك ساكنون هنالك وعندهم شجر السكندر وهو رقيق الورق واذا شرطت
الورقة منه قطر منها ماء شبه اللبن ثم عاده صغاء ذلك الصمغ هو اللبن، هو كثير جداً هنالك
ولام يشبه لأهل ذلك المرسى الامن صيد السمك وسماكهم امرى بالاعظم (بخاء، حجم
معتوج) وهو شبه كلب البحر يشرح ويقدد ويقتات به ويوتسم من عظام السمك
وسمنا من جلود الجبل وسرنا من مرسى حاسك أربعة أيام ووصلنا الى جبل لمعان
(بنى الام) وهو في وسط البحر وباعلام رابطة مبنية بأحجار وسقفها من عظام
السمك وبخارجها غدير ماء يجتمع من المطر

هـ ذكر ولى لفينه بهذا الجبل

وسبأ رسينا تحت هذا الجبل صعدنا الى هذه الرابطة فوجدنا بها شيخاً ثامناً فسامعنا عليه
فاستيقظ وأشار برد السلام فكلمنا فلم يكلمنا وكان يحرك رأسه فأتانا أهل المركب بطعام
فأفني أتيته فطابنا منه الداء فكان يحرك شفتيه ولا نعلم ما يتمون وعاليه مرقعة وقلنسوة ليد
وايسر . هـ ركوة ولا ابريق ولا عكاز ولا عمل وقال أهل المركب انهم من رؤوس قط بهذا الجبل
وأقناتنا باليلة بساحل هذا الجبل وولينا معه العسر والمقر وبوجتاد بطعام فردده وأقام
بصلي الى العشاء الآخرة ثم أذن وصلى بنا هاهنا وكان منس الصوت بالقراءة مجيداً لها
وبدع من صلاة العشاء الآخرة أو ما ألبنا بالانصراف نودعنا وانصرفنا ونحن نعجب
من . هـ ثم اني أردت ان رجوع اليه لما انصرفنا فاماد نوت منه هبته وغلب على الخوف
ورجعت الى أصحابي فاصرفت معهم وركبنا البحر ووصلنا بسديومين الى جزيرة الطير
وايست بها عمارة فارسينا وصعدنا اليها فوجدناها آلة بغير تشبه الشقائق الا انها
أعظم منها وجاءت الناس بيض تلك الطيور فطبخوها وأكلوها واصطادوا جملة من تلك
الطيور فطبخوها دون ذكاة وأكلوها وكان يجالسني تاجر من أهل جزيرة مصيرة ساكن
بظفار اسمه مسلم فرأيت ياكل معهم تلك الطيور فانكرت ذلك عليه فاشتد خجله وقال لي
ظنات انهم ذبحوها وانقطع عني بعد ذلك من الخجل فكان لا يقر بى حتى أدعوه به وكان

طعامي في تلك الايام بذلك المركب التمر والسّمك وكانوا يصطادون بالغدو والعشي
سمكا يسمي بالفارسية شيرماهي ومعناه أسد السمك لان شير هو الاسد وماهي السمك وهو
يشبه الحوت المسمي عندنا بتازيت وهم يقطعونه قطما ويشوونه ويعطون كل من في
المركب قطعة لا يفضلون أحداً على أحد ولا صاحب المركب ولا سواه ويأكلونه بالتمر
وكان عندي خبز وكعك استصحبتهما من ظفار فلما نقدا كنت أقتات من تلك السمك
في جلتهم وعيدنا عيد الاضحى على ظهر البحر وهبت علينا في يومه ريح عاصف بعد طلوع
الفجر ودامت الى طلوع الشمس وكادت تفرقنا

﴿كرامة﴾

وكان معاني المركب حاج من أهل الهند يسمي بخضر ويدعي بولانا لانه يحفظ القرآن
ويحسن الكتابة فإما رأي هول البحار رأيه براءة كانت له وتناوم فلما فرج الله ما نزل
بنساقات له يامولانا خضر كيف رأيت قال قد كنت عند الهول أفتح عيني أنظر هل اري
الملائكة الذين يتبخسون الارواح جاؤا فلا أراهم فأقول الحمد لله لو كان الفرق لأتوا القبط
الارواح ثم أساق عيني ثم أفتحها فانظر كذلك الى أن فرج الله عنا وكان قد تقدمت مركب
لبعض التجار فغرق وذهبح منه الارجل واحد .. ثم خرج عوما بعد جهد شديد وأكلت في
ذلك المركب نوعا من الخبز لم آكله قبله ولا بعده صنع به بعض تجار عمان وهو من الذرة
طبخها من غير طحين وحسب عليها السيلان وهو عسل التمر وأكلناه ثم وصلنا الى جزيرة
مصيرة التي منها صاحب المركب الذي كنا فيه وهي على اقط مصر وزيادة تاء التانيث
جزيرة كبيرة لا عيش لاهلها الا من السمك ولم نزل اليها بعد مرساها عن الساحل
وكنت قد ذكرتهم لما رأيتهم يأكلون الطير من غير ذكاة وأقنابها يوما وتوجه صاحب
المركب فيه الي داره وعاد الي اناسهم سرنا يوما وليلة فوصلنا الى مرسى قرية كبيرة على ساحل
البحر تعرف بصور ورأينا منهم مدينة قاهية في سفح جبل خيل لنا انها قرية وكان وصولنا
الي المرسى وقت الزوال أو قبله فلما ظهرت لنا المدينة أحييت المشى اليها والمبيت بها وكنت
قد كرهت صحبة أهل المركب فسألت عن طريقها فأخبرت أني أصل اليها عند العصر

فأكرت أحد البحريين ليدي على طريقها وصحفي خضر الهندي الذي تقدم ذكره
وتركت أصحابي مع ما كان لي بالركب ليدحقوا بي في غد ذلك اليوم وأخذت أثوابا كانت لي
قد فتمت ذلك الدليل ليكفي مؤنة حملها وحملت في يدي رحا فاذا ذلك الدليل يحب أن
يستولي على أثوابي فأني بنا إلى خليج يخرج من البحر فيه المد والجزر فأراد عبوره بالثياب
فقات له أنما تعب وحدثك وترك الثياب عندنا فان قدرنا على الجواز جزنا والاصعدنا
نطلب المجاز فرجع ثم رأينا رجا لا جازوه عو ما فتحققتنا انه كان قصده ان يفرقنا ويذهب
بالثياب حينئذ اظهرت النشاط وأخذت بالحزم وشدت وسطي وكنت أهرالرح فها بي
ذلك الدليل وصعدنا حتى وجدنا مجازا ثم خرجنا إلى صحراء لا ماء بها وعطشنا واشتد بنا
الامر فبعث الله لنا فارسا في جماعة من أصحابه ويبدأ أحدهم ركوة ماء فسفاني وسقي
صاحبي وذهبنا نحسب المدينة قريبة منا ويتناوينا ختادق نمشي فيها الأميال الكثيرة فلما
كان المشي أراد الدليل أن يميل بنا إلى ناحية البحر وهو لا طريق له لأن ساحله حجارة
فأراد أن تنشب فيها ويذهب بالثياب فقات له أنما نمشي على هذه الطريق التي نحن عاينا
ويتهاو بين البحر نحو ميل فلما أظلم الليل قال لنا ان المدينة قريبة منا فتعالوا نمشي حتى نبيت
بجارجها إلى الصباح نخفت ان يتعرض لنا أحد في طريقنا ولم أحقق مقدار ما بقي اليها فقلت
له انما الحق أن تخرج عن الطريق فتنام فاذا أصبحنا أتينا المدينة ان شاء الله وكنت قد
رأيت جملة من الرجال في سفح جبل هنالك نخفت أن يكونوا العوصا وقات التستر أولى
وغاب العطش على صاحبي فلم يوافق على ذلك فحرجت عن الطريق وقصدت شجرة من
شجر أم غيلان وقد أعيت وأدركني الجهد لكنت أظنرت قوة وتبهدا خرف الدليل وأما
صاحبي فريض لا قوة له فجعلت الدليل بيني وبين صاحبي وجعلت الثياب بيني وبين جسدي
وأمسكت الرح بيدي وورقد صاحبي وورقد الدليل وبقيت سامرا فكلما تحرك الدليل كلمته
وأريته اني مستيقظ ولم نزل كذلك حتى أصبح نخرجنا إلى الطريق فوجدنا الناس ذاهبين
بالمرافق إلى المدينة فبعث الدليل ليأتينا بماء وأخذ صاحبي الثياب وكان بيننا وبين المدينة
بها ووختادق فأتانا بالماء فشربنا وذلك أو ان الحر ثم وصلنا إلى مدينة قلها (وضبط

اسمها بفتح القاف واسكان اللام وآخره تاء مثناة) فأتيناها ونحن في جهـد عظيم وكنت قد ضاقت نـفـسـي على رجـلي حتـي كـانـ الدم أنـ يـخـرج من تحت أظفارها فلما وصلنا باب المدينة كان جـتـام المشـيـقة ان قال لنا الموكل بالباب لا بد لك أن تذهب معي الي أمير المدينة ايعرف قضيتك ومن أين قدمت فذهبت معه اليه فرأيتـه قاضـا لحسن الاخلاق وسألني عن حالي وأنزاني وأقمت عنده ستة أيام لا قدرة لي فيها على النهوض على قدمي لمسا لحقها من الآلام ومدينة قاهات على الساحل وهي حسنة الاسواق ولها مسجد من أحسن المساجد حيطانه بالقاشاني وهو شبه الزليج وهو مرتفع ينظر منه الى البحر والمرسى وهو من عمارة الصالحات يبي مريم ومعنى يبي عندهم الحرة وأكلت بهذه المدينة سمكاً كل مثله في إفايم من الاقاليم وكنت أفضله على جميع اللحوم فلا آكل سواه وهم يشوونه على ورق الشجر ويحملونه على الارزويأكلونه والارز يجاب اليهم من أرض الهند وهم أهل تجارة ومهيشهم مما يأتي اليهم في البحر الهندي واذا وصل اليهم مركب فرحوا به أشد الفرح وكلامهم ليس بالفصيح مع أنهم عرب وكل كلمة يتكلمون بها يصلونها بلا فية ولون مثلثا تأكل لا تشوي لا تفعل كذالوا أكثرهم خوارج لكنهم لا يقدرـون على اظهار مذهبهم لانهم تحت طاعة الساطان قطب الدين تمتهن مالك هرمز وهو من أهل السنة وبمقربة من قاهات قرية طيبي واسمها على نحو اسم الطيب اذا أضافه المتكلم لنفسه وهي من أجل القرى وأبدعها حسنا ذات أنهار جارية وأشجار ناضرة وبساتين كثيرة ومنها تجذب القواكه الى قلهات وبها الموز المعروف بالمرواري والمرواري بالفارسية هو الخوهرى (المروار الجوهري) وهو كثير بهنا ويحلب منها الى هرمز وسواها وبها أيضا التنبول لكن ورقته صغيرة والتمر يحلب الي هذه الجهات من عمان ثم قصدنا بلاد عمان فسرنا ستة أيام في صحراء ثم وصلنا بلاد عمان في اليوم السابع وهي خصبة ذات أنهار وأشجار وبساتين وحدائق نخل وفاكهة كثيرة مختلفة الاجناس ووصلنا الى قاعدة هذه البلاد وهي مدينة نزوا (وضبط اسمها بنون مفتوح وزاى مسكن وواو مفتوح) مدينة في سفح جبل تحف بها البساتين والأنهار ولها أسواق حسنة ومساجد معظمه نقيه وعادة أهلها أنهم يأكلون في صحون المساجد يأتي كل إنسان

بما عنده ويحتمون الاكل في صحن المسجد وياً كل معهم الوارد والصادر ولهم نجدة
وشجاعة والحرب قائمة فيما بينهم أبداً وهم أباضية المذهب ويصلون الجمعة ظهراً أربعاً فإذا
فرغوا منها قرأ الامام آيات من القرآن ونثر كلاماً شبه الخطبة يرضي فيه عن أبي بكر وعمر
ويستكت عن عثمان وعلي وهم اذا أرادوا ذكر علي رضي الله عنه كنوا عنه بالرجل فقالوا
ذكر عن الرزين أو قال الرجل ويرضون عن الشقي الاعين ابن ماجم ويقولون فيه العبد
الصالح قانع نفقة وناؤه يكثرن لفساد ولا غيره عندهم ولا انكار لذلك وسند ذكر
حكاية اثر هذا مما يشهد بذلك

ذكر سلطان عمان

وسايطانها عربي من قبيلة الازدين تنوت ويعرف بأبي محمد بن نيهان وأبو محمد عندهم سمة
بكل سلطان يبي عمان كما هي أتابك عندهم وك اللورد عادة ان يجاس خارج باب داره في
عمان هناك ولا حجرة له ولا وزير ولا يمنع أحداً من الدخول اليه من ضرب أو غيره
كما مضى على عادتنا العرب ويعين له حشداً من عبيده على قسره وله اخلاق حسنة
ويعكس على مائته لحج الحمار الاسي وبيع السوق لانهم قائلون تجلبهوا انكم يخفون
ذلك عن الوارد عليهم ولا يظهر منه بمحضه ومن مدين عمان مدينة زكي لم ادخلها وهي
على ما ذكر لي مدينة عظيمة ومنها القريات وشبوا كابا وخور فكان وصحار وكاهات
أما رويداقي وأشيجار نخل وأكثر هذه البلاد في عمالة هرة

حكاية

كنت يوماً عند هذا السلطان أبي محمد بن نيهان فأتته امرأة صغيرة السن حسنة الصورة
نادية الوجه فوقفت بين يديه وقالت له يا أبا محمد طغي الشيطان في رأسي فقال لها اذهبي
واطردي الشيطان فقالت له لا أستطيع وأنا في جوارك يا أبا محمد فقال لها اذهبي فافعلي
مئة نية فذكر لي لما انصرفت عنه ان هذه من فعل مثل فعلها تكون في جوار السلطان
وتذهب للفساد ولا يقدر أبوها ولا ذو قرابتها أن يغيروا عايمها وان قتلوها قتلوا بها لانها في
جوار السلطان ثم سافرت من بلاد عمان الى بلاد هرة من هرة من مدينة على ساحل البحر

وتسمى أيضا موغستان وتقالباها في البحر هرمز الجديدة ويذهب في البحر ثلاثة فراعس
 ووصلنا إلى هرمز الجديدة وهي جزيرة مدینتها تسمى جرون (بتیح الجیم والرأ
 وآخر هانون) وهي مدينة حسنة كبيرة لها أسواق حافلة وهي مربى الهند والسند
 ومنها تحمل سلع الهند إلى العراقين وفارس وخراسان وهذه المدينة سكنى الساطان
 والجزيرة التي فيها المدينة مسيرة يوم رأكثرها سباح وجبال مالح والملاح الداراني ومن
 يصنعون الاواني لازينة والمتارات التي يضعون السرج عليهم او طعامهم السمك والتمر المجلوب
 اليهم من البصرة وعمسان ويقولون بله انهم خرما ومهي نوت بادشاهي معناه بالعربي النر
 والسمك طعام الملوك والماء في هذه الجزيرة له قيمة وبها عيون ماء وصهاريج مصنوعة
 يجتمع فيها ماء المطر وهي على بعد من المدينة ويأتون اليها بقرب فيملأونهم ويرفعونها على
 ظهورهم الى البحر يوسقونها في القوارب ويأتون بها الى المدينة ورأيت من المعجائب عند
 باب الجامع فيما بينه وبين السوق رأس سمكة كنه رايسة وعيشة كأنها بابا بان فترى الناس
 يدخلون من احدها ويخرجون من الاخرى وانقبت بهذه المدينة الشيخ الفاضل السائح آ
 الحسن الاقصاراني وأصله من بلاد الروم فأضافني وزارني واليسني ثوبا وأعطاني كر
 العجبة وهو يحنى به فيعين الجالس فيكون كأنه مستندوا أكثراء المعجم يتقدمونه وعلى
 ستة أميال من هذه المدينة زارني سبال الى الخضر ويا سبليهم السلام مدكرهم
 يصليان فيه وظهرت له بركات وبراهين وهناك زاوية يسكنها أحد المشايخ يخدم بها التوارد
 والصادر وأقمتا عند يومنا قصدنا من هناك زيارة رجل صالح منقطع في آخر هذه الجزيرة
 تدعى سارأسكنة مدينة زوية تسمى سارأسكنة ودارس نيرة فيهم جارية زله عبيد سارح الفسار
 يرعون بقرآله وغنما وكان هذا الرجل من كبار التجار خج البيت وقطع العلائق وانقطع
 هناك لآبادة ودفع ماله لرجل من اخوانه يترك له به وبما تنتد له لآلة فاحسن القرى وأجل
 رضي الله تعالى عنه وسيمة الخير والعبادة لآلحة عليه

تم ذكر سلطان هرمز

وهو السلطان قطب الدين تمتهن بن طوران شاه (وضبط اسمه بفتح التاءين المعالوتين

وبينهم اميم مفتوح وهاء مسكنة وآخرة نون) وهو من كرماء السلاطين كثير التواضع
حسن الاخلاق وعادته ان يأتي لزيارة كل من يقدم عليه من فقيه أو صالح أو شريف ويقوم
بحقه واسادخلنا جزيرته وجدناه مهيا للحرب مشغولا بهامع ابني اخيه نظام الدين فكان في
كل ليلة يتيسر للقتال والفلاء مستول على الجزيرة فأتى اليها وزيره شمس الدين محمد بن علي
وقاضيه عماد الدين الشونكاري وجماعة من الفضلاء فاعتذروا بما هم عليه من مباشرة
الحرب وأقنعنا عندهم ستة عشر يوما فلما أردنا الانصراف قالت لبعض الاصحاب كيف
تصرف ولا تري هذا السلطان فجتادار الوزير وكانت في جوار الزاوية التي نزلت بها
فمات له اتى أريد السلام على الملك فقال باسم الله وأخذ يدي فذهب بي الي داره وهي على
ساحل البحر والاجفان مجلسة عندها فاذا شيخ عاياه أقيية ضيقة دنسة وعلى رأسه عمامة
وهو شددودالوسط بمنديل فسلم عاياه الوزير وسامت عاياه ولم أعرف انه الملك وكان الي
جانبه ابن اخته وهو علي شاه بن جلال الدين الكيحي وكانت بيني وبينه معرفة فاشأت
أحادثه وأنا لا أعرف انما فعر في الوزير بذلك ففحلت منه لاقبالي بالحديث على ابن اخته
دونته واعتذرت اليه ثم قام فدخل داره وتبعه الامراء والوزراء وأرباب الدولة ودخلت
مع الوزير فوجدناه قاعدا على سرير مائكة وثيابه عليه لم يبد لها وفي يده سبيحة جوهر لم تر
العيون مثله لان غاصات الجوهر تحت حكمه فجلس أحد الامراء الي جانبه وجلست الي
جانب ذلك الامير وسأني عن حالي ومقدمي وعن لقيته من الملوك فاخبرته بذلك وحضر
الطعام فأكل الحاضرون ولم يأكل معهم ثم قام فوادعتسه وانصرفت وسبب الحرب التي
بينه وبين ابني اخيه انه ركب البحر مرة من مدينته الجديدة برسم الزهرة في هرمز القديمة
وبساتينها وبينهما في البحر ثلاثة فراسخ كما قدمناه فمخالف عليه أخوه نظام الدين ودعى
لنفسه وبايعه أهل الجزيرة وبايعته العساكر فخاف قطب الدين على نفسه وركب البحر
الي مدينة قلعات التي تقدم ذكرها وهي من جملة بلاد فاقام بها شهورا وجهاز المراكب
وأتى الجزيرة فقاتله أهلها مع أخيه وهزموه وعا الي قلعات وفعل ذلك مرارا فلم تكن له
حيلة الا أن راسل بعض لساء أخيه فسمته ومات وأتى هو الي الجزيرة فدخلها وفر ابنا

أخيه بالخزائن والاموال والعساكر الى جزيرة قيس حيث مغاص الجوهر وصاروا يقطعون الطريق على من يقصد الجزيرة من أهل الهند والسند ويغيرون على بلاده البحرية حتى تخرب معظمها ثم سافروا من مدينة جرون برسم لقاع جبل صالح ليلد خنج بال قاما عدنا البحر اكثرينادواب من التركان وهم سكان تلك البلاد ولا يسافرون فيها الا معهم لشجاعتهم ومعرفتهم بالطرق وفيها صحراء مسيرة أربع يقطع بها الطريق لصوص الاعراب وتهب فيها ريح السموم في شهري تموز وحزيران فمن صادفته فيها قتله ولقد ذكر لي ان الرجل اذا قتله تلك الريح وأراد أصحابه غسله ينفض كل عضو منه عن سائر الاعضاء وبها قبور كثيرة للذين ماتوا فيها بهذه الريح وكنا نساغر فيها بالليل فاذا طلعت الشمس نزلنا تحت ظلال الاشجار من أم غيلان ونزل بعد العصر الى طلوع الشمس وفي هذه الصحرا وما والاها كان يقطع الطريق بها جمال الملك (اللوك) الشهير الاسم هنالك * (حكاية) كان جمال الملك من أهل سجستان أعجمي الاصل (واللك بضم اللام) معناه الاقطع وكانت يده قطعت في بعض حروبه وكانت له جماعة كثيرة من فرسان الاعراب والاعاجم يقطع بهم الطرق وكان يبني الزوايا ويعطم الوارد والصادر من الاموال التي يسلمها من الناس ويقال انه كان يدعو ان لا يسلط الاعلى من لا يزكي ماله وأقام على ذلك مدة أو كان يغير هو وفرسانه ويسلكون براري لا يعرفها سواهم ويدفنون بها قرب الماء ورواياه فاذا تبعهم عسكر السلطان دخلوا الصحراء واستخرجوا المياه ويرجع العسكر عنهم خوفا من الهلاك وأقام على هذه الحالة مدة لا يقدر عليه ملك العراق ولا غيره ثم تابوا وتعبد حتى مات وقبره مزار ببلده وسلكنا هذه الصحراء الى أن وصلنا الى كورستان (وضبط اسمه بفتح الكاف واسكان الواو وراء) وهو بلد صغير فيه الأنهار والبساتين وهو شديد الحر ثم سرنا ثلثة أيام في صحراء مثل التي تقدمت ووصلنا الى مدينة لار (وآخر اسمها راء) مدينة كبيرة كثيرة العيون والمياه المطردة والبساتين ولها أسواق حسان ونزلنا منها زاوية الشيخ العابد أبي دلف محمد وهو الذي قصدنا زيارته بخنج بال وبهذه الزاوية ولد له أبو زيد عبد الرحمن ومعه جماعة من الفقراء ومن عادتهم أنهم يجتمعون بالزاوية بعد صلاة

انصر من كل يوم ثم يطوفون على دور المدينة فيعطاهم من كل دار الرغيف والرغيفان
فيطعمون منها الوارد والصادر وأهل الدور قد أفواذك فهم يجتمعون في جملة قوتهم
ويعدونهم اعانة على اطعام الطعام وفي كل ليلة جمعة يجتمع بهذه الزاوية فقراء المدينة
وصالحاؤها ويأتي كل منهم بما تيسر له من الدراهم فيجمعونها وينفقونها تلك الليلة
ويبيتون في عبادة من الصلاة والذكر والتلاوة وينصرفون بعد صلاة الصبح

ذكر سلطان لار

وبهذه المدينة سلطان يسمى بحلال الدين تركاني الاصل يثينا بضيافة ولم يجتمع به ولا
رأيناه ثم سافرنا الى مدينة ختج بال (وضبط اسمها بضم الحاء ثم جمع وقد يعوض منه
هاء واسكان النون وضم الجيم وباء معتود ذو ألف ولام) وبها سكن الشيخ أبي دلف
الذي قصدنا زيارته وبزوايته نزلنا ولم ادخل الزاوية رأيت قاعة بناحية منها على التراب
وعليه حبة صوف خضراء عالية وعلى رأسه عمامة صوف سوداء فسالت عليه فأحسن الرد
وسألني عن مقدي وبلادي وأنزاني وكان يبحث الى الطعام والفاكهة مع ولده من
الصالحين كثير الخشوع والتواضع صائم الدهر كثير الصلاة لهذا الشيخ أبي دلف شأن
عجيب وأمر غريب فان نشئت في هذه الزاوية عظيمة وهو يعطي انعطاء الجزيل ويكسو
الناس ويركهم الخيل ويحسن لكل وارد وصادر ولم أرى في تلك الزاوية ولا يعلم له جهة الا
ما يصله من الاخوان والاصحاب حتي زعم كثير من الناس انه ينفق من اكون وفي زوايته
المذكورة قبر الشيخ الولي الصالح القطب دانيال وله اسم بتيك البلاد شهير وشأن في
انولاية كبير وعلى قبره دية عظيمة بناها السلطان قطب الدين تيمور بن طومان شاه وأقامت
عند الشيخ أبي دلف يوما واحدا الاستعجال الرفقة التي كنت في صحبتها وسمعت ان بمدينة
ختج بال المذكورة زاوية فيها جملة من الصالحين المتعبدين فرحت اليها بالسي وسلمت على
شيخهم وعليهم ورأيت جماعة مباركة قد أثرت فيهم العبادة فهم صفر الالوان نحاف الجسوم
كثير البكاء غزير الدموع وعند وصولي اليهم أتوا بالطعام فقال كبيرهم ادعوا الى ولدي
محمد او كان معزلا في بعض نواحي الزاوية فجاء الينا الولد وهو كأنما خرج من قبر مما نكهته

العبادة فسلم وقعد فقال له أبو ديان بنى شارك هؤلاء الواردين في الأكل تكل من بركاتهم وكان صائماً فأفطر معنا وهم شافعي - فذهب فلم يفرغنا من أكل الطعام دعوا لنا وانصرفوا ثم سافرنا منها إلى مدينة قيس وتسمى أيضاً بسيراف وهي على ساحل بحر الهند المتصل ببحر اليمن وفارس ومدادها في كور فارس مدينة لها انفساح وسعة طيبة البقعة في دورها بسايتين عجبية فيها الرياحين والأشجار الناضرة وشرب أهلها من عيون منبعثة من جبالها وهم عجم من الفرس أشرف وفيهم طائفة من عرب بني سفاف وهم الذين يغوصون على الجوهر

❦ د - م - ر - م - ن - ص - الجواهر ❦

ومغاص الجوهر فيما بين سيراف والبحرين في خور راكده مثل الوادي العظيم فإذا كان شهر أبريل وشهر مايو تاتي اليه التوارب الكثيرة فيها غرائب وأصون وتجار فارس والبحرين والقطيف ويجعل الغواص على وجهه مهملاً أراد أن يغوص شيئاً يكسوه من عظم الغليم وهي السمكة فإذ يستخرج من هذا العظم أيده أشكلاً شبه المتراخض يشده على أنفه ثم يربط حبلاً في وسطه ويغوص ويتناوتوز في السباحة في الماء فممن من يصبر الساعة والساعتين فسادون ذلك فإذا وصل إلى قعر البحر يجد فيه من غرائب ما بين الأبحر والسمك من نبات في الرمل فيقتله بيده أو يقطعه بحديدة عنده مدة ذلك ويجعلها في مخللة جلد منوطة بعنقه فإذا ضاق نفسه ترك الحبل فيحس به الرجل الممسك بالحبل على الساحل فيرفعه إلى القارب فتؤخذ منه المخللات ويفتح الصدق فيوجد في أجوافها قطع لحم تقطع بحديدة فإذا باشرت الهواء جمدت فصارت جوارحاً فيجمع جميعها من صغير وكبير فيأخذها لطن غصه والبق في يشتريه التجار الحاضرون بتلك القوارب وأكثرهم يكون له الدين على الغواصين فيأخذ الجوهر في دينه أو ما يحب له منه ثم سافرنا من سيراف إلى مدينة البحرين وهي مدينة كبيرة حسنة ذات بسايتين وأشجار وأنهار وماؤها قريب المؤنة يحفر عليه بالأيدي فيوجه وبها حدائق النخل والمان والارج وبزرعها النطن وهي شديدة الحر كثيرة

الرمال ورعى أغلب الرمل على بعض منازلها وكان فيما بينها وبين عمان طريق استولى عليه الرمال وانقطع فلا يوصل من عمان إليها إلا في البحر وبالقرب منها جبلان عظيمان يسمي أحدهما بكسير وهو في غربها ويسمي الآخر عوير وهو في شرقها وبها مضرب المثل فليل كسير وعوير وكل غير خير ثم سافرنا إلى مدينة القطيف (وضبط اسمها بضم القاف) كأنه تصغير قطف وهي مدينة كبيرة حسنة ذات نخل كثير يسكنها طوائف العرب وهم رافضية غلاة يظهر من أرقض جهار لا يتقون أحدا ويقولون مؤذنه في أذانه بعد الشهادتين أشهد أن علياً ولي الله ويزيد بعد الحيعتين حتى على خير العدل ويزيد بعد التكمير الأخير محمد وعلى خير البشر من خالفهما فقد كفر ثم سافرنا منها إلى مدينة هجر وتسمي الآن بالحساء (بفتح الحاء والسين واهمالها) وهي التي يضرب المثل بها فيقال كجواب التمر إلى هجر وبها من التخييل ما ليس ببلد سواها ومنه ما غفون دوابهم وأهلها عرب وأكثرهم من قبيلة عبد القيس بن أفضي ثم سافرنا منها إلى مدينة البصرة وتسمي أيضاً بحجر (بفتح الحاء المهملة واسكان الجيم) مدينة حسنة خصبة ذات أنهار وأشجار يسكنها طوائف من العرب أكثرهم من بني حنيفة وهي بلدهم قديمها وأما هم طفيل بن غنم ثم سافرت منها في صحبة هذا الأمير برسم الحج وذلك في سنة ثنتين وثلاثين فوصلت إلى مكة شرفها الله تعالى وحج في تلك السنة الملك الناصر سلطان مصر رحمه الله وجملة من أسرته وهي آخر حجة حجها وأجزل الأحسان لأهل الحرم بين الشريفين ولله مجاورين وفيها قتل الملك الناصر أمير أحمد الذي يذكرون أنه ولد له وقتل أيضاً كبير أسرته بكتمة ووالداتي ﴿حكاية﴾ ذكر أن الملك الناصر رهب بكتمة والساقى جارية فلما أراد النوم منها قالت له اني حامل من الملك الناصر فاعتزلها وولدت ولداً سماه بأمير أحمد ونشأ في حجره فظهرت نجاته واشتهر بابن الملك الناصر فلما كان في هذه الحجة تعاد علي الفتح بالملك الناصر وان يتولى أمير أحمد الملك وحمل بكتمة معه العلامات والبطول والكسوات والاموال فغنى الخبر إلى الملك الناصر فبعث إلى أمير أحمد في يوم شديد الحر فدخل عليه وبين يديه أقذاح الشرب فشرب الملك الناصر قدحا وناول أمير أحمد قدحاً ثانياً فيه السم فشربه وأمر

بالرحيل في تلك الساعة لا يشغل لوقت فرحل الناس ولم يبلغوا المنزل حتى مات أميراً أحمد
فاكثر بكتهم ورموته وقطع أثوابه وامتنع من الطعام والشراب وبلغ خبره الى الملك
الناصر فأناه بنفسه ولاطفه وسأله وأخذ قدحاً فيه سم تناوله أياماً وقال له بحياتي عليك إلا
شربت فبردت نار قلبك فشربه ومات من حينه ووجد عنده خلع السلطنة والاموال
فتمحق ما نسب اليه من التمسك بالملك الناصر واما انقضى الحج توجهت الي جدة برسم
ركوب البحر الى اليمن والهند فلم يقض لي ذلك ولا تأتني لي رفيق وأقمت بمجدة نحو أربعين
يوماً وكان بها مراكب لرجل يعرف بعبد الله النونسي بروم السفر الي القصير من عمالة قوص
فصعدت اليه لأنظر حاله فلم يرضني ولا طابت نفسي بالسفر فيه وكان ذلك لطفاً من الله
تعالى فانه سافر فاما توسط البحر غرق بموضع يقال له رأس أبي محمد فخرج صاحبه وبعض
التجار في المشاري بمد جهده عظيم وأشرفوا على الهلاك وهلك بعضهم وغرق سائر الناس
وكان فيه نحو سبعين من الحجاج ثم ركب البحر بعد ذلك في صنبوق برسم عذاب فردتنا
الريح الى مرسى يعرف برأس دواتر وسافر نامته في البر مع البجاة فسلكناهم كثرية
الانعام والغزلان فيها عرب جهينة وبني كاهل وطاعتهم للبجاة ووردنا ماء يعرف بمقروور
وماء يعرف بالحديد ونددنا فاشترينا من قوم من البجاة وجدناهم بالفلاة أغناماً وتزودنا
لحومها ورأيت بهذه الملاة صيداً من العرب كلني باللسان العربي وأخبرني ان البجاة أسروه
وزعم انه منذ عام لم يأكل طعاماً ما يقتات بلبن الابل وتقد لنا بعد ذلك اللحم الذي
اشتريناه ولم يبق لنا زاد وكان عندي نحو حمل من التمر الصيحاتي والبرني برسم الهدية
لأصحابي ففرقته على الرفقة وتزودناه ثلاثاً وبعد مسيرة تسعة أيام من رأس دواتر وصلنا الى
عذاب وكان قد تقدم اليها بعض الرفقة فقلنا أهلها بالخبز والتمر والماء وأقنابها أياماً أكثرنا
الجمال وخرجننا صحبة طائفة من عرب دغيم ووردنا ماء يعرف بالجيب ولعله (الجيب)
وحللنا بمحيزا حيث قبر ولي الله تعالى أبي الحسن الشاذلي وحصلت لنا زيارة ثانية وبقا
جواره ثم وصلنا الى قرية العطواني وهي على ضفة النيل مقابلة لمدينة أدفون من الصعيد
الأعلى وأجزنا النيل الى مدينة اسنا ثم الى مدينة أرمنت ثم الى الأقصر وزرنا الشيخ آيا

الحجاج الاقصرى ثانية ثم الى مدينة قوص ثم الى مدينة قنا و زورنا الشيخ عبد الرحيم
القناوي ثانية ثم الى مدينة هو ثم الى مدينة اخيم ثم الى مدينة أسيوط ثم الى مدينة
منفلوط ثم الى مدينة منلوى ثم الى مدينة الاشموين ثم الى مدينة منية ابن الحبيب ثم
الى مدينة البهنسة ثم الى مدينة بوش ثم الى مدينة منية القائد وقد تقدم لنا ذكر هذه البلاد
ثم الى مصر وأقمت بها أياما وسافرت على طريق بلبيس الى الشام ورافقني الحاج عبد الله بن
أبي بكر بن الفرحان التوزري ولم يزل في صحبتي سنين الى ان خرجنا من بلاد الهند قوفي
يسندابور وسنذكر ذلك فوصلنا الى مدينة غزنة ثم الى مدينة الخليل عليه السلام
وتكررت لنا زيارته ثم الى بيت المقدس ثم الى مدينة الرملة ثم الى مدينة عكا ثم الى مدينة
طرابلس ثم الى مدينة جبلة وزورنا ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه ثانية ثم الى مدينة
اللاذقية وقد تقدم لنا ذكر هذه البلاد كلها ومن اللاذقية ركبنا البحر في قرقورة كبيرة
لاجنوين يسمى صاحبها بمر تلمين وقصدنا بركة المعروف ببلاد الروم وانما نسبت
الى الروم لانها كانت بلادهم في القديم ومنها الروم الاقدمون واليونانية ثم استفتحها
المسلمون وبها الآن كثير من التصاري تحت ذمة المسلمين من التركمان وسرنا في البحر
عشر ابريج طيبة وأكرمنا النصيب ولم يأخذ منا نولا وفي العاشر وصلنا الى مدينة العالايا
وهي أول بلاد الروم وهذا الاقليم المعروف ببلاد الروم من أحسن أقاليم الدنيا وقد جمع
الله فيه ما تفرق من المحاسن في البلاد فله أجمل الناس صورا وأنظفهم ملابس وأطيبهم
مطاعم وأكثر خلق الله شفقة ولذلك يقال في البركة في الشام والشفقة في الروم والله اعنى
به أهل هذه البلاد وكنامتي نزلنا بهذه البلاد زاوية أودار ايتفقدا حوالا ناجية يراقمان
الرجال والنساء وهن لا يحتجبن فاذا سافرناعنهم ودعونا كأنهم أقاربنا وأهلنا وترى النساء
ياكيات اقرا قناتاً سفات ومن عادتهم بتلك البلاد ان يخبزوا الخبز في يوم واحد من الجمعة
يسدون فيه ما يقوتهم سائر هافكان رجا هم يأتون الينا بالخبز الحار في يوم خبز دومة الادام
للطيب اطرافا لنا بذلك ويقولون لسان النساء بمسثن هذا اليكم وهن يطلبن منكم الدعاء
بجميع أهل هذه البلاد على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه مقيم على السنة

لا قدرى فيهم ولا رافضي ولا معتزلى ولا خارجى ولا مبتدع وتلك فضيلة خصهم الله تعالى بها الا انهم يأكلون الخشيش ولا يعيرونك ومدينة العلايا التي ذكرناها كبيرة على ساحل البحر يسكنها التركمان وينزلها تجار مصر واسكندرية والشام وهي كثيرة الخشب ومنها يحمل الي اسكندرية ودمياط ويحمل منها الى سائر بلاد مصر ولها قلعة باعلاها محمية منيعة بناها السلطان المعظم علاء الدين الرومي ولقيت بهذه المدينة قاضيها جلال الدين الارزنجاني وصعد معي الي القاعة يوم الجمعة فصلينا بها وأضاني وأكرمني وأضافني أيضاً به شمس الدين بن الرحيماني الذي توفي أبوه علاء الدين بمالي من بلاد السودان

﴿ ذكر سلطان العلايا ﴾

وفي يوم السبت ركب معي القاضي جلال الدين وتوجهنا الى لقاء ملك العلايا وهو يوسف بك ومعني بك الملك ابن قرمان (بفتح القاف، الراء) ومسكنه على عشرة أميال من المدينة فوجدناه قاءاً على الساحل وحده فوق رابية هنالك والامراء والوزراء أسفل منه والجناد عن يمينه ويساره وهو مخضوب الشعر بالسواد فسلمت عليه وسألني عن مقدمي فاخبرته عمه سأل وانصرف عنه وبعث الي احسانا وسافرت من هنالك الى مدينة انطالية (وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان النون وفتح الطاء المهملة وألف ولا م مكسور وياء آخر الحروف) وأما التي بالشام فهي انطاكية على وزنها الا أن الكاف عوض عن اللام وهي من أحسن المدن متناهيّة في اتساع الساحة والضخامة أجل ما يري من البلاد وأكثره عمارة وأحسنه ترتيباً وكل ثروة من سكانها منفردة بأنفسها عن الفرقة الاخرى فتجار النصاري ما كثون منها بالموضع المعروف بالبناء وعليهم سور تسد أبوابه عليهم ليل او عند صلاة الجمعة والروم الذين كانوا أهلها قديماً ساكنون بموضع آخر من تردين به وعليهم أيضاً سور واليهود في موضع آخر وعليهم سور والملك وأهل دولته ومماليكه يسكنون ببلدة عليها أيضاً سور يحيط بها ويفرق بينها وبين ما ذكرناه من الفرق وسائر الناس من المسلمين يسكنون المدينة العظمى وبها مسجد جامع ومدرسة

وحمامات كثيرة وأسواق ضخمة مرتبة بإبداع ترتيب وعليلها سور عظيم يحيط بها وبجميع
المواضع التي ذكرناها وفيها البساتين الكثيرة والفواكه الطيبة والمنشمش العجيب
المسمى عندهم بقمر الدين وفي نواته لوز حلو وهو ببس ويحمل الي ديار مصر وهو بها
منتظر وفيها عيون الماء الطيب الملبب الشديد البرودة في أيام الصيف نزلنا من هذه
المدينة بمدرستهم وشيخها شهاب الدين الحموي ومن عادتهم أن يقرأ أجساعة من العبيان
بالاصوات الحسان بعد العصر من كل يوم في المسجد الجامع وفي المدرسة أيضاً سورة الفتح
وسورة الملك وسورة عم

﴿ ذكر الاخيه الفتيان ﴾

واحد الاخيه أخى على لفظ الاخ اذا أضافه المتكلم الى نفسه وهم بجميع البلاد التركمانية
الرومية في كل بلد ومدينة وقرية ولا يوجد في الدنيا مثابهم أشد احتئالا بالغرباء من الناس
واسرع الي اطعام الطعام وقضاء الحاج والاختذ على أيدي الظلمة وتتل الشرط ومن
لحق بهم من أهل الشر والاحى عندهم رجل يجتمع أهل صناعته وغيرهم من الشبان
الاعزاب والمتجردين ويندمونه على أنفسهم وتلك هي الفتوة أيضاً ويبنى زاوية ويحمل
فيها القروش والسرج وما يحتاج اليه من الآلات ويخدم أصحابه بالانهار في طاب معاشهم
ويأتون اليه بعد العصر بمسا يجتمع لهم فيشترون به الفواكه والطعام الى غير ذلك مما ينفق
في الزاوية فان ورد في ذلك اليوم مسافر على البلد أنزلوه عندهم وكان ذلك ضيافته لديهم ولا
يزال عندهم حتى ينصرف وان لم يردوا راجعواهم على طعامهم فأكلوا وغنوا
ورقصوا وانصرفوا الى صناعتهم بالغدوا وتوا بعد العصر الى مقدمهم بالاجتماع لهم
ويسمون بالفتيان ويسمى مقدمهم كذا كرنا الاخى ولم ارفى الدنيا أجمل افعالا منهم
ويشبههم في افعالهم أهل شيراز وأصفها! لأن هؤلاء أحب في الوارد والصادر وأعظم
أكراماله وشفقة عاين وفي الثاني من يوم وصولنا الى هذه المدينة أتى أحد هؤلاء الفتيان الى
الشيخ شهاب الدين الحموي وتكلم معه باللسان التركي ولم أكن يومئذ أفهمه وكان عليه
آثواب خلقة وعلى رأسه قلنسوة لبد فقال لي الشيخ أتعلم ما يقول هذا الرجل فقلت لا أعلم

ما قال فقال لي انه يدعوك الى ضيافته أنت وأصحابك فمجببت منه وقلت له نعم فلما انصرف قلت للشيخ هذا رجل ضعيف ولا قدرة له على تضييفنا ولا نريد ان نكلفه فضحك الشيخ وقال لي هذا أحد شيوخ الفتيان الاخية وهو من الخرازين وفيه كرم نفس وأصحابه نحو مائتين من أهل الصناعات قد قدموه على أنفسهم وبنوا زاوية بضيافة وما يجتمع لهم بالنهار انفقوه بالليل فلما صليت المغرب عاد الي ذلك الرجل وذهبنا معه الى زاويته فوجدناها زاوية حسنة مقروشة بالبسط الرومية الحسان وبها الكثير من ثريات الزحاج العراقي وفي المجلس خمسة من اليايسيس واليايسوس شبه المنارة من النحاس له أربع ثلاث وعلى رأسه شبه جلاس من النحاس وفي وسطه أبواب للفتيلة وبالأ من الشحم المذاب والى جانبه آنية نحاس ملاءة بالشحم وفيها مقراض لاصلاح الفتيان وأحدهم موكل بها ويسمى بندهم الحراجي (الجراغجي) وقد اصطف في المجلس جماعة من الشبان واباسهم الأقيية وفي أرجاءهم الأ خفاف وكل واحد منهم متحزم على وسمه سكين في طول ذراعين وعلى رؤسهم قلائس بيض من الصوف بأعلى كل قانسوة قطعة موصولة بها في طول ذراع وعرض اصبعين فاذا استقرهم المجلس نزع كل واحد منهم قانسوته ووضعها بين يديه وتبقى على رأسه قانسوة أخرى من الزرد خاني وسواء حسنة المنظر وفي وسط مجلسهم شبه مرتبة موضوعة لاواردين ولما استقر بنا المجلس عندهم أتوا بالعلماء الكثيرين والماكنة والحلواء ثم أخذوا في الغناء والرقص فراقنا حالهم طال عجبنا من سباحهم وكرم أنفسهم وانصرفنا عنهم آخر الليل وتركناهم بزاويتهم

﴿ ذكر سلطان انطاكية ﴾

وساطانها خضر بك ابن يونس بك وجدناه عند وصولنا اليها عاليا قد خلد عليه بداره وهو في قراس الارض فكلعنا بآلطف كلام وأحسنه وودعناه وبعث اليها بحسان وسافرنا الى بلدة بردور (وضبط اسمها بصم الباء الواحدة واسكان الراء وضم الدال المهدل وواو وراء) وهي بلدة غيرة كثيرة البساتين والأنهار ولها قلعة في رأس جبل شاهق نزلنا يدار خطيبها واجتمعت الاخية وأرادوا انزوانا عندهم فأبى عليهم الخطيب فصنعوا لنا

ضيافة في بستان لا حدهم وذهبوا بنا إليها فكان من العجائب اظهارهم السرور بنا والاستبشار والفرح وهم لا يعرفون لسائنا ونحن لا نعرف لسانهم ولا نرجحان فيما بيننا واقتناعدهم بوماء انصرفنا ثم سافرنا من هذه البلدة الى بلدة سبرتانا (وضبط اسمها بفتح السين المهمل والباء الموحدة واسكان الراء وفتح اثناء المعلو والفاء) وهي بلدة حسنة العمارة والاسواق كثيرة البساتين والآنهار لها قلعة في جبل شامخ وصانة اليها بالعشي ونزلنا عند قاضيهم وسافرنا منها الى مدينة أكر يدور (وضبط اسمها بفتح الهذزة وسكون الكاف وكسر الراء وياء مدودال مهمل مضوم وواو مدوراء) مدينة عظيمة كثيرة العمارة حسنة الاسواق ذات أنهار وأشجار وبساتين ولها بحيرة عذبة الماء يسافر انركب فيها يومين الى أقشهر وبقشهر وغيرهما من البلاد والقرى ونزلنا منها بمدرسة تقابل الجامع الأعظم به المدرس العالم الحاج المجاور الفاضل صاحب الدين قرأ بالديار المصرية والشام وسكن بالعراق وهو فصيح اللسان حسن البيان أطروقة من طرف الزمان أكرمنا غاية الاكرام وقام محققنا أحسن قيام

ذكر سلطان أكر يدور

وسلمناهم أبو اسحق بك ابن الدندار بك من كبار سلاطين تلك البلاد سكن ديار مصر أيام أبيه وحجج وله سير حسنة ومن عاداته انه يأتي كل يوم الى صلاة العصر بالمسجد الجامع فاذا قضيت صلاة العصر استند الى جدار القبلة وقعد للقراءة بين يديه على مصطبة خشب عالية فقرأ سورة الفتح والملك وعم بأصوات حسان فعالة في النفوس تخشع لها القلوب وتقشعر الجلود وتدمع العيون ثم ينصرف الى داره واظلنا عنده شهر رمضان فكان يقعد في كل ليلة منه على فراش لاصق بالارض من غير سرير ويستند الى مخدة كبيرة ويجلس الفقيه صاحب الدين الى جانبه وأجلس الى جانب الفقيه ويأينار باب دولته وأمره حضرته ثم يؤتي بالطعام فيكون أول ما يفتط عليه ثريد في صحفة صغيرة عليه العدى مسقي بالسمن والسكر ويقدمون الثريد تبركا ويقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم فضله على سائر الطعام فتحن بدا به لتفضيل النبي له ثم يؤتى بسائر الأطعمة وهكذا فعلهم في جميع ليالي رمضان

وتوفي بعض تلك الايام ولد السلطان فلم يزيدوا على بكاء الرحمة كما يفعله أهل مصر والشام
 خلا فلما قدمناه من فعل أهل اللور حين مات ولد سلطانهم فلما دفن أقام السلطان والطابة
 ثلاثة أيام يخرجون الى قبره بعد صلاة الصبح وفي ثاني يوم من دفنه خرجت مع الناس
 فرآني السلطان ماشياً على رجلي فبعث لي بفرس واعتذر فلما وصلت المدرسة بعثت الفرس
 فردته وتل انما أعطيته عطية لا عارية وبعث الى بكسوة ودرهم فانصرفنا الى مدينة قل
 حصار (وضبط اسمها بضم القاف واسكان اللام ثم جاءهم مل مكسور وصادمهممل
 وآخره واء) مدينة صغيرة فيها المياه من كل جانب قد نبت فيها القصب في الاطريق لها
 طريق كالجسر مهيأ ما بين القصب والمياه لا يسع الا فارساً واحداً والمدينة على تل في وسط
 المياه منيعة لا يقدر عليها ونزلنا بزاوية أحد الفتيان الأخية بها
 ﴿ ذكر سلطان قل حصار ﴾

وسلطها محمد جلي وجلي (بحجم معقود ولام مفتوحين وباء موحدة وياء) وتفسيره
 بلسان الروم سيدي وهو أخو السلطان أبي اسحق مالك أكر يدور ولما وصلنا بمدينة كان
 غائباً عنها فأقنابها أياماً ثم قدم فأكرمنا واركننا وزودنا وانصرفنا على طريق قرا أغاج
 وقرا (بفتح القاف) تفسيره أسود (وأغاج بفتح الهمزة والغين المعجم وآخره بحيم)
 تفسيره الخشب وهي صحراء خضرة يسكنها التركمان وبعث معنا السلطان فرسانا يبلغوننا
 الى مدينة لاذق بسبب ان هذه الصحراء تقطع الطريق فيها طائفة يتال لهم الجرميان يذكر
 انهم من ذرية يزيد بن معاوية ولهم مدينة يقال لها كوتاهية فعصمنا الله منهم ووصلنا الى
 مدينة لاذق (وهي بكسر الهمزة وفتح القاف) وتسمى أيضاً دون غزله وتفسيره
 بلد الخنازروهي من أبداع المدن وأضخمها فيها سبعة من المساجد لاقامة الجمعة ولها
 البساتين الرائقة والانهار المطردة والعيون المتبعة وأسواقها حسان وتصنع بها ثياب قطن
 معلومة بالذهب لا مثل لها تطول أعمارها لصحة قطنها وقوة غزله وهذه الثياب معروفة
 بالنسبة اليها وكثير الصنائع بها نساء الروم وبها من الروم كثير تحت الذمة وعليهم وظائف
 للسلطان من الجزية وسواها وعلامة الروم بها القلائس الطوال منها الحمر والبياض ونساء

الروم لمن عثم كبار وأهل هذه المدينة لا يغيرون المنكر بل كذا أهل هذا الاقليم كله
وهم يشتركون الخواري الروميات الحسان ويتركونهن للفساد وكل واحدة عليها وظيف
لما لكها تؤديه له وسمعت هنالك أن الجوارى يدخلن الحمام مع الرجال فمن أراد الفساد
قبل ذلك بالحمام من غير منكر عليه وذكر لي أن القاضي بهاله جوار على هذه الصورة
وعند دخوله المدينة صرنا بسوقها فزل الينار رجال من حوانيتهم وأخذوا بأعنة
خيلنا ونزعهم في ذلك رجل آخرون وطال بانهم اتزع حق سئل بعضهم السكاكين على
بعض ونحن لا نعلم ما يقولون فحفظنا منهم وظننا أنهم الجرميان الذين يقطعون الطارق وان
تلك مدينتهم وحسبنا أنهم يريدون نهينا ثم بعث الله لنا رجلا حاجا يعرف الله العربي
فسأله عن مرادهم منا فقال أنهم من ائمتين وازال الذين سبقوا إلينا أولاهم أصحاب الفتي
أخي سنان والآخرون أصحاب الفتي أخي طومان وكل طائفة ترغب أن يكون نزولكم
عندهم فمعجناهم من كرم نفوسهم ثم وقع بينهم الصاح على المقارعة فمن كانت قرعته نزلنا عنده
أولا فوقع قرع أخي سنان وباقه ذلك فأتى إلينا في جماعة من أصحابه فضاءوا علينا
ونزلنا بزاوية له وأتى بأنواع الطعام ثم ذهب بنا إلى الحمام ودخل معنا وتولى خدمتي
بتفسيه وتولى أصحابه خدمة أصحابي بخدمة ثلاثة والأربعة الواحد منهم ثم خرجنا من
الحمام فأتوا بطعام عظيم وحلواء وفاكهة كثيرة وبعثوا فراغ من الأكل قرأ القراء آيات
من الكتاب العزيز ثم أخذوا في السماع والرقص وأعدوا الملبأ نخبنا لما كان من
الغديمت في طابنا بالمشى فتوجهنا إليه وإلى والده كذا ذكره ثم عدنا إلى الزاوية فأتينا الأخي
طومان وأصحابه في انتظارنا فذهبوا بنا إلى زاوية بهم فبذلوا في الطعام والشراب
أصحابهم وزادوا عليهم أن صبوا علينا ماء الورد صبا بعد خروجننا من الحمام ثم مضوا
بنا إلى الزاوية ففعلوا أيضا من الاحتفال في الأظعمة والحلواء والفاكهة وقراءة القرآن بعد
الفراغ من الأكل ثم السماع والرقص كمثل ما فعله أصحابهم أو أحسن وأقنا عندهم
بالزاوية أياما

وهو السلطان ينتج بك (واسمه ياء آخر الحروف مفتوحة ثم نونين أو لاهم مفتوحة
والثانية مسكنة وجم) وهو من كبار سلاطين بلاد الروم ولما نزلنا بزاوية أحى سنان
كما قد قدمناه بمكة النبأ الواعظ المذكور العالم علاء الدين القسطنطوني واستصحب معه خيلا
بعددنا وذلك في شهر رمضان فتوجهنا إليه وسلمنا عليه ومن عادة ملوك هذه البلاد
التواضع للواردين ولين الكلام وقلة المعطاء فعلمنا معه المغرب وحضر طعامه فافطارنا عنده
وانصرفنا وبعث إلينا بدراهم ثم بعث إلينا ولده مراد بك وكان ساكننا في بستان خارج
المدينة وذلك في إبان الفاكهة وبعث أيضا خبلا على عددنا كما فعله أبوه فأتينا بستانه وأقنا
عنده تلك الليلة وكان له فقيه يترجم بيننا وبينه ثم انصرفنا غدوة وأظلمنا عيسد الفطر بهذه
البلدة فخرجنا إلى المعلى وخرج السلطان في عساكره والفتيان الأخية كلهم بالأسلحة
ولاهي كل صناعة الاعلام والبوقات والطبول والانفار وبسهم يقاخر بمضاويباهيه في
حسن الهيئة وكمال الشكوة ويخرج أهل كل صناعة معهم البقر والغنم وأحمال الخبز فيذبحون
البهائم بالمقابر ويتصدقون بها بالخبز ويكون خروجهم أولا إلى المقابر ومنها إلى المعلى ولما
صلىنا صلاة العيد دخلنا مع السلطان إلى منزله وحضر الطعام فجعل للفقهاء والمشايخ
والفتيان سماط على حدة وجعل للفقراء والمساكين سماط على حدة ولا يرد دلي بابه في
ذلك اليوم فقير ولا غني وأفنا بهذه البلدة مدة بسبب مخاف الطريق ثم هيأت رفقة فسافرنا
مهم يوموا بعض ليلة ووصلنا إلى حصن طواس واسمه (بفتح الطاء وتخفيف الواو
وأخر دسين مهمل) وهو حصن كبير ويذكر أن صهيبا صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورضي الله عنه من أهل هذا الحصن وكان ميّتا بخزير به ووصلنا بالغد إلى بابه
فسألنا أهله من أعلى السور عن مقدمنا فأخبرناهم وحينئذ خرج أمير الحصن إلياس بك في
عسكره ليختبر نواحي الحصن والطريق خوفا من اغارة السراق على الماشية فلم يطاقوا
بجهاته خرجت مواشيهم وهكذا فعلهم أبدا ونزلنا من هذا الحصن بربعة في زاوية
رجل فقير وبعث إلينا أمير الحصن بضيافة وزاد وسافرنا منه إلى مغلة (وضبط اسمه
بضم الميم واسكان الغين المسجوم وفتح اللام) ونزلنا بزاوية أحد المشايخ بها وكان من الكرماء

لفضلاء يكثر الدخول عليه بزوايته ولا يدخل الا بطعام أو فاكهة أو حلواء ولقينا بهذه البلدة
 إبراهيم بك ولد سلطان مدينة ميلاس وسند كره فاكر منا وكسانا ثم سافرتنا الى مدينة
 ميلاس (وضبط اسمها بكسر الميم وياء مدو آخره سين مهملة) وهي من أحسن بلاد
 الروم وأضخمها كثيرة الفواكه والبساتين والمياه نزلنا منها بزواية أحد الفتيان الاخية
 فعمل أضعاف ما فعله من قبله من الكرامة والضيافة ودخول الحمام وغير ذلك من حميد
 الافعال وجميل الاعمال واقينا بمدينة ميلاس رجالا صالحا معمر ايسمي بابي السشترى
 ذكروا ان عمره يزيد على مائة وخمسين سنة وله قوة وحرارة وعقله ثابت وذهنه جيد دعي
 لنا وحصلت لنا بركته

﴿ ذكر سلطان ميلاس ﴾

وهو السلطان المكرم شجاع الدين أرخان بك ابن المنشا (وضبط اسمه بضم الهـ مزنة
 واسكان الراء وخاء معجم وآخره نون) وهو من خيار الملوك حسن الصورة والسيرة
 جلساؤه الفقهاء وهم مظلومون لديه ويأبه منهم جماعة منهم الفقيه الخوارزمي عارف
 بالفنون فاضل وكان السلطان في أيام إقامته له واجدا عليه بسبب رحلته الى مدينة ياسلوق
 ووصوله الى سلطانها وقبول ما أعطاه فسأل منى هذا الفقيه أن أتكلم عند الملك في شأنه
 بما يذهب ما في خاطره فأنثيت عليه عند السلطان وذكرت ما علمته من علمه وفضله ولم
 أزل به حتى ذهب ما كان يحده عليه وأحسن اليه هذا السلطان وأركننا وزودنا وسكننا
 في مدينة برجين وهي قريبة من ميلاس بينهما ميلان (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة
 واسكان الراء وجيم وياء مدو آخره نون) وهي جديدة على تل هنالك بها العمارات
 الحسان والمساجد وكان قد بنى بها مسجدا جامعاً لم يتم بناؤه بعد وبهذه البلدة لقينا هـ ونزلنا
 منها بزواية الفتي أخى على ثم انصرفنا بعد ما أحسن الينا كما قدمناه الى مدينة قونية (وضبط
 اسمها بضم القاف وواو مدو نون مسكن كسور ويا آخر الحروف) مدينة عظيمة حسنة
 العمارة كثيرة المياه والأنهار والبساتين والفواكه وبها المشمش المسمي بقمر الدين وقد
 تقدم ذكره ويحمل منه أيضاً الى ديار مصر والشام وشوارعها متسعة جداً وأسسوا فيها

بديعة الترتيب وأهل كل صناعة على حدة وبقية قال ان هذه المدينة من بناء الاسكندروهي
 من بلاد السلطان بدر الدين بن قرمان وسند كره وقد تغلب عليها صاحب العراق في بعض
 الاوقات لقربها من بلاد التي بهذا الاقليم نزلنا منها بزواية قاضيها ويعرف بابن قلم شاد
 وهو من الفتيان وزاويته من اعظم الزوايا وله طائفة كبيرة من التلاميذ ولهم في الفتوة سند
 يصل الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولباسها عندهم السراويل كما
 تلبس الصوفية الخرقه وكان صنيع هذا القاضي في اكرامنا وضيافتنا أعظم من صنيع من
 قبله واجل وبعث ولده عوضا منه لدخول الحسام معنا وبهذه المدينة تربة الشيخ الامام
 الصالح القطب جلال الدين المعروف بمولانا وكان كبير القدر وبأرض الروم طائفة ينتمون
 اليه ويعرفون باسمه فيقال لهم الجلالية كما تعرف الاحمدية بالعراق والحيدرية بخراسان
 وعلى تربته زاوية عظيمة فيها الطعام للوارد والصادر ﴿حكاية﴾

يذكر انه كان في ابتداء أمره فقيها مدرسا يجتمع اليه الطلبة بدرسته بقونية فدخل يوما
 الى المدرسة رجل يبيع الحلواء وعلى رأسه طبق منها وهي مقطوعة قطعاً يبيع القطعة
 منها بفلس فلما أتى مجلس التدريس قال له الشيخ هات طبقك فأخذ الحلواني قطعة منه
 وأعطاهم للشيخ فأخذها الشيخ بهدوء وأكلها فخرج الحلواني ولم يطعم أحدا سوى الشيخ
 فخرج الشيخ في اتساعه وترك التدريس فأبطأ على الطالبة وطان انتظارهم لياه فخرجوا
 في طلبه فلم يعرفوا له مستقراً ثم انه عاد اليهم بعد أعوام وصار لا يتدق الا بالشعر الفارسي
 المتعاق الذي لا يفهم فكان الطلبة يتبعونه وبه تبين ما يصدر عنه من ذلك الشعر وألقوا
 منه كتابا سموه المتنوي وأهل تلك البلاد يظمون ذلك الكتاب ويعتبرون كلامه
 ويمامونه ويقرؤنه بزواياهم في ليالي الجمعات وفي هذه المدينة أيضاً قبر النقيه أحمد
 الذي يذكر انه كان معلم جلال الدين المذكور ثم سافرنا الى مدينة اللارنده وهي (بفتح
 الراء التي بعد الالف واللام واسكان التون وفتح الدال المهملة) مدينة حسنة كثيرة
 المياه والبساتين

﴿ذكر سلطان اللارنده﴾

وساطانها الملك بدر الدين بن قرمان (بفتح الالف والراء) وكانت قبله اشقيقه موسى
 فنزل عنها ثمانية اثناء وعوده عنها بعوض وبعث اليها اميرا وعسكرا ثم تغلب عليها
 السلطان بدر الدين ونفى بهادار مملكته واستقام امره بها ولقيت هذا السلطان خارج
 المدينة وهو عائد من تصيده فنزلت له عن دابق فنزل هو عن دابته وسلمت عليه وأقبل على
 ومن عادة ملوك هذه البلاد انه اذا نزل لهم الوارد عن دابته نزلوا له وأعجبهم فعليه وزادوا
 في اكرامه وان سلم عليهم راكب اساءهم ذلك ولم ير ضهم ويكون سببا لخرمان الوارد وقد
 جرى لي ذلك مع بعضهم وسأنا ذكره ولم اسلمت عليه وركب وركبت سألني عن حالي
 وعن مقدمي ودخلت معه المدينة فأمر بانزالي أحسن نزل وكان يبعث الطعام الكثير
 والفاكهة والخمير في طيافير الفضة والشمع وكساوا ركب واحسن ولم يطل مقامنا عنده
 وانصرفنا الى مدينة أفسس (وضبطها بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح الصاد المهمل
 والراء) وهي من أحسن بلاد الروم وأتمقتها تحف بها البيوت الجارية والبساتين من
 كل ناحية ويشق المدينة ثلاثة أنهار ويجري الماء بدورها وفيها الاشجار ودوالي العنب
 وداخلها بساتين كثيرة وتصنع بها البسط المنسوبة اليها من صوف الغنم لا مثل لها في بلد
 من البلاد ومنها تحمل الى الشام ومصر والعراق والهند والصين وبلاد الأتراك وهذه
 المدينة في طاعة ملك العراق ونزلنا منها بزواية الشريف حسين النائب بها عن الأمير
 أرتاوارتا هو النائب عن ملك العراق فيما تغلب عليه من بلاد الروم وهذا الشريف
 من الفتيان وله طائفة كثيرة وأكرمنا كرامتناها وفعلا أفعال من تقدمه ثم رحلنا
 الى مدينة نكدة (وضبط اسمها بفتح النون وكان الكاف ودال المهمل مفتوح)
 وهي من بلاد ملك العراق مدينة كبيرة كثيرة العمارة قد تخرب بعضها ويشقها النهر
 المعروف بالنهر الاسود وهو من كبار الأنهار عليه ثلاث قنطرة احداها بداخل المدينة
 وثنان بخارجها وعليه التواوير بالداخل والخارج منها تنقي البساتين والقواكبها كثيرة
 ونزلنا منها بزواية الفتي أخى جارق وهو الأمير بها فآكر منا على عادة الفتيان وأقنابها
 ثلاثا وسرنامها بعد ذلك الى مدينة قيسارية وهي من بلاد صاحب العراق وهي إحدى

المدن العظام بهذا الاقليم بها عسكر أهل العراق واحدي خواتين الامير علاء الدين ارتل
المذكور وهي من أكرم الخواتين وأفضلهن ولها نسبة من ملك العراق وتدعي أغا
(بفتح الهمزة والغين المعجم) ومعنى أغا الكبير وكل من بينه وبين السلطان نسبة يدعي
بذلك واسمها طغي خاتون ودخلنا إليها فقامت لنا وأحسنت السلام والكلام وأمرت
باحضار الطعام فأكلنا ولما انصرفنا بعثت لنا بفرس مسرج مائج وخلعة ودراهم مع أحد
غلمانها واعتذرت ونزلت من هذه المدينة بزاوية الفتي الأخي أمير على وهو أمير كبير من
كبار الاخوة بهذه البلاد وله طائفة تتبعه من وجوه المدينة وكبرائها وزاوية من أحسن
الزوايا فرشا وقناديل وطعاما كثيرا واتقانا والكبراء من أصحابه وغيرهم يجتمعون كل
ليلة عنده ويفعلون في كرامة الوارث أضاف ما يفعله سواهم ومن عوائد هذه البلاد انه
ما كان منها ليس به سلطان فالأخي هو الحاكم به وهو يركب الوارد ويكسوه ويحس اليه على
قدره وترتيبه في أمره ونهيه وركوبه ترتيب الملوك ثم سافرنا الى مدينة واس (وضبط
اسمها بكسر السين المهملة وياء مدوا آخره سين مهملة) وهي من بلاد ملك العراق
وأعظم ماله بهذا الاقليم من البلاد وبها منزل أمراء وعماله مدينة حسنة العمارة واسعة
الشوارع أسواقها غاصة بالناس وبها دار من المدارس تسمى دار السيادة لا ينزلها الا
الشرفاء ونفسيهم ساكن بها وتجرى لهم فيها مدة مقامهم الفرش والطعام والشمع وغيره
فيزدودون اذا انصرفوا ولما قدمنا الى هذه المدينة خرج الي ائتنا أصحاب الفتي أخي أحمد
بحقجي وبحقجي بالتركية السكينة وهذا منسوب اليه والحيان منه معقودان بينهما قاف وبأوم
مكسورة وكانوا جماعة منهم الركبان والمشاة ثم لقينا بدهم أصحاب الفتي أخي جلي
وهو من كبار الاخوة وطبقته أعلى من طبقة أخي بحقجي فطلبوا ان نزل عندهم فلم يمكن
لي ذلك اسبق الاولين ودخلنا المدينة معهم جميعا وهم يتفاخرون والذين سبقوا الينا قد
فرحوا أشد الفرح بنزولنا عندهم ثم كان من ضيعة في الطعام والحمام والمبيت مثل
ضيعة من تقدم وأقنعنا عندهم ثلاثة في أحسن ضيافة ثم أتانا القاضي وجماعة من الطلبة
ومعهم خيل الامير علاء الدين أرتنا نائب ملك العراق ببلاد الروم فركبنا اليه واستقبلنا

الامير الى دهليز داره فسلم علينا ورحب وكان فصيح اللسان بالعربية وسأني عن العراقيين
وأصهبان وشيراز وكرمان وعن السلطان آتاك و بلاد الشام ومصر وسلاطين التركمان
وكان مراده أن أشكر الكريم منهم واذم البخيل فلم أفعل ذلك بل شكرت الجميع فسر بذلك
مني وشكرني عليه ثم أحضر الطعام فأكلنا وقل تكون نور في ضيافتي فقال له الفتي أخي
جلبي انهم لم ينزلوا بعد براوتي فليكونوا عندي وضيافتك تصاهم فقال افعل فانتقمنا الى
زاويته وأقمنا هناك في ضيافته وفي ضيافة الامير ثم بعث الامير بفرس وكسوة ودراهم
وكتب لنوابه بالبلاد ان يضيّفونا ويكرمونا ويزودونا وسافرنا الى مدينة اماسية (وضبط
اسمها بفتح الهمزة والميم والف وصاد مهمل مكسور ويا آخر الحروف مفتوحة) مدينة
كبيرة حسنة ذات أنهار وبساتين وأشجار ونواكه كثيرة ودلى أنهارها النواعير تسقى
جنانها ودورها وهي فسيحة الشوارع والاسواق ومملكتها صاحب العراق وبقرّب منها
بلدة سونسي (وضبط اسمها بضم السين المهملة وواو مدونون مضمومة وسين مهملة
مفتوحة) وهي اصاحب العراق أيضاً وبها سكنى أولاد ولي الله تعالى أبي العباس أحمد
الرفاعي منهم الشيخ عز الدين وهو الآن شيخ الرواق وصاحب ساجدة الرفاعي واخوته
الشيخ علي والشيخ ابراهيم والشيخ يحيى أولاد الشيخ أحمد كوكبك ومعهما الصغير ابن
تاج الدين الرفاعي ونزنا براوتهم ورأينا لهم الضل على من سواهم ثم سافرنا الى مدينة
كمش (وضبط اسمها بضم الكاف وكسر الميم وشين معجم) وهي من بلاد ملك العراق
مدينة كبيرة عامرة يأتها التجار من العراق والشام وبها معادن النضة وعلى مسيرة يومين
منها جبال شاهجة وعرة لم أصل اليها ونزنا من براوتها اخي محمد الدين وأقاربها ثلاثا
في ضيافته وفعل أفعل من قبله وجاء اليه نائب الامير أرتاوبعث بضيافة وزاد وانصرفنا
على تلك البلاد فوصلنا الى أرزنجان (وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان الراء وفتح
الزاي وسكون النون وجيم والف ونون) وهي من بلاد صاحب العراق مدينة كبيرة
عامرة وأكثر سكانها الارمن والمسلمون يتكلمون بها بالتركية ولها أسواق حسنة
الترتيب ويصنع بها ثياب حسان تنسب اليها وفيها معادن النحاس ويصنعون منه الاواني

والبياسيس التي ذكرناها وهي شبه المنار عندنا ونزلنا منها بزواوية الفتي أخيه سالم الدين وهو من أحسن الزوايا وهو أيضاً من خيار الفتيان وكبارهم إضافةً أحسن ضيافته وانصرفنا إلى مدينة أربل لروم وهي من بلاد ملك العراق كبيرة الساحة خرب أكثرها بسبب فتنة وقعت بين طائفتين من الترك كانها أوشة ثلاثاً أنهار وفي أكثر دورها بساتين فيها الأشجار والدوالي ونزلنا منها بزواوية الفتي أخيه طومان وهو كبير السن يقال أنه أنف على مائة وثلاثين سنة ورأيت أنه يتصرف على قدميه متوكئاً على عصا ثلث يدهن مواضعاً للصلاة في أوقاتها لم تنكر من نفسه شيئاً إلا أنه لا يستطيع الصوم خدماً بنفسه في إعطائهم وخدمته أولاده في الحمام وأردنا أن نصرف عنه ثانياً يوم نزلنا فاشق بنا ذلك وأبى منه وقال إن فقامت تقصم حرمي وأمسأقل الضيافة ثلاث فأقتلديه ثلاثاً ثم انصرفنا إلى مدينة بركي (وضبط اسمها بيا) وخدمة مكسورة وكاف معقود مكسور بينهما را (كن) ووصلنا إليها بعد أن انصرفنا فلقينا رجلاً من أهلها فسالنا عن زواوية الأخي بها فقمنا أنا أدلكم عليها فاتبعنا فذهب بنا إلى منزل نقسافي يستأجر له فأنزلنا بأعلى سطح بيته ولاشجار مظلة وذلك أو أن الحرائش يدوأتني إلى أن أتت أرواحها كنه وأحسن في ضيافته وعاف دوابنا وبتنا عند ذلك الليلة وكان قد تمرفتنا من المدينة مدرسة فاستأجرنا بحسبي بحسبي الدين فأبى فذلك الرجل الذي بتنا عنده وكان من الطلبة إلى المدرسة وإذا لم يدرس قد أقبل راكداً على بغلة فارحة ومعه أيك واحد من جانيه والطلبة بين يديه وعليه ثياب مفرجة حسان مخرزة بالذهب فسامعنا عليه فرح بنا وأحسن السلام والكلام وأمسأث بيدي وأجاسني إلى جانبهم ثم جاء القاضي عن الدين فرشقه وبنى فرشتي الملك القرب بذلك لدينه وعفاه وفضلته فتمت عن يمين المدرس وأخذ في تدريس العلوم الأصلية وافرغ من سفره من ذلك أتى دويراً بالمدرسة فأمر بفرشها وأنزلني فيها وبيت ضيافة حافلة ثم وجهنا إلى الجانب المغرب فخطبت إليه فوجدته في مجلس بيستان له وهناك صهر بج ماء بخدر إليه النساء من حمة رخام أيضاً يدور بها القاشاني وبين يديه جملة من الطلبة ومعه أيك وخدمته وقوف

عن جانيبه وهو قاعد على مرتبة عليها أقماع منقوشة حسنة نخلته لها شاهدته ملكا من
الملوك فقام الي واستقبلني وأخذ يدي وأجلسني الى جانبه على مرتبة وأتي بالطعام فأكلنا
وانصرفنا الى المدرسة وذكر لي بعض الطالبة ن جميع من حضر تلك الليلة من الطلبة عند
المدرس فعادتهم الحضور اطامه كل ليلة وكتب هذا المدرس الى السلطان بخبرنا وأثنى في
كتاباه والسلطان في جبل هنالك يصيف فيه لاجل شدة الحر وذلك الجبل بارد وعادته ان
يصيف فيه

ذكر سلطان بركي

وهو السلطان محمد بن آيدى من خيار السلاطين وكرماتهم وفضلاهم ولما بعث اليه المدرس
يعلمه بخبري وجهه نائبه لي لانيه فأشار على المدرس ان أقسم حتى يبعث عنى ثانية وكان
المدرس اذ ذاك قد خرجت برجله قرحة لا يستطيع الركوب بسببها وانقطع عن المدرسة
ثم ان السلطان بعث في طلبى ثانية فشقي ذلك على المدرس فقال انما لا أستطيع الركوب ومن
عمرضى التوجه معك لا فربلى السلطان ما يجب انك ثم انه تحامل وام على رجلاه خرقا
وركب ولم يضع رجلاه في الركاب وزكبت انا واصحابي وصعدنا الى الجبل في طريق قد
عنت و... و... و... الى موضع ان السلطان عند الزوال نزلنا على نهر ماء تحت ظلال
شجر الجوز وصعدنا السلطان في قاق وشغلنا بسبب فرار ابنته الا... فرسلنا عنه الى
... السلطان ارخان... فلما بلغه خبر ووصونا بعث اليه خضر بك وعمر بك فسلما
على العميقه وامرهما بالسلام على فقه... الا ذلك وسألاني عن حالى ومقدمى وانصرفا وبعث
خى بيتى... مى عند عم الخرقه (شركاء) وهرعنى من الخشب تجمع شبه القبة وتجعل
عليها اللبود ويفتح أعلاه لدخول الضوء والريح مثل الباء هنج ويسد متى احتيج الى سده
وأثواب الفرش ففرشوه وقعد الفقيه وقعدت معه واصحابه واصحابي خارج البيت تحت
ظلال شجر الجوز وذلك الموضع شديد البرد وماتلى تلك الليلة فرس من شدة البرد ولما
كان من الفسدر كى المدرس الى السلطان وتكلم في شأني بما اقتضته فضائله ثم طأ الى

عليه وقعد الفقيه عن عيئنه وأنا ممسايي النقيه فسألني عن حالي ومقدمي وسألني عن الحجاز
ومصر والشام واليمن والرافين وبلاد الاعاجم ثم حضر الطعام فأكلنا وانصرفنا وبعث
الارزو الدقيق والسمن في كروش الاغنام وكذلك فعل الترك وأقنعنا على تلك الحال أياما
يبعث الينا في كل يوم فتحضر طعامه وأتي يوما لينا بعد الظهر وقعد الفقيه في صدر المجلس وأنا
عن يساره وقعد السلطان عن يمين الفقيه وذلك لئلا يفتنه عن ترك وطالب مني ان
أكتب له أحاديث من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبتها له وعرضها الفقيه عليه
في تلك الساعة فأمره ان يكتب له شرحها باللسان التركي ثم قام فخرج ورأى الخدام يطبخون
تسا الطعام تحت ظلال الجوز بغير أبار ولا خضر فامر بعقاب صاحب خزائنه ويبعث
بالأبزار والسمن وطالت اقامته بذلك الحيل قادر كفى الملل وأردت الانصراف وكان
الفقيه أيضا قد مل من المقام هنالك فبعث الى السلطان يخبره اني أريد السفر فلما كان من
الغد بعث السلطان نائبه فتكلم مع المدرس بالتركية ولم أكن اذذاك أفهمها فاجابه عن كلامه
وانصرف فقال لي المدرس أتدري ماذا قال قلت لا أعرف ما قال قال ان السلطان بعث الي
ليسألني ماذا يعطيك فقلت له عنده الذهب والنضة والحيل والعيد فليده طه ما أحب من ذلك
فذهب الى السلطان ثم عاد الينا فقال ان السلطان يأمر ان تقيمنا اليوم وتزلا معه غد الي
دار بالمدينة فلما كان من الغد بعث فرسا جيدا من مراكبه ونزل ونحن معه الى المدينة
فخرج الناس لاستقباله وفيهم القاضي المذكور آنفا وسواهم ودخل السلطان ونحن معه
فلما نزل بباب دار ذهبت مع المدرس الي ناحية المدرسة فدعانا وأمرنا بالدخول معه الي
داره فلما وصلنا الي دهليز الدار وجدنا من خدامه نحو عشرين صورا هم قاتقة الحسن
ثم أعياهم ثياب الحرير وشعورهم مفروقة مرسلات وألوانهم ساطعة البياض مشربة بخمرة
ثم فقلت للفقيه ما هذه الصور الحسن فقال هؤلاء عتيان روميون وصعدنا مع السلطان درجا
كثيرة الى ان انتهينا الى مجلس حسن في وسطه صهريج ماء وعلى كل ركن من أركانه صورة
سبعة من نوحاء بمحماء فيه تده هذا المجلس مصاطب متعاقبة متعاقبة

للمدعيه عن يمينه والقاضي ممالي الفقيه وأنا ممالي القاضي وقد لقرأ أسفل المصطبة
والقراء لا يقرقونه حيث كان من مجالسه ثم جاؤا بصحاف من الذهب والفضة مملوءة
بالجلاجل المحلول فدعصر فيه ماء الليمون وجعل فيه كمكات صغار مملوءة وفيها ملاعق
ذهب وفضة و جاؤا معها بصحاف صيني فيها مثل ذلك وفيها ملاعق خشب فمن توزع
أستعمل صحاف الصيني وملاعق الخشب وتكلمت بشكر السلطان وأتيت على الفقيه
وبالغت في ذلك فأعجب ذلك السلطان وسره

﴿حكاية﴾

وفي أثناء قعودنا مع السلطان أتى شيخ نبي رأسه عمامة لها ذؤابة فلم عليه وقام له القاضي
والفقيه وقعدا أمام السلطان فوق المصطبة والقراء أسفل منه فقلت للمدعيه من هذا الشيخ
فجئت بك وسكت ثم أعدت السؤال فقال لي هذا يهودي طيب وكلنا محتاج اليه فلاجل هذا
فما لنا ما رأيت من القيام له فأخذني ما حباث وقسم من الامتناع فقلت لاي يهودي يا مدعيون
أبني لمعون كيف تجلس فوق قراء القرآن وأنت يهودي وشتمته ورفعت صوته فمجب
السلطان وسأل عن مدعي كلامي فأخبره الفقيه به ونضب اليهودي فخرج عن المجلس
فأسوا حال ولما انصرفنا قال لي الفقيه أحسنت بارك الله فيك ان احدا سواك لا يجلس
على مخاطبته بذلك واقدره بنفسه

﴿حكاية أخرى﴾

وسألني السلطان في هذا المجلس فقال لي هل رأيت قط حجرا نزل من السماء فقد
ما رأيت ذلك ولا سمعت به فقال لي انه قد نزل بخسارج بلدنا هذا حجرا من السماء ثم
يسالوا أمرهم أن يأتوا بالحجر فأتوا بالحجر أسود أصم شديد الصلابة له بريق قدرت أن
تنته تبلغ قطار أو أمر السلطان باحضار القطاعين فحضر أربعة منهم فأمرهم أن يقطعوا
تقصروا عليه ضربة رجل واحد أربع مرات بمطارق الحديد فلم يؤثروا فيه شيئا ف
من أمرهم وأمر برده الى حيث كان وفي ثالث يوم من دخولنا الى المدينة مع السلطان ص
تأكلت من الماء المشاخر وأعان المسكر ووجوا أهل المدينة فطعموا ووق

الولاء والسمع في كل ليلة ثم بعث الى مائة مثقال ذهباً و ألف درهم وكسوة كاملة و فرساً
و مملوكاً و رومياً يسمي ميخائيل و بعث لكل من أصحابي كسوة و نراهم كل هذا بمشاركة
المدرس محيي الدين جزاء الله تعالى خيرار و دغنا و انصرتنا و كانت مدة مقامنا عنده
بالجبل و المدينة أربعة عشر يوماً ثم قصدنا مدينة تيرة وهي من بلاد هذا السلطان (وضبط
اسمها بكسر التاء المملوءة و ياء مدورا) مدينة حنة ذات أنهار و بساتين و قواكه نزلنا منها
بزاوية الفتى أخى محروم و من كبار الصالحين صائم الدهر وله أصحاب على طريقته فاضافنا
و عالت و سرنا الى مدينة أيا لوق (وضبط اسمها بفتح الهمزة و الياء آخر الحروف
و بين مهملة مضموم و لام مضموم و آخره قاف) مدينة كبيرة قديمة معظمة عند الروم
و فيها كنيسة كبيرة مبنية بالحجارة الضخمة و يكون طول الحجر منها عشرة أذرع فها
دونها منجوتة أبدع نحت و المسجد الجامع بهذه المدينة من أبدع مساجد الدنيا لا نظير له في
الحسن و كان كنيسة نروم معظمة عندهم يقصدونها من البلاد فلما فتحت هذه المدينة
جمعها المسلمون مسجداً جاء او حيطانه من الرخام الملون و فرشته الرخام الأبيض و هو
مسقف بالرصاص و فيه احدى عشرة قبة متنوعة في وسط كل قبة صهر بج ماء و النهر يشقه
و عن جانبي النهر الاشجار المختلطة الاجناس و دوالي العنب و معرشات الياسمين وله خمسة
عشر باباً و أمير هذه المدينة خضر بك ابن السلطان محمد بن آدين و قد كنت رأيته عندما يه
بيركي ثم اقيته بهذه المدينة خارجها فقامت عنده و اناراك ففكره ذلك منى و كان سبب
حرمانى لديه فان عادتهم اذا نزل لهم الوارد نزلوا و أعجبهم ذلك و لم يبعث الى الاثواب و احدا
من الحرير المذهب يسمونه انخ (بفتح النون و خاء معجم) و اشتريت بهذه المدينة جارية
رومية بكر اباً ربين دينار اذهباً ثم سرنا الى مدينة يزмир (وضبط اسمها ياء آخر الحروف
مفتوحة و زاي مسكن و ميم مكسورة و ياء مدورا) مدينة كبيرة على ساحل البحر
معظمها خراب و لها قلعة متصلة بأعلاها نزلنا منها بزاوية الشيخ يعقوب و هو من
الاحمدية صالح فاضل و لقينا بخارجها الشيخ عز الدين بن أحمد الرفاعي و معه زاده
الاخلاطي من كبار المشايخ و معه مائة فقير من المولدين و قد ضرب لهم الامير الاخوية و صنع

لهم الشيخ يعقوب ضيافة وحضرتها واجتمعت بهم وأمر هذه المدينة عمر بك ابن السلطان
 محمد بن آدمين المذكور آنفاً وسكناه بقلعتها وكان حين قدومه ناعليها عند أبيه ثم قدم بعد
 خمس من نزولنا بها فكان من مكارمها أني إلى بالزاوية فسلم علي واعتذرو بيث ضيافة لم
 عظيمة وأعطاني بمد ذلك مملوكا ورميا خاسيا اسمه نقوله وثوبين من الكمخا وهي ثياب
 حرير تصنع ببغداد وتبريز ونيسابور والعيون وذكر لي الفقيه الذي يؤم به أن الأمير لم يبق
 له مملوك سوى ذلك المملوك الذي أعطاني بسبب كرمه رحمه الله وأعطاني أيضا للشيخ عز
 الدين ثلاثة أفراس مجهزة وآنية فضة كبيرة تسمى عندهم المشربة مملوءة دراهم وثيابا من
 المنف والمر عزو القديسي والكمخا وحواري وغامانا وكان هذا الأمير كريما صالحا
 كثير الجهاد له أجنان غزوية يضرب بها على نواحي القسطنطينية العظمى فيسي ويغنم
 ويفي ذلك كرم ما وجودا ثم يعود إلى الجهاد إلى أن اشتدت على الروم وطأنه فرفضوا
 نصرهم إلى البابا فأمر نصاري جنوة وافرانسة بغزوه فغزوه وجهاز جيشا من رومية
 وطرقوا مدينته ليلًا في عدد كثير من الأجنان وملكوا المرسى والمدينة وزل إليهم
 الأمير عمر من القلعة فقاتلهم فاستشهد هو وجماعة من ناسه واستقر انتصاره بالبلد ولم
 تتركوا على القلعة لمنعها ثم سافروا من هذه المدينة إلى مدينة مقيسية (وضبط اسمها
 حة وغين معجمة مسكنة ونون مكسورة ويا مدوسين مهملة مكسورة وياء آخر
 ة) نزائبا عشي يوم عرفة زاوية رجل من الفتيان وهي مدينة كبيرة
 سيطها كثير الأنهار والعيون والبساتين والفواكه

ذكر سلطان مقيسية

ولما وصلنا إلى هذه البلدة وجدناه بترية ولده وكان قد توفي
 ليلة العيد وصيحتها بترية ولده ولد قد صبر وجعل في تابوت
 روعلق في قبة لاسقف لها الآن تذهب رائحته وحينئذ
 ماهر أعلى وجه الأرض وتجل ثيابه عليه وهكذا رأيت غيره
 ما ناعليه بذلك الموضع وصلينا معه صلاة العيد وعدنا إلى الزاوية

فأخذ الغلام الذي كان إلى أفراسنا وتوجه مع غلام أبهض الأصحاب برسم سقيها فأبطأ ثم لما كان العشي لم يظهر لهم آثار وكان بهذه المدينة الفقيه المدرس الفاضل مصاح الدين فركب معي إلى السلطان وأعلمناه بذلك فبعث في طلبهما فلم يوجدوا اشتغل الناس في عيدهم وقصد أم مدينة الكفار على ساحل البحر تسمى فوجعة على مسيرة يوم من مغنيسية وهؤلاء الكفار في بلد حصين وهم يعشون هدية في كل سنة إلى سلطان مغنيسية فيقنع منهم بها لحصانة بلدهم فلما كان بعد الظهر أتى بها بعض الأتراك وبالأفراس وذكروا أنهم اجتاز بهم عشية النهار فأنكروا أمرهم واشتدوا عليهم حتى أقرباء أعزما عليه من الفرار ثم سافروا من مغنيسية وبتنا ليلة عند قوم من التركمان قد نزلوا في مرعى لهم ولم نجد عندهم ما تعلمدوا بنا ملك الليلة وبات أصحابنا يحتسون مداولة بينهم خوف السرقة فأنت نوبة الفقيه عفيف الدين التوزري فسمعتهم يقرأون سورة البقرة فقلت له إذا أردت النوم فاعام في لا نظار من يحترس ثم نمت فـ أيقظني أنا صباح وقد ذهب السراق بقرس إلى كان يركبه عفيف الدين بسرجه ولجاء وكان من جيد الخيل اثنتيئة باياسلوق ثم رحلنا من الغد فوصلنا إلى مدينة برغمة وضبط اسمها بياء واحدة مفتوحة وراء مسكنة وغين معجمة مفتوحة وميم مفتوحة) مدينة خربة لها إقامة عظيمة مدينة باعلى جبل ويقال إن أنلاطون الحكيم من أهل هذه المدينة ودارد تشتهر باسمه إلى الآن ونزلنا منها بزاوية فقير من الأحمدية ثم جاء أحد كبار المدينة فقمنا إلى داردوا كرمنا كراما كثيراً

﴿ ذكر سلطان برغمة ﴾

وسلطانهما يسمى بخشي خان بكسر الشين وخان عندهم هو السلطان ومخشي (بياء آخر الحروف وخاء معجم وشين معجم مكسور) ومعناه جيد صادق فنادى مصيف له فأعلم بقدومنا فبث بضيفة وثوب قدسى ثم أكرتينا من يدنا على الطريق وصرنا في جبال شامخة وعرة إلى أن وصلنا إلى مدينة لي كسرى (وضبط اسمها بياء واحدة مفتوحة ولا م مكسور وباء مدوكاف مفتوح وسين مهمل مسكن وراء مكسور وباء) مدينة حسنة

كثيرة العمارات مليحة الاسواق ولا جامع لها يجمع فيه وأرادوا بناء جامع خارجها متصل بها فبنوا حيطانها ونجحوا الهسف فادوا واوصلون به ويجمعون تحت ظلال الاشجار ويزلن من هذه المدينة بزواوية الفتى أخى سنان وهو من أقاضهم وأتى النا قاضيه وخطبها
 مقيه موسى

ذكر سلطان بلى كسرى

ويسمى دمور خان ولا سرفيه وأبوه هو الذي في هذه المدينة وكثرت عمارتها من لا خير
 في مدة ابنه هذا والناس على دين الملك ورأيت به وبعت إلى ثوب حرير واشترت هذه
 المدينة جارية رومية تسمى مرغايطة ثم سرنالي مدينة برصي (وضبط اسمها بضم
 الباء الموحدة واسكان الراء ونجح الساد المهمل) مدينة كبيرة عظيمة حسنة الاسواق
 فسيحة الشوارع تحفها البساتين من جميع جهاتها والعيون الجارية وبخارجها نهر شديد
 الحرارة يصب في بركة عظيمة وقبني عليها بيتان أحدهما للرجال والآخر للنساء
 والمرضى يستشفون بهذه الحمة . يأتون إليها من أقاصي البلاد وهالك زاوية للواردين
 يزلون بها ويطعمون مدة مقامهم وهي ثلاثة أيام عمر هذه الزاوية أحدهم ملوك التركان
 ويزلن في هذه المدينة بزواوية الفتى أخى شمس الدين من كبار التتايان ووافقتا عند يوم
 عاشوراء فصنع طعاما كثيرا ودعوا جوهاله بكر وأهل المدينة أيملا وأفطروا عندهم قرأ
 الفقراء بالصلاة الحسنة وحضر المقيه الواعظ محمد الدين القنوي ووعظ وذكر
 وأحسن ثم أخذوا في السماع والرقص وكانت ليلة عظيمة الشأن وهذا الواعظ من
 الصالحين يوم الدهر ولا ينفطر الا في كل ثلاثة أيام ولا يأكل الا من كميته ويقال انه لم
 يأكل طعاما أحدا قط ولا منزل له ولا متاع الا ما يسهل تتر به ولا ينام الا في المنبرة ويعظ في
 المجالس ويذكر فيتوب على يديه في كل مجلس الجماعة من الناس طلبته بهذه الليلة
 فلم أجده وأتيت الحيانة فلم أجده ووقال انه يأتيا بمدهجوع الناس
 (حكاية)
 لما حضر الليلة عاشوراء بزواوية شمس الدين وعظ بها محمد الدين من آخر الليل فصاح
 أحد الفقراء صيحة غشي عليه منها فصبوا عليه ماء الورد فلم ينفق فأعادوا عليه ذلك فلم ينفق

واختلفت الناس فيه فمن قائل انه ميت ومن قائل انه مغشى عليه وأتم الواعظ كلامه وقرأ
القرء وصلينا الصبح وطلعت الشمس فاخبروا حال الرجل فوجدوه فارق الدنيا رحمه
الله فاشتغلوا بنفسه وتكف به وكنت فيمن حضر الصلاة عليه ودفعه وكان هذا الفقير يسمي
الصباح وذكروا انه كان يمد يدها هناك في جبل فمضى علم ان الواعظ بحمد الدين يعظ
قصده وحضروا وعظه ولم يأت كل طامع أحد فاذا وعظ بحمد الدين يصيح وينشي غايه ثم
يفيق فيتوضأ ويصلي ركعتين ثم اذا سمع الواعظ صاح بفعل ذلك سرار في الميلة وسمى
الصباح لاجل ذلك وكان أعذر اليد والرجل لاقدرة له على الخدمة وكانت له
والدة تقوته من غزاهما فلما نوفيت اقتات من نبات الارض ولقيت بهذه المدينة الشيخ
الصالح عبد الله المصري الساخ وهو من الصالحين جال الارض الا انه لم بدخل الصين
ولا جزيرة سرنديب ولا المغرب لا الاندلس ولا بلاد السودان وقد زدت عليه بدخول
هذه الاقاليم

ذكر سلطان برصي

وساخطاهم اختيار الدين أرخان بك وأرخان (يضم الهمزة وخاء معجم) ابن السلطان
عثمان جوق (وجوق بهم معمود مضموم وآخره قاف) وتفسيره بالتركية الصغير وهذا
السلطان أكبر ملوك الترك وأكثرهم مالا وبلاداً وعسكراً له من الحصون ما يقارب
مائة حصن وهو في أكثر أوقاته لا يزال يطير في عليهم اويقم بكل حصن منها أياماً لاصلاح
شؤنه وتفقد حاله ويقال انه لم يقم قط شهراً كاملاً ببلده يقاتل الكفار ويحاصرهم ووالده
هو الذي استفتح مدينة برصي من أيدي الروم بقبره بمسجدها وكان مسجدها كنيسة
للتصاري ويذكر انه حاصر مدينة يرتيك نحو عشرين سنة ومات قبل فتحها فحاصرها
ولده هذا الذي ذكرناه فنتي عشرة سنة وافتتحها وبها كان لقائي له وبمثالي بدراهم
كثيرة ثم سافرنا الى مدينة يزنيك (وضبط اسمها بفتح الياء آخر الحروف واسكان
الزاي وكسر النون وياء مدوكاف) وبتنا قبل الوصول اليها ليلة بقرية تدعي كركة زاوية
فمن الاخيه ثم سافرنا من هذه القرية يوماً كاملاً في أنهار ماء على جوانبها أشجار الرمان

الحلو والخامض ثم وصلنا إلى بحيرة ماء تثبت القصب على ثمانية أميال من زنيك لا استطاع
دخولها الأعلى طريق واحد مثل الجسر لا يسلك عليها إلا فارس واحد وبذلك امتنعت
هذه المدينة والبحيرة بحيطه بهامن جميع الجهات وهي خاوية على عروشها لا يسكن بها
الأناس قليلون من خدام السلطان وبها زوجه يملون خاتون وهي الحاكمة عليهم امرأة
صالحة فاضلة وعلى المدينة أسوار أربعة بين كل سورين حندق وفيه الماء ويدخل إليها
على جسور خشب متى أرادوا رفعها رفعوها وبداخل المدينة البساتين والدور والأرض
والمنار عفا كل انسان داره ومزرعته وبستانه مجموعة وشربها من آبائها قريبة وبها من
جميع أصناف الفواكه والجوز والقسطل عندهم كثير جداً رخيص الثمن ويسون
القسطل قسطنطينون والجوز القوز بالقاف وبها القصب العذاري لم أر مثله في سواها متاهي
الحلاوة عظيم الجرم صافي اللون رقيق القشر للحبة منه نواة واحدة أنزلنا هذه المدينة الفقيه
الامام الحاج المجاور علاء الدين السلطانيوكي وهو من الفضلاء الكرماء ماجئت قط إلى
زيارته إلا أحضر الطعام وصورة حسنة وسيرته أحسن وتوجه بي إلى الخاتون المذكورة
فاكرمت وأضافت وأحسنّت وبعد قدومنا إلى هذه المدينة السلطان أرخان بك
الذي ذكرناه أقمت بهذه المدينة نحو أربعين يوماً بسبب مرض فرس لي فلما طال على
المكث تركته وانصرفت ومعي ثلاثة من أصحابي وجارية وغلامان وايسر منّا من يحسن
اللسان التركي ويترجم عنا وكان لنا ترجمان فارسي هذه المدينة ثم خرجنا منها فبقينا بقية
يقال لها مكجا (بفتح الميم والكاف والجيم) بتنا عند فقيه بها أكرمنا وأضافنا
وسافرنا من عندهم وتقدمتنا امرأة من الترك على فرس ومعهما خديم لها وهي قاصدة مدينة
ينجا ونحن في اتباع أثرها فوصلت إلى واد كبير يقال له سقري كأنه نسب إلى سقر أعاذنا الله
منها فذهبت تجوز الوادي فلما توسطته كادت الدابة تفرق بهما ورمتها عن ظهرها وأراد
الخديم الذي كان معها استخلاصها فذهب الوادي بهما معاً وكان في عنوة الوادي قوم
وموا بانفسهم في أثرهما سباحة فخرجوا المرأة وبها من الحيات رملق ووجسداً والرجل قد
قضى نحبهم رحمة الله وأخبرنا أولئك الناس أن المدينة أسفل من ذلك الموضع فتوجهنا إليها

وهي أربع خشبات مربوطة بالحبال يجعلون عليها سروج الدواب والمتاع ويجذبها الرجال
من العدو والآخرى ويركب عليها الناس وتجاز الدواب سباحة وكذلك فعلنا وصلنا
تلك الليلة إلى كاوية واسمها على مثال فاعلة من الكي نزلنا منها زاوية أحد الأخوة فكلما
بالعربية فلم يفهم عنا وكلمنا بالتركية فلم يفهم عنه فقال أطابو الفقيه فانه يعرف العربية فأني
الفقيه فكلما بالفارسية وكلمنا بالعربية فلم يفهمها منا فقال للفتى إيشان عربي كهنا ميتوان
(ميكويند) ومن عربي نوميدانم وإيشان معناه هؤلاء وكهنا قديم وميقو ان يقولون
ومن أنا ونوجديدو ويدانم تعرف وانما أراد الفقيه بهذا الكلام ستر نفسه عن الفضيحة
حين ظنوا انه يعرف اللسان العربي وهو لا يعرفه فقال لهم هؤلاء يتكلمون بالكلام العربي
القديم وأنا لا أعرف الا العربي الجديد فظن الفتى ان الامر على ما قاله الفقيه ونفعنا ذلك
عنده وبالغ في اكرامنا وقال هؤلاء يجب كرامتهم لانهم يتكلمون باللسان العربي القديم وهو
لسان النبي صلى الله عليه وسلم تسليما وأصحابه ولم يفهم كلام الفقيه اذ كان لكتني حفظت لفظه
فلما تعلمت اللسان الفارسي فهمت مراده وبقينا تلك الليلة بالزاوية وبعث معننا ليلا إلى ينجيا
وضبط اسمها (بفتح الياء آخر الحروف وكسر النون وجيم) بلدة كبيرة حسنة بمحنتنا
بها عن زاوية الأخي فوجدنا أحد الفقراء الموهين فقات له هذه زاوية الأخي فقال لي نعم
فسررت عند ذلك اذ وجدت من يفهم اللسان العربي فلما اختبرته أبرز الغيب انه لا يعرف
من اللسان العربي الا كلمة نعم خاصة ونزلنا بالزاوية وجاء اليها أحد الطلبة بطعام وام يكن
الأخي حاضر أو حصل الانس بهذا الطالب ولم يكن يعرف اللسان العربي امكنه تفضل
وتكلم مع نائب البلدة فأعطاني فارساً من أصحابه وتوجه معنالي كينون (وضبط
اسمها بفتح الكاف وسكون الباء وضم النون) وهي بلدة صالحة يسكنها كفار الروم
تخبر دمة المسلمين وليس بها غير بيت واحد من المسلمين وهم الحكام عليهم وهي من بلاد
السلطان أرخان بك فنزلنا بدار عجوز كافرة وذلك إبان التاج والشتاء فأحسننا إليها وبقينا
عند هاتلك الليلة وهذه البلدة لا شجر بها ولا دوا إلى العنب ولا يزرع بها إلى الزعفران
وأنتنا هذه المعجوز بزعفران كثير وظننت أننا نجار نشتره منها ولما كان الصباح ركبنا وأتانا

الفارس الذي بعثه الفقي معاً من كايوة فبعثه منافراً ساعياً غير ملي وصلنا إلى مدينة مطرني وقد
 وقع في تلك الليلة ثلج كثير عفي الطريق فتقدمنا ذلك الفارس فاتبعتنا أثره إلى أن وصلنا في
 نصف النهار إلى قرية لا تركان فأجابناهم فأكلنا مناهم وكلمهم ذلك الفارس فركب معنا أحدهم
 وسلك بنا أو عار أو جبالاً وحرى ماء تكرر لنا جوازاً أزيد من الثلاثين مرة فلما خاضنا
 من ذلك قال لنا ذلك الفارس أعطوني شيئاً من الدارهم فقلنا له إذا وصلنا إلى المدينة نعطيكم
 ونرضيكم فلم يرض ذلك مناؤه لم ينعهم عذافاً عند قوساً لبعض أصحابي ومضي غير بعيد ثم
 رجع فرد إلينا القوس فأعطيته شيئاً من الدراهم فأخذها وهرب عنا وتركنا لا نعرف أين
 قصد ولا طريق يظهر لنا فكنا نلتمح أثر الطريق تحت الثلج ونسلكه إلى أن بلغنا عند
 غروب الشمس إلى جبل يظهر المربى به لكثرة الحجارة تحفت المراكب على نفسي ومن
 معي وتوقعت نزول الثلج إيلاء لا عمارة هناك فإن نزلنا عن الدواب هلكنا وإن سرتنا
 لم نلتنا لا نعرف أين نتوجه وكان لي فرس من الجياد فمليت على الخلاص وقلت في نفسي إذا
 ساءت أحوال في سلامة أصحابي فيكون كذلك واستودعهم الله تعالى وسرت وأهل
 تلك البلاد يبنون على التبوريت من الخشب يظن رأيها أنها عمارة فيجدونها قبوراً فظهر
 لي منها كثير فلما كان بعد العشاء وصلت إلى بيوت فماتت اللهم اجعلها عامرة فوجدتها
 عامرة ووفقي الله تعالى إلى باب دار فرأيت عليها شيخاً فكلمة بالعربي فكلمني بالتركي
 وأشار إلى بالدخول فأخبرته بشأن أصحابي فلم ينعهم عني وكان من لطف الله أن تلك الدار
 زاوية للفقراء والواقف بالباب شيخها فلما سمع الفقراء الذين بداخل الزاوية كلامي
 مع الشيخ خرج بعضهم وكانت بيني وبينه معرفة فسلم علي وأخبرته خبر أصحابي وأشارت
 إليه بأن يمضي مع الفقراء لاستخلاص الأصحاب ففعلوا ذلك وتوجهوا معي إلى أصحابي
 وجئنا جميعاً إلى الزاوية وحمدنا الله تعالى على السلامة وكانت ليلة جمعة فاجتمع أهل التربة
 وقطعوا إليهم بذكر الله تعالى وأتي كل منهم بمسايسر له من الطعام وارتفعت المشقة ورحلنا
 عند الصباح فوصلنا إلى مدينة مطرني عند صلاة الجمعة (وضيعة اسمها بضم الميم والطاء
 المهملة واسكان الراء وكسر النون وياء مد) فنزلنا بزاوية أحد الفتيان الأخية وبها جماعة

من المسافرين ولم نجد مربيًا للدواب فصلينا الجمعة ونحس في قاق لكثرة التاج والبرد
وعدم المربط فلقينا أحد الحجاج من أهلها فسلم علينا وكان يعرف اللسان العربي فسرور
برؤيته وطلبت منه أن يدنا عن مربط للدواب بالكراء فقال أماربطها في منزل فلايتني
لأن أبواب دور هذه البلدة صنادل لا تدخل عابها الدواب واكفى أداكم على سقفة بالسوة
يربط فيها المسافرون ودوابهم والذين يأتون لحضور السوق فدنا عابها وربطناها دواب
ونزل أحد الأصحاب بحانوت خال أزاءه إلى حرس الدواب ﴿حكاية﴾

وكان من غريب ما اتفق لنا أني بعثت أحد الخدام ليشتري اثنين للدواب وبشت أحده
يشتري السمن فاتي أحدهما بابتين والآخرون شيء وهو يضحك فسألنا عن سيد
ضحكه فقال أنا وقفنا في دكان بالسوق فطلبنا منه السمن فأشار إلينا بالوقوف وكلام
له فدفعنا له الدراهم فأبضا ساعة وأتى بابتين فأخذنا منه وفاتنا له أنا نريد السمن فقال
السمن وأبرز الغيب أنهم يقولون لا تبين سمن بلسان اتركه ما السمن فيسمى تندهم
ولما اجتمعنا بهذا الحاج الذي يعرف اللسان العربي رغبناه أن يسافر معنا إلى قسطمو
وبينا وبين هذه البلدة مسيرة عشر وكسوته ثوباه مصريان من ثيابي وأعطيته نفقة تركها له
وعينت له داية لركوبه ووعدته الخير وسافر معنا فظهر لنا من حاله أنه صاحب مال كث
وله ديون على الناس غير أنه ساقط الهمة خسيس الطبع سي الأفعال وتنازع عليه الدر
لنفقتنا فإخذنا بفضل من الخزو يشتري به الأبرار والخضر والمالح ويمسك ثمن ذلك
وذكر لي أنه كان يسرق من دراهم النفقة ذن ذلك وكنا نحتمله لما كنا نكابد من
المعرفة بأساز الترك وانتهت حاله إلى أن فاضعنا وكنا نقول له في آخر النهار يا
سرت اليوم من النفقة فيقول كذا فضحك منه ونرضى بذلك ومن أفعاله الخبيسة أنه
لثافرس في بعض المنازل فتولى سلخ جلده يده وباعه ومنها ما نزلنا ليلة عندأخت له في
القرى فجاءت بطعام وفاكهة من الأجاص والتفاح والمشمش والخوخ كاهاميسه و
في المساء حتى ترطب فتؤكل ويشرب ماؤها فأردنا أن نحسن إليها فلم بذلك فقال لا تمع
.....

الفقيه شمس الدين الدمشقي الحنبلي وهو من مستوطنها منذ سنين وله بها أولاد وهو فقيه هذا السلطان وخطيبه ومسموع الكلام عنده ودخل علينا هذا لفقيه بالزاوية فاعلمنا ان السلطان قد جاء لزيارته فاشكرته على فعله واستقبات السلطان فسلمت عليه وجلس فسألني عن حالي وعن مقدمي وعن لقيته من السلاطين فاخبرته بذلك كله وأقام ساعة ثم انصرف وبعث بدابة مسرحية وكسوة وانصرفنا الى مدينة برلو (وضبط اسمها بضم الباء الواحدة واسكان الراء وضم اللام) وهي مدينة صغيرة على تل تحتها خندق ولها قلعة بأعلى شاهق نزلنا منها بمدرسة فيها حسنة وكان الحاج الذي سافر معنا يعرف مدرستها وطلبها ويحضر معهم الدرس وهو على علاته من الطلبة خفي المذهب ودعانا أمير هذه البلدة وهو علي بك ابن السلطان المكرم سليمان بادشاه ملك قسطنطينية وسند كره فقصصنا اليه الى القاعة فسلمنا عليه فرحب بنا وأكرمنا وسألني عن أسفاري وحالي فأجبتة عن ذلك وأجلسني الى جانبه وحضر قاضيه وكاتبه الحاج علاء الدين محمد وهو من كبار الكتاب وحضر الطعمام فأكلنا ثم قرأ القراء بأصوات مبكية وألحان عجيبة وانصرفنا وسافرنا بالعدل الى مدينة قسطنطينية (وضبط اسمها بقاف مفتوح وصاد مهملة مسكن وطاء مهملة مفتوح وميم مضمومة وواو وونون مكسورة وياء آخر الحروف) وهي من أعظم المدن وأحسنها كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار نزلنا منها بزاوية شيخ يعرف بالاطروش لثقل سمعه ورأيت منه عجبا وهو ان أحد الطلبة كان يكتب له في الهواء وتارة في الارض بأصبعه فيفهم عنه ويحييه ويحكى له بذلك الحكايات فيفهمها وأقنا به هذه المدينة نحو أربعين يوما وفككتنا نشترى طابق اللحم النعيمي السمين بدرهمين ونشترى خبزا بدرهمين فيكفينا اليوم منا ونحن عشرة ونشترى حلواء العسل بدرهمين فتكفينا أجمعين ونشترى جوزا بدرهم وقسطا ليمثله فنأكل منها أجمعون ويفضل باقيها ونشترى حل الحطب بدرهم واحد وذلك أو ان البرد الشديد ولم أر في البلاد مدينة أرخص أسعارها من حيث وليقت بها الشيخ الامام العالم المفسق المدرس تاج الدين السلطان يوكى من كبار العلماء قرأ

المدرس صدر الدين سايمان الفتيكي من أهل فتية من بلاد الروم وأضافني بمدرسته التي
بسوق الخيل ولقيت بها الشيخ المعمر الصالح دادا أمير علي دخلت عليه بزائوته بمقربة من
سوق الخيل فوجدته باقى على ظهره فأجلسه بهض خدامه ورفع بعضهم حاجبيه عن
عينيه ففتحهما وكفى بالعربي الفصيح وقال قدمت خير مقدم وسأله عن عمره فقـال
كنت من أصحاب الخليفة المستنصر بالله وتوفى وأنا ابن ثلاثين سنة وعمرى الآن مائة
وثلاث وستون سنة فطلبت منه الدعاء فدعا لي وانصرفت

ذكر سلطان نصطاطونية

وهو السلطان المكرم سايمان بادشاه (واسمه بياض معقودة وألوانه مسك) وهو
كبير السن يذيق على سبعين سنة حسن الوجه طويل اللحية صاحب وقار وهيئة يجالس
الفقهاء والصالحاء دخلت عليه بمجلسه فأجلسني إلى جانبه وسأني عن حالى ومقدمى وعن
الحرمين الشريفين ومصر والشام فأجبت وأمر بانزالى على قربه وأعطانى ذلك اليوم
فرسانا قراقرطيين اللون وكسوة وعين لي سنة وعادوا أمرنى بعد ذلك بفتح وشـهـير
تفدى في قرية من قرى المدينة على مسيرة نصف يوم منها فلم أجد من يشتريه لخص
الاسعار فأسطيته للحاج لذي كان في صحبته ومن عادة السلطان أن يجلس كل يوم
بمجلسه بعد صلاة العصر ويؤتى بالطعام فتفتح الأبواب ولا يمنع أحد من حضرى أو بدوى
أو غريب أو مسافر من الأكل ويجلس فى أول النهار جلوسا خاصا ويأتى ابنه فيقبل يديه
وينصرف إلى مجلس له ويأتى أرباب الدولة نياكاون عنده وينصرفون من عادته في يوم
الجمعة أن يركب إلى المسجد ويصلى فيه ثم يركب إلى داره المسمى بالدار المذكورة هو ثلاث طبقات من
الخشب فيصلى السلطان وأرباب دولته والقاضى والنتهاء ووجوه الأجناد فى الطبقة
السفلى ويصلى الاقتدى وهو أخو السلطان وأصحابه وخدامه وبعض أهل المدينة فى
الطبقة الوسطى ويصلى ابن السلطان ولي عهده وهو أصغر أولاده ويسمى الجواد وأصحابه
ومعاليكه وخدامه وسائر الناس فى الطبقة العليا ويجمع القراء فيقعدون حلقة أمام الحراب
تقدمهم الخطيب والقاضى ويكون السلطان بأزاء الحراب ويقرؤ سورة الكهف

بأصوات حسان ويكررون الآيات بترتيب عجيب فاذا فرغوا من قراءتها صعد الخطيب
 المنبر فخطب ثم صلى فاذا فرغوا من الصلاة تنفلوا وقرأ القارئ بين يدي السلطان عشرة
 وانصرف السلطان ومن معه ثم يقرأ القارئ بين يدي أخي السلطان فاذا تم قراءته
 انصرف هو ومن معه ثم يقرأ القارئ بين يدي ابن السلطان فاذا فرغ من قراءته قام
 المعروف وهو المذكور في ممدح السلطان بشعر تركي ويمدح ابنه ويدعو لهما وينصرف ويأتي
 ابن الملك الى دار أبيه بعد ان يقبل يد عمه في طريقه وعمه واقف في انتظاره ثم يدخلان
 الى السلطان فيتقدم أخوه ويقبل يده ويجلس بين يديه ثم يأتي ابنه فيقبل يده وينصرف
 الى مجلسه فيقدم به مع ناسه فاذا حانت صلاة العصر صلوها جميعاً وقبل أخو السلطان يده
 وانصرف عنه فلا يعود اليه الا في الجمعة الاخرى وأما الولد فانه يأتي كل يوم غدوة كذا كراه
 ثم سافرنا من هذه المدينة ونزلنا في زاوية عظيمة باحدى القرى من أحسن زاوية رأيتها في
 تلك البلاد بناها أمير كبير تاب الى الله تعالى يسمى نحر الدين وجعل النظر فيها الولد
 والاشراف لمن أقام بالزاوية من الفقراء وفوائد القرية وقف عليها وبني بازاء الزاوية
 حماما لاسيما يدخله الوارد والصادر من غير شيء يلزمه وبني سوقا بقرية ووقفه على
 المسجد الجامع وعين من أوقف هذه الزاوية لكل فقير يرده من الحرم بين الشريفين أو من
 الشام ومصر والعراقين وخراسان وسواها كسوة كاملة ومائة درهم يوم قدومه وثلاثمائة
 درهم يوم سفره والنفقة أيام مقامه وهي الحبز واللحم والارز المطبوخ بالسمن والحلواء
 ولكل فقير من بلاد الروم عشرة دراهم وضيافته ثلاثة أيام ثم انصرفنا وبتنا ليلة ثانية بزاوية
 في جبل شامخ لا عمارة فيه عمرها بعض الزمان الاخيرة ويعرف بنظام الدين من أهل
 قصطمونية ووقف عليها قرية ينفق خراجها على الوارد والصادر بهذه الزاوية وسافرنا
 من هذه الزاوية الى مدينة صنوب (وضبط اسمها بفتح الصاد وضم التون وآخره باء)
 وهي مدينة حافلة جمعت بين التحصين والتحصين يحيط بها البحر من جميع جهاتها الا
 واحدة وهي جهة الشرق ولها هنالك باب واحد لا يدخل اليها أحد الا بأذن أميرها وأميرها

(١٦ - رحله)

ابراهيم بك ابن السلطان سليمان بادشاه الذي ذكر نامولسا استؤذن لنا عليه دخلنا البلد
ونزلنا زاوية عن الدين أخى جلبي وهي خارج باب البحر ومن هناك يصعد الى جبل داخل
في البحر كميناً سبته فيه البساتين والمزارع والمياها أكثر فواكه التين والنسب وهو جبل
مانع لا استطاع الصعود اليه وفيه إحدى عشرة قرية يسكنها كفار الروم تحت ذمة المسلمين
وباعلام رابطة تنسب لالخضر والياس عليهما السلام لا تخلو عن متعبد وعند هاهنا عين ماء
والدعاء فيها مستجاب وبسفع هذا الجبل قبر الولي الصالح الصحابي بلال الحبشي وعليه
زاوية فيها الطعام تلوار دو الصادر والمسجد الجامع بمدينة صنوب من أحسن المساجد وفي
وسطه بركة ماء عليها قبة تعلوها أربع أرجل ومع كل رجل ساريتان من الرخام وفوقها
مجلس يصعد له على درج خشب وذلك من عمارة السلطان برواته ابن السلطان علاء الدين
الرومي وكان يصلي الجمعة بأعلى تلك القبة وملاك بعده ابنه غازي جلبي فلما مات تغلب عليها
السلطان سليمان المذكور وكان غازي جلبي المذكور شجاعاً مقداماً ووجهه الله خاصية في
الصبر تحت الماء وفي قوة السباحة وكان يسافر في الأجنان الحربية لحرب الروم فإذا كانت
الملاقاة واشتغل الناس بالقتال غاص تحت الماء ويده آلة حديد يخرق بها أجنان العدو فلا
يشعرون بما حل بهم حتي يدهمهم الغرق وطرفت مرسى بلده مرة أجنان العدو ونخرقها
واسر من كان فيها وكانت فيه كفاية لا كفاء لها إلا أنهم يذكرون أنه كان يكثر أكل
الحشيش وبسببه مات فانه خرج يوماً للتصيد وكان مولماً به فاتبع غزاله ودخلت له بين
أشجار وزاد في ركض فرسه فعارضته شجرة فضربت رأسه فشدخته فمات وتغلب
السلطان سليمان على البلد وجعل به ابنه ابراهيم ويقال أنه أيضاً كل ما كان يأكله صاحبه
على أن أهل بلاد الروم كلهم لا ينكرون أكلها واقد مررت يوماً على باب الجامع بصنوب
وبخارجة دكا كينية معد الناس عايتها فرأيت نفر من كبار الأجناد وبين أيديهم خديم
لهم بيده شكاراة مملوءة بشي يشبه الحناء واحد منهم يأخذ منها بملقعة ويأكل وأنا أنظر اليه ولا
علم لي بمسألة الشكاراة فسألت من كان معي فأخبرني أنه الحشيش وأضافنا بهذه المدينة قاضيا
ونائب الأمير بها ومعلمه ويعرف بابن عبد الرزاق

لما دخلنا هذه المدينة رأينا أهلها ونحن نصلي مسبلي أيدينا وهم خفية لا يعرفون مذهب مالك ولا كيفية صلاته والمختار من مذهبهم هو أسبال اليدين وكان بعضهم يرى الروافض بالحجاز والعراق يصلون مسبلي أيديهم فاتهمونا بمذهبهم وسألونا عن ذلك فأخبرناهم أننا على مذهب مالك فلم يقدروا بذلك منا واستقرت التهمة في نفوسهم حتى بعث الينا نائب السلطان بأرنب وأوصى بعض خدامه ان يلزمنا حتى يرى ما نقول به فذبجناه وطبخناه وأكلناه وانصرف الحديم اليه وأعلمه بذلك فحينئذ زالت عنا التهمة وبعثوا الينا بالضيافة والروافض لا يأكلون الا رنب وبعثوا أربعة أيام من وصولنا الى صنوب توفيت أم الأمير ابراهيم بها فخرجت في جنازتها وخرج ابنها على قدميه كاشفا شعره وكذلك الامراء والمماليك وثيابهم مقلوبة وأما القاضي والخطيب والفقهاء فاتهم قلوبا وثيابهم ولم يكشفوا رؤسهم بل جعلوا عليها مناديل من الصوف الاسود عوضا عن العمامة وأقاموا يطعمون الطعام أربعين يوما وهي مدة العزاء عندهم وكانت اقامتنا بهذه المدينة نحو أربعين يوما فنظر تيسير السفر في البحر الى مدينة القرم فاكترينا مسكبا بالاروم وأقمنا أحد عشر يوما فنظر مساءة الريح ثم ركبنا البحر فلما توسطنا بعد ثلاث ايام علينا واشتد بنا الامر ورأينا الهلاك عيانا وكنت بالطارمة ومعي رجل من أهل المغرب يسمى أبابكر فأمرته ان يصعد الى أعلى المركب لينظر كيف البحر ففعل ذلك وأتاني بالطارمة فقال لي أستودعكم ودهمنا من الهول ما لم يمهده مثله ثم تغيرت الريح وردتنا الى مقربة من مدينة صنوب التي خرجنا منها وأراد بعض التجار النزول الى مرساهما فمعت صاحب المركب من انزاله ثم استقامت الريح وسافرنا فلما توسطنا البحر هال علينا وجرى لنا مثل المرة الاولى ثم ساعدت الريح ورأينا جبال البروق صعدنا مرسى يسمى الكرش فأرصدنا دخوله فأشار الينا أناس كانوا بالجليل ان لا ندخلوا ففقتا على أنفسنا وظننا ان هنالك اجفانا لاعدو فرجعنا مع البر فلما اقر بناه قلت لصاحب المركب أريد ان انزل ههنا فانزلني بالساحل ورأيت كنيسة فقصدتها فوجدت بها راهبا ورأيت في أحد حيطان الكنيسة صورة رجل عربي عليه عمامة متقلد سيفاً ويده مريح ويدين يديه سراج يقذفان للراهب ما هذه الصورة فقال

هذه صورة النبي على فمجت من قوله وبتنا تلك الليلة بالكنيسة وطبعنا دجا جافلم نستطيع
أكلها اذ كانت مما استدعجناه في المركب ورائحة البحر قد غلبت دلى كل ما كان فيه وهذا
الموضع الذي نزلنا به هو من الصحراء المعروفة بدشت قفجق (والدشت بالشين المعجم
والتاء المتناة) بلسان الترك هو الصحراء وهذه الصحراء خضرة نضرة لا شجربها ولا
جبل ولا تل ولا أبنية ولا حطب وانما يوقدون الاروات ويسمون بها الترك (بالزاي
المفتوح) فترى كبراءهم يلقطونها ويحملونها في أطراف ثيابهم ولا يسافر في هذه الصحراء
الا في المجل وهي مسيرة ستة أشهر ثلاثة منها في بلاد السلطان محمداً وزبك وثلاثة في بلاد
غيره ولما كان القدم من يوم وصولنا الى هذه المرمى توجه به بعض التجار من أصحابنا الى
من بهذه الصحراء من الطائفة المعروفة بقفجق وهم على دين النصرانية فاكترى منهم
عجلة يجرها الفرس فركبناها ووصلنا الى مدينة الكفا (واسمها بكاف وفاء مفتوحين)
وهي مدينة عظيمة مستطيلة على ضفة البحر يسكنها النصارى وأكثرتهم الجنوبيون ولهم
أمير يعرف بالدمير ونزلنا بها بمسجد المسلمين

﴿ حكاية ﴾

ولما نزلنا بهذا المسجد أقناب ساعة ثم سمعنا أصوات التواقيس من كل ناحية ولم أكن
سمعها قط فها انى ذلك وأمرت أصحابى أن يصمدوا الصومعة ويقرأوا القرآن ويذكروا
الله ويؤذنوا ففعلوا ذلك فاذا برجل قد دخل علينا وعليه الدرع والسلاح فسلم علينا
واستفهمناه عن شأنه فأخبرنا أنه قاضي المسلمين هنالك وقال ما سمعت القراءة والاذان
خفت عليكم فجت كاترون ثم انصرف عنا ومارأينا الا خيرا ولم يكن من القد جاء إلينا
الامير وصنع طعاماً فاكلنا عنده وطفنا بالمدينة فرأيناها حنة الاسواق وكلمهم كفار ونزلنا
الى مرساه فرأينا مرسى عجيباً به نحو مائتي مركب ما بين حربى وسفري صغير أو كبير أو هو
من مراسى الدنيا الشهيرة ثم اكترينا عجلة وسافرنا الى مدينة القرم وهي (بكسر القاف
وقتح الراء) مدينة كبيرة حسنة من بلاد السلطان المعظم محمداً وزبك خان وعليها أمير
من قبله اسمه تكتمور وضبط اسمه (بتاء مشاة مضمومة ولام مضموم وكاف مسكن
وتاء كالاولى مضمومة وميم مضمومة وواو وراء) وكان أحد خدام هذا الامر قد

صحبنا في طريقنا فمررنا بقدمنا فبحثنا الى مع امامه سعد الدين بفرس ونزلنا بزاوية شيخنا زاده الحراساني فاكر منا هذا الشيخ ورحب بنا وأحسن الينا وهو معظم عندهم ورأيت الناس يأتون للسلام عليه من قاض وخطيب و فقيه وسواهم وأخبرني هذا الشيخ زاده ان بخارج هذه المدينة راهبا من النصارى في دير يتعبد به ويكثر الصوم وانه انتهى الى ان يواصل أربعين يوما ثم يفطر على حبة فول وانه يكشف بالامور ورغب مني ان أصحبه في التوجه اليه فأبيت ثم ندمت بعد ذلك على ان لم أكن رأيتته وعرفت حقيقة أمره ولقيت بهذه المدينة قاضيا الا عظم شمس الدين السائلي قاضي الحنفية ولقيت به قاضي الشافعية وهو يسمى بخضر والفقيه المدرس علاء الدين الاصبى وخطيب الشافعية أبابكر وهو الذي يخطب بالمسجد الجامع الذي عمره الملك الناصر رحمه الله بهذه المدينة والشيخ الحكيم الصالح مظفر الدين وكان من الروم فاسلم وحسن اسلامه والشيخ الصالح العابد مظفر الدين وهو من الفقهاء المعظمين وكان الامير تليكتمور مرصفاً فدخلنا عليه فاكرمنا وأحسن الينا وكان على التوجه الى مدينة السرا حاضرة السلطان محمد أوزبك فعلمت على السير في صحبته واشتريت العجلات برسم ذلك

﴿ ذكر العجلات التي يسافر عليها هذه البلاد ﴾

وهم يسمون العجلة عربة (بعين مهملة وراء وباء موحدة مفتوحات) وهي عجلات تكون للواحدة منهن أربع بكرات كبار ومنهما ما يجره فرسان ومنهما ما يجره أكثر من ذلك وتجرها أيضاً البقر والجمال على حال العرب في ثقلها أو خفتها والذي يخدم العربة يركب احدى الافراس التي تجرها ويكون عليه سرج وفي يده سوط يحركها للمشي وعود كبير يصوبها به اذا عاجت عن القصد ويجعل على العربة شبه قبة من قضبان خشب مربوط بعضها الى بعض بسيور جلد رقيق وهي خفيفة الحمل وتكسى باللبد أو بالملف ويكون فيها طيقان مشبكة ويرى الذي بداخلها الناس ولا يرونه ويتقلب فيها كما يحب وينام ويأكل ويقرأ ويكتب وهو في حال سيره والتي تحمل الاثقال والازواد وخزائن الاطعمة من هذه العربات يكون عليها شبه البيت كما ذكرنا وعليها قفل وجهازت لما أردت السفر

عربة لركوب منشة بالبدومعي بها جارية لي وعربة صغيرة لرفيق عفيف الدين اتوزري
وعجلة كبيرة لسائر الاصحاب يجرها ثلاثة من الجمال يركب أحدها خادم العربية وسرنا
في صحبة الامير تكتمورو وأخيه عيسى ولديه قطلودمور وصارربك وسافر أيضاً معه
في هذه الوجهة امامه سعداكن والحطيب أبوبكر والقاضي شمس الدين والفقيه شرف
الدين موسي والمعرف علاء الدين وخطة هذا المعرف أن يكون بين يدي الامير في مجلسه
فاذا أتى القاضي يقف له هذا المعرف ويقول بصوت عال باسم الله سيدنا ومولانا قاضي
القضاة والحكام ميين الفتاوى والاحكام باسم الله واذا أتى فقيه معظم أورد رجل مشار اليه
قال باسم الله سيدنا فلان الدين باسم الله فيتهياً من كان حاضر الدخول الداخل ويقوم اليه
ويفسح له في المجلس وعادة الاترك ان يسيروا في هذه الصحراء سيرا كسير الحجاج في
درب الحجاز يرحلون بعد صلاة الصبح ويتزلون ضحى ويرحلون بعد الظهر ويتزلون
عشاوا اذا نزلوا حلوا الخيل والابل والبقر عن العربات وسرحوها للرعي اياما ونهارا ولا
يعلف أحد دابة لا السلطان ولا غيره وخاصة هذه الصحراء ان نباتها يقوم مقام الشعير
للدواب وليست لغيرها من البلاد هذه الخاصة ولذلك كثرت الدواب بها ودوا بهم لارعاة
لها ولا حراس وذلك اشدة أحكامهم في السرقة وحكمهم فيها انه من وجد عنده فرس
مسروق كلف ان يرده الي صاحبه ويمطيه معه تسعة مثله فان لم يقدر على ذلك أخذوا لاده
في ذلك فان لم يكن له أولاد ذبح كاندج الشاة وهو لاء الاترك لا يأكلون الخبز ولا الطعام
الغليظ وانما يصنعون طعاما من شي عندهم شيبا الا نلى يسمونه لدوقي (بدال
مهمل مضموم واو وقاف مكسر رمة قود) يجمعون على النار الماء فاذا غلى صبوا عليه
شيئا من الدوقي وان كان عندهم لحم قطعوه قطعاصغار او طبخوه معه ثم يجمع لكل رجل
نصيبه في صحفة ويصبون عليه اللبن الرائب ويشربونه ويشربون عليه لبن الخيل وهم
يسمونه القمز (بكسر القاف والميم والزاي المشددة) وهم أهل قوة وشدة وحسن مزاج
ويستعملون في بعض الاوقات طعاما يسمونه البورخاني وهو عجيز يقطعونه قطيعات
صغار او يثقبون أو ساطها ويجمعونها في قدر فاذا طبخت صبوا عليها اللبن الرائب وشربوها

ولهم نبيذ يصنعونه من حب الدوقي الذي تقدم ذكره وهم يرون أن كل الحلواء عيبا ولقد حضرت يوما عند السلطان أوزبك في رمضان فأحضرت لحوم الخيل وهي أكثر ما يأكلون من اللحم ولحوم الاغنام والرشتا وهو شبه الاطرية يطبخ ويشرب باللبن وأتيته تلك الليلة يطبق حلواء صنعها بعض أصحابي فتقدمتها بين يديه فجعل اصبعه عليها وجعله على فيه ولم يزد على ذلك وأخبرني الامير تلكتمور أن أحد الكبار من مماليك هذا السلطان وله من اولاده وأولاد اولاده نحو أربعين ولدا قال له السلطان يوما كل الحلواء واعتقكم جميعا فاني وقاتل لو قتلتني ما أكلتها ولما خرجنا من مدينة القرم زلنا زاوية الامير تلكتمور في موضع يعرف بسجبان فيمض الى أن أحضر عنده فركبت اليه وكان لي فرس معدل كوبي يقوده خديم العربية فاذا أردت ركوبه ركبت وأتيت الزاوية فوجدت الامير قد صنع بها طعاما كثيرا فيه الخبز ثم أتوا بماء أبيض في صحاف صفار فشرب القوم منه وكان الشيخ مظفر الدين بن بلي الامير في مجلسه وأنا اليه فقلت له ما هذا فقال هذا ماء الدهن فلم أفهم ما قال فدقته فوجدت له حوضه فتركته فلما خرجت سألت شمسه فقالوا هو نبيذ يصنعونه من حب الدوقي وهم حنفية المذهب والنبيذ عندهم حلالا ويسمون هذا النبيذ المصنوع من الدوقي البوزة (يضم الباء الموحدة وواو مدوزاي مفتوح) وانما قال لي الشيخ مظفر الدين ماء الدهن ولسانه فيه اللسنة الاعجمية فطنت انه يقول ماء الدهن وبعد مسيرة ثمانية عشر منزلا من مدينة القرم وصلنا الى ماء كثير نحوضه يوما كاملا واذا كثر خوض الدواب والعربات في هذا الماء اشتد وحله وزاد صعوبة فذهب الامير الى راحتي وقدمني امامه مع بعض خدامه وكتب لي كتابا الى أمير أزاق يعلمه أنني أريد القدوم على الملك ويحضه على أكرامي وسرنا حتى انتهينا الى ماء آخر نحوضه نصف يوم ثم سرنا بعده ثلاثا ووصلنا الى مدينة أزاق (وضبط اسمها بفتح الهمزة والزاي وآخره قاف) وهي على ساحل البحر حسنة العمارة يقصدها الجنويون وغيرهم بالتجارات وسهامن الفتيان أخى بحقجي وهو من العظماء يطعم الوارد والصادر ولما وصل كتاب الامير تلكتمور الى أمير أزاق وهو محمد خواجة الخوارزمي خرج الى استقبالي ومعه القاضي

والطلبة وأخرج الطعام فلما سلمنا عليه زلنا بموضع أكلنا فيه ووصلنا إلى المدينة ونزلنا بخارجها بمقربة من رابطة هنالك تنسب للحضر والياس عليهما السلام وأخرج شيخ من أهل ازاق يسمى برجب النهر ملكي نسبة إلى قرية بالعراق فأضافنا زاوية له ضيافة حسنة وبعد يومين من قدومنا قدم الأمير تلكتمور وأخرج الأمير محمد للقائه ومعه القاضي والطلبة وأعدوا له الضيافات وضربوا ثلاث قباب متصلا بعضها ببعض أحداها من الحرير الملون عجيبة والتتان من الكتان وأداروا عليها سراجة وهي المسماة عندنا أفراج وخارجها الدهايز وهو على هيئة البرج عندنا ولما نزل الأمير بسطت بين يديه شقائق الحرير عثى عليها فكان من مكارمه وفضله أن قدمني أمامه ليرى ذلك الأمير منزلي عنده ثم وصلنا إلى الحباء الأولى وهي المعدة لجلوسه وفي صدرها كرسي من الخشب لجلوسه كبير مرصع وعليه مرتبة حسنة فقدمني الأمير أمامه وقدم الشيخ مظفر الدين وصمده وجلس فيما يتناوحن جميعاً على المرتبة وجلس قاضيه وخطيبه وقاضي هذه المدينة وطلبتها عن يسار الكرسي على فرش فاخرة ووقف ولدا الأمير تلكتمور وأخوه والأمير محمد وأولاده في الخدمة ثم أتوا بالطعمة من لحوم الخيل وسواها وأتوا بالبان الخيل ثم أتوا بالبوزة وبعد الفراغ من الطعام قرأ القراء بالأصوات الحسان ثم نصب منبر وصمده الواعظ وجلس القراء بين يديه وخطب خطبة بليغة ودعا للسلطان والأمير وللحاضرين يقول ذلك بالعربي ثم يفسره لهم بالتركي وفي أثناء ذلك يكرر القراء آيات من القرآن بترجيع عجيب ثم أخذوا في الغناء يغنون بالعربي ويسمونه التول ثم بالفارسي والتركي ويسمونه الملمع ثم أتوا بالطعام آخر ولم يزلوا على ذلك إلى العشي وكلمنا أردت الخروج من بني الأمير ثم جاؤا بكسوة للأمير وكسى ولديه وأخيه وللشيخ مظفر الدين ولي وأتوا بعشرة أفراس للأمير ولأخيه ولولديه بستة أفراس ولكل كبير من أصحابه بفرس ولي بفرس والخيل بهذه البلاد كثيرة جداً وثمانها نزر قيمة الخيل منها خمسون درهما وستون من دراهمهم وذلك صرف دينار من دنانيرنا وأنحوه وهذه الخيل هي التي تعرف بمصر بالاكاديش ومنها معاشهم وهي بيادهم كالغنم بيادنا بل أكثر فيكون للتركي منهم آلاف منها ومن عادة

الترك المستوطنين تلك البلاد أصحاب الخيل انهم يصنعون في المرات التي ركب فيها نساؤهم قطعة لبد في طول الشبر مرسوطة الى عود رقيق في طول الذراع في ركن العربية ويجعل لكل ألف فرس قطعة ورأيت منهم من يكون له عشر قطع ومن له دون ذلك وتحمل هذه الخيل الى بلاد الهند فيكون في الرقعة منها ستة آلاف وما فوقها وما دونها لكل تاجر المائة والمائتان فادون ذلك وما فوقه ويستأجر التاجر لكل خمسين منها راعيا يقوم عليها ويرعاها كالغنم ويسمي عندهم القشى ويركب أحدها ويده عصي طويلة فيها حبل فاذا أراد أن يقبض على فرس منها حاذاه بالفرس الذي هو راكمه ورمى الحبل في عنقه وجذبه فبركبه ويترك الآخر للراعي واذا وصلوا بها الى أرض السند أطعموها الملقح لان نبات أرض السند لا يقوم مقام الشعير ويموت لهم منها الكثير ويسرق ويغرمون عليها بأرض السند سبعة دنانير فضة على الفرس بموضع يقال له ششقرار ويغرمون عليها بمائتان قاعدة بلاد السند وكانوا فيما تقدم يغرمون ربيع ما يجلبونه فرفع ملك الهند السلطان محمد ذلك وأمر أن يؤخذ من تجار المسلمين الزكاة ومن تجار الكفار العشر ومع ذلك يبقى للتجار فيها فضل كبير لانهم يبيعون الرخيص منها ببلاد الهند بمائة دينار دراهم وصرفها من الذهب المغربي خمسة وعشرون ديناراً وربعاً باعوا بها بضعف ذلك وضعفه وضعفه والحياد منها تساوي خمسمائة دينار وأكثر من ذلك وأهل الهند لا يتنازعونها للجرى والسبق لانهم يلبسون في الحرب الدروع ويدرعون الخيل وانما يتغنون قوة الخيل واتساع خطاها والخيل التي يتغنونها للسبق تجلب اليهم من اليمن وعمان وفارس وبيع الفرس منها بألف دينار الى أربعة آلاف ولما سافر الامير تيمور عن هذه المدينة أقت بعده ثلاثة أيام حتى جهز لي الامير محمد خواجة آلات سفرى وسافرت الى مدينة الماجروهي (بفتح الميم وألف وجيم مفتوح معقود وراء) مدينة كبيرة من أحسن مدن الترك على نهر كبير وبها البساتين والفواكه الكثيرة نزلنا منها بزاية الشيخ الصالح العابد المير محمد البطاخي من بطائع العراق وكان خليفة الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه وفي زاويته نحو سبعين من فقراء العرب والفرس والترك والروم منهم المتزوج

والعزب وعيشتهم من الفتوح ولاهل تلك البلاد اعتقاد حسن في الفقراء وفي كل ليلة يأتون الى الزاوية بالخيول والبقر والغنم ويأتي السلطان والخواتين لزيارة الشيخ والتبرك به ويجزلون الاحسان ويعطون العطاء الكثير وخصوصاً النساء فانهن يكثرن الصدقة ويحربن أفعال الخير وصدينا بمدينة المساجر صلاة الجمعة فلما قضيت الصلاة صعدوا واعظ عز الدين المنبر وهو من فقهاء بخاري وفضلائها وله جماعة من الطلبة والقراء يقرؤون بين يديه ووعظ وذكر وأمر المدينة حاضر وكم أوقفهم الشيخ محمد البطاخي فقال ان الفقيه الواعظ يريد السفر ونريد له زواجة ثم جمع فرجبة مر عن كانت عليه وقال هذه مني اليه فكان الحاضرون بين من خلع ثوبه ومن أعطي فرسا ومن أعطى دراهم واجتمع له كثير من ذلك كله رأيت بقسارية هذه المدينة يهوديا سلم على وكفى بالمرء بيئته عن بلاده فذكر انه من بلاد الاندلس وانه قدم منها في البر ولم يسلك بحرا وأتى على طريق القسطنطينية العظمى وبلاد الروم وبلاد الجركس وذكر ان عهده بالاندلس منذ أربعين سنة أشهر وأخبرني التجار المسافرين الذين لهم المعرفة بذلك بصحة مقالته ورأيت بهذه البلاد عجبا من أعظم النساء عندهم وهن أعلى شأن من الرجال فأما نساء الامراء فكانت أول رؤيتي لهن عند دخروحي من القرم رؤية الخاتون زوجة الامير سلطانية في عربة لها وكلها مجللة بالملف الازرق الطيب وطيقان البيت مفتوحة وأبراهو بين يديها أربع جوار فائتات الحسن بديعات اللباس وخافها جملة من العربات فيها جوار يتبعنها ولما قربت من منزل الامير نزلت عن العربة الى الارض ونزل معها نحو ثلاثين من الجواري يرفعن أذيالها ولا ثوابها عري تأخذ كل جارية بعرو وتورفعن الأذيال عن الارض من كل جانب ومشيت كذلك متبخرة فلما وصلت الى الامير قام اليها وسلم عليها وأجلسها الى جانبه ودار بها جواريا وجاؤا برؤا القز فصبت منه في قدح وجلست على ركبتيها أقدم الامير وناولته القز فشرب ثم سقت أخاه وسقاها الامير وحضر الطعام فأكلت معه وأعطاه كسوة وانصرفت وعليها هذا الترتيب نساء الامراء وسند كرسى الملك فيما بعد وأما نساء البساعة والسوقة فرأيتهن واحداهن تكون في العربة والخيول تجرها وبين يديها

الثلاث والاربع من الجوارى يرفعن أذيالها وعلى رأسها البغطاق وهو أقروف مرصع بالجواهر وفي أعلاه ريش الطواويس وتكون طيقان البيت مفتحة وهي بادية الوجه لأن نساء الأتراك لا يحتجبن وتأتي احداهن على هذا الترتيب ومعها عبيدها بالغنم واللبن فتدفعه من الناس بالسلع العطرية وربما كان مع المرأة منهن زوجها فيظنه من يراه بعض خدامها ولا يكون عليه من الثياب الا فروة من جلد الغنم وفي رأسه قلنسوة تناسب ذلك يسمونها الكلا ونجهاز نامن مدينة المساجر تقصد معسكر السلطان وكان على أربعة أيام من المساجر موضع يقال له بش دغ ومعنى بش عندهم خمسة وهو (بكسر الباء وشين معجم) ومعنى دغ الخيل وهو (بفتح الدال المهملة وغيث معجم) وبهذه الخيال الخمسة عين ماء حار يغتسل منها الأتراك ويزعمون انه من اغتسل منها لم تصبه عاهة مرض وار تحاشا الى موضع الحملة فوصلناه أول يوم من رمضان فوجدنا الحملة قد رحلت فعدنا الى الموضع الذي رحلنا منه لأن الحملة تنزل بالقرب منه فضربت يتي على تل هنالك وركزت العلم أمام البيت وجعلت الخيل والعربات وراء ذلك وأقيمت الحملة وهم يسمونها الأردو بضم الهمزة فرأينا مدينة عظيمة تسير بأهلها فيها المساجد والأسواق ودخان المطبخ صاعد في الهواء وهم يطبخون في حال رحيلهم والعربات تجرها الخيل بهم فاذا بلغوا المنزل نزلوا البيوت عن العربات وجعلوها على الأرض وهي خفيفة الحمل وكذلك يصنعون بالمساجد والحوانيت واجتازت اخواتين السلطان كل واحدة بتاسها على حدة ولما اجتازت الرابعة منهن وهي بنت الأمير عيسى بك وسند كرها رأيت البيت بأعلى التل والعلم أمامه وهو علامة الوارث فبعثت الفتيان والجوارى فسلموا على وبلغوا سلامها الى وهي واقفة تنتظرهم فبعثت اليها هدية مع بعض أصحابي ومع معرف الأمير تلكتمور فقبلتها تبركا وأمرت ان أنزل في جوارها وانصرفنا وأقبل السلطان فنزل في محله على حدة

﴿ ذكر السلطان العظيم محمداً وزبلا خان ﴾

واسمه محمداً وزبك (بضم الهمزة وواو وزاي مسكن وباء موحدة مفتوحة) ومعنى خان عندهم السلطان وهذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة كبير الشأن رفيع

المكان قاهر لا عدا الله أهل قسطنطينية العظمى مجتهد في جهادهم وبلادهم متسعة
 ومدنه عظيمة منها الكفار والقرم والمأجر وازاق وسرداق (سوداق) وخوارزم
 وحضرته السراوهو أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء ملوك الدنيا وعظماؤها وهم مولانا
 أمير المؤمنين ظل الله في أرضه امام الطائفة المنصورة الذين لا يزالون ظاهرين على الحق
 الى قيام الساعة أي بالله أمره وأمر نصره وسلطان مصر والشام وسلطان العراق والسلطان
 أوزبك هذا وسلطان بلاد تركستان وماوراء النهر وسلطان الهند وسلطان الصين
 ويكون هذا السلطان اذا سافر في محلة على حدة معه عماليكه وأرباب دولته وتكون كل
 خاتون من خواتينه على حدة في محلها فاذا اراد أن يكون عنده واحدة منهم بعث اليها بملابسها
 بذلك فتتأهل وله في قعوده وسفره وأموره ترتيب عجيب بديع ومن عادته أن يجلس يوم
 الجمعة بعد الصلاة في قبة تسمى قبة الذهب مزينة بديعة وهي من قضبان خشب مكسوة
 بصفايح الذهب وفي وسطها سرير من خشب مكسوة بصفايح الفضة المذهبة وقوائمها فضة
 خالصة ورؤسها مرصعة بالجواهر ويقعد السلطان على السرير وعلى يمينه الخاتون طيطة غلي
 وتليها الخاتون كبك وعلى يساره الخاتون يلون وتليها الخاتون ار دجي ويقف أسفل
 السرير عن اليمين ولد السلطان تين بك وعن الشمال ولده الثاني جان بك وتجلس بين يديه
 ابنته ايت كجك واذا أت أحداهن قام لها السلطان وأخذ يدها حتى تصعد على السرير
 وأما طيطة غلي وهي الملكة واحظاها عنده فانه يستقبلها الى باب القبة فيسلم عليها ويأخذ
 يدها فاذا صعدت على السرير وجلست حينئذ يجلس السلطان وهذا كله على أعين الناس
 دون احتجاب ويأتي بعده لك كبار الامراء فتنصب لهم كراسيهم عن اليمين والشمال وكل
 انسان منهم اذا أتى مجلس السلطان يأتي معه غلام بكرسيه ويقف بين يدي السلطان أبناء
 الملوك من بنى عمه واخوته وأقاربه ويقف في مقابلتهم عند باب القبة أولاد الامراء الكبار
 ويقف خلفهم وجوه العساكر عن يمين وشمال ثم يدخل الناس للسلام الا مثل
 فالأ مثل ثلاثة ثلاثة فيسلمون وينصرفون فيجلسون على بعد فاذا كان بعد صلاة العصر
 انصرفت الملكة من الخواتين ثم ينصرف سائرهن فيتبعنها الى محلها فاذا دخلت اليها

انصرفت كل واحدة الى محلها راكبة عربتها ومع كل واحدة نحو خمسين جارية راكبات على الخيل وامام العربات نحو عشرين من قواعد النساء راكبات على الخيل فيما بين الفتيان والعربة وخلف الجميع نحو مائة مملوك من الصبيان وامام الفتيان نحو مائة من المماليك الكبار ركبانا ومثلهم مشاة بأيديهم القضبان والسيوف مشدودة على أوساطهم وهم بين الفرسان والفتيان وهكذا ترتيب كل خاتون منهن في انصرافها وبحيثها وكان نزولي من المحلة في جوار ولد السلطان جان بك الذي يقع ذكره فيما بعد وفي القدم من يوم وصولي دخلت الى السلطان بعد صلاة العصر وقد جمع المشايخ والقضاة والفقهاء والشرفاء والفقراء وقد صنع طعاما كثيرا وأفطرنا بمحضره وتكلم السيد الشريف نقيب الشرفاء ابن عبد الحميد والقاضي حمزة في شأني بالخير وأشاروا على السلطان باكرامى وهو لاء الا تراك لا يعرفون انزال الوارد ولا اجراءات نفقة وانما يمشون له الغنم والخيل للذبح وروايا القمز وتلك كرامتهم وبعد هذا بأيام صليت صلاة العصر مع السلطان فلما أردت الانصراف أمرني بالقعود وجاؤا بالطعام من المشروبات كما يصنع من الدوقى ثم باللحوم المسلوقة من الغنم والخيل وفي تلك الليلة أتيت السلطان بطبق حلواء فحمل اصبعه عليه وجعله على فيه ولم يزد على ذلك

﴿ ذكر الخواتين وترتيبهن ﴾

وكل خاتون منهن تركب في عربة ولليث الذي تكون فيه قبة من الفضة المموهة بالذهب أو الخشب المرصع وتكون الخيل التي تجر عربتها مجللة بأثواب الحرير المذهب وخديم العربية الذي يركب أحد الخيل فتى يدعى القشى والخاتون قاعدة في عربتها وعن يمينها امرأة من القواعد تسمى أولو خاتون (بضم الهمزة واللام) ومعنى ذلك الوزيرة وعن شمالها امرأة من القواعد أيضا تسمى كجك خاتون (بضم الكاف والجيم) ومعنى ذلك الحاجبة وبين يديها ست من الجوارى الصغار يقال لهن البنات فائقات الجمال متناهيات الكمال ومن ورائها اثنتان منهن تستند اليهن وعلى رأس الخاتون البغطاق وهو مثل التاج الصغير مكلل بالجواهر وبأعلاها ريش الطواويس وعليها ثياب حرير مرصعة بالجواهر

شبه المنوت (الملوطة) التي يلبسها الروم وعلى رأس الوزيرة والحاجة مقنعة حرير مزركشة الحواشي بالذهب والجواهر وعلى رأس كل واحدة من البنات الكلاو هو شبه الاقروف وفي أعلى دائرة ذهب مرصعة بالجواهر وریش الطواويس من فوقها وعلى كل واحدة ثوب حرير مذهب يسمى النخ ويكون بين يدي الخاتون عشرة أو خمسة عشر من الفتيان الروميين والهنديين وقد لبسوا ثياب الحرير المذهب المرصعة بالجواهر ويبد كل واحد منهم عمود ذهب أو فضة أو يكون من عود ملبس بهما وخلف عربة الخاتون نحو مائة عربة في كل عربة الثلاث والأربع من الجوارى الكبار والصغار ثيابهن الحرير وعلى رؤسهن الكلاو وخلف هذه العربات نحو ثلاثمائة عربة تجرها الجمال والبقر تحمل خزائن الخاتون وأموالها وثيابها وأثاثها وطعامها ومع كل عربة غلام موكل بها متزوج بحارية من الجوارى التي ذكرنا فان العادة عندهم انه لا يدخل بين الجوارى من الغلمان الا من كان له يئهن زوجة وكل خاتون فهي على هذا الترتيب ولذا كرهن على الانفراد

✽ ذكر الخاتون الكبرى ✽

والخاتون الكبرى هي الملكة أم ولدي السلطان جان بث وتين بك وسندكرها وليست أم ابنته إيت كججك وأمها كانت الملكة قبل هذه واسم هذه الخاتون طيطغنى (بفتح الطاء المهملة الاولى واسكان اياء آخر الحروف وضم الطاء الثانية واسكان الفين المعجمة وكسر اللام وياء مد) وهي أحظي نساء هذا السلطان عنده وعند ها بيت أكثر لياليه ويعظمها الناس بسبب تعظيمه لها والانهي أنجل الخواتين وحديثي من أعمده من العارفين بأخبار هذه الملكة ان السلطان يحبها لاخصية التي فيها وهي انه يجدها كل ليلة كأنهم ابكروا ذكر لي غيره انها من سلالة المرأة التي يذكر ان الملك زان عن سليمان عليه السلام بسببها ولما عاد اليه ملكة أمر ان توضع بصحراء لا عمارة فيها فوضعت بصحراء قفجق وان رحم هذه الخاتون شبه الحلاقة خنقة وكذلك كل من هو من نسل المرأة المذكورة ولم أر بصحراء قفجق ولا غيرها من أخبر انه رأى امرأة على هذه الصورة ولا سمع بها الا هذه الخاتون اللهم الا ان بعض أهل الصين أخبرني ان بالصين صنفان نساها

على هذه الصورة ولم يقع بيدي ذلك ولا عرفت له حقيقة وفي غد اجتماعي بالسلطان دخلت الى هذه الخاتون وهي قاعدة فيما بين عشر من النساء القواعد كأنهن خديعات لها وبين يديها نحو خمسين جارية صغاراً يسمون البنات وبين أيديهن طيافير الذهب والنفضة مملوءة بحب الملوك وهن ينقيهن وبين يدي الخاتون صينية ذهب مملوءة ذهب وهي ينقيهن فسلمنا عليها وكان في جملة أصحابي قارئ يقرأ القرآن على طريقة المصريين بطريقة حسنة وصوت طيب فقرأ ثم أمرت أن يؤتى بالقمرز فأتي به في أقداح خشب لطاف خفاف فأخذت القدرح بيدها وناولتني إياه وتلك نهاية الكرامة عندهم ولم أكن شربت القمرز قبلها ولكن لم يمكنني الإقبوله وذوقته ولا خير فيه ودفعته لأحد أصحابي وسألتني عن كثير من حال سفرنا فأجبناهم أنصرقنا عنها وكان ابتداء وثابها لأجل عظمتها عند الملك

✽ ذكر الخاتون الثانية التي تلي الملكة ✽

واسمها بكك خاتون (بفتح الكاف الأولى وكسر الباء الموحدة) ومعناه بالتركية التخلالة وهي بنت الأمير نغطى (واسمه بنون وغين ومعجمة وطاء مهملة مفتوحات وياء مسكنة) وأبوها حامي مبتلى بعللة النقرس وقدرأيته وفي غد دخوله ساعلي الملكة دخلنا على هذه الخاتون فوجدناها على مرتبة تقرأ في المصحف الكريم وبين يديها نحو عشر من النساء القواعد ونحو عشرين من البنات يطرزن ثيابا فسلمنا عليها وأحسنتم في السلام والكلام وقرأنا قارئاً فاستحسنته وأمرت بالقمرز فأحضرونا وناولتني القدرح بيدها مكملة ما فعلته الملكة وأنصرقنا عنها

✽ ذكر الخاتون الثالثة ✽

واسمها ييلون (بياء موحدة وياء آخر الحروف كلاهما مفتوح ولام مضموم وواو مد ونون) وهي بنت ملك القسطنطينية العظمى السلطان تكفور ودخلنا على هذه الخاتون وهي قاعدة على سرير مرصع قوائمها فصة وبين يديها نحو مائة جارية روميات وتركيات ونوبيات منهن قائمات وقاعدات والفتيان على رأسها والحجاب بين يديها من رجال الروم فسألت عن حالنا ومقدمنا وبعداً وطاوتنا وبكت ومسحت وجهها بمنديل كأنه

بين يديها رقة منها وشفقة وأمرت بالطعام فأحضروا أكلنا بين يديها وهي تنظر إلينا ولما أردنا الانصراف قالت لا تقطعوا عننا وترددوا إلينا وطالمونا بحسب حاجتنا وأظهرت مكارم الاخلاق وبشت في أثرنا بطعام وخبز كثير وسمن وغنم ودرهم وكسوة جيدة وثلاثة من جياذ الخيل وعشرة من سائرها ومع هذه الخاتون كان سفري إلى القسطنطينية العظمى كما نذكره بعد

﴿ ذكر الخاتون الرابعة ﴾

واسمها أردوجا (بضم الهمزة واسكان الراء وضم الدال المهملة وجم وألف) وأردو بلسانهم المحملة وسميت بذلك لولادتها في المحلة وهي بنت الأمير الكبير عيسى بك أمير الألوس (بضم الهمزة واللام) ومعناه أمير الأمراء وأدركته حيا وهو متزوج ببنت السلطان إيت كجك وهذه الخاتون من أفضل الخواتين وأصفهن شمائل وأشققهن وهي التي بعثت إلي لمسا رأت يتي على التل عند جواز المحلة كما قدمنا مدخلنا عليها فقرأت أنا من حسن خاتها وكرم نفسها ما لا مزيد عليه وأمرت بالطعام فأكلنا بين يديها ودعت بالتمزق فشرب أصحابنا وسألت عن حالتها فأجبتنا هاود دخلنا أيضاً إلى احتهازوجة الأمير علي بن أرزق

﴿ ذكر بنت السلطان المعظم أوزبك ﴾

واسمها إيت كجك وإيت (بكسر الهمزة وياء مدونة متناة) وكجك (بضم الكاف وضم الحيمين) ومعنى اسمها الكلب الصغير فإن إيت هو الكلب وكجك هو الصغير وقد قدمنا أن الترك يسمون بالفسال كما تفعل العرب وتوجهنا إلى هذه الخاتون بنت الملك وهي في محلة منفردة على نحو ستة أميال من محلة والدها فأمرت بأحضار الفقهاء والقضاة والسيد الشريف ابن عبد الحميد وجماعة الطلبة والمشايخ والفقهاء وحضر زوجها الأمير عيسى الذي بنته زوجة السلطان فقدم معها على فراش واحد وهو متل بالنقرس فلا يستطيع التصرف على قدميه ولا ركوب الفرس وإنما يركب العربية وإذا أراد الدخول على السلطان أنزله خدامه وأدخلوه إلى المجلس محمولاً وعلى هذه الصورة رأيت أيضاً الأمير نغلي وهو

أبو الخاتون الثانية وهذه العلة فاشية في هؤلاء الأتراك ورأينا من هذه الخاتون بنت
السلطان من المكارم وحسن الاخلاق ما لم نره من سواها وأجزلت الاحسان واقتضت
جزاها الله خيراً

﴿ ذكر ولدي السلطان ﴾

وهما شقيقان وأمه واجبة المملكة طيغلى التي قدمنا ذكرها والا كبر منهما اسمه تين بك
(بتاء معلولة مكسورة وياء مدونون مفتوح) وبك معناه الامير وتين معناه الجسد فكان
اسمه امير الجسد واسم اخيه جان بك (بفتح الجيم وكسر النون) ومعنى جان الروح
فكانه يسمى امير الروح وكل واحد منهما له محلة على حدة وكان تين بك من أجل خلق
الله صورة وعهد له أبو ببالك وكانت له الخطوة والشريف عند مولد الله ذلك فانه مات
مات أبوه مولى يسيرا ثم نقل لامور قبيحة جرت له وولى أخوه جان بك وهو خير منه
وأفضل وكان السيد الشريف ابن عبد الحميد هو الذي تولى تربية جربت وأشار على هو
والقاضي حمزة والامام بدر الدين اقوامي والامام المقرئ حسام الدين البيخارى
وسواهم حين قدومى أن يكون نزولى بمحلة جان بك المذكور لفضله فعملت ذلك

﴿ ذكر سفرى الى مدينة باغار ﴾

وكنت سمعت بمدينة باغار فأردت اتوجه اليها لأرى ما ذكر عنها من انشاء قصر المايلى
وقصر النهار أيضاً في عكس ذلك النصل وكان بينهما وبين محلة السلطان مسيرة عشر فاصلت
منه من يوصانى الى ما قبلت منى أو صانى ليهاوردنى الى ووصاتى فى رمضان فلما صاينا
المغرب أظفرتنا وأذن بامشاء فى أثناء انما باننا انما انما وصايتنا انما انما انما انما انما
وطلع الفجر إثر ذلك وكذلك يقصر النهار بها فى فصل قصره أيضاً وأتمت بها ثلاثاً

﴿ ذكر أرض الظلمة ﴾

وكنت أردت الدخول الى أرض الظلمة والدخول اليها من باغار وبينهما أربعون يوماً ثم
أضربت عن ذلك اعظم المؤنة فيه وقلة الجدوى والسفر اليها لا يكون الا فى عجالات صغار

تجرها كلاب كبار فان تلك المفازة فيها الجليد فلا يثبت قدم الآدمي ولا حافر الدابة فيها
والكلاب لها الاظفار فتثبت اقدامها في الجليد ولا يدخلها الا الاقوياء من التجار الذين
يكون لاحدهم مائة عجلة أو نحوها موفرة بطعامه وشرابه وخطبه فاتها لا شجر فيها ولا
حجر ولا مدر والدليل بتلك الارض هو الكلب الذي قد سار فيها مرارا كثيرة وتنتهي
قيمته الى ألف دينار ونحوه وتربط العربية الى عنقه ويقرن معه ثلاثة من الكلاب ويكون
هو المتقدم وتنبه سائر الكلاب بالعربات فاذا وقفت وقفت وهذا الكلب لا يضربه صاحبه
ولا ينهره واذا حضر الطعام أطعم الكلاب أولا قبل بني آدم والاغضب الكلب وفرو ترك
صاحبه لا تلف فاذا كملت لاسافرين هذه الفلانة اربعون مرحلة نزلوا عند الظلمة وترك
كل واحد منهم ما جاء به من المتاع هناك وعادوا الى منزلهم المعتاد فاذا كان من الغد عادوا
لثقتهم متاعهم فيجدون بازائه من السمور والسنجاب والقاقم فان ارضي صاحب المتاع
ما وجد ازا، متاعه اخذته وان لم يرضه تركه فيزبدونه ويرجمونه وامتاعهم أعنى أهل الظلمة
وركوا متاع التجار وهكذا يمتاعهم وشرأؤهم ولا يعلم الذين يتوجهون الى هنالك من
يربهم ويشاريهم أمن الجن هو أم من الانس ولا يرون أحدا والقاقم هو أحسن أنواع
السراة وتساوى الفروقة منه يبلاد الهذلي والديار وصر فها من ذهبنا مائتان وخمسون
وهي شديدة البياض من جلد حيوان صغير في طول الشبر وذنبه طويل يتركونه في الفروقة
على حاله والسمور دون ذلك تساوي الفروقة منه أربع مائة دينار فسادونها ومن خاصية
هذه الجلود انه لا يدخلها القمل وأمساء الصبي وكبارها يجعلون منه الجلد الواحد متصلا
بعرواتهم عند المنق وكذلك تجار فارس والعراقين وعدت من مدينة بلغار مع الامير الذي
بعثه السلطان في صحبتي فوجدت محلة السلطان على الموضع المعروف ببش دغ وذلك في
الثامن والعشرين من رمضان وحضرت معه صلاة العيد وصادف يوم العيد يوم الجمعة

﴿ ذكر ترتيبهم في العيد ﴾

ولما كان صباح يوم العيد ركب السلطان في عساكره العظيمة وركبت كل خاتون عربتها
ومعها عساكرها وركبت بنت السلطان والتاج على رأسها ذهبي الملمعة على الحقيقة ورثت

الملك من أمهات ركب أولاد السلطان كل واحد فيء مكرمه وكان قد قدم لحضور العيد
 قاضي القضاة شهاب الدين السائي ومعه جماعة من الفقهاء والمشايخ فركبوا وركب القاضي
 حمزة والامام بدر الدين القوامي والشريف ابن عبد الحميد وكان ركوب هؤلاء الفقهاء مع
 تين بك ولي عهد السلطان ومعهم الاطبال والاعلام فصلى بهم القاضي شهاب الدين
 وخطب أحسن خطبة وركب السلطان واتهمي الى برج خشب يسمى عندهم الكشك
 فجلس فيه ومعه خواتينه ونصب برج ثان دونه فجلس فيه ولي عهده وابنته صاحبة الساج
 ونصب برجان دونهن سمعن يمينه وشماله فيهما أبناء السلطان وأقاربه ونصبت الكراسي
 الامراء وأبناء الملوك وتسمى الصندليات عن يمين البرج وشماله فجلس كل واحد على
 كرسيه ثم نصبت طبيلات للرمي لكل أمير طومان طبلة مختصة به وأمير طومان عندهم هو
 الذي يركب له عشرة آلاف فكان الحاضرون من أمراء طومان سبعة عشر يقودون مائة
 وسبعين ألفاً وعسكره أكثر من ذلك ونصب لكل أمير شبهة متبرقة مدعليه وأصحابه
 يلعبون بين يديه فكانوا على ذلك ساعة ثم أتى بالخلع فخلعت على كل أمير خلعة وعندما يلبسها
 يأتي الى أسفل برج السلطان فيخدم وخدمته ان يمس الارض بركبته اليمنى ويمد رجله تحتها
 والاخرى قائمة ثم يثني بفرس مسرج ملجم فيرفع حافره ويقبل فيه الامير ويقوده
 بنفسه الى كرسيه وهنالك يرتبه ويقف مع عسكره ويفعل هذا الفعل كل أمير منهم ثم
 ينزل السلطان الى البرج ويركب الفرس وعن يمينه ابنه ولي العهد وتاليه بنته المذكرة تات
 كحجك وعن يساره ابنة الثاني وبين يديه الخواتين الاربعة في عربات مكسوة بأنواب
 الحرير المذهب والخيل التي تجرها مجللة بالحرير المذهب وينزل جميع الامراء الكبار
 والصغار وأبناء الملوك والوزراء والحجاب وأرباب الدولة فيمشون بين يدي السلطان
 على أقدامهم الى أن يصل الى الوطاق والوطاق (بكسر الراء) وهو أفراج وقد
 نصبت هنالك باركة (باركاه) عظيمة والباركة عندهم بيت كبير له أربعة أعمدة من
 الخشب مكسوة بصفائح الفضة المموهة بالذهب وفي أعلى كل عامود جامور من الفضة
 المذهبة له بريق وشعاع وتظهر هذه الباركة على البعد كأنها تانية ويوضع عن يمينها ويسارها

مسقائف من القطن والكتان ويفرش ذلك كله بفرش الحرير وينصب في وسط البارية
 السرير الاعظم وهم يسمونه التخت وهم من خشب مرصع وأعواده مكسوة بصفيح فضة
 مذهبة وقوائمه من الفضة الخالصة الموهبة وفوقه ثرون منظم وفي وسط هذا السرير
 الاعظم مرتبة يجلس بها السلطان والخاتون الكبرى وعن يمينه مرتبة جلست بها ابنته إيت
 كجك ومعهما الخاتون اردو جاو عن يساره مرتبة جلست بها الخاتون يسلون ومعهما
 الخاتون كبك ونصب عن يمين السرير كرسي قعد عليه تين بك ولد السلطان ونصب عن
 شماله كرسي قعد عليه جان بك وبنده ساني وصيت تراسي عن اليمين والشمال جلس
 فوقها أبناء الملوك والامراء الكبار ثم الامراء الصغار مثل امراء هراة وهم الذين
 يقودون أنداً ثم أتى بالطعام على موائد الذهب والفضة وكل مائدة يحيط بها أربعة رجال
 وأكثر من ذلك وطعامهم لحوم الخيل والغنم مسلوقاً وتوضع بين يدي كل مائدة
 باقي الباورجي وهو قطع اللحم وعليه ثياب حرير وقد ربط عليهم اقراط حرير وفي
 زمامه جملة سكاكين في أعصاها ويدين شكل أمير باورجي فاذا قدمت المائدة قعد بين
 يدي أمير دو يوتي بصحفة صغيرة من الذهب والفضة يهاجم محلوك بالمال فيقطع الباورجي
 اللحم قطعاً صغيراً أو لحم في ذلك صنعة في قطع اللحم مختلطاً بالعظم فانهم لا يأكلون منه إلا
 ما احتلط بالعظم ثم يوتي بأواني الذهب والفضة للشرب وأكثر شربهم نبيذاً مسلواً وهم
 خفية المذهب يحلون النبيذ فاذا أزال السلطان أن يشرب أخذت بانه القدح يسدها
 وخدمت برجالها ثم ناولته القدح فشرب ثم تأخذ القدح آخر فناوله للخاتون الكبرى
 فترب منه ثم تناول سائر الخواتين على ترتيبهن ثم يأخذ ولي العهد القدح ويخدمه
 ويناوله أباه فيشرب ثم تناول الخواتين ثم أخته ويخدم الخدم ثم يقوم الولد الثاني فيأخذ
 القدح ويسقي أخاه ويخدمه ثم يقوم الامراء الكبار فيسقي كل واحد منهم ولي العهد
 ويخدمه ثم يقوم أبناء الملوك فيسقي كل واحد منهم هذا الابن الثاني ويخدمه ثم يقوم
 الأمراء الصغار فيسقون أبناء الملوك ويغنون أثناء ذلك بالموالية وكانت قد نصبت قبة
 كبيرة أيضاً آراء المسجد للقاضي والخطيب والشريف وسائر الفقهاء والمشايخ وأما

معه فأتينا بجموع الذهب والفضة يحمل كل واحد أربعة من كبار الأتراك ولا يتصرف في ذلك اليوم بين يدي السلطان إلا الكبار فبأمرهم يرفع ما أراد من الموائد إلى من أراد فكان من الفقهاء من أكل ومنهم من تودع عن الأكل في موائد الفضة والذهب ورأيت من البصر عن اليمن والشمال من العربات عليها روايا القمز فأمر السلطان بتفريقها على الناس فأتوا إلى بصرة منها فأعطيتهم الجيران من الأتراك ثم أتينا المسجد فندظر صلاة الجمعة فأبطأ السلطان فمن قائل أنه لا يأتي لأن السكر قد غلب عليه ومن قائل أنه لا يترك الجمعة فلما كان بعد تمكن الوقت أتني وهو يتمسك بي فسلم على السيد الشريف وتبسم له وكان يخاطبه بأطوار وهو الاب بلسان التركية ثم صليت الجمعة وانصرف الناس إلى منازلهم وانصرف السلطان إلى أنباركه فبقى على حاله إلى صلاة العصر ثم انصرف الناس أجمعون وبقي مع الملك تلك الليلة خواتينه وبناته ثم كان رحيلنا مع السلطان والحلة لمسا نقضي العيد فوصلنا إلى مدينة الحاج ترخان ومعنى ترخان عندهم الموضع المحرر من المغارم (وهو بفتح التاء المتناة وسكون الراء وفتح الحاء المعجم وآخره نون) والمنسوب إليه هذه المدينة هو حاج من الصالحين تركي نزل بموضعها وحرر له السلطان ذلك الموضع فصار قرية ثم عظمت وتمدنت وهي من أحسن المدن عظيمة الأسواق مبنية على نهر أتلي وهو من أنهار الدنيا الكبار وهناك يقيم السلطان حتى يشتد البرد ويجمد هذا النهر ويجمد المياه المتصلة به ثم يأمر أهل تلك البلاد فيأتون بالآلاف من أحمال التبن فيجمعونها على الجبال المنخفضة فوق النهر والتين هنالك لا تأكله الدواب لأنه يضرها وكذلك ببلاذ الهند وانما أكلها الحشيش الأخضر خصب البلاد ويسافرون بالعربات فوق هذا النهر والمياه المتصلة به ثلاث مراحل وربما جازت القوافل فوقه مع آخر فصل الشتاء في غرقون ويهلكون ولما وصلنا مدينة الحاج ترخان رغبت الخاتون يبلون ابنة ملك الروم من السلطان أن يأذن لها في زيارة أبيها لتضع حملها عنده وتعود إليه فأذن لها ورغبت منه أن يأذن لي في التوجه صحبتها لمشاهدة القسطنطينية العظمى فتمنيتني خوفا على فلاطقة وقلت له انما أدخلها في حرمتك وجوارك فلا أخاف من أحد فأذن لي وودعناه ووصلني بألف وخمسة مائة دينار وخلة وأفراس كبيرة وأعطيني

كل خاتون منهن سيائك الفضة وهم يسمونها الصوم (بفتح الصاد المهملة) واحدا منها
صومة وأعطت بقتها أكثر منهن وكستني وأركبني واجتمع لي من الخيل والثياب وفروا
السجاب والسمور جملة

﴿ ذكر سفري الى القسطنطينية ﴾

وسافر نافي العاشر من شوال في صحبة الخاتون بيلون ونحت حرمتها ورحل السلطان في
تشيدها من رحلة ورجع هو والملاكة وولى عهد وسافر سائر الخواتين في صحبتهما من رحلة
ثانية ثم رجع وسافر صحبتهما الأمير يدر في خمسة آلاف من عسكره وكان عسكر الخاتون
نحو خمسمائة فارس منهم خدامها من المماليك والروم نحو مائتين والباقيون من الترك
وكان معها من الجوارى نحو مائتين أكثرهن روميات وكان لها من العربات نحو أربع مائة
عربة ونحو ألفي فرس لجرها ولار كوب ونحو ثلاثمائة من البقر ومائتين من الجمال لجرها
وكان معها من الفتيان الروميين عشرة وثمانين من الهندين مثلهم وقائدهم الأكبر يسمى بسنبل
الهندي وقائد الروميين يسمى بميخائيل ويقول له الاتراك لؤلؤ وهو من الشجعان
الكبار وترك أكثر جواردها وأثقالها مع حلة السلطان اذا كانت قد توجهت برسم الزيارة
ووضع الحمل وتوجهنا الى مدينة ألك وهي (بضم الهمزة وفتح الكاف الاولى) مدينة
متوسطة حسنة العمارة كثيرة الخيرات شديدة البرد ويدها وبين السرا حاضرة السلطان
مسيرة عشرو على مسيرة يوم من هذه المدينة جبال الروس وهم نصارى شقر الشعور
تزرق العيون قباح الصورا أهل غدر وعندهم معادن الفضة ومن بلادهم يؤتى بالصوم وهي
سيائك الفضة التي يبيع ويشترى في هذا البلد ووزن الصومة منها خمس أوان ثم وصلنا
بعد عشر من هذه المدينة الى مدينة سرداق (وضبط اسمها بضم السين المهملة وسكون
الراء وفتح الدال المهملة وآخره قاف) وهي من مدن دشت قفجقي على ساحل البحر
ومر ساها من أعظم المراسي وأحسنها وبخارجها البساتين والمياه وينزلها الترك وطائفة
من الروم تحت ذمتهم وهم أهل الصنائع وأكثر بيوتها خشب وكانت هذه المدينة كبيرة
تخرب معظمها بسبب فتنة وقعت بين الروم والترك وكانت الغلبة للروم فأنصر للترك

أصحابهم وقتلوا الروم شر قتلة ونفوا أكثرهم وبقى بعضهم تحت الذمة الى الآن وكانت
الضيافة تحمل الى الخاتون في كل منزل من تلك البلاد من الخيل والغنم والبقر والدوقي
والقمز وألبان البقر والغنم والسفر في هذه البلاد مضي ومشي وكل أمير بملك البلاد
يصحب الخاتون بعساكره الى آخر حد بلاده تعظيماً لها لاختوافها لان تلك البلاد آمنة
ثم وصلنا الى البلدة المعروفة باسم بابا سلطوق وبابا عندهم بمنا عند البربر سواء الا أنهم
يفخمون الباء وساطوق (بفتح السين المهملة واسكان اللام وضم الطاء المهملة وآخره
قاف) ويذكرون ان سلطوق هذا كان مكاشفاً لكان يذكر عنه أشياء ينكرها الشرع
وهذه البلدة آخر بلاد الاتراك بينها وبين أول عمالة الروم ثمانية عشر يوماً في برية غير
معمورة منها ثمانية أيام لا ماء بها يتزود لها الماء ويحمل في الروايا والقرب على العربات وكان
دخولنا اليها في أيام البرد فلم نحتاج الى كثير من الماء والاتراك رنعوا الاiban في القرب
ويحاطونها بالذوق المطبوخ ويشربونها فلا يعطشون وأخذنا من هذه البلدة في الاستعداد
للبرية واحتجت الى زيادة افراس فأتيت الخاتون فأعلمتها بذلك وكنت أسلم عليها صاحبها
ومساء ومتي أتها ضيافة تبعث الى بالقرسين والثلاثة بالغنم فكانت أترك الخيل لا أذبها
وكان من ممي من العلماء والخدام يأكلون مع أصحابنا الاتراك فاجتمع لي نحو ثسين
فرسا وأمرت لي الخاتون بخمسة عشر فرسا وأمرت وكيها ساروجة الرومي ان يخارها
سما من خيل المطبخ وقالت لا تخف فان احتجت الى غير هازدناك ودخاننا البرية في
منتصف ذي القعدة فكان سيرنا من يوم فارقنا السلطان الى أول البرية تسعة عشر يوماً
واقامتنا خمسة ورحلنا من هذه البرية ثمانية عشر يوماً مضي ومعنى وما رأينا الا خبراً
والحمد لله ثم وصلنا بعد ذلك الى حصن مهتولى وهو أول عمالة الروم (وضبط اسمه
بفتح الميم وسكون الهاء وضم التاء المعلولة وواو مدولام مكسور وياء) وكانت الروم قد
سمعت بقدوم هذه الخاتون على بلادها فوصاهن الى هذا الحصن كفاً لنقوله الرومي في
عسكر عظيم وضيافة عظيمة وجاءت الخواتين والدايات من دارأيها ملك القسطنطينية
وين مهتولى والقسطنطينية مسيرة اثنتين وعشرين يوماً منها ستة عشر يوماً الى الخليج

وستة منه الى القسطنطينية ولا يسافر من هذا الحصن الا بالخيول والبغال وتترك العربات
 به لاجل الوصر والحيل وجاء كفا الى المذكور ببغال كثيرة وبعثت الى الخاتون بستة منها
 بوصف أمير ذلك الحصن بمن تركته من أصحابه وغلمانه مع العربات والاثقال فأمر لهم
 ان يرجع الامر ببيرة ساكره ولم يسافر مع الخاتون الا ناسها وترك مسجدها
 بهذا الحصن ارتفع حكم الاذان وكان يؤتى اليها بالخور في الضيافة فتشربها وبالختازير
 وأخبرني بعض خواصها انها كلما لم يبق معها من يسلي الا بعض الاتراك كان يصلي معنا
 وتغيرت اليها وطن لدخولنا في بلاد الكفر ولكن الخاتون أوصت الأمير كفاً بالكرامه
 ولقد ضرب مرة بعض منكم ناضحاً من صلاتنا ثم وصلنا حصن مساهة بن عبد الملك
 وهو بسفح جبل على نهر دحري يقال له اسطاطيلي ولم يبق من هذا الحصن الا آثاره وبخارجه
 قرية كبيرة ثم سرت يومين وصلنا الى الخليج وعلى ساحله قرية كبيرة فوجدنا فيه المد
 ما كنا حتى كان الجزر وخذلنا وعرضه نحو ميلين ومشيئنا أربعة أميال في رمال ووصلنا
 الخليج الثاني فخذلنا وعرضه نحو ثلاثة أميال ثم مشينا نحو ميلين في حجارة ورمل
 ووصلنا الخليج الثالث وقد ابتعدنا اذ قد بقينا فيه وعرضه ميل واحد فعرض الخليج كله
 مائة ويابسا اثنا عشر ميلا وما سير ما كنا في أيام المطر فلا تخلص الا في القوارب وعلى
 ساحل هذا الخليج اثنا عشر مدينة الفتيكة (واسمها بقاء مفتوحة ونون ويا ومد وكاف
 مفتوح) وهي صغيرة لكنها حسنة مائة وكنائسها وديارها حسان والانهار تحرقها
 والبساتين تحرقها ويدخر بها منب والاباص والتفاح والسفرجل من الستة الى الاخرى
 وقبائل المدينة الثلاثة الخاتون في قسري لا يها هنا ثم قدم أخوها شقية ها واسمه
 كفا الى قراس في خمسة آلاف فارس شاكين في السلاح ولم أرادوا لقاء الخاتون وركب
 أخوها المذكور فرسا أشهب وابس ثيابا بيضاء وجعل على رأسه مظلاما كالألجواهر
 وجعل عن يمينه خمسة من أبناء الموك وعن يساره مثلهم لا بسين البياض أيضا وعاهم
 مظلمات مزركشة بالذهب وجعل بين يديه مائة من المشائين ومائة فارس قد أسبغوا
 الدروع على أنفسهم وخيلهم وكل واحد منهم يقود فرسا مسرجا مدورا عليه شبكة فارس

من البيضة المجوهرة والدروع والتر كرش والقوس والسيف ويده في طرف رأسه رابرة وأكثر تلك الرماح مكسوة بصفائح الذهب والفضة وتلك الخيل المقودة هي سراكب ابن السلطان وقسم فرسانه على أفواج كل فوج فيه مائتا فارس ولهم أمير قد قدم أمامه عشرة من الفرسان شاكين في السلاح وكل واحد منهم يقود فرسا وخلفه عشرة من العلامات ملونة بأيدي عشرة من الفرسان وعشرة أطبال يتقلدها عشرة من الفرسان ومعهم ستة يضربون الابواق والانقار والسرنايات وهي القبطات وركبت الخاتون في مماليكها وجواربها وفتيانها وخدمها واهلها وهم نحو خمسمائة عليهم ثياب الحرير المزركشة بالذهب المرصعة وعلى الخاتون حلة يقال لها النخ ويقال لها أيضاً النسيج مرصعة بالجواهر وعلى رأسها تاج مرصع وفرسها مجمل بجمل حرير مزركش بالذهب وفي يديه ورجليه خلاخل الذهب وفي عنقه قلاند مرصعة وعظام السرج مكسوذة بمكامل جوهر أو كان التقاؤه في سبط من الارض على نحو ميل من البلد وترجل لها أخوها لانه أصغر سناً منها وقبل ركابها وقبلت رأسه وترجل الامراء وأولاد الملوك وقبلوا جميعاً ركابها وانصرفت مع أخيه إلى غن ذلك اليوم وصلنا إلى مدينة كبيرة على ساحل البحر لا أثبت الآن اسمها ذات أنهار وأشجار نزلنا بخارجها ووصل أخو الخاتون ولي العهد في ترتيب عظيم وعسكر ضخم من عشرة آلاف مدرع وعلى رأسه تاج وعن يمينه نحو عشرين من أبناء الملوك وعن يساره مثلهم وقدرت فرسانه على ترتيب أخيه سواء إلا أن الحفل أعظم والجمع أكثر وتلاقى معه أخته في مثل زيارتها الأولى وترجلا جميعاً وأوتي بخباء حرير قد خلا فيه فلا أعلم كيفية سلامهما ونزاعاً على عشرة أميال من القسطنطينية فلما كان بالغد خرج أهله من رجال ونساء وصبيان ركباناً ومشاة في أحسن زى وأجمل لباس وضربت عند الصبح الاطبال والابواق والانقار وركبت المسافر وخرج السلطان وزوجته أم هذه الخاتون وأرباب الدولة والخواص وعلى رأس الملك رواق يحمله جملة من الفرسان ورجال بأيديهم عصي طوال في أعلى كل عصي شبيه كرة من جلد يرفمون بها الرواق وفي وسط الرواق مثل القبة يرفعها الفرسان بالعصى ولما أقبل السلطان

احتلطت المساكن وكسر العجاج ولم أقدر على الدخول فيما بينهم فلم تمت أثقال الحاتون وأصحابها خوف على نفسي وذكري أنهما لم قربت من أبوابها ترجلت وقبلت الأرض بين أيديهما ثم قبلت حافري فرسيهما. أو قل كبار أصحابها مثل فعلها في ذلك وكان دخوانا عند الزوال أوبه إلى التسلط طينية المعظمي وقد ضربوا نوقيسهم حتى ارتجت الآفاق لاختلاط أصواتها ولمسا وصلنا الباب الأول من أبواب قصر الملك وجدنا به مائة رجل منهم قائدهم فوق دكانا وسمعتهم يقولون سرا كنوا سرا كنوا ومتعونا من الدخول فقال لهم أصحاب الخاتون أنهم من جهة تافا قالوا لا يدخلون إلا بالاذن فأتينا بالباب وذهب بعض أصحاب الخاتون فبحث من أعلمها بذلك وهي بين يدي والدها فذكرت له شأنا فأمرا بدخولنا وعين لنادار بعقربة من دار الخاتون وكتبنا أمرا بأن لا نعترض حيث نذهب من المدينة ونودي بذلك في الأسواق وأقمنا بالدار ثلاثا تبعت إلينا الضيافة من الدقيق والخبز والغنم والدجاج والسمن والفاكهة والحوت والدرهم والفرش وفي اليوم الرابع دخلنا على السلطان

✽ ذكر سلطان القسطنطينية ✽

واسمه تكفور (بفتح التاء المشددة وسكون الكاف وضم الفاء وواو وراء) ابن السلطان حرجيس وأبو السلطان جرجيس بقيد الحياة لكنه ترهب وانقطع للعبادة في الكنائس وترك الملك لولده وسند كرم وفي اليوم الرابع من وصولنا إلى القسطنطينية بعثت إلى الخاتون الفتي سنبل الهندي فأخذي يدي وأدخاني إلى القصر فجزنا بأبواب في كل باب ستائف بهار جال وأساحتهم وقائدهم على دكانة مزروشة فلما وصلنا إلى الباب الخامس تركني الفتي سنبل ودخل ثم أتى ومعه أربعة من الفتيان الروميين ففتشوني لئلا يكون مني سكين وقال لي القائد تلك عادة لهم لا بد من تفتيش كل من يدخل على الملك من خاص أو عام غريب أو بلدي وكذلك الفعل بأرض الهند ثم لما فتشوني قام الموكل بالباب فأخذي يدي وفتح الباب وأحاط بي أربعة من الرجال أمسك اثنان بكفي واثنان من ورائي فدخلا بي إلى مشور كبير حيطانه بالفسيقة ساء قد نقش فيها صور الخلوقات من

الحيوانات والجمادات وفي وسطه ساقية ماء ومن جهتيها الاشجار والناس واقفون يمينا ويسار اسكوتوا لا يتكلم أحد منهم وفي وسط المشور ثلاثة رجال وقوف أسلمني أولئك الاربعة اليهم فأمسكوا بئابي كما فعل الآخرون وأشار اليهم رجل فتقدموا بي وكان أحدهم يهوديا فقال لي بالعربي لا تخف فهكذا عادتكم ان يفعلوا بالواردوا أنا لترجان وأصلي من بلاد الشام فسألته كيف أسلم فقال قل السلام عليكم ثم وصلت الى قبة عظيمة والسلطان على سريرته وزوجته أم هذه الخاتون بين يديه وأسفل السرير الخاتون وأخوتها وعن يمينه ستة رجال وعن يساره أربعة وكلهم بالسلاح فأشار الي قبل 'سلام والوصول اليه بالجلوس هنية ليسكن روعي ففعلت ذلك ثم وصلت اليه فسلمت عليه وأشار الي ان أجلس فلم أفعل وسأني عن بيت المقدس وعن الصخرة المقدسة وعن القمامة وعن مهد عيسى وعن بيت لحم وعن مدينة الخليل عليه السلام ثم عن دمشق ومصر والعراق وبلاد الروم فأجبتة عن ذلك كله واليهودي يترجم بئبي وينته فأعجبه كلامي وقال لا ولادها كرموا هذا الرجل وآمنوه ثم خاض علي خلعة وأمر لي بفرس مسرج ملجم ومظلة من التي يجعلها الملك فوق رأسه وهي علامة الأمان وطلبت منه ان يعين من يركب معي بالمدينة في كل يوم حتي أشاهد عجائبها وغرائبها وأذكرها في بلادتي فمين لي ذلك ومن العوائد عندهم ان الذي يلبس خلعة الملك ويركب فرسه يطاف به في أسواق المدينة بالابواق والانتفاخ والاطبال ليراه الناس وأكثر ما يفعل ذلك بالأتراك الذين يأتون من بلاد السلطان أوزبك لئلا يؤذون فطافوا بي في الاواق

﴿ ذكر المدينة ﴾

وهي متاهية في الكبر متقسمة بقسمين بينهما نهر عظيم المد والجزر على شكل وادي سلا من بلاد المغرب وكانت عايه فيما تقدم قنطرة مبنية فخرت وهو الآن يمتد في القوارب واسم هذا النهر أبسمي (بفتح الهمزة واسكان الباء الموحدة وضم السين المهمل وكسر الميم وياء مد) وأحد القسمين من المدينة يسمي أضطنبول (بفتح الهمزة واسكان الصاد وفتح الطاء المهملتين وسكون التون وضم الباء الموحدة وواو مد ولام) وهو بالعدوة

الشرقية من النهر وفيه سكنى السلطان وأرباب دولته وسائر الناس وأسواقه وشوارعه
 مشروشة بالصفاح متسعة وأهل كل صناعة على حدة لا يشاركونهم سواهم وعلى كل سوق
 أبواب تسد عليه بالليل وأكثر الصنائع والباعة بها النساء والمدينة في سفح جبل داخل في
 البحر نحو تسعة أميال وعرضه مثل ذلك أو أكثر وفي أعلاه قلعة صغيرة وقصر السلطان
 والسور يحيط بهذا الحبل وهو مانع لا يبيل لاحد اليه من جهة البحر وفيه نحو ثلاث
 عشرة قرية عامرة والكنيسة العظمى هي في وسط هذا القسم من المدينة وأما القسم الثاني
 منها فيسمى الغلطة (بغير معجمة ولا موطاء مهمل مفتوحات) وهو بالعبدوة الغربية
 من النهر شبهه برباط الفتح في قرية من النهر وهذا القسم خاص بنصارى الأفرنج يسكنونه
 وهم أصناف فمنهم الجنويون والبنادقة وأهل رومية وأهل أفرانسة وحكمهم إلى ملك
 القسطنطينية يقدم عليهم منهم من يرتضونه ويسمونه القمص وعليهم وظيفة في كل عام
 لملك القسطنطينية ويربما استمروا عليه في جاربهم حتى يصلح بينهم البابة وجميعهم أهل
 تجارة ومرسأهم من أعظم المراسى رأيت به نحو مائة جفن من القراق وسواها من الكبار
 وأما الصغار فلا تحصى كثرة وأسواق هذا القسم حسنة إلا أن الأقدار غالبية عليها ويشقها
 نهر صغير قدر نجس وكنائسهم قدرة لا خير فيها

(ذكر الكنيسة العظمى)

ونما نذكر خارجها وأما داخلها فلم أشاهدها وهي تسمى عندهم أياصوفيا (بفتح الهمزة
 والياء آخر الحروف وألف وصاد مضموم وواو مدو فاء مكسورة وياء كالاولى وألف)
 ويذكرونها من بناء آصف بن برخيا وهو ابن خالة سليمان عليه السلام وهي من أعظم
 كنائس الروم وعليها سور يطيف بها فكانها مدينة وأبوابها ثلاثة عشر بابا وله ما حرم هو
 نحو ميل عليه باب كبير ولا يمنع أحد من دخوله وقد دخلته مع والد الملك الذي يقع ذكره
 وهو شبه مشور مسطح بالرخام وتشقه ساقية تخرج من الكنيسة لها حائطان مرتفعان
 نحو ذراع مصنوعان بالرخام المجزع المنقوش بأحسن صنعة والاشجار منتظمة عن جهتي
 الساقية ومن باب الكنيسة إلى باب هذا المشور مرش من الخشب مرتفع عليه دوالي

الغيب وفي أسفله الياسمين والرياحين وخارج باب هذا المشورقة خشب كبيرة فيها طبالات خشب يجلس عليها خدام ذلك الباب وعن يمين القبة ساطب وحوانيت أكثرها من الخشب يجلس بها قضاتهم وكتاب دواوينهم وفي وسط تلك الحوانيت قبة خشب يصعد إليها على درج خشب وفيها كرسي كبير مطبق بالمفك يجلس فوقه قضيتهم وسند كرمه وعن يسار القبة التي على باب هذا المشور سوق العطارين والساقية التي ذكرناها تنقسم قسمين أحدهما يمر بسوق العطارين والآخري يمر بالسوق حيث القضاة والكتاب وعلى باب الكنيسة سقائف يجلس بها خدامها الذين يقومون طرقيها ويوقدون سرجها ويغلقون أبوابها ولا يدعون أحداً يدخلها حتى يجدوا صليب الأعظم عندهم الذي يزعمون أنه بقية من الخشبة التي صلب عليها شبيه عيسى عليه السلام وهو على باب الكنيسة مجعول في جمعه ذهب طولها نحو عشرة أذرع وقد عرضوا عليها جمعة ذهب منها حتى صارت صليبا وهذا الباب مصفح بمصفحة الفضة وذهب وحاشاته من الذهب الخالص وذكر لي أن عدداً من بهذه الكنيسة من الرهبان والقسيسين ينتهي إلى آلاف وأن بعضهم من ذرية الحوارين وأن بداخلها كنيسة مختصة بالنساء فيها من الأبنكار المنقطعات للعبادة أزيد من ألف وأمة القواعد من النساء أكثر من ذلك كله ومن عادة الملك وأرباب دولته وسائر الناس أن يأتوا كل يوم صباحاً إلى زيارة هذه الكنيسة ويأتونها بالباب مرة في السنة وإذا كان على مسيرة أربع من البلد يخرج ذلك إلى قناته ويترجل له وعند دخول المدينة يمضي بين يديه على قدميه ويأتيه صباحاً ومساءلاً للسلام عليه طول مقامه بالقسطنطينية حتى ينصرف

✽ ذكر المانستارات بالقسطنطينية ✽

والمانستار على مثل لفظ الماسارستان الآن نونه مقدمة وراعه متأخرة وهو عندهم شبه الزاوية عند المساحين وهذه المانستارات بها كثيرة فمنها ما ستر عمره الملك جرجيس والملك القسطنطينية وسند كرمه وهو بخارج اصطبول مقابل الخلطة ومنها ما ستر أن خارج الكنيسة العظمى عن يمين الداخل إليها وهما في داخل بستان يشقهما نهر ماء واحد هما للرجال والآخرا للنساء وفي كل واحد منهما كنيسة ويدور بهما الليوت

للمتعبدين والمتعبدات وقد عتبس على كل واحد منهما احباس لكسوة المتعبدين ونفقتهم
بناها أحد الملوك ومنها ما استاران عن يسار الداخل الى الكنيسة العظمى على مثل هذين
الآخرين ويطلق بهما بيوت وأحد هما يسكنه العميان والثاني يسكنه الشيوخ الذين
لا يستطيعون الخدمة بمن بالغ الستين أرغموها ولكل واحد منهم كسوته ونفقتهم من أوقاف
معية لذلك وفي داخل كل ما استار منها دويرة لتعبد الملك الذي بناه وأكثروا لاء الملوك
إذا بلغ الستين أو السبعين بنى ما استارا أو ابس المسوح وهي ثياب الشعر وقلد ولده الملك
واشتغل بالعبادة حتى يموت وهم يحتفلون في بناء هذه المساكن استارات ويعملونها بالرخام
والفسيفساء وهي كثيرة بهذه المدينة ودخلت مع الرومي الذي عينه الملك لار كوب معي
الى ما استار يشق نهرو وفيه كنيسة فيها نحو خمسمائة بكر عليهم المسوح ورؤسهن محلوقة فيها
قلائس اللبد ولهن جمال فائت وعلينهن أثر العبادة وقد قعد صبي على منبر يقرأ لهن الانجيل
صوت لم أسمع قط أحسن منه وحوله ثمانية من الصبيان على منابر ومعهم قسيهم فلما
قرأ هذا الصبي قرأ صبي آخر وقال لي الرومي ان هؤلاء البنات من بنات الملوك وهن
أنفسهن لخدمة هذه الكنيسة وكذلك الصبيان القراء ولهم كنيسة أخرى خارج تلك
الكنيسة ودخلت معها أيضاً الى كنيسة في سستان فوجدنا بها نحو خمسمائة بكر أو أزيد
وصبي يقرأ لهن على منبر وجماعة صبيان على منابر مثل الاولين فقال لي الرومي هؤلاء
بنات الوزراء والأمراء يتعبدن بهذه الكنيسة ودخلت معاً الى كنائس فيها أبكار من
وجوه أهل البلد والى كنائس فيها المعجزات والقواعد من النساء والى كنائس فيها
الرهبان يكرن في الكنيسة منها مائة رجز وأكثر وأقل وأكثر أهل هذه المدينة رهبان
ومتعبدون وقسيسون وكنائسها لا تحصى كثرة وأهل المدينة من جندي وغيره صغير
وكبير يحملون على رؤسهم المظلات الكبار شتاء وصيفاً والنساء لهن عمام كبر

﴿ ذكر الملك المترهب جرجيس ﴾

وهذا الملك ولي الملك لابنائه وانقطع للعبادة وبنى ما استارا كما ذكرناه خارج المدينة على
ساحلها وكنت يوماً مع الرومي المعين لار كوب معي فاذا بهذا الملك ماشياً على قدميه وعليه

المسوح وعلى رأسه قلنسوة لبدوله لحية بيضاء طويلة ووجهه حسن عليه أثر العبادة وخلفه
وامامه جماعة من الرهبان ويده عكاز وفي عنقه سبيحة فلما رآه الرومي نزل وقال لي انزل
فهذا والد الملك فلما سلم عليه الرومي سأله عنى ثم وقف وبعت عنى فجئت اليه فأخذ يدي
وقال لذلك الرومي وكان يعرف اللسان العربي قل لهذا السرا كنو يعني المسلم أنا أصافح اليد
التي دخلت بيت المقدس والرجل التي مشت داخل الصخرة والكنيسة العظمى التي تسمى
قسامة وبيت لحم وجعل يده على قدمي ومسح بها وجهي فمعتجبت من اعتقادهم فيمن دخل
تلك المواضع من غير ملتهم ثم أخذ يدي ومشيت معه فسأني عن بيت المقدس ومن فيه
من النصارى واطال السؤال ودخات معه الى حرم الكنيسة الذي وصفناه آنفا ولم
قارب الباب الا عظم خرجت جماعة من القسيسين والرهبان لالسلام عليه وهو من كبارهم
في الرهبانية ولما رآهم أرسل يدي فقلت له أريد الدخول معك الى الكنيسة فقال للترجمان
قل له لا بد له من السجود للصليب الا عظم فان هذا مماسته الاوائل ولا يمكن خلافه
فتركته ودخل وحده ولم أره بعدها

﴿ذكر قاضي القسطنطينية﴾

ولما فارقت الملك المترهب المذكور دخلت سوق الكتاب فرآني القاضي فيعت الى أحد
اعوانه فسأل الرومي الذي معي فقال له انه من طلبية المسلمين فلما عاد اليه وأخبره بذلك بعث
الي أحد أصحابه وهم يسمون القاضي النجاشي كفا لي فقال لي النجاشي كذا لي يدعوك
فصعدت اليه الى القبة التي تقدم ذكرها فرأيت شيخا حسن الوجه والامة عاياه لباس الرهبان
وهو الملف الاسود وبين يديه نحو عشرة من الكتاب يكتبون فقام الي وقام أصحابه وقال
أنت ضيف الملك ويجب علينا كرامك وسألي عن بيت المقدس والشام ومصر وأطال
الكلام وكثر عليه الازدحام وقال لي لا بد لك أن تأتي الي داري فاضيفك فانصرف عنه
وتم القه بعد

﴿ذكر الانصراف عن القسطنطينية﴾

ولما ظهر لمن كان في صحبة الخاتون من الاتراك أنها على دين أيها وراغبة في المقام معه طلبوا

منها الاذن في العودة الى بلادهم فأذنت لهم وأعطتهم عطاء جزيلًا وبعثت معهم من
 يوصلهم الى بلادهم أميراً يسمى ساروجة الصفي في خمسمائة فارس وبعثت عنى قاعماً في
 ثلاثمائة دينار من ذهبهم وهم يسكنونه البربرة وليس بالطيب والى درهم بشقية وشقة
 ملف من عمل البنات وهو أجود أنواعه وعشرة أثواب من حرير وكتان وصوف
 وفرسين ذلك من عطاء أبيها وأوصت بى ساروجة وودعتها وانصرف ركانت مدة
 مقامى عندهم شهر أو ستة أيام وسافر ناصحبة ساروجة فكان يكرمنى حتى وصلنا الى آخر
 بلادهم حيث تركنا أصحابنا عرباتنا تركنا العربات ودخنا البرية ووصل ساروجة معنا
 الى مدينة بابا اطوق وأقام بها ثلاثي الضيافة وانصرف الى بلاده وذلك في اشتداد البرد
 وكنت ألبس ثلاث فروات ووسروا لى احدهما مبطن وتي رجلى خف من سوف وفوقه
 خف مبطن بثوب كتان وفوقه خف من البرغلى وهو جلد الفرس مبطن بشالذئب
 وكنت أتوضأ بالماء الحار بمقربة من النار فمساءً قطرت من السماء قطرة الاحدث ليها واذا
 غسأت وجهي ريل انسا الى طيقي فيجمد فذركها فيسقط منها شئ الثالج والماء الذى
 ينزل من الالاف يجمد على الشارب وكنت لأستطيع الركوب لكثرة مانع من الشيباب
 حتى يركبني أصحابي ثم وصات الى مدينة الحاج ترخان حيث فارقتنا السلطان أوزبك
 فوجدناه قد رحل واستقر بمحضرة ملكه فسافرنا على نهرا تى وما يابيه من ابياه ثلاثا وهى
 جامد ذو كتنا اذا احتجنا الماء قطعنا طعاماً من الجليد وحماتنا فى القدر حتى يصير ماء
 فشرب منه ووطبخ به ووصلنا الى مدينة اسرا (وضبط اسمها بدين مهمل وراء
 مقتوحين و) وتعرف ببرايركة وهى حضرة السلطان أوزبك ودخنا على
 السلطان فسألنا عن كيفية سفرنا وعن ملك الر وموم مدينة فاعلمنا وأمر بأجراء النفقة
 عاينا وانزلنا ومدينة السرا من أحسن المدن متناهية الكبر في سيطر من الارض تنص بأهلها
 كثرة حسنة الاسواق متسعة الشوارع وركبنا يوم ما مع بعض كبرائها وغرنا التطوف عليها
 ومعرفة مقدارها وكان منزلنا فى طرف منها فركبنا منه غدوة فوصلنا لآخرها الا بعد
 الزوال فصلينا الغداهم وأكلنا طعاماً فوصلنا الى المنزل الا عند المغرب ومشينا يوماً

صرضها ذاهبين وراجهين في نصف يوم وذلك في عمارة متصلة الدور لا خراب فيها ولا
 بساتين وفيها ثلاثة عشر من جدران اقامة الجمعة أحدها للشافعية وأما المساجد سوى ذلك
 فكثيرة جدا وفيها طوائف من الناس منهم المغل وهم أهل البلاد والسيلاطين وبعضهم
 مسلمون ومنهم الاصر وهم مسامون ومنهم القفجق والجر كس والروس والروم وهم
 نصارى وكل طائفة تسكن محلة على حدة فيها أسواقها والتجار والغرباء من أهل العراق
 ومصر والشام وغيرها ساكنون بمحلة عليها سور واحتياطا على أموال التجار وقصر
 الساطار بها يسمى الطون طاش والطنون (بفتح الهاء زنة وسكون اللام وضم الطاء المهمل
 وواو مدونون) ومعناه الذهب وطاش (بفتح الطاء المهمل وشين معجم) ومعناه
 حجاز وقاضي هذه الخضره بدر الدين الاعرج من خيار القضاة وسها من مدرسي الشافعية
 الفقيه الامام الفاضل صدر الدين سايمان الاكزي أحد الفضلاء وبها من المالكية شمس
 الدين المصري وهو ممن يطعن في ديارته وبها زاوية الصالح الحاج نظام الدين أضافها
 وأكرمنا وبها زاوية الفقيه الامام العالم نعم الدين الخوارزمي رأيت بها وهو من فضلاء
 المشايخ حسن الاخلاق كريم النفع شديد التواضع شديد السطوة على أهل الدنيا يأتي اليه
 السلطان أوزبك زائر في كل جمعة فلا يستقبله ولا يقوم اليه ويقعد السلطان بين يديه
 ويكلمه العطف كلام ويتواضع له والشيخ اضدلك وفعلاه مع الفقراء والمساكين
 والواردين خلاف فعله مع السلطان فانه يتواضع لهم ويكلمهم بالطف كلام ويكرمهم
 وأكرم في جزاء الله خير أو بعث الى بگرام تركي وشاهدت له بركة ^{بجوار} كرامته له بك
 كنت أردت السفر من السرا الى خوارزم فبهاني عن ذلك وقال لي أقم أياما وحيدة تسافر
 فنازعني النفس ووجدت رفقة كبيرة آخذة في السفر فيهم تجار أعرفهم فاتفقت معهم على
 السفر في صحبتهم وذكرت له ذلك فقال لي لا بد لك من الاقامة فعزمت على السفر فأبقى لي
 غلام أقت بسببه وهذه من الكرامات الظاهرة ولما كان بعد ثلاث وجد بعض أصحابي
 ذلك الغلام الا بقى بمدينة الحاج ترخان فجاء به الي فحينئذ سافرت الى خوارزم وبينها وبين

حضر قال سر اصحراء مسيرة أربعين يوماً لا تسافر فيها الخيل لقلة الكلأ وانما تجر
 العربات بها الجمال فسرنا من السرا عشرة أيام فوصلنا الى مدينة سرا جوق وجوق (بضم
 الجيم المقود وواو وقاف) ومعنى جوق صغير فكأنهم قالوا سرا الصغيرة وهي على شاطئ
 نهر كبير زخاري قال له الوصو (بضم الهمزة واللام وواو مد وضم الساد المهمل وواو)
 ومعناه الماء الكبير وعليه جسر من قوارب كجسر بغداد والى هذه المدينة انتهى سفرنا
 بالخيال التي تجر العربات وبغناها بها تجر بحساب أربعة دنائير دراهم للفرس وأقل من ذلك
 لأجل ضعفها ورخصها بهذه المدينة واكثرنا الجمال لجر العربات وبهذه المدينة زاوية
 لرجل صالح معمر من الترك يقال له أضا (بفتح الهمزة والطاء المهمل) ومعناه الوالد
 أضافها ودعا لنا وأضافنا أيضاً قاضيها ولا أعرف اسمه ثم سرنا منها ثلاثين يوماً سيراً جاداً
 لا نزل الا ساعتين احدهما عند الصبح والاخرى عند المغرب وتكون الاقامة قدر
 ما يطبخون الدقيق وينسربونه وهو ينسج من غلية واحدة ويكون معهم الخليع من اللحم
 يجعلونه عليه ويصبون عليه اللبن وكل انسان انما ينام أو يأكل في عريته حال السير وكان
 نحي في عريتي ثلاث من الجوارى ومن عادة المسافرين في هذه البرية الاسراع لقلة أعشابها
 والجمال التي تقطعها يهلك معظمها وما يبق منها لا ينتفع به الا في سنة أخرى بعد ان يسمن
 والنساء في هذه البرية في مناهل معلومة بعد اليومين والثلاثة وهو ماء المطر والحسيان ثم
 سلكنا هذه البرية وقطعناها كما ذكرناه ووصلنا الى خوارزم وهي أكبر مدن الأتراك
 وأعظمها وأجملها وأضخمها لها الاسواق المايحة والشوارع الفسيحة والعمارة الكثيرة
 والمخاسن الاثيرة وهي ترتج بسكانها اكثر منهم وتموج بهم موج البحر ولقد ركبت بها يوماً
 ودخلت السوق فلما توسعته وبافت متهي الزحام في موضع يقال له الشور (بفتح
 الشين المعجم واسكان الواو) لم أستطع ان أجوز ذلك الموضع لكثرة الازدحام وأردت
 الرجوع فإمكنني لكثرة الناس فبقيت متحيراً وبعد جهد شديد رجعت وذكر لي بعض
 الناس ان تلك السوق يخفف زحامها يوم الجمعة لانهم يسدون سوق القيسارية وغيرها من
 الاسواق فركبت يوم الجمعة وتوجهت الى المسجد الجامع والمدرسة وهذه المدينة من

طاعة السلطان أو زبك وله فيه أمير كبير يسمى قطلود مور وهو الذي عمر هذه المدرسة
ومامعها من المواضع المضافة وأما المسجد فعمرته زوجته الخاتون الصالحة ترابك وتراً
(يضم البناء المعلو وقبحة الرء وأنف) وبك (بفتح الباء الموحدة والكاف) وبخوارزم
مارستان له طبيب شامي يعرف باليهودي نسبة إلى صهيون من بلاد الشام ولم أرفي بلاد
الدينيا أحسن أخلاق من أهل خوارزم ولا أكرم تقوا ولا أحب في الغرباء ولهم عادة
جميلة في الصلاة لم أرها غيرهم وهي أن المؤذنين بمساجدها يطوف كل واحد منهم على دور
حيز أن مسجده معلما لهم بحضور الصلاة فمن لم يحضر الصلاة مع الجماعة ضربه الإمام
بمحضر الجماعة وفي كل مسجدة مدة معاقبة برسم ذلك ويغرم خمسة دنانير تنفق في مصالح
المسجد أو تطعم للفقراء والمساكين ويذكرون أن هذه المادة عندهم مستمرة على قديم
الزمان وبخارج خوارزم نهر جيحون أحد الأنهار الأربعة التي من الجنة وهو يجمد في
أوان البرد كما يجمد نهر أتل ويسلك الناس عليه وتبقى مدة جموده خمسة أشهر وربما سلكوا
عليه عند أخذهم في الذوبان فيها كواو يسافر فيه في أيام الصيف بالراكب إلى ترمذ
ويجلبون منها القمح والشعير وهي مسيرة عشر ليل من بخارج خوارزم زاوية مبنية على
تربة الشيخ نجم الدين الكندي وكان من كبار الصالحين وفيها الطحام للوارد والصادر
وشيخها المدرس سيف الدين من عضبة من كبار أهل خوارزم وبها أيضاً زاوية شيخها
الحال المجاور جلال الدين السمرقندي من كبار الصالحين أيضاً بها وبخارجها قبر الإمام
العلامة أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري وعليه قبة وزمخشري قرية على مسافة أربعة أميال
من خوارزم لما أتيت هذه المدينة زلت بخارجها وتوجهت ببعض أصحابي إلى القاضي
الصدر أبي حفص عمر البكري فبحث إلى نائبة نور الاسلام فسلم علي ثم عاد إليه ثم أتى القاضي
في جماعة من أصحابه فسلم علي وهو في السن كبير الفعالي وله نائبان أحدهما نور الاسلام
المذكور والآخر نور الدين الكرمانلي من كبار الفقهاء وهو الشديد في أحكامه القوي
في ذات الله تعالى ولما حصل الاجتماع بالقاضي قال لي إن هذه المدينة كثيرة الرخام
ودخولكم نهار الايتاني وسيأتي اليكم نور الاسلام لتدخلوا معه من آخر الليل ففعلنا ذلك

ووزلنا بمدرسة جديدة ليس بها أحد ولما كان بعد صلاة الصبح أتى إلينا القاضي المذكور
ومعه من كبار المدينة جماعة منهم مولانا همام الدين ومولانا زين الدين المقدسي ومولانا
رضي الدين يحيى ومولانا فضل الله الرضوي ومولانا جلال الدين العمادي ومولانا شمس
الدين السنجري امام أميرها وهم أهل مكارم وفضائل وأنفالب على مذهبهم الاعتزال
أبكنهم لا يظهرونه لأن السلطان أوزبك وأمير علي هذه المدينة قتلود مور من أهل
السنة وكنت أيام اقامتي بها أصلي الجمعة مع القاضي أبي حفص عمر المذكور بمسجده فاذا
فرغت الصلاة ذهبت معي إلى دار دومي قريبة من المسجد فدخلت معي إلى محاسنه وهو من
أبدع المجالس فيه الفرش الخافلة وحيطانه مكسوة بالملف وفيه طيقان كثيرة وفي كل طاق
منها أواني الفضة المموجة بالذهب والأواني العراقية وكذلك عادة أهل تلك البلاد أن
يصنعوا في بيوتهم شم ياتي بالطعام الكثير وهو من أهل الرقادية والمبارك الكبير والرباع
وهو سلف الأمير قتلود مور متزوج بأخت امرأته واسمها جيجان غاوبه هذه المدينة جماعة
من الوعاظ والمذكورين أكبرهم مولانا زين الدين المقدسي والخطيب مولانا حسام
الدين المشاطي الخطيب الملقب بأحد الخطباء الأربعة الذين لم أسمع في الدنيا أحسن منهم
﴿ وأمر خوارزم ﴾

هو الأمير الكبير قتلود مور وطلو (بضم القاف وسكون الطاء المهمل وضم اللام)
ودور (بضم الدال المهمل والميم وواو مدورا) ومعنى اسمه الحديد المبارك لأن
طلوه المبارك ودور هو الحديد وهذا الأمير ابن خالة السلطان المعظم محمد أوزبك
وأكبر امرأته وهو وانيه علي خراسار وولد له هرون بك متزوج بابنة السلطان المذكور
التي أمها الملكة طيغتل المتقدمة ذكرها و امرأته الخاتون ترابك صاحبة المكارم الشهيرة
ولما أتاني القاضي مسلما على كاذبة قال لي إن الأمير قد علم بقدر ملك وبه بقية مرض
يتم من الأتيان إليك فركبت مع القاضي إلى زيارته وأتينا داره فدخنا مشورا كبيرا
أكثر بيوت خشب ثم دخنا مشورا صغيرا فيه قبة خشب مزخرفة قد كسيت حيطانها
بأنف الملون وسقفها بالحريز المذهب والأمير علي فرش له من الحرير وقد غطي رجله

لما بهما من النقرس وهي علة فاشية في الترك فسلمت عليه وأجابني الى جانبه وقعد القاضي
والفقيه وسألني عن سلطان المالك محمد أوزبك وعن الحاتون ييلون وعن أبيهما وعن
مدينة القسطنطينية فأعاطته بذلك كله ثم أتني بالموائد فيها السهماء من الدجاج المشوية
والكرأكي وأفرأخ الخمام وخبز معجون بالسمن يسمونه الكليجا والككمك والحلوات ثم
أتني بموائد أخرى فيها الفواكه من الرمان الحبيب في أواني الذهب والفضة ومعه ملاعق
الذهب وبضه في أواني الزجاج العراقي ومعه ملاعق الخشب ومن الغنم والبطيخ المحبب
ومن عوائد هذا الأمير أن يأتي القاضي في كل يوم الى مشوره فيجلس بمجلس معد له
ومعه الفقهاء وكتابه ويجلس في مقابلاته أحد الأمراء الكبراء ومعه ثمانية من كبراء أمراء
الترك وشيوخهم يسمون الارغجية (يارغو جي) ويتحاور الناس اليهم فكل من كان من
القضايا الشرعية يحكم فيها القاضي وما كان من سواها يحكم فيها أولئك الأمراء وأحكامهم
مضبوطة عادلة لا هم لا يهتمون بميل ولا يقبلون رشوة ولما عدنا الى المدرسة بعد الجنوس
مع الأمير بعث الينا الارز والدقيق والقمح والسمن والابزار وأحمل الحطب وثلاث البلاد
كلها لا يعرف بها الفحجم وكذلك الهندو خراسان وبلاد المعجم وأماله بن فيو قدون فيها
حجارة تشتعل في النار كما تشتعل في الفحم ثم اذا صارت رمادا عجنوه بالماء وجففوه
بالشمس وطبخوا بها ثانية كذلك حتى يتلاشا

﴿ حكاية ومكرمة لهذا القاضي والامير ﴾

صليت في بعض أيام الجمع على عادتي بمسجد القاضي أبي حفص فقال لي ان الأمير أمر لك
بخمسمائة درهم وأمر أن يصنع لك دعوة تنفق فيها خمسمائة درهم أخرى يحضرها المشايخ
والفقهاء والوجوه فلما أمر بذلك قلت له أيها الأمير تصنع دعوة يأكل من حضرها القمة أو
لقمة لو جعلت له جميع المال كان أحسن له لانتفع فقال أفعل ذلك وقد أمر لك بالالف
كاملة ثم بعثها الأمير صحبة امامه شمس الدين السنجري في خريطة يحملها غلامه
وصرفها من الذهب المغربي ثلاثمائة دينار وكنت قد اشتريت ذلك اليوم فرسا أدهم اللونه
بخمسة وثلاثين ديناراً درهم وركبته في ذهابي الى المسجد فأعطيت ثمنه الا من تلك

الالف وتكاثرت عندي الخيل بعد ذلك حتى انتهت الى عدد لا أذكره خيفة مكذب
يكذب به ولم تزل حالي في الزيادة حتى دخلت أرض الهند وكانت عندي خيل كثيرة لكنني
كنت أفضل هذا الفرس وأوثره وأربطه امام الخيل وبقي عندي الى انقضاء ثلاث سنين
ولما ملك تغيرت حالي وبعثت الى الخاتون جيجانغا امرأة القاضي مائة دينار دراهم
وصنعت لي اختها رابك زوجة الامير دعوة جمعت لها الفقهاء ووجوه المدينة زاويتها التي
ينتهي فيها الطعام للوارد والصادر وبعثت الي بقرة سمور وفرس جيد وهي من أفضل
النساء وأصلحهن وأكرههن جزاها الله خيرا ﴿حكاية﴾

وبالانفصلت من الدعوة التي صنعت لي هذا الخاتون وخرجت عن الزاوية تعرضت لي
بالباب امرأة عليها ثياب دنسة وعلى رأسها مقنعة ومعها نسوة لا أذكر عددهن فسلمت
علي فرددت عليهن السلام ولم أقف معها ولا التفت اليها فلما خرجت أدركني بعض الناس
وقال لي ان المرأة التي سلمت عليك هي الخاتون فخرجت عن ذلك وأردت الرجوع اليها
فوجدتها قد انصرفت فأبلغت اليها السلام مع بعض خدامها واعتذرت عما كان مني لعدم
معرفة بها ﴿ذكر بطيخ خوارزم﴾

و بطيخ خوارزم لا نضيره في بلاد الدنيا شرقا ولا غربا الا ما كان من بطيخ بخاري ويلييه
بطيخ أصفهان وقشره أخضر وباطنه أحمر وهو صادق الحلاوة وفيه صلابة ومن
العجائب انه يقدر وييسر في الشمس ويجعل في القواصر كما يصنع عندنا بالشريحة وباتين
لنمالي ويحمل من خوارزم الى أقصى بلاد الهند والصين وليس في جميع الفواكه اليابسة
أطيب منه وكنت أيام اقامتي بدهلي من بلاد الهند متي قدم المسافرون بعثت من يشتري لي
منهم قديد البطيخ وكان ملك الهند اذا أتى اليه بشئ منه بعث الى بهلما يعلم من يحب في
ومن عادته انه يعطى الغرباء بقواكه بلادهم ويتفقدون بذلك ﴿حكاية﴾

كان قد صحتني من مدينة السرا الى خوارزم شريف من أهل كر بلاه يسمى علي بن
متصور وكان من التجار فكنت أكلفه أن يشتري لي الثياب وسواها فكان يشتري لي
التوب بعشرة دنانير ويقول اشتريته بثمانية ويحاسبني بالثمانية ويدفع الدينارين من ماله

وأنا أعلم إلى بفعله إلى أن تعرفت ذلك على السنة الناس وكان مع ذلك قد أسلفني دنائير فلما
وصل إلى احسان أمير خوارزم رددت إليه ما أسلفنيه وأردت أن أحسن بعده إليه مكافأة
لأفعاله الحسنة فأبى ذلك وحلف أن لا تفعل وأردت أن أحسن إلى فتي كان له اسمه كافور
لحلف أن لا أفعل وكان أكرم من أقيته من المراقين وعزم على السفر معي إلى بلاد الهند
ثم إن جماعة من أهل بلده وصلوا إلى خوارزم برسم السفر إلى الصين فأخذني السفر
معهم فقلت له في ذلك فقال هؤلاء أهل بلدي يهودون إلى أهل وأقاربهم ويذكرون أني
سافرت إلى الهند برسم الكدية فيكون سبة على لا أفعل ذلك وسافر معهم إلى الصين فبلغني
بعد وأنا بأرض الهند أنه لما بلغ إلى مدينته المألق وهي آخر البلاد التي من عمالة ما وراء
النهر وأول بلاد الصين أقام بها وبعث نفي له بما كان عنده من المتاع فأبطأ الفتي عليه وفي
أثناء ذلك وصل من بلده بعض التجار ونزل معه في فندق واحد فطلب منه الشريف أن
يسلفه شيئا بخلال ما يصل فتاه فلم يفعل ثم أكد قبح ما صنع في عدم اتسعة على الشريف
بأن أراد الزيادة عليا في المسكن الذي كان له في الفندق فباع ذلك الشريف فاعتم منه ودخل
إلى بيته فذبح نفسه فدرك وبهرمق واتهموا غلاما كان له بقله فتعال لهم لا نظام ومفاني
أنا فعلت ذلك بنفسى ومات من يومه غفر الله له وكان قد حكى إلى عن نفسه أنه أخذ مرة من
بعض تجارده شق ستة آلاف درهم قرضا فباعه ذلك التاجر بمدينة حماة من أرض الشام
فطلبه بالمال وكان قد باع ما اشترى به من المتاع بالدين فاستحيا من صاحب المال ودخل
إلى بيته وربط عمامته بسقف البيت وأراد أن يخنق نفسه وكان في أجله تأخير فتذكر
صاحب له من الجوارفة فتصدده وذكر له القضية فسانه ما لا دفعه تاجر ولم أأردت السفر
من خوارزم أكثر من جمالا واشترت محارة وكان عدلي بهر ساعيف الدين التوزري
وركب الخدام بعض الخيل وجللنا باقيها لاجل البرد وخلصنا البرية التي بين خوارزم
وبخارى وهي مسيرة ثمانية عشر يوما في رمال لا عمارة بها إلا بلدة واحدة فودعت الأمير
قطلودمور وخلص على خلعة وخلص على القاضي أخري وخرج مع الفقهاء لوداعي وسرنا
أربعة أيام ووصلنا إلى مدينة الكات وليس بهذه الطريق عمارة سواها (وضبط اسمها)

فتفتح المهمة وسكون اللام وآخره ثمانية) وهي صغيرة حسنة زلزالا خارجها على بركة ماء قد جمدت من البرد فكان الصبيان يعبون فوقها ويلقون عابها وسمع تقدمي قاضي الكات ويسمى صدر الشريعة وكنته . لقيه بدار قاضي خوارزم فجاء اليه مسلماً مع الطلبة وشيخ المدينة الصالح العابد محمود الخيوي ثم عرض على القاضي الوصول الي أمير تلك المدينة فقال له الشيخ محمود القادم ينبغي له أن يزار وإن كانت لتساهمة تذهب الي أمير المدينة وتأتي به ففعلوا ذلك وأتى الأمير بعد ساعة في أصحابه وخدامه فسامعنا عليه وكان غرضنا تعجيل السفر فطلب منا الأمانة وصنع دعوة جمع له الفقهاء ووجوه العلماء كروسواهم ووقف الشمراء بمدحونه وأعطاني كسوة ووفر ساجيداً وسر ناسلي الطريق المعروفة بسيديا وفي تلك الصحراء مسيرة ست دون ماء وصلنا بعد ذلك الي بلدة وبكنة (وضبط اسمها بفتح الواو واسكان اليا . الموحدة وكاف ونون) وهي على مسيرة يوم واحد من بخارى بلدة حسنة ذات أسوار وبساتين وهم يدخرون العنب من سنة الي سنة وعندهم حكمة يسمونها العلو (ألا لو بالعين المهمة وتشديد اللام) فيببونه ويحلبه الناس الي الهند والصين ويجعل عليه الماء ويشرب ماؤه وهم أيام كونه أخضر حلوا فاذا يبس صار فيه يسير حموضة ولحميته كثيرة ولم أر مثله بالاندلس ولا بالمغرب ولا بالشام ثم سرنا في بساتين متصلة وأنهار وأشجار وعمارة يوما كاملا ووصلنا الي مدينة بخارى التي ينسب اليها امام المحدثين أبو عبد الله محمد بن اسمعيل البخارى وهذه المدينة كانت قاعدة ما وراء نهر جيحون من البلاد وخربها التتار حتى ترى جسد ملوك العراق فسادها الآن ومدارسها وأسواقها خربة الا القليل وأهلها أذلاء وشهادتهم لا تقبل بخوارزم وغيرها لا شتهارهم بالتعصب ودعوى الباطل وانكار الحق وليس بها اليوم من الناس من يعلم شيئا من العلم ولا من له عناية به

﴿ ذكر أولية التتار وتخريبهم بخارى وسوادا ﴾

كان تكيز خان حدادا بأرض الخطا وكان له كرم ونفس وقوة وبسطة في الجسم وكان يجمع الناس ويطلعهم ثم صارت له جماعة فقدموه على أنفسهم وغلب على بلدة وقوى واشتدت

شوكته واستفحل أمره فغلب على ملك الخطا ثم على ملك الصين وعظمت حيوشه
وتغلب على بلاد الحن وكاشخرو والمسالق وكان جلال الدين سنجر بن خوارزم شاه ملك
خوارزم وخراسان وماوراء النهر له قوة عظيمة وشوكة فهابه تنكيز وأحجم عنه ولم
يتعرض له فاتفق ان يمت تنكيز تجار ايامتعة الصين والخطا من الثياب الحريرية وسواها الى
بلدة أطرار (بضم الهمزة) وهي آخر عمالة جلال الدين فبعث اليه عامه عليها فلما
بذلك واستأذنه ما يفعل في أمرهم فكتب انيه يأمره أن يأخذ أموالهم ويمثل بهم ويقطع
أعضاءهم ويردهم الى بلادهم لمسا أراد الله تعالى من شقاء أهل بلاد المشرق ومخنتهم رأيا
قاتلا ونديرا سيئا مشؤما فافعل ذلك تجهز تنكيز بنفسه في عساكر لا تحصى كثرة برسم
غزو بلاد الاسلام فلما سمع عامل أطرار بحركته بعث الجواسيس ليأتوه بخبره فذكر ان
أحدهم دخل محلة بعض أمراء تنكيز في صورة سائل فلم يجد من يطعمه ونزل الى جانب
رجل منهم فلم ير عنده زاد أو لأطعمه شيئا فلما أمسى أخرج مسرانا يابسة عنده فلما بالساء
وفقد فرسه وماله ابنته وعقدها وشواها بالثار فكانت طمامه فعاد الى أطرار فأخبر
عاملها بأمرهم وأعلمه ان لا طاقة لاحد بقتلهم فاستمدد ملكه جلال الدين فأمدده بستين
ألفا زيادة على من كان عنده من المساكر فلما وقع القتال هزمهم تنكيز ودخل مدينة أطرار
بالسيف فقتل الرجال وسبي الذراري وأتى جلال الدين بنفسه لمحاربة فكانت بينهم وقائع
لا يعلم في الاسلام مثلها وآل الأمر الي أن تملك تنكيز ماوراء النهر وخرب بخاري وسمرقند
وترمذ وعبهر النهر وهونهر جيحون الى مدينة بلخ فتملكها ثم الى الباميان (الباميان)
فتملكها وأوغل في بلاد خراسان وعراق المعجم فتارعايه المسلمون في بلخ وفي ماوراء
النهر ففكر عليهم ودخل بلخ بالسيف وتركها خاوية على صروشها ثم فعل مثل ذلك في ترمذ
نخربت ولم تمر بعدلكتها بنيت مدينة على ميلين منها هي التي تسمى اليوم ترمذ وقتل أهل
الباميان (الباميان) وهدمها بأسرها الا صومعة جامعها وعناعن أهل بخاري وسمرقند
ثم عاد بعد ذلك الى العراق وانتهى أمر الترحي حتى دخلوا حضرة الاسلام ودار الخلافة
بغداد بالسيف وذبحوا الخليفة المستعصم بالله العباسي رحمه الله

(قال ابن جزى) أخبرنا شيخنا قاضي القضاة أبو البركات ابن الحاج أعزم الله قال سمعت الحطيب أبا عبد الله بن رشيد يقول لقيت بمكة نور الدين ابن الزجاج من علماء العراق ومعه ابن أخ له فتفاوضا الحديث فقال لي هلاك في فتنة التتر بالعراق أربعة وعشرون ألف رجل من أهل العلم ولم يبق منهم غيري وغير ذلك وأشار إلى ابن أخيه

(رجع) قال ونزلنا من بخارى برضاها المعروف بفتح آباد حيث قبر الشيخ العالم العابد الزاهد سيف الدين الباخرزي وكان من كبار الأولياء وهذه الزاوية المنسوبة لهذا الشيخ حيث نزلنا عظيمة لها أوقاف ضخمة يعظم منها الوارد والصادر وشيخها من ذريته وهو الحاج السياح يحيى الباخرزي وأضافني هذا الشيخ بداره وجمع وجوه أهل المدينة وقرأ انقراء بالاصوات الحسان ووعظ الواعظ وغنوا بالتركي والفارسي على طريقة حسنة وصرت لنا هناك ليلة بديعة من أعجب الليالي واقيت بها الفقيه العالم الفاضل صدر الشريعة وكان قد قدم من هرات وهو من الصالحاء الفضلاء وزرت بخارى قبر الامام العالم أبي عبد الله البخاري مصنف الجامع الصحيح شيخ المسلمين رضي الله عنه وعليه مكتوب هذا قبر محمد بن اسمعيل البخاري وقد صنف من الكتب كذا وكذا وكذلك على قبور علماء بخارى أسماؤهم وأسماء تصانيفهم وكنت قيدت من ذلك كثير أوضاع مني في جملة ماضع لي لما سافرت في كنفار الهند في البحر ثم سافرتنا من بخارى قاصدين معسكر السلطان الصالح المعظم علاء الدين طره شيرين وسند كره فررنا على نخشب البلدة التي ينسب اليها الشيخ أبو تراب النخشي وهي صغيرة تحف بها البساتين والبياد فزلنا بخارجها بدار لا ميرها وكان عندي جارية تدعى ريت الولادة وكنت أردت حياها إلى سمرقند لتلد بها فاتفق أنها كانت في الحمل فوضع الحمل على الجمل وسافر أصحابنا من الليل وهي معهم والزاد وغيره من أسبابي وأقت أنا حتى ارتحل نهاراً مع بعض من هم فسلكوا طريقاً وسلكت طريقاً سواهما فوصلنا عشية النهار على محلة السلطان المذكور وقد جئنا فزلنا على بعد من السوق واشتري بعض أصحابنا ماسد جو عتنا وأعارنا بعض التجار خباءً يتنابها تلك الليلة ومضى أصحابنا من اخذ في البحث عن الجمال وباقي الأصحاب فوجدوهم عشياً وجأوا بهم وكلهم

السلطان غائباً عن المحلة في الصيد فاجتمعت بنائبه الاميرة تقيما فانزلني بقرب مسجده
وأعطاني خرقة (خرگاه) وهي شبه الخباء وقد ذكرنا صفتها فيما تقدم فجعلت الجارية في
تلك الخرقة فولدت تلك اليلة مولودا وأخبروني انه ولد ذكر ولم يكن كذلك فلما كان بعد
العقيقة أخبرني بعض الاصحاب ان المولود بنت فاستحضرت الجوارى فسألتهن فأخبرني
بذلك وكانت هذه البنت مولودة في طالع سـ مد فرأيت كل ما يسرنى ويرضيني منذ ولدت
وتوفيت بعد وصولي الى الهند بشهرين وسيد ذكر ذلك واجتمعت به هذه المحلة بالشيخ
الفقيه العابد مولانا حسام الدين الياغى (بالياء آخر الحروف والغين المعجمة) ومعناه
بالتركية الثائر وهو من أهل أطرارو بالشيخ حسن صهر السلطان

ذكر سلطان ماوراء النهر

وهو السلطان المعظم علاء الدين طر مشيرين (وضبط اسمه بفتح الطاء المهمل وسكون
الراء وفتح اليم وكسر الشين المعجم وياء مدورا مكسورا وياء مدنية ونون) وهو عظيم
المقدار كثير الجيوش والعساكر ضخم الممالك شديدة القوة عادل الحكم والادب
متوسطة بين أربعة من ملوك الدنيا الكبار وهم ملك الصين وملك الهند وملك العراق
والملك أوزبك وكلهم يمدونه ويعظمونه ويكرمونونه وولى الملك بعد أخيه الجبكطى
(وضبط اسمه بفتح الجيم المعقودة والكاف والطاء المهمل ويكون الياء) وكان الجبكطى
هذا كافرا وولى بعد أخيه الأكبر بك وكان بك هذا كافرا أيضاً لكنه كان عادل
الحكم منصفاً للمظلومين يكرم المسلمين ويعظمهم

﴿حكاية﴾

بذكر ان هذا الملك بك تكلم يوم ما مع الفقيه الواعظ المذكور بدر الدين الياغى فقال له
أنت تقول ان الله ذكر كل شئ في كتابه العزيز قال نعم فقال اين اسمي فيه فقال هو في قوله
تعالى في اى صورة ما شاء ربك فأعجبه ذلك وقال يخشى ومعناه بالتركية جيداً كرمه

﴿حكاية﴾

اكراما كثيرا وزاد في تعظيم المسلمين
ومن احكام بك ما ذكر ان امرأة شكت له بأحد الامراء وذكرت انها فقيرة ذات اولاد
وكان لها ابن تقوتهم ثمنه فاغتصبه ذلك الامير وشربه فقال لها انا اوسطه فان خرج الابن

من جوفه مضى اسيله والاوسطك بعدده فمات المرأة قد حلاته ولاأطلبه بشي فأمر به
فوسط فخرج الابن من بطنه ولمعدلذ كرا. لمطان طر مشيرين ولماقت بالمحلة وهم يسمونها
الاردو أيا ما ذهب يوم الصلاة الصبح بالمسجد على عادتي فلما صليت ذكر لي بعض الناس
ان السلطان بالمسجد فاما قام عن مصلاة تقدمت لاسلام عليه وقام الشيخ حسن والفقير
حسام الدين الباعجي واعلماء بحالي وقدموني منذ أيام فقال لي بالتريسة خش ميسن بخشي
ميسن قطلو ايوسن ومعنى خش ميسن في عافية انت ومعنى بخشي ميسن حيد أنت ومعنى
فصلو ايوسن مبارك قدومك وكان عليه في ذلك الحين قبا قدسي أخضر وعلى رأسه شاشية
ممه ثم انصرف الى مجلسه راجلا والناس يتعرون له بالكسايات فيقف الكل مشتت منهم
سبراً او كبير اذ كرا أو أنثى ثم بحث عنى فوصلت اليه وهو في خرقة والناس خارجها
مينة وميسرة والامراء منهم على الكراسي واصحابهم وقوف على رؤسهم وبين ايديهم
الجندة وجلسوا اصنفوا امام كل واحد منهم سلاحه وهم اهل النوبة يقعدون
هناك الى العصر ويأتي آخرون فيتعبدون الى آخر الليل وقد صنعت هنالك سقائف من
زيت القطن يكونون بها ولما دخلت الى الملك بداخل الخرقة وجدته جالساً على كرسي
من المنبر مكسوبا بالحرير المزركش بالذهب وداخل الخرقة ملبس بثياب الحرير المذهب
والساج المرصع بالجواهر والياقيات معاق فوق رأس السلطان بينه وبين رأسه قدر ذراع
والامراء الكبار على الكراسي عن يمينه ويساره وأولاد الملوك بأبدسهم المذاب بين يديه
وسد باب الخرقة النائب والوزر والخاص وصاحب العلامة وهم يسعون آل طمني
وال (بفتح الحزة) معناه الاحمر وطمني (بفتح الطاء المهمل وسكون الميم والغين
العجم المفتوح) ومعناه العلامة وقام الي اربعتهم حين دخولي ودخلوا معي فسلمت عليه
وسألني وصاحب العلامة بترجم يني وبينه عن مكة والمدينة والقدس شرفها الله وعن
مدينة الخليل عليه السلام وعن دمشق ومصر والملك الناصر وعن العراقيين وملكهما
وبلاد الاعاجم ثم اذن المؤذن بالظهور فانصرفنا وكنا نحضر معه الصلوات وذلك ايام
البرد الشديد المهلك فكان لا يترك صلاة الصبح والعشاء في الجماعة ويقعدلذ كر بالتركية

بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس و يأتي اليه كل من في المسجد فيصافحه ويشد يده على يده وكذلك يفعلون في صلاة العصر وكان اذا أتى بهدية من زبيب أو تمر أو تمر عنبر عندهم وهم يتبركون به يعطى منها بيده لكل من في المسجد ﴿حكاية﴾
ومن فضائل هذا الملك انه حضرت صلاة العصر يوم ما ولم يحضر السلطان فجاء أحد قتيابه بسجادة ووضعها بين يديه المحراب حيث جرت عادته ان يسلم على وقال الامام حسام الدين الياغي ان مولانا يريد ان تنتظره بالصلاة قليلا رغبنا في توشا فقام الامام المذكور وقال انا ومناء الصلاة برأى حدا أو برأى طر مشيرين أي الصلاة لله أو طر مشيرين تم أمر المؤذن باقامة الصلاة وجاء السلطان وقد صلى منهار كتمان فصلى الركعتين الأخيرتين حيث انتهى به القيام وذلك في الموضع الذي تكون فيه أنملة الناس عند باب المسجد وقضى مافاته وتام الى الامام ليصافحه وهو يضحك وجلس قبالة المحراب والشيخ الامام الي جانبيه وأنا الى جانب الامام فقال لي اذا مشيت الى بلادك فحدث ان فقير من فقراء الاعاجم يفعل هكذا مع سلطان الترك وكان هذا الشيخ يعظ الناس في كل جمعة ويأمر السلطان بالمعروف وينهاه عن المنكر وعن الظلم ويغاض عليه القول والسلطان ينصت لكلامه ويبيكي وكان لا يقبل من عطاء السلطان شيئا ولم يأكل قط من طماه ولا لبس من ثيابه وكان هذا الشيخ من عباد الله الصالحين وكنت كثيرا ما أرى عليه قبعة تمان مبعثرة بالقطن محشوا به وقد نلى وتزق وتلى رأسه قانسوة لبد يساوي مثلها فقيراتها ولا عمامة عليه فقطات له في بعض الايام يأسى يدى ما هذا القباء الذي أنت لابسه انه ليس بجيد فقال لي يا ولدي ليس هذا القباء لي وانما هو لابني فرغبت منه ان يأخذ به بعض ثيابي فقال لي عاهدت الله منذ خمسين سنة ان لا أقبل من أحد شيئا ولو كنت أقبل من أحد لقبته بك ولما عزمت على السفر بعد مقامي عنده هذا السلطان أربعة وخمسين يوما أعطاني السلطان سبعمائة دينار دراهم وفروة سمور تساوي مائة دينار طلبتها منه لاجل البرد ولما ذكرتها له أخذ أكمامي وجعل يقبلها بيده تواضعا منا وفضلا وحسن خلق وأعطاني فرسين وجملين واسبأ أردت وداعه أدركت في أثناء طريقة الي متصيده وكان اليوم شديد البرد

جسدافو الله ما قدرت على ان أنطق بكلمة لشدة البرد فنفهم ذلك وضحك وأعطاني يده
وانصرفت وبعد سنتين من وصولي الى أرض الهند بلغنا الخبر بأن الملائم من قومه وأمرائه
اجتمعوا بأقصى بلاده المجاورة للصين وهناك معظم عساكره وبايعوا ابن عم له اسمه
بوزن أغلى وكل من كان من أبناء الملوك فهم يسمونه أغلى (بضم الهمزة وسكون الغين
المعجمة وكسر اللام) وبوزن (بضم الباء الموحدة وضم الزاي) وكان مسلماً إلا أنه
فاسد الدين سيئ السيرة وسبب بيعتهم له وخاعهم لطمشيين ان طر مشيرين خالف
أحكام جدهم تنكيزاً ثمين الذي خرب بلاد الاسلام وقد تقدم ذكره وكان تنكيز ألف
كتاباً في أحكامه يسمي عندهم اليساق (بفتح الياء آخر الحروف والسين المهملة وآخره
قاف) وعندهم أنه من خالف أحكام هذا الكتاب نخاعه واجب ومن جملة أحكامه أنهم
يجتمعون يوماً في السنة يسمونه الطوى ومعناه يوم الضيافة ويأتى أولاد تنكيز والأمراء
من أطراف البلاد ويحضر الخواتين وكبار الأجناد وان كان سلطانهم قد غير شيئاً من تلك
الأحكام يقوم اليه كبارهم فيقولون له غيرت كذا وغيرت كذا وفعلت كذا وقد وجب
خاعك ويأخذون يده ويقيمونه عن سرير الملك ويقعدون غيره من أبناء تنكيز وان كان
أحد الأمر الكبار أذنب ذنباً في بلاده حكموا عليه بما يستحقه وكان السلطان طر مشيرين
قد أبطال حكم هذا اليوم ومحارسمه فانكروا عليه أشد الانكار وأنكروا عليه أيضاً كونه
أقام أربع سنين فيما بين خراسان من بلاده ولم يصل الى الجهة التي توالى الصين والعادة ان
الملك يقصد تلك الجهة في كل سنة فيختبر أحوالها وحال الجند بها لان أصل ما لهم منها
و دار الملك هي مدينة الماسلق فلما بايعوا بوزن أتى في عسكر عظيم وخاف طر مشيرين على
نفسه من أمرائه ولم يأمنهم فركب في خمسة عشر فارساً يريد بلاد غزنة وهي من عمالاته
ووالها كبير أمرائه وصاحب سره برنطيه وهذا الأمير محب في الاسلام والمسلمين قد
عمر في عمالاته نحو أربعين زاوية فيها الطعام للوارد والصادر وتحت يده العساكر العظيمة
ولم أرقط فيمن رأيت من الآدميين بجميع بلاد الدنيا أعظم خلقاً منه فلما عبر نهر جيحون
وقصد طريق بلخ رآه بعض الأتراك من أصحاب يفتي ابن أخيه بك وكان السلطان

طرمشيرين المذكور قتل أخاه كيك المذكور وبقى ابنته يتقى بيلخ فلما أعلمه التركي بخبره
 قال ما فر إلا لأمر حدث عليه فر كب في أصحابه وقبض عليه وسجنه ووصل بوزن الى
 سمرقند وبخاري فبايعه الناس وجاءه يتقى بطرمشيرين فيذكر أنه لما وصل الى نصف
 بخارج سمرقند قتل هنالك ودفن بها وخدم تربته الشيخ شمس الدين كردن بريدا و قيل
 أنه لم يقتل كما سئد كرمو كردن (بكاف معقودة وراء مسكن ودال مهممل مفتوح و نون)
 ومعناد العنق وبريدا (بضم الباء الموحدة وكسر الراء وياء مدودال مهممل) معناه المقطوع
 ويسمى بذلك لضربة كانت في عنقه وقد رأى أنه بارض الهند ويقع ذكره فيما بعد ولما ملك
 بوزن هرب ابن السلطان طرمشيرين وهو بشاي أغل (أغلى) وأخته وزوجها فيروز
 الى ملك الهند فمظمهم وأنزلهم منزلة عليية بسبب ما كان بينه وبين طرمشيرين من الود
 والمكاتبة والمهاداة وكان يخاطبة بالاخ ثم بعد ذلك أتى رجل من أرض السند وادعى أنه
 هو طرمشيرين واختلف الناس فيه فجمع بذلك عماد الملك سرتيز غلام ملك الهند
 ووالي بلاد السند وسمى ملك عرض وهو الذي ترض بين يديه عساكر الهند واليه
 أمرها وقره بملتان قاعدة السند فبعث اليه بعض الأتراك العارفين به فعادوا اليه وأخبروه
 أنه هو طرمشيرين حثافاً مرله بالسراجة وهي افراج فضرب خارج المدينة ورتب له
 ما يرتب لملكه وخرج لاستقباله وترجل له وسلم عليه وأتى في خدمته الي السراجة فدخلها
 راكباً كعادة الملوك ولم يشك أحد أنه هو وبعث الى ملك الهند بخبره فبعث اليه الأمراء
 يستقبلونه بالضيافات وكان في خدمة ملك الهند حكيم ممن خدم طرمشيرين فيما تقدم وهو
 كبير الحكماء بالهند فقل ناماك أنا أتوجه اليه وأعرف حقيقة أمره فاني كنت عالجت له
 دماً لمحت ركبته وبقى أثره وبه أعرفه فأتي اليه ذلك الحكيم واستقبله مع الأمراء ودخل
 عايه ولازمه لسابقته عنده وأخذ يغمر رجليه وكشف عن الأثر فشمه وقال له تريد أن
 تنظر الي الدم الذي عالجت به ها هو ذا وأراه أثره فتحقق أنه هو وعاد الي ملك الهند
 فاعلمه بذلك ثم إن الوزير خواجيه جهان أحمد بن اياس وكبير الأمراء قظلو خان معلم
 السلطان أيام صغره دخل على ملك الهند وقال له يا خوند عالم هذا السلطان طرمشيرين

قد وصل وصح انه هو وههنا من قومه نحو اربعين الفا وولده وصهره أرايت ان اجتمعوا عليه ما يكون من العمل فوق هذا الكلام بموقع منه عظيم وامر ان يؤتي بطر مشيرين معجلا فلما دخل عليه امر بالخدمة كسائر الواردين ولم يعظم وقال له السلطان يا مادر كافي وهي شتمه قبيحة كيف تكذب وتقول انك طر مشيرين وطر مشيرين قد قتل وهذا خادم تربته عندنا الله لا المعرة اقتلتك ولكن اعطوه خمسة آلاف دينار واذهبوا به الي دار بشاي اغلي واخته ولدي طر مشيرين وقولوا لهم ان هذا الكاذب يزعم انه ولدكم فدخل عليهم فعرفوه وبات دندهم والحراس يحرسونه واخرج بالغرو خافوا ان يهاكوا بسببه فانكروه ونفى عن بلاد الهند و"سند فسلك طريق كيج ومكران واهل البلاد يكرمونه ويضيفونه ويهادونه ووصل الى شيراز فاكرمهم سلطانها ابواسحق وجرى له كفايته ولم ادخلت عند وصولي من الهند الي مدينة شيراز ذكر لي انه باق بها وارتدت لقائه ولم افعل لانه كان في دار لا يدخل اليه احدا الا باذن من السلطان ابواسحق فحدثت بها يتوقع بسبب ذلك ثم ندمت على عدم لقائه

(رجع الحديث الي بوزن) وذلك انه لما ملك ضيق على المسلمين وظلم الرعية وانحاز للنصارى واليهود عمارة كنائسهم فضج المسلمون من ذلك وترى صوابه الدوائر وانفصل خبره بنخايل ابن السلطان اليسور المزموم على خراسان فقصد ملك هرات وهو السلطان حسين ابن السلطان غياث الدين الغوري فأعلمه بما كان في نفسه وسأل منه الاعانة بالساكر والمال على أن يشاظره الملك اذا استقام له فبعث معه الملك حسين عسكر اعضيا وبين هرات والترمذ تسعة أيام فلما سمع أمرا السلطان بدم خليل تاقوه بالسبع والطاعة والرغبة في جهاد العدو وكان أول قادم عليه علاء الملك خداوند زاده صاحب رمد وهو أمير كبير شريف حسيني النسب قاتنا في أربعة آلاف من المسلمين فسر به وولاه وزارته وفوض اليه أمره وكان من الابطال وجاء الامراء من كل ناحية واجتمعوا على خليل والتقى مع بوزن فسالت العساكر الي خليل وأسلموا بوزن وأتوا به أسيرا فقتله خنقا باو تار القسي وتلك عادة لهم انهم لا يقتلون من كان من أبناء الملوك الا خنقا واستقام الملك لخليل وعرض

عساكره بسمرقند فكانوا ثمانين الفاعايتهم وعلى خيلهم الدروع فصرف العسكر الذي
جاءه من هرات وقصد بلاد المالق فقدم التتر على أنفسهم واحدا منهم والقوه على مسيرة
ثلاث من المسالق بمقربة من اطراز (طراز) وحمي التتال وصبر الفريقان فحمل الامر
خداوند زاده وزيره في عشرين الفامن المسلمين حملة لم يثبت لها التتر فانهزموا واشتد
فيهم القتل وأقام خليل بالمالق ثلاثا وخرج الى استنصال من بقي من التتر فاذعنوا له بالطاعة
وجاز الى تخوم الخطا والصين وقبح مدينة قراقرم ومدينة بش بالغ وبعث اليه سلطان الخطا
بالمساكر ثم وقع بينهم الصلح وعظم أمر خليل وهابته الملوك وأظهر العدل ورتب
المساكر بالمالق وترك بها وزيره خداوند زاده وانصرف الى سمرقند وبخاري ثم ان
الترك أرادوا الفتنة فسموا الى خليل بوزيره المذكور وزعموا انه يريد الثورة ويقول
به أسبق بالملك لقرايته من النبي صلى الله عليه وسلم وكرمه وشجاعته فبعث واليا الى المالق
عوضا عنه وامره أن يقدم عليه في نفر يسير من أصحابه فلما قدم عليه قله عند وصوله من
غير تثبت فكان ذلك سبب خراب ملكه وكان خليل لما عظم أمره بقي على صاحب هرات
الذي أورثه الملك وجهزه بالمساكر وانال فكتب اليه أن يخطب في بلاده باسمه ويضرب
الدنانير والدراهم على سكوته ففاظ ذلك الملك حسينا واتق منه وأجابه بأقبح جواب
فتجهز خليل لقتاله فلم توافقه عساكر الاسلام ورأوه باغيا عليه وبلغ خبره الى الملك حسين
فجهز المساكر مع ابن عمه ملك ورنال واتقى الجمعان فانهزم خليل وأوتى به الى الملك حسين
أسير آمن عليه بالبقاء وجعله في دار وأعطاه جارية وأجرى عليه التفقة وعلى هذا الحال
تركته عنده في أواخر سنة سبع وأربعين عند خروجه من الهند ولما دالي ما كنا بسبيله
ولما وادعت السلطان طر مشيرين سافرت الى مدينة سمرقند وهي من أكبر المدن
وأحسنها وأتمها جمالا مبنية على شاطي وادي يعرف بوادي القصارين عليه التوا عبر تسقى
الساتين وعنده يجتمع أهل البلد بعد صلاة العصر للزفة والفرج ولهم عليه مساطب
ومجالس يقعدون عليها ودكاكين تباع بها الفاكهة ومائر الماء كولات وكانت على شاطئه

قصور عظيمة وعمارة تنبئ عن علوهم أهلها فدنوا أكثر ذلك وكذلك المدينة خرب
 كثير منها ولا سور لها ولا أبواب عليها وفي داخلها البساتين وأهل سمرقند لهم مكارم
 اخلاق ومحبة في الغريب وهم خير من أهل بخارى وبخارج سمرقند قبر قثم بن العباس بن
 عبد المطلب رضي الله عن العباس وعن ابنه وهو المستشهد حين فتحها وخرج أهل
 سمرقند كل ليلة اثنين وجمعة الى زيارته والتريأتون لزيارته وينذرون له النذور العظيمة
 ويأتون اليه بالبقر والغنم والدراهم والدنانير فيصرف ذلك في النفقة على انوار دو الصادر
 ولخدام الزاوية والقبر المبارك وعليه قبة قائمة على أربع أرجل ومع كل رجل ساريتان من
 الرخام منها الخضرو والسود والبيض والحمر ويطان القبة بالرخام المجزع المنقوش بالذهب
 وسقفها مصنوع بالرخام وعلى القبر خشب الابنوس المرصع مكسو الاركان بالفضة
 وفوقه ثلاثة من قناديل الفضة وشرش القبة بالصوف والقطن وخارجها نهر كبير يشق
 الزاوية التي هنالك وعلى حافته الاشجار ودوالي العنب والياسمين وبالزاوية مساكن
 يسكنها الوارد والصادر ولم يغير التترأيا كفرهم شيئا من حال هذا الموضع المبارك بل
 كانوا يتبركون به لما يرون له من الآيات وكان الناظر في كل حال هذا الضريح المبارك وما
 يليه حين نزولنا به الامير غياث الدين محمد بن عبد القادر بن عبد العزيز بن يوسف بن
 الخليفة المستنصر بالله العباسي قدمه لذلك السلطان طر مشيرين لما قدم عليه من العراق
 وهو الآن عند ملك الهند وسأني ذكره واقيت بسمرقند قاضيها المسمي عندهم صدر
 الجهان وهو من افضلاء ذوي المكارم وسافر الى بلاد الهند بعد سفره اليها فأدركته
 منيته بمدينة ملتان قاعدة بلاد الهند

﴿ حكاية ﴾

نسبنا هذا القاضي بملتان كتب صاحب الخبر بأمره الى ملك الهند وانه قدم برسم بابه
 فاخترم دون ذلك فلما بلغ الخبر الى الملك أمر ان يبعث الي اولاده عدد من آلاف الدنانير
 لا اذ كرمه الآن وأمر ان يعطى لاصحابه ما كان يعطى لهم او وصلوا معه وهو بقيد الحياة
 وملك الهند في كل بلد من بلاده صاحب الخبر يكتب له بكل ما يجري في ذلك البلد من
 الامور ومن يرد عليه من الواردين واذا أتى الوارد كتبوا من أي البلاد وردوا كتبوا

سمه ونعته وثيابه وأصحابه وخيله وخدامه وهيئته من الجلوس والمأكل وجميع شؤنه
 وتصرفاته وما يظهر منه من فضيلة أو ضدها فلا يصل الوارد إلى الملك الا وهو عارف
 بجميع حاله فتكون كرامته على مقدار ما يستحقه وسافرنا من سمرقند فاجتزنا ببلدة
 نسف واليه ينسب أبو حنص عمر النسفي مؤلف كتاب المنظومة في المسائل الخلافية بين
 الفقهاء الاربعة رضي الله عنهم ثم وصلنا إلى مدينة ترمذ التي ينسب اليها الامام أبو عيسى
 محمد بن عيسى بن سورة الترمذي مؤلف الجامع الكبير في السنن وهي مدينة كبيرة حسنة
 العمارة والاسواق تخرقها الانهار وبها البساتين الكثيرة والغنم والسفرجل بها كثير
 متناهي الطيب والاحوم بها كثيرة وكذلك الالبان وأهلها يغسلون رؤسهم في الحمام باللبن
 غوضاً عن الطفل ويكون عند كل صاحب حمام أوعية كبار مملوئة لبناً فاذا دخل الرجل
 الحمام أخذ منها في اناء صغير فغسل رأسه وهو يرطب الشعر ويصقله وأهل الهند يجعلون
 في رؤسهم زيت السمسم ويسمون الشيراج ويفصلون الشعر بعده بالطفل فينعم الجسم
 ويصقل الشعر ويطله وبذلك طالت لدى أهل الهند ومن سكن معهم وكانت مدينة ترمذ
 القديمة مبنية على شاطئ جيحون فلما خربها تسكيز بنيت هذه الحديثة على ميلين من النهر
 وكان نزولنا بها بزاوية الشيخ الصالح عزيزان من كبار المشايخ وكرماتهم كثير المال
 والرباع والبساتين ينفق على الوارد والصادر من ماله واجتمعت قبل وصولي إلى هذه
 المدينة بصاحبها علاء الملك خداوند زاده وكتب لي إليها بالضيافة فكانت تحمل اليها أيام
 مقامنا في كل يوم ولقيت أيضاً قاضيها قوام الدين وهو متوجه لرؤية السلطان
 طر مشيرين وطالب للاذن له في السفر إلى بلاد الهند وسبأني ذكر لقايتي له بذلك
 ولاخويه ضياء الدين وبرهان الدين بملتان وسفرنا جميعاً إلى الهند وذكراً أخويه
 الآخرين عماد الدين وسيف الدين ولقايتي لهما بحضرة ملك الهند وذكراً ولديه وقدمهما
 على ملك الهند بعد قتل أبيهما وتزويجهما بنتي الوزير خواجة جهان وما جرى في ذلك كله
 ان شاء الله تعالى ثم اجزنا نهر جيحون إلى بلاد خراسان ومهرتابعد انصرافنا من ترمذ
 واجازة الوادي يوماً ونصف يوم في صحراء اورمالا عمارة بها إلى مدينة بلخ وهي

خاوية على عروشها غير عامرة ومن رآها ظن أنها عامرة لا تقان بناؤها وكانت ضخمة فسيحها
ومساجدها ومدارسها باقية الرسوم حتى الآن وتقوش مآينها مدخلة باصبغة اللازورد
والناس يقسبون اللازورد إلى خراسان وأنما يجلب من جبال بدخشان التي ينسب إليها
الياقوت البدخشي والعامّة يقولون البلخشي وسيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى وخرب
هذه المدينة تكبيرا للدين وهدم من مسجد هانحو الثالث بسبب كنز ذكر له أنه تحت سارية
من سواريه وهو من أحسن مساجد الدنيا وانسحها ومسجد رباط الفتح بالمغرب يشبهه
في عظم سواريه ومسجد شيخ اجل منه في سوى ذلك ﴿حكاية﴾

ذكر لي بعض أهل التاريخ أن مسجد باخ بنته امرأة كان زوجها أمير ابياخ لبي العباس
يسمي داود بن علي فاتفق أن الخليفة غضب مرة على أهل باخ لحادث أحدثوه فبعث إليهم
من يفرهمهم فمر ما قد حاقا بما باخ إلى باخ أتى نساؤها وصديقاتها إلى تلك المرأة التي بنت
المسجد وهي زوج أميرهم وشكوا حالهم ومالقةهم من هذا المفرم فبعثت إلى الأمير الذي
قدم برسم تفرغهم بثوب لطا مرصع بالجواهر قيمته أكثر مما أمرت بفرمهم فقالت له اذهب
بهذا الثوب إلى الخليفة فقد أعطيت صدقة عن أهل باخ انصف حالهم فذهب به إلى الخليفة
وأتى الثوب بين يديه وقص عليه القصة فحجل الخليفة وقال أتكون المرأة أكرم منا وأمره
برفع المزمع عن أهل باخ وبالعودة إليها ليرد لأمراة نوبها وأسقط عن أهل باخ خراج سنة
فما دال أمير إلى باخ وأتى منزل المرأة وقص عليها ما ناله الخليفة ورد عليها الثوب فقالت له
أوقع بصر الخليفة على هذا الثوب قال نعم قالت لا البس ثوبا وقع عليه بصر غير ذي محرم مني
وأمرت بيده فبقي منه المسجد والزاوية ورباط في مقابلاته مبنى بالكذان وهو عامر حتى
الآن وفضل من الثوب مقدار ثلثه فذكر أنها أمرت بدفنه تحت بعض سوارى المسجد
ليكون هنالك متديرا أن احتيج إليه خرج فأخبر شكيزه هذه الحكاية فأمر بهدم سوارى
المسجد فهدم منها نحو الثلث ولم يجد شيئا فترك الباقي على حاله وبخارج باخ قبر يذكر أنه قبر
عكاشة بن محسن الأسدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما الذي يدخل الجنة
بلا حساب وعليه زاوية عظيمة بها كان نزولنا وبخارجها بركة ماء عجيبة عليها شجرة جوز

عظيمة ينزل الواردون في الصيف تحت ظلالها وشيخ هذه الزاوية يعرف بالحاج خرد وهو الصغير من الفضلاء وركب معنا وأرانا مزارات هذه المدينة منها قبر حزقييل النبي عليه السلام وعليه قبة حسنة ووزر نابها أيضاً قبورا كثيرة من قبور الصالحين لا أذكرها الآن ووقفنا على دار ابراهيم بن آدم رضي الله عنه وهي دار ضخمة مبنية بالصخر الأبيض الذي يشبه الكندان وكان زرع الزاوية مقترنا بها وقد سدت عليه فلم ندخلها وهي بقربة من المسجد الجامع ثم سافرنا من مدينة بلخ فمرنا في جبال قومستان (قهستان) سبعة أيام وهي قرى كثيرة عامرة بها المياه الجارية والأشجار المورقة وأكثرها شجر التين وبها زوايا كثيرة فيها الصالحون المنقطعون إلى الله تعالى وبعد ذلك كان وصولنا إلى مدينة هرات وهي أكبر المدن العامرة بخراسان ومدن خراسان العظيمة أربع ثلثان عامرتان وهما هرات ونيسابور وثلثان خربتان وهما بلخ ومرو ومدينة هرات كبيرة عظيمة كثيرة العمارة لاهلها صلاح وعفاف وديانة وهم على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه وبلدهم طاهر من الفساد

﴿ ذكر سلطان هرات ﴾

وهو السلطان المعظم حسين بن السلطان غياث الدين الغوري صاحب الشجاعة الماثورة والتأييد والسعادة ظهر له من انجاده الله تعالى وتأيدته في موطين اثنين ما يقضي منه العجب أحدهما عندما لاقاه جيشه لاسلطان خليل الذي بنى عليه وكان منتهى أمره حصونه أسير في يديه والموطن الثاني عندما لاقاه بنفسه لمسهود سلطان الرافضة وكان منتهى أمره تبديده وفراره وذهاب ملكه وولي السلطان حسين الملك بعد أخيه المروفي بالحافظ وولي أخوه بدأ به غياث الدين

﴿ حكاية الرافضة ﴾

كان بخراسان رجلا نأحدهما يسمى بمسهود والآخر يسمى بمحمد وكان لهما خمسة من الأصحاب وهم من الفتاك ويعرفون بالعراق بالشطار ويعرفون بخراسان بسر ابداران (سر بداران) ويعرفون بالمغرب بالصقورة فاتفق سبعتهم على الفساد وقطع الطرق وسلب الأموال وشاع خبرهم وسكنوا جيلا متيعا بقربة من مدينة يهق وتسمى أيضا

مدينة سيزار (سيزوار) وكانوا يكمنون بالنهار ويخرجون بالليل والعشي فيضربون على القرى ويقطعون الطرق يأخذون الاموال وانتال عليهم أشباههم من أهل الشر والفساد فكثرت عددهم واشتدت شوكتهم وهابهم الناس وضربوا على مدينة ييهق فملكوها ثم ملكوا سواها من المدن واكتسبوا الاموال وجندوا الجنود وركبوا الخيل وتسمى مسعود بالسلطان وصار العبيد يفرون عن مواليهم اليه فكل عبده فر منهم يعطيه الفرس والمال وان ظهرت له شجاعة أمره على جماعة فعظم جيشه واستفحل أمره وتمذهب جميعهم بذهب الرنض وطمحوا الى استئصال أهل السنة بخراسان وان يجعلوها كلمة واحدة رافضية وكان بمشهد طوس شيخ من الرافضة يسمى بحسن وهو منسبهم من الصالحاء نوافقهم على ذلك وسماه بالخليفة وأمرهم بالعدل فظهروه حتى كانت الدراهم والدنانير تسقط في مسكرهم فلا ياتقطها احد حتى يأتي ربها فيأخذها او غلبوا على نيسابور وبث اليهم السلطان طغتمور بالاساكر فهزموها ثم بث اليهم نائبه أرغون شاه فهزموه وأمروه ومنوا عليه ثم غزاهم طغتمور بنفسه في خمسين ألفا من التتر فهزموه وملكوا البلاد وتغلبوا على سرخس والزاور و طوس وهي من أعظم بلاد خراسان وجعلوا خليفهم بمشهد على بن موسى الرضي وتغلبوا على مدينة الحام ونزلوا بخارجها وهم قاصدون مدينة هرات ويذهاو بينهم مسيرة ست فلما بلغ ذلك الملك حسينا جمع الامراء والمساكر واهل المدينة واستشارهم هل يقيمون حتى يأتي القوم او يعضون اليهم فيناجزونهم فوقع اجتماعهم على الخروج اليهم وهم قبيلة واحدة يسمون الفورية ويقال انهم منسوبون الي غور الشام وان اصلهم منه فجهزوا اجمعون واجتمعوا من اطراف البلاد وهم ساكنون بالقرى وبصحراء مرغيس (بدغيس) وهي مسيرة أربع لا يزال عشبها أخضر ترعي منه ماشيتهم وخيلهم واكثر شجرها الفستق ومنها يحمل الي أرض العراق وعضدهم أهل مدينة سمنان ونقروا جميعا الي الرافضة وهم مائة وعشرون ألفا مائة و فرسان يقودهم الملك حسين واجتمعت الرافضة في مائة وخمسين ألفا من الفرسان وكانت الملاقاة بصحراء بوشنج وهو بر الفريقان معا ثم كانت الدائرة على

الرافضة وفرسلطانهم مسعود وثبت خليفتهم حسن في عشرين ألفا حتى قتل وقتل
أكثرهم وأسروا منهم نحو أربعة آلاف وذكري بعض من حضر هذه الواقعة ان ابتداء
القتال كان في وقت الضحى وكانت الهزيمة عند الزوال ونزل الملك حسين بعد الظهر فصلى
وأتى بالطعام فكان هو وكبراء أصحابه يأكلون وسائرهم يضربون أعناق الأسرى وعاد
الى حضرته به. هذا الفتح العظيم وقد نصر الله السنة على يديه وأطفأ نار الفتنة وكانت هذه
الواقعة بعد خروجي من الهند عام ثمانية وأربعين ونشأ بهرات رجل من الزهاد والصلحاء
الفضلاء واسمه نظام الدين مولانا وكان أهل هرات يحبونه ويرجعون الى قوله وكان
يعظمهم ويذكروهم وتوافقوا معه على تغيير المنكر وما قدمهم على ذلك خطيب المدينة
المعروف بملك ورنانا هو ابن عم الملك حسين ومتزوج بزوج والدوهي من أحسن
الناس صورة وسيرة والملك يخافه على نفسه وسنذكر خبره وكانوا في علموا بمنكر ولو
كان عند الملك غيره

﴿ حكاية ﴾

ذكر لي أنهم تعرفوا يوما ان بدار الملك حسين منكر افا اجتماعوا لتغييره وتحصن منهم
بداخل داره فاجتمعوا على الباب في ستة آلاف رجل نخاف منهم فاستحضر الفقيه وكبار
البلد وكان قد شرب الخمر فاقاموا عليه الحد بداخل قصره انصرفوا عنه

﴿ حكاية هي سبب قتل الفقيه نظام الدين المذكور ﴾

كانت الاثراك المجاورون لمدينة هرات الساكنون بالصحرَاء وملكهم طغتمور الذي
مر ذكره وهم نحو خمسين ألفا يخافهم الملك حسين ويهدى لهم الهدايا في كل سنة ويدارهم
وذلك قبل هزيمته للرافضة وأما بعد هزيمته للرافضة فتغلب عليهم ومن عادة هؤلاء الاثراك
التردد الى مدينة هرات وربما شربوا بها الخمر وأتاها بعضهم وهو سكران فكان نظام
الدين يخدم من وجد منهم سكرانا وهوؤلاء الاثراك أهل نجدة وبأس ولا يزالون يضربون
على بلاد الهند فيسبون ويقتلون وربما سبوا بعض المسلمين اللاتي يكن بارض الهند ما بين
الكفار فاذا خرجوا بهم الى خراسان يطلق نظام الدين المسلمين من أيدي الترك
وعلامه النسوة المسلمين بارض الهند ترك ثياب الاذن والكافرات آذانهم من منقوبات

فاتفق مرة ان أمير من أمراء الترك يسمى تمور الطي سبي امرأة وكاف بها كلفاشديدا
فذكرت انها مسلمة فانتزعها الفقيه من يده فباع ذلك من التركي مبلغا عظيما وركب في آلاف
من أصحابه وأغار على خيول هرات وهي في مرعاهما يصحراء مرغيس (بدخيس)
واحتلوا هافلم يتركوا الأهل هرات ما يركبون ولا ما يخابون وصعدوا بها الى جبل هنالك
لا يقدر عليهم فيه ولم يجد السلطان ولا جنده خيالا يتبعونهم بها فبعث اليهم رسولا يطلب
منهم رد ما أخذوه من الماشية والخيول ويذكرهم العهد الذي بينهم فاجابوا بانهم لا يردون
ذلك حتى يكتنوا من الفقيه نظام الدين فقال السلطان لاسبيل الى هذا وكان الشيخ أبو
أحمد الجسقي حفيد الشيخ مودود الجسقي له بخراسان شأن عظيم وقوله معتبر لديهم فركب
في جماعة خيل من أصحابه ومما ليكه فقال أنا أحمل الفقيه نظام الدين معي الى الترك ليرضوا
بذلك ثم أردده فكان اناس مالوا الى قوله ورأى الفقيه نظام الدين اتفاقهم على ذلك فركب
مع الشيخ أبي أحمد ووصل الى الترك فقام اليه الامير تمور الطي وقال له أنت أخذت
امرأتي مني وضربه بدبوسه فكسر دماغه فخر ميتا فسقط في أيدي الشيخ أبي أحمد
وانصرف من هنالك الى بلده وورد الترك ما كانوا أخذوه من الخيل والماشية وبمددة
قدم ذلك التركي الذي قتل الفقيه على مدينة هرات فلقية جماعة من أصحاب الفقيه فتقدموا
اليه كأنهم مسلحون عاياه وتحت ثيابهم السيوف فقتلوه وفر أصحابه ولما كان بعد هذا بعث
الملك حسين ابن عمه ملك ورنال الذي كان رفيق الفقيه نظام الدين في تغيير المنكر رسولا
الى ملك سجستان فلما حصل بها بعث اليه أن يقيم هنالك ولا يعود اليه فقصد بلاد الهند
ولقيته وأنا خارج منها بمدينة سيوستان من السند وهو أحد الفضلاء وفي طبعه حب الرياسة
والصيد والبزاة والخيول والاعمال والاصحاب واللباس الملوكي الفاخر ومن كان على هذا
الترتيب فانه لا يصلح حاله بأرض الهند فكان من أمره ان ملك الهند ولده بلدا صغيرا وقتله
به بعض أهل هرات المقيمين بالهند بسبب جارية وقيل ان ملك الهند دس عليه من قتله
بسمي الملك حسين في ذلك ولا جله خدم الملك حسين ملك الهند بعد موت ملك ورنال
المذكور وهاهنا ملك الهند وأعضاء مدينة بكار من بلاد السند ومجباها خمسون ألفا من

دنائير الذهب في كل سنة (وانعد) الى ما كنا بسبيله فنقول سافرنا من هرات الى مدينة الجام وهي متوسطة حسنة ذات بساتين وأشجار وعيون كثيرة وأنهار وأكثر شجرها التوت والحريز بها كثير وهي تنسب الى الولي العابد الزاهد شهاب الدين أحمد الجامي وسند كركايتيه وحفيده الشيخ أحمد المعروف بزاده التي قتلها ملك الهند والمدينة الآن لاولاده وهي محروقة من قبل الساطان وانهم بها نعمة وثروة وذكر لي من أتق به ان السلطان أباسعيد ملك العراق قدم خراسان مرة ونزل على هذه المدينة وبها زاوية الشيخ فأضافه ضيافة عظيمة وأعطى لكل خباء بمحلته رأس غنم ولكل أربعة رجال رأس غنم ولكل دابة بالحنة من فرس وبغل وحمار علف ليلة يبق في الحنة حيوان الاوصلته ضيافة

﴿ حكاية الشيخ شهاب الدين الذي تنسب اليه مدينة الجام ﴾

يدكر انه كان صاحب راحة مكرما من الشرب وكان له من التمداء نحو ستين وكانت لهم عادة أن يجتمعوا يوم ما في منزل كل واحد منهم فتدور التوبة على أحدهم بعد شهرين وبقوا على ذلك مدة ثم ان التوبة وصلت يوم ما الى الشيخ شهاب الدين فعمد التوبة ليلة التوبة وعزم على اصلاح حاله مع ربه وقال في نفسه ان قلت لا صحابي اني قد تبنت قبل اجتماعهم عندي ظنوا ذلك عجزا عن مؤتتهم فأحضر ما كان يحضر مثله قبل من مأكولات ومشروب وحمل الخمر في الزقاق وحضر أصحابه فلما أرادوا الشرب فتحوا زقاقا فذاقه أحدهم فوجد حلو ثم فتحوا ثانيا فوجدوه كذلك ثم ثالثا فوجدوه كذلك فكلعوا الشيخ في ذلك فخرج لهم عن حقيقة أمره وصدقهم سن بكره وعرفهم بتوبته وقال لهم والله ما هذا الا الشراب الذي كنتم تشربونه فيما تقدم فتأبوا جميعا الى الله تعالى وبنوا تلك الزاوية وانقطعوا بها العبادة لله تعالى وظهر لهذا الشيخ كثير من الكرامات والمكاشفات ثم سافرنا من الجام الى مدينة طوس وهي من أكبر بلاد خراسان وأعظمها بلدا امام الشهير أبي حامد الغزالي رضي الله عنه وبها قبره ورحلنا منها الى مدينة مشهد الرضى وهو على بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهي أيضا مدينة كبيرة ضخمة كثيرة

الفواكه والمياه والارحاء الطاحنة وكان بها الطاهر محمد شاه والطاهر عندهم بمعنى النقيب
عند أهل مصر والشام والعراق وأهل الهند والسند وتركيستان يقولون السيد الاجل وكان
أيضاً بهذا المشهد القاضي الشريف جلال الدين لقينه بأرض الهند والشريف علي وولده
أمير هندو ودولة شاه وصحبه من ترمذ الى بلاد الهند وكانوا من الفضلاء والمشهد المكرم
عليه قبة عظيمة في داخل زاوية تجاورها مدرسة ومسجد وجميعها ملبح البناء مصنوع
الحيطان بالقاشاني وعلى القبر دكانة خشب ملبسة بصفايح الفضة وعليه قناديل فضة معلقة
وعتبة باب القبة فضة وعلي بابها ستر حرير مذهب وهي مبسوطة بأنواع البسط وازاء هذا
القبر قبر هارون الرشيد أمير المؤمنين رضي الله عنه وعليه دكانة يضعون عليها الشمعدانات
التي يعرفها أهل المغرب بالحسك والمناثر وإذا دخل الرافضي للزيارة ضرب قبر الرشيد
برجله وسلم على رضي ثم سافرنا الى مدينة سرخس واليه ينسب الشيخ الصالح لقمان
السرخسي رضي الله عنه ثم سافرنا منها الى مدينة زاوية وهي مدينة الشيخ الصالح قطب الدين
حيدر واليه تنسب طائفة الحيدرية من الفقهاء وهم الذين يجعلون حلق الحديد في أيديهم
وأعناقهم وآذانهم ويحملونها أيضاً في ذكورهم حتى لا يتأني لهم التكاح ثم رحلنا منها فوصلنا
الى مدينة نيسابور وهي إحدى المدن الأربع التي هي قواعد خراسان ويقال لها دمشق
الصغيرة لكثرة فواكهها وبساتينها ومياهها وحسنها وتخرجها أربعة من الأنهار وأسواقها
حسنة متسعة ومسجدها بديع وهو في وسط السوق ويليه أربع من المدارس يحرق بها
الماء الغزير وفيها من الطلبة خلق كثير يقرؤون القرآن والفقه وهي من حسان مدارس
تلك البلاد ومدارس خراسان والعراقيين ودمشق وبغداد ومصر وإن باغت الغاية من
الاتقان والحسن فكلها تقصر عن المدرسة التي عمرها مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله
المجاهد في سبيل الله عالم الملوك واسطة عقد الخلفاء العاديين أبو عنان وصل الله سعيده ونصر
جنده وهي التي عند القصبة من حضرة فاس حرسها الله تعالى فانها لا نظير لها سعة وارتفاعا
ونقش الجص بها لا قدرة لأهل المشرق عليه ويصنع بنيسابور ثياب الحرير من النخ
والكمجاء وغيرها وتحمل منها الى الهند وفي هذه المدينة زاوية الشيخ الامام العالم القطب

المابد قطب الدين النيسابوري أحد الوعاظ العلماء الصالحين نزلت عنده فأحسن القرى
وأكرم ورأيت له البراهين والكرامات العجيبة

﴿كرامة له﴾

كنت قد اشتريت بنيسابور غلاماً تركياً فآمرته أن يقرأ معي فقال لي هذا الغلام لا يملك فيه
قلقت له نعم وبعثت الغلام في غد ذلك اليوم واشترته بمضى التجار وادعت الشيخ وانصرفت
فما حلت بمدينة بسطام كتب إلى بعض أصحابي من نيسابور وذكّر أن الغلام المذکور قتل
بعض أولاد الأتراك وقتل به وهذه كرامة واضحة لهذا الشيخ رضي الله عنه وسافرت
من نيسابور إلى مدينة بسطام التي ينسب إليها الشيخ العارف أبو يزيد البسطامي الشهير
رضي الله عنه وبهذه المدينة قبره ومعه في قبة واحدة أحد أولاد جعفر الصادق رضي الله عنه
وبسطام أيضاً قبر الشيخ الصالح الولي أبي الحسن الحزقاني وكان نزولي من هذه المدينة
بزاوية الشيخ أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه ثم سافرت من هذه المدينة على طريق هند
خير إلى قدوس وبغلان وهي قرى فيها مشايخ وصالحون وبها البساتين والانهار فترانا
بقندوس على نهر ماء به زاوية لأحد شيوخ الفقراء من أهل مصر يسمى بشير سياه ومعنى
ذلك الاسد الأسود وأضافنا بها وإلى تلك الأرض وهو من أهل الموصل وسكناء بستان
عظيم هنالك وأقمنا بخارج هذه القرية نحو أربعين يوماً لرعي الجمال والحيل وبها مراعي طيبة
واعشاب كثيرة والأمن بها شامل بسبب شدة أحكام الأمير برنطيه وقد قدمنا أن أحكام
الترك في من سرق فرساً أن يعطى معه تسعة مثله فإن لم يجد ذلك أخذ فيها أولاده فإن لم يكن
له أولاد ذبح ذبح الشاة والناس يتركون دوابهم مهمة دون راع بعد أن يسم كل واحد
دوابه في أخذها وكذلك فعلنا في هذه البلاد واتفق أن تفقدنا خيلنا بعد عشر من نزولنا بها
فقدنا منها ثلاثة أفراس ولما كان بعد نصف شهر جاءنا التتر بها إلى منزلنا خوفاً على أنفسهم
من الأحكام وكنا نربط في كل ليلة أرواح خيولنا فرسين للماعسى أن يقع بالليل ففقدنا
الفرسين ذات ليلة وسافرنا من هنالك وبعد ثنتين وعشرين ليلة جاؤا بهما إلينا في أثناء
طريقنا وكان أيضاً من أسباب اقامتنا خوف الثلج فان بناه الطريق جبالاً يقال له هندوكوش

هو معناه قاتل الهنود لان العبيد والجواري الذين يؤتى بهم من بلاد الهند يموت هنالك
الكثير منهم لشدة البرد وكثرة الثلج وهو مسيرة يوم كامل وأقنا حتى تمكن دخول
الحر وقطعنا ذلك الجبل من آخر الليل وسلكنا به جميع نهارنا الى الغروب وكنا نضع اليبود
بين أيدي الجمال تطأ عليها لا تفرق في الثلج ثم سافرنا الى موضع يعرف بأندر وكانت
هنالك فيما تقدم مدينة عني رسمها ونزلنا بقربة عظيمة فيها زاوية لاحد الفضلاء ويسمى
بمحمد المهر وي نزلنا عنده وأكرمنا وكان متى غسلنا أيدينا من الطعام يشرب الماء الذي
غسلنا به لحسن اعتقاده وفضله وسافر معنا الى ان صعدنا جبل هندوكوش المذكور
ووجدنا بهذا الجبل عين ماء حارة فغسلنا منها وجوهنا فتشربت وتألمنا لذلك ثم نزلنا بموضع
يعرف ببنج هير ومعنى بنج خمسة وهير الجبل فمعناه خمسة جبال وكانت هنالك مدينة حسنة
كثيرة العمارة على نهر عظيم أزرق كأنه بحر ينزل من جبال بدخشان وبه هذه الجبال يوجد
انبا قوت الذي يعرفه الناس بالبخش وخرب هذه البلاد تسكيز ملك التتر فلم تعمربعد
وبهذه المدينة مزار الشيخ سعيد المكي وهو معظم عندهم ووصلنا الى جبل بشاي (وضبطه
بفتح الباء المعقودة والشين المعجم والف وياء ساكنة) وبه زاوية الشيخ الصالح أطا أولياء
وأطا (بفتح الهمزة) معنا بالتركية الأب واولياء باللسان العربي فمعناه أبوالاولياء ويسمى
أيضاً سيصد صاله وسيصد (بسين مهملة مكسورة وياء مدو صادم مهملة مفتوح ودال
مهملة) ومعناه بالفارسية ثلاثمائة وصاله (سأله) (بفتح الصاد المهملة واللام) معناه
عالم وهم يذكرون ان عمره ثلاثمائة وخمسون عاماً ولهم فيه اعتقاد حسن ويأتون لزيارته من
البلاد والقري ويقصده السلاطين والخواتين وأكرمنا وأضاقنا ونزلنا على نهر عند زاويته
ودخلنا اليه فسلمت عليه وعانقني وجسمه رطب لم أر ألبين منه ويظن رأيته ان عمره خمسون
سنة وذكرك لي انه في كل مائة سنة ينبت له الشعر والاسنان وأنه رأى أبارهم الذي قبره بملتان
من السند وسأله عن رواية حديث فأخبرني بحكايات وشككت في حاله والله أعلم بصدقه
ثم سافرنا الى برون (وضبطها بفتح الباء المعقودة وسكون الراء وفتح الواو آخر هانون)
وفيهالقيت الامير برنطيه (وضبط اسمه بضم الباء وضم الراء وسكون التون وفتح الطاء

المهمل وباء آخر الحروف مسكن وهاء) وأحسن الى وأكرم في وكتب الى نوابه بمدينة
غزنة في اكرامى وقد تقدم ذكره وذكرا ما أعطي من البسطة في الجسم وكان عنده جماعة
من المشايخ والفقراء أهل الزوايا ثم سافروا الى قرية الجرخ (وضبط اسمها بفتح الجيم
المعقودة واسكان الراء وخاء معجم) وهي كبيرة لها بساتين كثيرة وفواكهها طيبة
قدمناها في أيام الصيف ووجدناها جماعة من الفقراء والطلبة وصلينا بها الجمعة وأضافنا
أميرها محمد الجرخي ولقيته بعد ذلك بالهند ثم سافروا الى مدينة غزنة وهي بلد السلطان
المجاهد محمود بن سبكتكين الشهير الاسم وكان من كبار السلاطين يا قب بيمين الدولة وكان
كثير الغزو الى بلاد الهند وفتح بها المدائن والحصون وقبره بهذه المدينة عليه زاوية وقد
خرب معظم هذه البلدة ولم يبق منها الا يسير وكانت كبيرة وهي شديدة البرد والسكاكنون
بها يخرجون عنها أيام البرد الى مدينة القندهار وهي كبيرة محسبة ولم يدخلها ويذهبها مسيرة
ثلاث وثلثمائة فرسخ غزنة في قرية هنالك على نهر ماء تحت قلعتها وأكرمنا أميرها مرذك أغا
ومرذك (بفتح الميم وسكون الراء وفتح الذال المعجم) ومعناه الصغير وأغ (بفتح الهمزة
والعين المعجم) ومعناه الكبير الاصل ثم سافروا الى كابل وكانت فيما سلف مدينة عظيمة
وبها الآن قرية يسكنها طائفة من الاعاجم يقال لهم الافغان ولهم جبال وشعاب وشوكة
قوية وأكثرهم قطاع الطريق وجباة الكير يسمى كور سليمان ويذكر ان نبي الله سليمان
عليه السلام صعد ذلك الجبل فنظر الى أرض الهند وهي مظلمة فرجع ولم يدخلها فسمي
الجبل به وفيه يسكن ملك الافغان وبكابل زاوية الشيخ اسماعيل الافغانى تلميذ الشيخ
عباس من كبار الاولياء ومنهار حلنا الى كرماتش وهي حصن بين جبلين تقطع به الافغان
وكننا حين جوازنا عليه فقاتلهم وهم بسفح الجبل ونرميهم بالنشاب فيفرون وكانت رفقتنا
مخفة ومعهم نحو أربعين ألف فرس وكانت لي جمال انقطعت عن القافلة لاجلها ومضى
جماعة بعضهم من الافغان وطرحنا بعض الزاد وتركنا احوال الجمال التي أعيت بالطريق
وعادت اليها خيلنا بالقد فاحتلناها ووصلنا الى القافلة بعد العشاء الآخرة فبتنا بمنزل شتتغار
وهي آخر العمارة بمسايلى بلاد الترك ومن هنالك دخلنا البرية الكبرى وهي مسيرة خمس

عشرة لا تدخل الا في فصل واحد وهو بهند نزول المطر بارض السند والهند وذلك في
 أوائل شهر يولييه وتهب في هذه البرية ريح السموم القاتلة التي تمقن الجسوم حتى ان الرجل
 اذا مات تنفسخ أعضاؤه وقد ذكرنا ان هذه الريح تهب أيضا في البرية بين هرمز وشيراز
 وكانت تقدمت امامنا رفقة كبيرة فيها خد او ندزاده قاضي ترمذقات لهم جمال وخيل كثيرة
 ووصلت رفقتنا سالمة بحمد الله تعالى الي بنج آب وهو ماء السند ويخرج (بفتح الباء
 الموحدة وسكون النون والجيم) ومعناه خمسة وآب (بهمزة مفتوحة ومدودة وباء
 موحدة) ومعناه الماء فمعنى ذلك الاودية الخمسة وهي تصب في النهر الاعظم وتسقى تلك
 النواحي وسند كر ها ان شاء الله تعالى وكان وصولنا لهذا النهر سلخ ذى الحجة واستهل
 علينا تلك الليلة هلال المحرم من عام أربعة وثلاثين وسبعمائة ومن هنالك كتب المخبرون
 يخبرنا الي أرض الهند وعرفوا ملكها بكيفية أحوالنا وهما ينتهي بنا الكلام في هذا السفر
 والحمد لله رب العالمين

✽ تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني ✽

الحق المحدث

(تذييل) يقول مصححه وحيث انتهينا من رحلة الشيخ المغربي المعروف بابن بطوطة الى هذا الحد وهو أول جلد وقد شرع رحمه الله تعالى في ذكر ما شاهدته من العجائب والغرائب ببلاد الهند وهو ثاني جلد رأينا من المفيد ان نورد هنا عبارة توجد في مقدمة ابن خلدون رحمه الله تعالى مما يتعلق بهذا القصد تتميها لفائدة وتقييد الاشارة ونصها بقصصها وقصصها * ورد على المغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة كان قد رحل منذ عشرين سنة قبلها الى المنرق وتلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند واتصل بملكها لذلك العهد وهو السلطان محمد شاه وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الارض وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتى من أحواله بما يستغرب به السامعون مثل ان ملك الهند اذا خرج للسفر أحصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم رزق ستة أشهر يدفع لهم من عطائه وانه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة الى صحراء البلد ويطوفون به ويتصب امامه في ذلك الحفل من جنينقات على الظهر يرمي بها شكار الدراهم والدنانير على الناس الى ان يدخل إيوانه وأمثال هذه الحكايات فتتاجي الناس في الدولة بتكذيبه واقيت أبا يومثذقي بعض الايام وزير السلطان فارس بن ودرار البعيد الصيت ففاوضته في هذا الشأن وأدريته انكاراً أخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال الوزير فارس اياك ان تستكر مثل هذا من أحوال الدول بما أنك لم تره فتكون كابن الوزير الناشئ في السجن وذلك ان وزيراً اعتقله سلطانه فحك في السجن سنين ربي فيها ابنه في ذلك الحبس فلما أدرك وعقل سأل عن اللحمان التي كان يتغذى بها فاذا قال له أبوه هذا لحم الغنم يقول وما الغنم فيصفها له أبوه بشياتها ونعوتها فيقول يا أبت تراها مثل الفأر فينكر عليه ويقول أين الغنم من الفأر وكذا في لحم البقر والابل اذ لم يعاين في محبته الا الفأر فيحبسها كلها أبناء جنس للفأر وهذا كثير أما يعترى الناس في الاخبار كما يعترىهم الوسواس في الزيادة عن

قصد الاغراب كما قدمناه أول الكتاب فليرجع الانسان الى أصوله وليكن مهيمنا على نفسه ومميزا بين طبيعة الممكن والمتنع بصريح عقله ومستقيم فطرته فما دخل في نطاق الامكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس مرادنا الامكان العقلي المطلق فان نطاقه اوسع شئ فلا يفرض حدا بين الواقعات وانما مرادنا الامكان بحسب المادة التي لاشئ فاذا نظرنا اصل الشئ وجنسه وفصله ومقدار عظمه وقوته أجرينا الحكم في نسبة ذلك على احواله وحكمنا بالامتناع على ما خرج عن نطاقه وقل ربي زدني علما (اه بحروفه)

﴿ فهرست الجزء الاول من كتاب رحلة ابن بطوطه ﴾

صحيفة	صحيفة
٦٦ ذكر الائمة بهذا المسجد	٢ خطبة الكتاب
٦٧ ذكر المدرسين والمعلمين به	٧ ذكر سلطان تونس
ذكر قضاة دمشق	١٠ ذكر أبواب سكندرية ومرساها
٦٩ ذكر مدارس دمشق	١٠ ذكر المنار
٧٠ ذكر أبواب دمشق	١١ ذكر عمود السواري
ذكر بعض المشاهد والمزارات بها	١١ ذكر بعض علماء الاسكندرية
٧٢ ذكر رياض دمشق	٢٥ ذكر نيل مصر
ذكر قاسيون ومشاهدة المباركة	٢٦ ذكر ٧٠ هرام والبراني
٧٣ ذكر الربوة والقري التي تواليها	٢٧ ذكر سلطان مصر
٧٥ ذكر الاوقاف بدمشق وبعض فضائل	٢٧ ذكر بعض أمراء مصر
أهلها وعوائدهم	٢٩ ذكر القضاة بمصر
٧٨ ذكر سماعي بدمشق ومن أجازني من	٣٠ ذكر بعض علماء مصر وأعيانها
أهلها	ذكر يوم المحمل بمصر
٨٢ طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه	٣٩ ذكر المسجد المقدس
وسلم وشرف وكرم	٤٠ ذكر قبة الصخرة
ذكر مسجد رسول الله صلى الله عليه	ذكر بعض المشاهد المباركة بالقدس
وسلم ووروسته الشريفة	الشريف
٨٣ ذكر ابتداء بناء المسجد الكريم	ذكر بعض فضلاء القدس
٨٦ ذكر المنبر الكريم	٦٢ ذكر جامع دمشق المعروف بجامع بني
٨٧ ذكر الخطيب والامام بمسجد رسول	أمية

صحيفة	صحيفة
١٠٧ ذكر أمير مكة	الله صلى الله عليه وسلم
١٠٨ ذكر أهل مكة وفضائلهم	ذكر خدام المسجد الشريف
ذكر قاضي مكة وخطيبها وامام	والمؤذنين به
الموسم وعلماؤها وصلاحاتها	٨٨ ذكر المجاورين بالمدينة الشريفة
١١١ ذكر المجاورين بمكة	٨٩ ذكر أمير المدينة الشريفة
١١٧ ذكر عادة أهل مكة في صلواتهم	ذكر بعض المشاهد الكريمة بخارج
ومواضع أئمتهم	المدينة الشريفة
١١٨ ذكر عاداتهم في الخطبة وصلاة الجمعة	٩٥ ذكر مكة المعظمة
ذكر عاداتهم في استهلال الشهور	ذكر المسجد الحرام
ذكر عاداتهم في شهر رجب	٩٦ ذكر الكعبة المعظمة الشريفة زاداها
١١٩ ذكر عمرة رجب	الله تعظيما وتكريما
١٢١ ذكر عاداتهم في ليلة النصف من	٩٧ ذكر الميزاب المبارك
شعبان	٩٨ ذكر الحجر الاسود
ذكر عاداتهم في شهر رمضان المعظم	ذكر المقام الكريم
١٢٢ ذكر عاداتهم في شوال	٩٩ ذكر الحجر والمطاف
١٢٣ ذكر احرام الكعبة	ذكر زمزم المباركة
ذكر شعائر الحج وأعماله	١١٠ ذكر أبواب المسجد الحرام وما
١٢٥ ذكر كسوة الكعبة	دار به من المشاهد الشريفة
١٢٦ ذكر الانفصال عن مكة شرفها الله	١٠٢ ذكر الصفا والمروة
١٢٩ ذكر الروضة والقبور التي بها	١٠٣ ذكر الحياة المباركة
١٣١ ذكر تعقيب الاشراف	١٠٤ ذكر بعض المشاهد خارج مكة
١٣٤ مدينة واسط	١٠٥ ذكر الحياض المطيقة بمكة

صفحة	محتوى	صفحة	محتوى
١٣٦	مدينة البصرة	١٩٧	ذكر التنبول
١٣٨	ذكر المشاهدة المباركة بالبصرة		ذكر التارجيل
١٤٣	ذكر ملك ايدج وتستر	١٩٩	ذكر سلطان ظفار
١٥٠	ذكر سلطان شيراز	٢٠٠	ذكر ولي اقيناء بهذا الجبل
١٥٧	ذكر بعض المشاهد بشيراز	٢٠٤	ذكر سلطان عمان
١٦٢	مدينة الكوفة	٢٠٥	ذكر سلطان هرمز
١٦٤	مدينة بغداد	٢٠٨	ذكر سلطان لار
١٦٧	ذكر الجانب الغربي من بغداد	٢٠٩	ذكر مفاص الجوهري
	ذكر الجانب الشرقي منها	٢١٣	ذكر سلطان العلایا
١٦٨	ذكر قبور الخلفاء ببغداد وقبور بعض العلماء والصالحين بها	٢١٤	ذكر الاخية الفتیان
١٦٩	ذكر سلطان العراقين وخراسان	٢١٥	ذكر سلطان أنطاكية
١٧٢	ذكر المتغلبين على الملك بعد موت السلطان أبي سعيد	٢١٦	ذكر سلطان اكر يدور
١٧٥	مدينة الموصل	٢١٧	ذكر سلطان قل حصار
١٧٨	ذكر سلطان ماردين في عهد دخولي اليها	٢١٨	ذكر سلطان لاذق
١٨٣	ذكر سلطان جزيرة سواكن	٢٢٠	ذكر سلطان ميلاس
١٨٤	ذكر سلطان حلي	٢٢١	ذكر سلطان اللارندة
١٨٧	ذكر سلطان البين	٢٢٦	ذكر سلطان برکی
١٩٠	ذكر سلطان مقدشو	٢٣٠	ذكر سلطان مفتيسية
١٩٣	ذكر سلطان كلوا	٢٣١	ذكر سلطان بر غمة
		٢٣٢	ذكر سلطان بلي كسرى
		٢٣٣	ذكر سلطان بر صي
		٢٣٨	ذكر سلطان كردى بولي

صحيفه	صحيفه
٢٤٠ ذ كر سلطان قسطنطينيه	٢٦٨ ذ كر الكنيسة العظمى
٢٤٥ ذ كر المعجلات التي يسافر عليها	٢٦٩ ذ كر الما استارات بقسطنطينيه
حضرة السلطان محمد أوزبك بهذه البلاد	٢٧٠ ذ كر الملك المترهب جرجيس
٢٥١ ذ كر السلطان محمد أوزبك خان	٢٧١ ذ كر قاضي القسطنطينيه
٢٥٣ ذ كر الخواتين وترتيبهن	ذ كر الانصراف عن القسطنطينيه
٢٥٦ ذ كر بنت السلطان المعظم أوزبك	٢٧٦ ذ كر أمير خوارزم
٢٥٧ ذ كر ولدي السلطان	٢٧٨ ذ كر بطيخ خوارزم
ذ كر سفرى الى مدينة بلغار	٢٨٠ ذ كر أولية الترو وتخریبهم بخارى
ذ كر أرض الظلمة	وسواها
٢٥٨ ذ كر ترتيبهم في العيد	٢٨٣ ذ كر سلطان ما وراء النهر
٢٦٢ ذ كر سفرى الى القسطنطينيه	٢٩٣ ذ كر سلطان هرات
١٦٦ ذ كر سلطان القسطنطينيه	حكاية الرافضة
٢٦٧ ذ كر المدينة	٣٠٢ تمة هذا الجزء
	٣٠٣ تذييل

تمت فهرست الجزء الاول